الصفات الستّ

في ضوء الكتاب والسنّة

وفهم سلف الأمة

وأقوال

مشايخ التبليغ والدعوة

بقلم

محمد علي محمد إمام

(١١)
سلسلة المنتقي من كلام
أهل التبليغ والدعوة

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشئون الفنية

الصفات الست في ضوء الكتاب والسنة

وفهم سلف الأمة

وأقوال علماء ومشايخ التبليغ والدعوة

بقلم/ محمد على محمد إمام

الطبعة الأولي ٢٠١٣

عدد الصفحات (٥٥١صفحة)

المقاس (١٨ × ٢٤ سم)

رقم الإيداع : (٧٠٦٥ /٢٠١٣)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

إهـــداء

- إلى مشايخنا وعلمائنا جزاهم الله عنا كل خير.
- إلى كل الخارجين في سبيل الله على وجه المعمورة.
- إلى كل الدعاة إلى الله من خطباء ووعاظ.
- إلى المدرسين وطلاب العلم العاملين.
- إلى الآباء والأمهات المهتمين بإحياء الدين ونشره في العالم كله.
- إلى الشباب المسلم الحريص على نشر دينه.
- إلى من يحب الله ورسوله.
- إلى كل مسلم يهمه أمر دينه ودنياه وأخراه.
- إلى كل مؤمن بالله واليوم الآخر.
- إلى كل طالبي الحق.

مُقَدِّمَة

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده.. ونصلي ونسلم علي خير خلقه وصفوة أنبيائه ورسله سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وبعد:

أخي الحبيب الداعي إلي الله: وها نحن نواصل سلسة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة .. ونحن مع الجزء الحادي عشر من السلسلة والذي سميته:

الصفات الست

في ضوء الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة

وأقوال علماء ومشايخ التبليغ والدعوة

وأقصد بالصفات الست التي كانت في حياة أصحاب النبي الكرام، الذين كانت حياتهم ميدانا عمليا لفهم هذا الدين وتطبيقه على أرض الواقع، فكان القرآن ينزل والنبي يوضح ويوجه، والصحابة يطبقون ويجتهدون.

وقد أشاد الله بحياتهم في آيات عديدة في القرآن، قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى

سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾(١).

وقال تعالى:﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢).

وقال تعالى:﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٣).

وقال تعالى:﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأميَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ

(١) سورة الفتح - من الآية ٢٩ .

(٢) سورة التوبة - الآية ١٠٠ .

(٣) سورة المجادلة - الآية ٢٢ .

عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءامَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

وقال تعالى:﴿ لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٢).

وقال تعالى:﴿ لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٣).

وقال تعالى:﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ

(١) سورة الأعراف - الآية ١٥٧ .

(٢) سورة التوبة – الآيتان ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) سورة الحشر – الآيتان ٨ ، ٩ .

بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١).

وقال تعالى:﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾(٢).

وقال تعالى:﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا ﴾(٤).

والمقصود بسبيل المؤمنين الذي يجب على كل مسلم أن يتبعه، هو سبيل الصحابة رضي الله عنهم، فقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

(١) سورة الأحزاب – الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة الذاريات – الآيات من ١٧ : ١٩.

(٣) سورة السجدة – الآيتان ١٦ ، ١٧.

(٤) سورة النساء- الآية ١١٥ .

وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١).

في هذه الآية الكريمة امتدح الله سبحانه طائفتين من الناس، الطائفة الأولى وهم المهاجرون والأنصار، وقد جاء السياق في مدحهم مطلقاً، والطائفة الثانية وهم الذين اتبعوهم بإحسان، وقد جاء المدح مقيداً بقيدين اثنين، أولهما: الإتباع، ثانيهما: وصف الإتباع وهو الإحسان، وهذا دليل واضح على أن المقصود بسبيل المؤمنين هو سبيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

ومما يدلنا أيضاً على وجوب إتباع سبيل الصحابة قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٢).

أي إن كان إيمان الناس مثل إيمان الصحابة رضي الله تعالى عنهم فقد اهتدوا ، وإن لم يؤمنوا بمثل إيمان الصحابة فقد ضلوا .

فعلق المولى سبحانه وتعالى الهداية على متابعة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وقد اتفقت هذه الآية بالمعنى مع الآية السابقة : {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا}فالمتأمل يجد أنه يوجد تطابق اللفظين في كلتا الآيتين ،(يشاقق)

(١) سورة التوبة - الآية ١٠٠ .

(٢) سورة البقرة - الآية ١٣٧ .

(الهدى) فالآية الأولى بينت أن من يخالف إيمانه إيمان الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فهو في شقاق ، أي في منازعة للحق، وكذلك الآية الثانية تبين أن من يتبع غير سبيل المؤمنين فإنما هو في شقاق ، ولا ريب أن مشاققة الحق خروج عن الهدى.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "من كان مستنا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة.. أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا.. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة"رواه أبو نعيم في الحلية.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود أيضا رضي الله عنه أنه قال: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ "ورواه البزار والطبراني في الكبير قال الهيثمي ورجاله موثقون.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في ((إعلام الموقعين)) في الثناء على الصحابة رضي الله عنهم: "إنهم سادات الأمة وقدوة الأئمة وأعلم الناس بكتاب ربهم تعالى وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وقد شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل ونسبة من بعدهم في العلم إليهم كنسبتهم إليهم في الفضل والدين – إلى أن قال – إن ما

انفردوا به من العلم عنا أكثر من أن يحاط به – إلى أن قال – فلا ريب أنهم كانوا أبر قلوبا وأعمق علما وأقل تكلفا وأقرب إلى أن يوفقوا لما لم نوفق له نحن لما خصهم الله به من توقد الأذهان وفصاحة اللسان وسعة العلم وسهولة الأخذ وحسن الإدراك وسرعته وقلة المعارض أو عدمه وحسن القصد وتقوى الرب تعالى.

هذا إلى ما خصوا به من قوى إدراكها وكماله وكثرة المعاون وقلة الصارف وقرب العهد بنور النبوة والتلقي من تلك المشكاة النبوية.

وكان الوحي ينزل خلال بيوتهم وينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهرهم فمستندهم في معرفة مراد الرب تعالى من كلامه ما يشاهدونه من فعل رسوله ﷺ وهديه الذي هو يفصل القرآن ويفسره فكيف يكون أحد من الأمة بعدهم أولى بالصواب منهم في شيء من الأشياء.. هذا عين المحال."

وقال ابن القيم أيضا في ((إعلام الموقعين)): والمقصود أن أحدا ممن بعدهم– أي بعد الصحابة– لا يساويهم وقد كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته .أ.هـ.

ولهذا أوردنا في هذا الكتاب طرفا من الصفات التي كان عليها الصحابة الكرام، والتي إذا أتت في حياة المسلم جاء في حياته الدين الكامل الذي به رضا الرب جل جلاله.

أسأل الله ﷻ أن ينفعنا وجميع المسلمين بالالتزام بها، وتطبيقها في حياتنا العملية علي أرض الواقع، وأن يجعلها حجة لنا لا علينا، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

أخوكم

محمد علي محمد إمام

الصفات الطيبـــــة

إن الله عزيز حكيم، أعز أصحاب النبي ﷺ، بصفات الخير كلها نذكر منها ست صفات ، علي سبيل المثال، وليس الحصر لو أتت فينا لسهل علينا أمر الدين والدنيا وهي:

١) اليقين على الله، وحسن إتباع النبي ﷺ .

٢) الصلاة ذات الخشوع والخضوع.

٣) العلم مع الذكـــر.

٤) الإكرام وحسن الخلق.

٥) تصحيح النية، وإخلاصها لله ﷻ في جميع الأقوال والأعمال والأحوال البارزة والخفية.

٦) **الدعوة إلى الله** ﷻ.. وبذل الجهد لدين الله ﷻ، وتفريغ الأوقات وتوفير النفقات.. والخروج في سبيل الله ﷻ.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

مدخل إلى الصفات

س: لماذا نتذاكر الصفات الست؟

ج: ١) حتى تأتي فينا الصفات: قَالَ الشَّيخُ محمد عمر البالمبوري(**رَحِمَهُ الله**): هذه الصفات الإيمانية التي عرفناها عن النبي ﷺ وصحابته الأجلاء رضي الله تَعَالَى عنهم، واختصرت من العلماء والمشايخ في الصفات الستة، فعلينا أن ندعو كل النَّاس من أي بلد وفى كل مكان، للتحلي بهذه الصفات، وهذا الأمر ليس جديدا ، فمشايخنا تفكروا في حياة النبي ﷺ وجهده، حتى جاءوا بهذه الصفات الستة التي لا بد لكل مسلم أن يتحلى بها ليرضى الله تَعَالَى عنه .

٢) من خلال مذاكرة الصفات نتمرن ونتدرب عملي علي الدعوة .. لأن مدارسة هذه الصفات هي بمثابة التدريب والتعليم على البيانات وتشتمل كل صفة على آيات عديدة وأحاديث نبوية يُتحرى الصحيح منها.

٣) قال الشيخ إلياس (رحمه الله): هذه الصفات إنما هي كالألف والباء في دعوتنا.

٤) وقَالَ الشَّيخُ محمد عمر(رَحِمَهُ الله):

نحن عندما نتكلم عن الصفات الستة هي ليست من عندنا وليست من جيوبنا كما يظن البعض، بل هي في كتاب الله تَعَالَى في معرض ذكر قصة موسى عليه السلام، فالله تَعَالَى قال له : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ فهذا توحيد، ﴿ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فهنا الصلاة ، ﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾

هذا هو العلم الذي يأتي به الوحي، وقال: ﴿ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ فهنا الذكر، ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ فلا يعذبهم لكرامتهم عند الله فهنا الإكرام، ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ فهنا الأخلاق، وكان الإخلاص في جميع الأنبياء وقد شهد الله عز وجل لهم بهذا ،وكذلك الدعوة وفيها يقول تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ وهذه الستة في قصة موسى عليه السلام فى سورة طه، وهذه الصفات الستة ليست كل الدين، بل بسببها يأتي عند الإنسان الاستعداد لتقبل الدين والصلاحية لتحمل مسئولية نيابة النبوة.

٥) ويقول الشيخ محمد عمر (رحمه الله) أيضا: سفيه سفيه سفيه، من يقول أن الدين في هذه الصفات الست فقط.

٦) ويقول أيضا : وهذه الصفات الستة ليست أركان الدين، إنما الأركان هي خمسة فقط ولا يقوم مقامها غيرها، وإنما هذه الصفات ليست الدين كله بل هي تمرين على القيام بالدين.

٧) الصفات الستة لعلاج أمراض الأمة: يقول الشيخ إلياس(رحمه الله):

_ لا إله إلا الله (صفة اليقين وحسن التوكل علي الله): لعلاج مرض الشرك بأنواعه.

_ محمد رسول الله (حسن إتباع النبي ﷺ): لعلاج مرض الابتداع، ومرض اتباع اليهود والنصارى.

_ صفة الصلاة ذات الخشوع والخضوع: لعلاج مرض الفواحش والمنكرات .

_ صفة العلم: لعلاج مرض الجهل .

ـ والذكر: لعلاج مرض الغفلة عن الله وأوامره(١).

ـ صفة الإكرام: لعلاج مرض البخل والحرص، والتباغض والتحاسد والتناحر، والأنانية، وكلها أمراض تفرق الأمة.

ـ صفة الإخلاص وتصحيح النية: لعلاج مرض الرياء والعجب والسمعة .

ـ صفة الدعوة والخروج في سبيل الله: لعلاج مرض حب الدنيا والركون إليها، وكراهية الموت.

ـ وهذا العلاج يحتاجه جميع الناس.. وهذا العلاج نحتاجه يوميا.

٨) يقول الشيخ صدر الدين عامر الأنصاري(فى رسالته):

أسّس الشيخ رحمه الله تعالى دعوته على ستة مبادئ:

ـ الكلمة الطيبة: " لا إله إلا الله محمّد رسول الله " أي الإيمان الكامل بالله تعالى، وبما جاء به رسوله الكريم صلّى الله عليه وسلّم.

ـ إقامة الصلوات.

ـ العلم والذكر.

ـ إكرام كلّ مسلّم.

ـ الإخلاص.

ـ النفر في سبيل الله تعالى.

يضاف إلى هذا الستةِ مبدأٌ سابع كعامل مساعد على نيل المقصود؛ وهو

---

(١)العلم والذكر صفتان متلازمتان، لأن الذكر ينير القلب، فيُضفي علي العلم النور، فيأتي الفهم الصحيح لاستنباط الأحكام، وإلا العلم بدون ذكر يصبح صاحبه من الأئمة المضلين.

الاهتمام بترك ما لا يعنيه.

وهذه المبادئ الستة ليست كلها ــ كما ترون ــ أركانا أساسية للدين بل المبدآن الأولان؛ أي الكلمة الطيبة والصلاة من الأركان الأساسية للدين، والمبادئ الباقية إمّا من الشروط اللازمة كالإخلاص، وإمّا من أهمّ الواجبات الأدبية والفضائل الخُلقية.

والمقصود أنّ الاهتمام بالركنيين المذكورين بمساعدة المبادئ الخمسة الأخرى أسهل وأنفع طريق إلى إدراك الدين والتمسك بجميع أركانه وفضائله.

وتشهد التجارب أنّ الأفراد المشتغلين في الدعوة طبقًا لهذا البرنامج يجدون في قلوبهم شوقًا لتعلّم الدين وإقامة صرحه الكامل.

وكيف لا ؟ والبناء يقوم على العقيدة، فبمجرد أن يدرك المرء حقيقة الإيمان بالله ورسوله يندفع إلى تنفيذها في حياته كلها، فينتهز أول فرصة لتعلم الدين وتطبيقه في حياته اليومية، ويشعر بالخوف والخشية على تقصيره، ويحاول الاتصاف بجميع الصفات الواردة للمؤمن، ويمكننا أن نقول بالإجمال عن هذه المبادئ: أنّ الكلمة الطيبة لتمكين اليقين في القلب وتذكير المسلّم أنّه ليس مخلوقًا حُرًّا في شئونه يتصرف فيها كما يشاء دون رقابة أو محاسبة، ولكنه فرد من الأفراد السعداء الذين لبّوا داعي الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله وتعهّدوا بطاعة الربّ في كلّ ما صغر وكبر، وأخذوا على أنفسهم تحكيم القانون السماوي في جميع شئونهم، فلا يُسمح لهم أن يسيروا في الأرض سير من لا يهتدي ويخبط فيها خبط عشواء، وتذكّره الكلمة أنّ عليه أن يسلك مسلكًا معيّنًا، وينتهج صراط الذين أنعم الله تعالى عليهم لا صراط الضّالّين، ويعمل عمل المسترشدين لا عمل الضّالّين، ويعبد ربه عبادة حقيقية.

وأنّ العمل الأول وهو الصلاة ليست رياضة بدنية، ولكنها طاعة جامعة تُطهّر نفوسنا وتزكّي أرواحنا وتنهانا عن الفحشاء والمنكر، وتهيئ في قلوبنا رغبة وكفاءة لصوغ الحياة الكاملة في المصاغ الديني، فنؤدي هذه العبادة بعزم ويقين، بخشوع وخضوع، موقنين بصحة كلّ ما ورد فيها من المنافع الدنيوية والأخُروية، وعازمين على نيل كل تلك المنافع، ولا نعتبرها محض حركات وسكنات مثل ما يقوم به عبدة الأوثان والأفلاك.

وبعد أنّ أقرّ العبد بالعبودية، وتذوقها بالصلاة، اشتاق طبعًا لمعرفة الدين وتقوية إيمانه بذكر الله تعالى، فيتعلّم الدين مع اهتمامه بذكر الله تعالى، وكلّما انهمك العبد في العلم والذكر ازدادت علاقته بالشريعة وتقوّى في إيمانه ويقينه، ويتدرّج في اشتغاله شيئًا فشيئًا حتى يألف اتّباع الحكم الشرعي في كلّ عمل و شغل، ولا يأتي بشغل إلاّ إذا تأكّد مِنْ جوازه، بل من الثواب عليه، فيكون مكسبه ومصرفه (مواضع نفقته للمال المكتسب) ومنامه ويقظته طبقًا للشريعة.

وإذا آمن العبد بربّه واعترف بعظمته وكبريائه، وأقام الصلاة على وجهها المطلوب، وأحاط حياته بذكر الله تعالى وعزم على معرفة ما لا يعرفه، وعلى تعليم ما يعلمه من علوم الدين، فهو بجانب تذوّقه حلاوة الإيمان يُدرك مغزى كونه خليفة الله في الأرض (لفظ خليفة الله تعالى من الألفاظ التي اختلف فيها العلماء، كما اختلفوا في تفسير قوله تعالى (إنّي جاعل في الأرض خليفة) ويُدرك الأمانة التي يحملها في هذا العالم... الأمانة التي تفادى من حملها السماء والأرض.

وأقول بعبارة أوضح: أنّ العبد بمجرّد التعرف على العقيدة الإيمانية الصحيحة يتعرف على منزلة كلّ مسلّم، ويتجلّى له بأنّه ليس هو الوحيد الذي يتمتع بهذه

المكانة الروحية، بل يشاركه في حمل هذه الرسالة والاستمتاع بهذه الأمانة كلّ مسلّم ممّا يُوجب عليه أن يحترمه مهما ساءت حالته الدينية، ومهما انحط مستواه الديني، وعليه أن يؤدّي ما يجب عليه من حقوق لكل مسلّم.

وكلّ عمل يذهب سدى دون جدوى ما لم نكن فيه مخلصين مبتغين فيه وجه الله تعالى، فإنّ العبد إذا قام بعمل ما، مهما حَسُنَ، ولم يبتغ رضا الله تعالى فلن يصل إلى السعادة لا في هذا العالم ولا في العالم الآتي، فإنّ الرياء شرك أصغر، ولن يفلح المشرك أبدًا، فلا بدّ أن لا يقصد بأعماله إلا وجه الله تعالى، ويواصل محاسبة نفسه في قيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه ويقظته، وعن جميع حركاته وسكناته، ويستحضر في كلّ وقت أنّ عليه مهيمنًا يعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد.

وإذا استخلص قلبه من المطامع الدنيوية هان عليه ما هان على الأنبياء والمرسلين، واستطاع أنّ يؤدّي كلّ واجبه، سواءً كان نحو ربّه أو نحو عباده على الوجه المطلوب الذي تترتب عليه الثمار النافعة، فإنّ الله تعالى لا ينظر إلى أجسامنا وصورنا، ولكنّه ينظر إلى قلوبنا.

وتتعلق المبادئ الخمسة المذكورة بحياة الفرد الذاتية، ويُدرك كلّ من أوتي البصيرة أنّها تحيط بحياته اليومية، وأنّها ترتقي بالفرد إلى الحياة المثالية، على أنّ كلّ جزء من المجتمع منقسم إلى أقسام شتّى، فهنا قارات وبلدان ومدن، وفي كلّ منها بيئات مختلفة، فإذا أمعنّا النّظر وجدنا أنّ كلّ فرد ــ على كونه جزء من المجتمع ــ منعزلٌ بذاته عن أخيه، وتتأثّر حياتنا بالظروف التي تختص ببيئته، فالتاجر ــ مثلا ــ يفكّر في تجارته وشئونها، والفلاّح يفكّر في أرضه وحرثها وحصادها، والصانع يفكّر في

صناعته ومشاكلها، وهكذا نجد كلّ فرد لا يكاد يعدو بفكره حدود بيئته وهو بالطبع متأثر بظروفه التي لا تسمح له أن يندمج في المجتمع الديني اندماجا حقيقيًا.

ومن هنا يتحتّم على كلّ مسلّم أن يتخلّص من أعباء بيئته لبعض الوقت حتى يجد عقله فرصة لإدراك الغاية العظمى، فيذوق حلاوة الإيمان، ويتعرف على الروح الإسلامية الحقيقة.

والمبدأ السابع أيّ ترك ما لا يعنيه يصون الحياة عن الأباطيل والمزخرفات، ولنأخذ في الصفحات التالية هذه المبادئ الستة، وننظر بالإجمال ما لها من أهمية وتأثير في حياتنا.أ.هـ.

٩) ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري (حفظه الله) المدرس في الحرم النبوي الشريف في رسالته (القول البليغ في جماعة التبليغ): الحال الداعية إلى إنشاء جماعة التبليغ أن لكل عمل ذي بال وحال، ذات أثر من نفع أو ضر ، ظروفا وملابسات تستدعي وجوده وظهوره، وكان ذلك ما حل بأمة الإسلام في أغلب ديارها من جهل وفسق، وفساد وشر.

الأمر الذي أصبحت تحاكى الجاهلية الأولى محاكاة، تكاد أن تكون تامة في كثير من البلاد أنها فساد في العقيدة، جهل بالعبادة، ضلال في العقول ومرض في النفوس، في البلاد الإسلامية عامة، وفي الهند خاصة حيث أخذ المسلمون يعودون، لما أصابهم من الجهل بالإسلام وشرائعه إلى الوثنية الهند وكية .

وفي هذه الظروف الحالكة نشأت جماعة التبليغ رجاء أن تنقذ من شاء الله أنقذه، من الجهل بالإسلام والبعد عن شرائعه فيعلم ويعمل فينجو، ويكمل ويسعد، إذ لا نجاة ولا إكمال ولا إسعاد بغير العلم بالإسلام والعمل بشرائعه ظاهرا وباطنا .

ونظرا أنه لا بد لمن أراد أن ينقذ غريقا، أو ينجي متعرضا لهلكة من وسيلة صالحة، تمكنه بإذن الله تعالى من إنقاذ من أراد إنقاذه من الغرق أو إنجاء من أراد نجاته من هلكته.

فإذا كان الأمر كذلك، فما هي وسيلة جماعة التبليغ للإنقاذ المطلوب في وسط جل أهله غرقى أو هلكى ؟.

قبل أن نعرض للوسيلة بالذكر والبيان، يحسن أن نلقي نظرة على المجتمع الإسلامي في دياره وحاله متشابهة شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، أنها قبور تعبد ، أعياد جاهلية تقام ، فسق عام بترك الفرائض والسنن وغشيان المحارم والمآثم.

أما الآداب الإسلامية والأخلاق، فإنها توجد مع ترك الصلاة والانغماس في الشهوات ، والجهل بالفرائض والواجبات، إنك تدخل المسجد في الحواضر فلا تجد إلا طاعنا في السن قد لفظته الحياة، وأين مسلمو البلاد ؟ إنهم في المقاهي والملاهي والأسواق ومجالس الباطل ومقاعد السوء يضحكون ويسخرون كأنهم لا يؤمنون.

في هذا المجتمع الذي تسوده الغفلة ويتحكم فيه الجهل وتستبد به الأهواء وتعرم فيه الشهوات، على مؤسس جماعة التبليغ وهو الشيخ محمد إلياس بالذات أن يبحث عن وسيلة ملائمة للوضع الخطير تمكنه من إنقاذ غرقى الجهل والظلم والفسق والشرك ، وهداه ربه عز وجل إلى وسيلة نافعة ناجحة ، فأنقذ الله تعالى بها خلقا لا يحصون عددا ، أنقذهم من ضعف الإيمان إلى قوته ، ومن ظلمة الجهل بالإسلام إلى نور معرفته، ومن ضياع الغفلة إلى حصانة الذكر ، ومن الفسوق والعصيان إلى طاعة الرحمن.

والآن إلى بيان وسيلة جماعة التبليغ التي هدى الله تعالى بها عبده محمد إلياس (

رحمه الله تعالى) إلى وضعها ووفقه للعمل بها، فأنتجت الخير الكثير، وها هي ذي متمثلة في منهج تربوي حكيم لم ير في المناهج التربوية نظيره ، وذلك لاختصاره وشموله، إنه منهج عجب إذ لم تتجاوز مواده الست، مواد تسمى بالصفات الست وهي:

ـ تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله: وذلك بعبادة الله تعالى وحده بما جاء به رسول الله ﷺ من أنواع العبادات وضروب الطاعات والقربات.

ـالصلاة ذات الخشوع والخضوع: أي إقامة الصلاة، بأدائها مستوفاة الأركان والواجبات، والتأكيد على الخشوع فيها إذ هو روحها الذي لا تثمر ما شرعت له من النهى عن الفحشاء والمنكر إلا به.

للعلم بأن أكثر المصلين ما نهتهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر لفقدها الخشوع والخضوع فيها لله تعالى.

ـ العلم مع الذكر: أي تعلم الضروري من العلم والعمل به، وهو المراد من كلمة الذكر، أن العمل بالعلم ذكر، والعلم بدون عمل إعراض ونسيان، والعياذ بالله من علم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها.

ـ إكرام المسلم: والمراد به رد اعتبار المسلم الذي فقد منذ زمن طويل حيث أصبح عدوا لأخيه المسلم يضرب جسمه ويزهق روحه ويسلب ماله وينتهك عرضه فيزني بأمه وأخته وعمته وخالته وفي ديار المسلمين .

إن إكرام المسلم احترامه وتقديره وذلك بكف الأذى عنه، وإسداء الجميل في حدود الوسع والطاقة البشرية.

وقد فقد هذا المسلمون منذ عصور عديدة إلا ما قل وندر، والنادر لا حكم له .

ـ تصحيح النية: والمراد بذلك أن ينوي المسلم بعمله كله وجه الله تعالى فلا يعتقد ولا يقول ولا يعمل إلا طالبا بذلك مرضاة الله تعالى، وهو الإخلاص الذي جاء به الكتاب وقررته السنة.

ـ الدعوة إلى الله تعالى والخروج في سبيلها وهي سبيل الله عز وجل.

وأن المراد من الدعوة إلى الله تعالى، دعوة الناس إلى الإيمان بالله والعمل بطاعته وطاعة رسوله المبنية في الكتاب والسنة ليكمل العبد ويسعد في الحياتين(الدنيا والآخرة).

ـ كيفية استعمال المبلغين وسيلتهم الدعوية:

إنهم بعد وضع تلك الوسيلة والتأكد من صلاحيتها والتحقق من جدواها ونفعه، بحثوا عن طريق لاستعمالها وكيفية تنفيذها للخروج بها من حيز العلم النظري إلى التطبيق العملي ، فاهتدوا بتوفيق من الله تعالى إلى الطريق الآتي المتمثل فيما دون بالأرقام التالية : المسجد وهو المنطلق الأول للدعوة.

إنهم امتثالا بسيد الدعاة وأمامهم محمد ﷺ الذي ما نزل بديار بني عوف بقباء حتى بني لدعوته مسجد قباء، وما أن بركت ناقته بحي أخواله من بني النجار حتى اختط مسجده وبناه لدعوته، اعتمدوا، أي جماعة التبليغ المسجد منطلقا لدعوتهم فهي من المسجد إلى المسجد، من المسجد تخرج وتعود إليه وأطلقوا على المسجد الذي يعدونه لدعوتهم " مسجد النور(١) " تفاؤلا ، فوافق واقعا .

إذ المساجد في الإسلام هي محطات النور وإشعاعاته، إذ فيها يتعلم العلم، وتزكى الأرواح بالعبادات من صلاة وذكر ودعاء وتلاوة لكتاب الله عز وجل.

---

(١) وهو المسجد الذي أقيم في عمل التبليغ والدعوة بالمدينة المنورة .

وبالمساجد تكتسب الآداب، وتهذب الأخلاق لما يوحى به المسجد من الصمت وحسن السمت، وطهارة الروح ونظافة الثوب والدن معا.

وقال المخالفون: قد وضع المبلغون الصفات الست بدلاً عن قواعد الإسلام الخمس وأركان الإيمان الستة.

ونقول: هذا والله تمجن وسوء ظن قبيح، فهل وضع في منهج تربوي إصلاحي لتطبيقها والدعوة على مقتضاها يعتبر محادة الإسلام بترك قواعده وإهمال أركانه ، والاستعاضة عنها بغيرها ؟

فهل دعوة تقوم على الإيمان بالله ولقائه ودينه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والأخلاق الفاضلة ، والنية الصادقة في القول والعمل.

يقال فيها يا عباد الله! إن أصحابها استبدلوها بقواعد الإسلام وأركانه ".

اللهم إن هذا بهتان عظيم، كيف يرضى به من ينتسب إلى سلف الأمة وصدرها الصالح أ.هـ .

١٠) وبعد أن عرضت لك يا أخي الكريم بفضل الله تعالى أقوال العلماء والمشايخ في هذه المسألة، نخلص للآتي: أننا نجد الشيخ إلياس(رحمه الله): سماها الصفات الست ، ولم يسميها كما سماها المخالفون(بهتانا وزورا) الأركان ست، وهي ليست من أم رأس الشيخ (رحمه الله) بل هي من صميم الدين: فالكلمة الطيبة(لا إله إلا الله محمد رسول الله) هي الركن الأول في الإسلام والتي لا يصح الإسلام إلا بها، فإذا قمنا بها وتمرنا عليها حتى تأتي حقيقتها في قلوبنا، فلا نعبد غيره، ولا نحب سواه، ولا نخاف إلا منه، ولا نرجو أحدا غيره ، ولا نسأل سواه، ولا نعتمد إلا عليه ولا نستعين إلا به، ولا نتيقن إلا عليه، وقمنا بدعوة الناس

إلى ذلك.. فلا أدري لم عاب المخالفون علينا؟ هل دعونا لغير الله؟!!!.

والشطر الثاني من الكلمة (محمد رسول الله) والتي لا يصح الإيمان واليقين إلا بها، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) . وقال تعالى: ﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسُولُهُ أمراً أن يكونَ لهمُ الخِيَرَةُ من أمرِهم ومن يَعصِ الله ورسولَهُ فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً﴾ (٢).وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال :" مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ "متفق عليه.

فإذا قمنا بامتثال أمر الرسول ﷺ واقتدينا بكل ما جاء به، من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وتحركنا في أرض الله ندعو الناس لطاعة الرسول ﷺ **وامتثال** أمره، والإقتداء به في كل شئون الحياة، وترك حياة الأغيار من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين وغيرهم.. قام المخالفون بإلقاء الشبه أمام الناس ليصدوهم عن السبيل، أليست لا إله إلا الله محمد رسول الله ركن ركين من دين الإسلام.

وكذلك الصفة الثانية: الصلاة ذات الخشوع والخضوع أليست الركن الثاني من أركان الإسلام، والتي قد ضاعت من حياة المسلمين، وقد جاء في الحديث: عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال:" لينقضن عرى الإسلام عروة

(١) سورة النور – الآية ٦٣ .

(٢) سورة الأحزاب – الآية ٣٦ .

عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة "(١).

فالصلاة آخر شيء يضيع في حياة المسلم فإذا ضاعت الصلاة في حياة المسلم فماذا بقي من دينه، وقد قطع الصلة بربه، وحتى الذين يصلون يقفون (إلا من رحم ربي) في الصلاة بين يدي الله بأبدانهم وقلوبهم في مشاغلهم، كما جاء في الحديث: عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة ولتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، وليصلين النساء وهن حيض ولتسلكن طريق من كان قبلك حذو القذة بالقذة (٢).وحذو النعل بالنعل لا

(١)الراوي: أبو أمامة الباهلي المحدث: الألباني - المصدر: صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: ٥٠٧٥.
خلاصة حكم المحدث :صحيح.

(٢) وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه" قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟).

وهذا التشبيه في المتابعة (حذو القذة بالقذة)،(حذو النعل بالنعل)،(شبرا بشبر وذراعاً بذراع) كل هذه الألفاظ كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي لا الكفر، والقذة بالضم هي ريش السهم وهو دال على كمال المتابعة. ثم إن هذا اللفظ خبر معناه النهي عن اتباعهم وعن الالتفات إلى غير الإسلام لأن نوره قد بهر الأنوار وشرعته نسخت الشرائع، وقوله: "حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" مبالغة في الاتباع لهم.

(حذو القذة بالقذة) القذة هي ريشة السهم، وإذا جئت بريش السهم وجعلتها إلى جنب بعض هل تفرق بينها؟ بين الريش (حذو القذة بالقذة) يعني: مثل الريشة، والريشة متماثلة ومتطابقة فـ(لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة) يعني: مثل ريشة السهم والريشة الأخرى، معنى ذلك أن كل شيء يفعلونه تفعلونه فعلا مطابقا تماما، هل يوجد شيء أو ضح من هذا؟.

أيضا يزيد الأمر تأكيد ووضوحا يقول: (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وجحر الضب كما يعرفه أهل البادية وغيرهم جحر الضب هو يمتاز عن بقية الجحور الحيوانات الزواحف أنه متلون ومتعرج أكثر من التواء وإلى أكثر من جهة.

تخطئون طريقهم ولا يخطئنكم حتى تبقى فرقتان من فرق كثيرة فتقول إحداهما ما بال الصلوات الخمس لقد ضل من كان قبلنا إنما قال الله تبارك وتعالى { وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } (١).لا تصلوا إلا ثلاثا وتقول الأخرى إيمان المؤمنين بالله كإيمان الملائكة ما فينا كافر ولا منافق حق على الله أن يحشرهما مع الدجال(٢).

وعن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَال : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ذَاتَ يَوْمٍ، فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا أَوَانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ: أَيُرْفَعُ

معنى ذلك أنهم حتى لو فعلوا أمورا وعرة وأمورا سيئة للغاية وملتوية أيضا تفعلون مثلهم؛ بل جاء في بعض روايات الحديث عند الترمذي أو حديث آخر قال: (حتى لو وجد فيهم من يفعل بأمه لوجد في هذه الأمة).=

= وفي (لسان العرب) مختصرا: وفي الحديث أَنه صلى الله عليه وسلم قال أَنتم يعني أُمته أَشبه الأُمم ببني إِسرائيل تتبعون آثارهم حِذْوَ القُذَّة بالقُذَّة يعني كما تقدّر كل واحدة منهن على صاحبتها وتقطع وفي حديث آخر لتركَبُنَّ سنن من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقُذَّة قال ابن الأَثير يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان وقد تكرر ذكرها في الحديث مفردة ومجموعة والمِقَذُّ والمِقَذَّةُ بكسر الميم ما قُذَّ به الريش كالسكين ونحوه والقُذَاذَةُ ما قُذَّ منه وقيل القُذاذَةُ من كل شيء ما قطع منه وإِن لي قُذاذاتٍ وخُذاذاتٍ فالقُذاذات القطع الصغار تقطع من أَطراف الذهب والحذاذات القِطَع من الفضة ورجل مُقَذَّذُ الشعر ومقذوذ مُزَيَّنٌ وقيل كل ما زين فقد قُذِّذ تقذيذاً ورجل مقذوذ مقصص شعره حوالي قُصاصه كله وفي الحديث أَن النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر الخوارج فقال يمرقون من الدين كما يمرُقُ السهمُ من الرَّمِيَّةِ ثم نظر في قُذَذِ سهمه فتمارى أَيَرى شيئاً.

(١) سورة هود _ الآية ١١٤ .

(٢) الأثر بهذا التمام رواه ابن وضاح في البدع (١٥١) والحاكم في المستدرك (٨٥٨١ (من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن عكرمة بن عمار قال حدثني حميد أبو عبد الله حدثني عبد العزيز ابن أخي حذيفة قال: قال حذيفة.....

الْعِلْمُ يَا رَسُولَ اللهِ، وَفِينَا كِتَابُ اللهِ، وَقَدْ عَلَّمْنَاهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّكَ مِنْ أَفْقَهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ ضَلاَلَةَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، وَعِنْدَهُمَا مَا عِنْدَهُمَا مِنْ كِتَابِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ ".

فَلَقِيَ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ بِالْمُصَلَّى، فَحَدَّثَهُ هَذَا الْحَدِيثَ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، ثُمَّ قَالَ: وَهَلْ تَدْرِي مَا رَفْعُ الْعِلْمِ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، قَالَ: ذَهَابُ أَوْعِيَتِهِ، قَالَ: وَهَلْ تَدْرِي أَيُّ الْعِلْمِ أَوَّلُ أَنْ يُرْفَعَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ أَدْرِى، قَالَ :الْخُشُوعُ، حَتَّى لاَ تَكَاد تَرَى خاشِعًا (١).

وفي لفظ رواه الحاكم قال جبير: فلقيتُ عبادة بن الصّامت فقلت له: ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ وأخبرته بالذي قال: صدق أبو الدرداء إن شئت لأحدثك بأوّل علم يرفع من الناس: الخشوع ؛ يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيه رجلا خاشعا.

فنحاول أن نحسن صلاتنا ونصلي بالخشوع والخضوع ونتمرن على ذلك بكثرة التطوع، وندعو الناس، للصلاة ذات الخشوع والخضوع لله رب العالمين، ونوجه الناس وكذلك أنفسنا فمن كانت له حاجة فليصل ويقترب من ربه ويسأله حاجته.. فهل في ذلك عيب.

---

(١)أخرجه أحمد ٦/٢٦(٢٤٤٩٠) و"البُخَارِي" في "خلق أفعال العباد "٤٢ و"النَّسائي" في "الكبرى٥٨٧٩ انظر حديث رقم : ٢٥٦٩ في صحيح الجامع.

أما عن صفة العلم والذكر فلهما أهميتان كبيرتان في الإسلام فأما الأولي فلا يعرف الله إلا بها،[فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ] (١) ولا يعبد إلا بها، وبها تعرف مراد الله منك في كل حال، وكيف تؤدي مراد الله منك بما شرع الله، والثانية(صفة الذكر) تجعل العبد في معية الله تعالى، وتخرجه من الكبر ومن النفاق.. فما أجمل هاتين الصفتين لو تحلين بهما.

وأما صفة الإكرام وحسن الخلق، فما أجملهما؟!! فقد يندرج تحتهما ثلاثة أخماس الدين، لأن الدين يشمل(الإيمانيات والعقائد: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى، والعبادات، والمعاملات، والمعاشرات، والأخلاق) فالصفة الأولى تشمل الإيمانيات، والصفة الثانية وهي أهم العبادات(الصلاة).. والصفة الرابعة الإكرام: (تشمل المعاملات والمعاشرات والأخلاق).

والصفة الخامسة: الإخلاص والذي لا يقبل عبودية العبد إلا به.. وبالصفة السادسة الدعوة: ننشر عبودية الله تعالى في الأرض.

أما الصوم والزكاة والحج فليس كل الناس يقومون بهذه الأركان لعدم وجود الاستطاعة.. فمن قوي عنده الركن الأول الإيمان قويت عنده بقية الأركان.

فبذلك يكمل الدين عند العبد.

نسأل الله أن يوفقنا لامتثال أوامره على نهج نبيه صلى الله عليه وسلم.

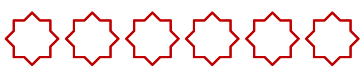

(١) سورة محمد _ الآية ١٩.

حقيقة الصفات .. وصورة الصفات

وقبل أن ندخل إلي التفصيل في الصفات وجب علينا أن نوضح أن هناك فرق بين حقيقه الصفات وبين الكلام في الصفات، كلام الصفات يحتاج إلي استيعاب عقلي وحفظ وترديد، وهو خير.

ولكن الذي يحتاج إلي وقت وجهد هو الحصول علي حقيقه الصفات، فهي تحتاج إلي تمرين عملي ، جهد مع الناس وجهد علي النفس ثم جهد مع الله بالدعاء والتوجه إلي الله أن يرزقنا حقيقة الصفات الطيبة التي يحبها الله تبارك وتعالى.

والدليل علي حقيقه الصفات هو أن تتغير حياتنا وسلوكنا وعواطفنا وأشواقنا إلى ما ندعوا إليه.

الآن كثير منا يظن حينما يتكلم عن الصفات أو يكتب عن الصفات أو ينقل كلام عن الصفات يظن أنه قد أتت فيه هذه الصفات، فمثله كمثل الرجل الذي تعلم السباحة في الكتاب فإذا نزل البحر ليعوم فإذا به يغرق.

هناك فرق بين الكلام عن الصبر وحقيقه الصبر.

هناك فرق بين الكلام عن حسن الخلق وحقيقه حسن الخلق.

فرق بين الكلام عن الإخلاص وحقيقة الإخلاص.

أحيانا يخدعنا الشيطان فنخلط بين الكلام والحقيقه.

ولهذا نحن نخرج في سبيل الله حتي تتبين لنا الحقيقه، حقيقه أنفسنا ، فلا نخدع ولا نخادع، نقرأ في حياه الصحابه حياه الرجال، ثم نقيس أنفسنا بالمقياس الصحيح ، بالحياه المرضية، وليس بالمقياس النسبي.

نحن أحيانا نقيس أنفسنا علي من هم مثلنا في الضعف والتقصير فنظن أننا أفضل الموجود، فنخدع بالكلام من دون الحقيقه.

قَالَ الشَّيخُ محمد عمر البالمبوري(رَحِمَهُ اللهُ):نصرة الله تَعَالَى مع الذى يكون عنده حقيقة الدين ، والحقيقة لا تكون إلا بالمجاهدة .

والمجاهدة تحمل التكليف والمشقة التى تأتى على الإنسان فى امتثاله أمر الله ، وهذه مجاهدة ، وبالمجاهدة الله يهدى، مثلا فى الصباح نسمع آذان صلاة الفجر ، فالإنسان يترك الفراش للصلاة فهى مجاهدة ، والصوم كذلك والحج ، ولكن لإحياء هذه الأوامر هناك أمر مهم به تجىء جميع الأوامر وهو أمر الدعوة ، لأن الله أمرنا بالدعوة .

فالمجاهدة هى الجهد على طريق الأنبياء ، وهى التبتل إلى الله بالبكاء والتضرع ، فلهذا نحن نجتهد على النَّاس حتى يقوموا على جهد الأنبياء ، أى المجاهدة ، وحتى يرجعوا إلى الله بالإنابة فيقول الله تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (١)،. ويقول الله تَعَالَى : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (٢).

والمجاهدة: هى تحمل المشقة فى امتثال أمر الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، فهنا الله ينجينا مشقة العذاب ، والعذاب بسبب مخالفة أمر الله ، وهو الذى جاء على فرعون وهامان وقارون والنمرود ، فالمجاهدة هى مشقة تحمل الطاعات ، والعذاب مشقة نتيجة المعصية ، وكل الأنبياء تحملوا المشقة فى سبيل القيام على أمر الله تَعَالَى .

---

(١) سورة العنكبوت– الآية ٦٩.

(٢) سورة التحريم – الآيات من ١٠: ١٢.

التخلية قبل التحلية

إن التخلية قبل التحلية والتربية قبل التعليم هي منهاج رسول رب العلمين.

واعلم أن التربية الإيمانية (على اليقين أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله) مقدمة على العلوم الشرعية ، ولذا قال الصحابة رضي الله عنهم، كما جاء في الحديث: عَنْ جُنْدُبٍ البجلي رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِتْيَانًا حَزَاوِرَةَ فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَنَزْدَادُ بِهِ إِيمَانًا، فَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ تَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ قَبْلَ الإِيمَانِ. أخرجه ابن ماجة في سننه والطبراني في الكبير بسند صحيح.

فمن تحصل على الأول بورك له في الثاني ومن ضيعه كان الثاني وبالا عليه، وقد علم النبي ﷺ أصحابه التربية الإيمانية، حتى يكونوا على يقين من أمرهم، ثم بعد ذلك نزلت عليهم الأحكام الشرعية فبورك لهم فيها و قاموا عليها.

ومن خالف ذلك المنهج فقد خالف نهج السلف الأول من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

ويستحب التدرج في التربية الإيمانية كما كان الحال مع أصحاب رسول الله ﷺ، فقد كان النبي ﷺ يقبل مِنْ كل مَنْ جاء يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط، ويعصم دمه بذلك، فإذا ذاق حلاوة الدين، طابت نفسه بفعل كل ما أمر الله ورسوله به، فإذا دخل في الإسلام، وخالط المسلمين، وتعلم الدين، وخالط الإيمان

بشاشة قلبه، وذاق حلاوة الإيمان، فيضحي من أجله بكل غالٍ ونفيس.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي الله عَنْهما أَنَّ رَسُولَ الله (ﷺ) لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِي الله عَنْه عَلَى الْيَمَنِ قَالَ» :إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ الله فَإِذَا عَرَفُوا الله فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ .« متفق عليه.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: حرمت الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله (ﷺ) المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله (ﷺ) عنهما فأنزل الله ﷻ ﴿ يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [1] فقال الناس ما حرم علينا ، إنما قال ﴿ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوماً من الأيام صلىَّ رجل من المهاجرين ، أمَّ أصحابه في المغرب فخلط في قراءته فأنزل الله آية أغلظ منها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى

(١) سورة البقرة - الآية ٢١٩.

تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ (١) فكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مغبق، ثم أنزلت آية أغلظ منها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٢) قالوا : انتهينا .. انتهينا (٣) .

فالتدرج في تحريم الخمر بهذه الطريقة الحكيمة التي سلكها القرآن الكريم برهان ساطع على عظمة الشريعة الغراء فإن العرب كانوا يشربون الخمر كما يشرب أحدنا الماء الزلال ، فلو حرمت عليهم دفعة واحدة لثقل عليهم تركها، ولما أمكن اقتلاع جذورها من قلوبهم، وقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: أول ما نزل من القرآن آيات من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، فلما ثاب الناس للإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول ما نزل لا تشربوا الخمرة لقالوا: لا ندع الخمرة أبداً (٤) .

---

(١) سورة النساء - الآية ٤٣.

(٢) سورة المائدة - الآيتان ٩٠، ٩١ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير – ١ / ٥٤٥.

(٤) روائع البيان للصابونى – ١ / ٤٨٢ .

ولما جاء وفد ثقيف إلى النبي (ﷺ) أنزلهم في قبة المسجد ليكون أرق لقلوبهم واشترطوا عليه حين أسلموا أن لا يحشروا [١] ولا يعشروا [٢] ولا يجبوا فقال رسول الله (ﷺ) : " لا خير في دين ليس فيه ركوع ، ولكم أن لا تحشروا ولا تعشروا " رواه أحمد وأبو داود.

وروى أبو داود في السنن أيضاً عن وهب قال: سألت جابراً عن شأن ثقيف إذا بايعت قال : اشترطت على النبي (ﷺ) أن لا صدقة ولا جهاد ، وأنه سمع النبي (ﷺ) بعد ذلك يقول : " سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا " [٣] .

قال الإمام النووي في شرح الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي موسى ﷺ قال كان رسول الله (ﷺ) إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال " بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا " . وفي رواية أن النبي (ﷺ) بعثه ومعاذا إلى اليمين فقال " يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا " .

قال النووي : وفيه تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليهم وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان ومن بلغ ومن تاب من المعاصي كلهم يُتلطف بهم ، ويدرجون في أنواع الطاعة قليلاً قليلاً ، وقد كانت أوامر الإسلام في التكليف على التدرج فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته غالباً التزايد منها ، وإن دخل أوشك أن لا يدوم ألا يستحبها .. الخ (أ . هـ) (٤).

ويقول الشيخ محمد عمر البالمبوري: التدرج في الدعوة أو في تعليم العلم سنة

---

(١) أى يجمعوا ويساقوا للجهاد .

(٢) أن تؤخذ منهم العشور وهى صدقة ولا تجبى منهم زكاة .

(١) تاريخ الإسلام للذهبى – باب ذكر قدوم وفود العرب – وفد ثقيف – ١ /٥٣٥

(٤) صحيح مسلم شرح النووى – باب تأمير الأمراء على البيوت – ١٢ / ٤٠ .

نبوية عظيمة، فما يأتي دفعة يذهب دفعة، ولذلك قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : يا بني إني لا أريد أن أحمل الناس على الدين جملة فيتركوه جملة، أو كما قال (رحمه الله تعالى).

ومن يريد أن يحمل الناس على الدين جملة واحدة في حقيقة أمره كأنه يقول لهم بلسان حاله لا تصدقوني ولا تتبعوني ولا تقبلوا هذا الأمر !!! .

و إن كانت نيته صادقة فقد أخطأ الطريق، وخالف سيد النبيين عليه الصلاة والسلام .

وهذا وائل ابن حجر كان من أبناء الملوك فأكرمه الرسول صلى الله عليه وسلم وذكره بخير على منبره، وأمر معاوية رضي الله عنه أن يكرمه، فذهب به إلى بيته، لقوله صلى الله عليه و سلم : (أنزلوا الناس منازلهم).

في أول أمر الدعوة إلى الله تعالى لا نشق غلى الناس، حتى لا يسأموا و يملوا، لأن الناس ألفوا المعاصي فصعب عليهم أمر الدين، ولذلك نصراني أسلم في رمضان فقال له بعض الناس : عليك صلوات وتراويح وصيام وقيام ليل وأذكار وقرآن، فقال : إن كان هذا هو الإسلام فأنا لا أستطيع (فارتد) ولكن لو جائوا معه بالتدريج لثبت بإذن الله تعالى، مع أن هذا الشخص كان في سفر وله الخيار في الإفطار بدل أن يضغطوا عليه .

كذلك رجل آخر مدمن خمر خرج مع الجماعة، فقال: لا أستطيع ترك الخمر، فقالوا له: لا بأس، فلما تأثر بأحوالهم بكى لله ودعاه وترك الخمر، وبنفسه كسر الزجاجة، فهذه حكمة بالتدرج حتى يفهم، وقد أخبرنا الله تعالى بهذا فقال تعالى:﴿ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[١] وبالأخص أن بلادنا فيها الفتن كثيرة والناس عوام لا يفهمون، فلابأس في مثل هذه الأمور .

لو نحن نريد أن نخرج من الهوى، نختار طريق المجاهدة أم طريق الهوى؟؟؟.

لو نحن نريد أن نخرج من الهوى نختار طريق المجاهدة، وطريق المجاهدة هو أن نخرج أولا مرة نتدرب بها على أمر الله تعالى ونتحمل فيها المشاق، لعل الله تعالى ينظر لضعفنا فيتقبلنا .

كل شيء في هذا الكون بالتدريج منذ خلق الله تعالى الكون إلى يوم القيامة، والسير في هذا الدين بالتدريج والتمرين والصبر .

الله تعالى رحيم بعباده، فعدما يكبت الإنسان شهواته ويتدرج إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، الله تعالى يقبله .

فحياة النبي ﷺ تنقسم إلى قسمين، (مكية ومدنية)، الحياة المكية هي مرحلة التربية والترقي، والحياة المدنية هي للأحكام والشرائع، فحياة المكية لغرس هذه الكلمة العظيمة في القلوب فقط، قولوا: (لا إله إلا الله تفلحوا) فأمر النبي ﷺ بالدعوة الجهرية لما طلع على الصفا ، وقال كلماته المشهورة، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[٢] أتى النبي ﷺ الصفا، فصعد عليه ثم نادى «يا صباحاه» فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ:« يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم

(١) سورة النساء- الآية ٩٤ .

(٢) سورة الشعراء - الآية ٢١٤ .

صدقتموني ؟ قالوا: نعم. قال: " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1] ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

وهذا هو ما يفعله أهل التبليغ في حركتهم الدعوية.. التيسير على المدعو، في كل من يخرج معهم، حتى يحب العمل ويتوغل فيه بنفسه، كما في تعليم القرآن.. السور القصار دون الطوال، وكذلك يقرؤون من كتب الفضائل مثل رياض الصالحين ، والترغيب والترهيب ومشكاة المصابيح والأدب المفرد للبخاري وحياة الصحابة فمن يجلس معهم يتشوق للعلم، وبعد ذلك يطالع ما شاء، من كتب ، الحديث، والفقه، والعقيدة، تحت إشراف العلماء العاملين.

وهذه الدعوة الإسلامية على رأس كل مكلف من أمة النبي ﷺ، ولكن حتى يتحمل الإنسان هذا الجهد فلابد من التربية والتدرج، ولا بد من التعاهد والملاحظة، حتى تأتي الثمرة،..... فهذه شجرة الدين، ولكنها لا تنبت في يوم واحد، ولكن بهدوء و روية حتى تأتي ثمارها ولهذا نبدأ بصفة اليقين.أ.هـ

(١) سورة المسد _ الآية ١ .

البيان الأول

اليقين في معرفة رب العالمين

الله جل جلاله قيوماً قاهراً فوق عباده مستوياً على عرشه كما قال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (١)(٢).

بائنا من خلقه (ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته).

منفرد بتدبير مملكته، متكلما بأمره ونهيه، بصير بحركات العالم علويه، وسُفليه، وأشخاصه وذواته، سميع لأصواتهم ، رقيبا على ضمائرهم وأسرارهم، وأمر الممالك تحت تدبيره، يأمر وينهى، يخلقُ ويرزق، يحيي ويميت، ويقضى وينفذ، يرضى ويغضب، يثيب ويعاقب، يعز ويذل ، يُعطى ويمنع، يرفع ويخفض .. ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ

---

(١) سورة طه – الآية ٥.

(٢) سئل مالك : كيف استوى ؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم مسح رأسه فقال :(الرحمن على العرش استوى) كما وصف نفسه ولا يقال له: كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت رجل سوء صاحب بدعه ، أخرجوه ، فأخرجوا الرجل. وسأله رجل آخر فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول .

وقال عبد الله بن نافع : قال مالك : الله في السماء وعلمه فى كل مكان (تاريخ الإسلام ١٧٩/٥) .

وقيل لربيعة الرأى : كيف استوى ؟ فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق . (تاريخ الإسلام – ٥٢/٤) .

قال على بن الحسن بن شقيق : قلت لابن المبارك : كيف تعرف ربنا عزوجل ؟ قال : فى السماء على العرش ولا نقول كما قالت الجهمية هو معنا . (تاريخ الإسلام – ٣٠٠/٥) .

وقال الأوزاعى – رحمه الله – كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله سبحانه على العرش ونؤمن بما ورد فى السنة من الصفات .

تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

ويرحم إذا أُسترحم، ويغفر إذا أُستغفر، ويجيب المضطر، ويكشف الضر، ويشفى السقيم، ويجيب إذا دعي، ويقيل إذا استقيل:﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢).

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (٣).

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٤)

موصوفاً بصفات الكمال، منعوتاً بنعوت الجلال، منزهاً من العيوب والنقائص والمثال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير ﴾ (٥).

وهو كما وصف نفسه في كتابه، وفوق ما يصفه به خلقه، يقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول يذهب بدولة ويأتي بأخرى﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾(٦) .

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٢٦.

(٢) سورة النمل – الآية ٦٢.

(٣) سورة الشعراء – الآية ٨٠ .

(٤) سورة البقرة - من الآية ١٨٦.

(٥) سورة الشورى - من الآية ١١.

(٦) سورة آل عمران - من الآية ١٤٠ .

والرسل من ملائكته عليهم الصلاة والسلام بين صاعد بالأمر، ونازل من عنده بالأمر﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾(١)، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٢).

ينفذون أوامره في أقطار الممالك، وأوامره ومراسمه متعاقبة على تعاقب الآيات نافذة بحسب إرادته .

ما شاء الله كان في الوقت الذي شاء على الوجه الذي يشاء من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير :﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(٣).

وأوامره وسلطانه نافذة في السماوات وأقطارها، وفى الأرض وما عليها وما تحتها، وفى البحار، وفى الجو، وسائر أجزاء العالم، وذراته يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما شاء وفق حكمة بالغة وإرادة نافذة.

حي لا يموت أبداً ، قيوم لا ينام ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾(٤) .

---

(١) سورة التحريم - من الآية ٦ .

(٢) سورة النحل – الآية ٥٠.

(٣) سورة يّس – الآية ٨٢ .

(٤) سورة البقرة – الآية ٢٥٥ .

متفرد بالإلهية لكل الخلائق، حي في نفسه لا يموت أبداً ، قائم لا ينام ، قائم بذاته ، المقيم لغيره ، فجميع الموجودات مفتقرة إليه في إيجادها، وفي بقائها ، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه، وهو غنى عنها ولا قوام لها بدون أمره ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾(١).

لا يغفل عن تدبير الخلق، ولا يعتريه فتور ولا نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ (٢) فالجميع عبيده وفى ملكه وتحت قهره وسلطانه ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ﴾ (٣) .

ومن عظمته وجلاله وكبريائه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحدٍ عنده إلا بإذنه له فى الشفاعة حتى النبي محمد ﷺ ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِه ﴾(٤).

السميعٌ البصير:

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٥) .

﴿ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾(٦)

﴿ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (١) .

---

(١) سورة الروم - من الآية ٢٥.

(٢)سورة البقرة – الآية ٢٥٥ .

(٣)سورة مريم – الآية ٩٣ .

(٤) سورة البقرة - من الآية ٢٥٥.

(٥) سورة غافر_ الآية ٢٠ .

(٦) سورة النساء _ الآية ١٣٤.

البصير: الذي لكمال بصره، أحاط بصره جميع المرئيات، وأبصر جميع المبصرات، بل يبصر جميع المعدومات، التي سوف تكون في حيز الوجود، يبصر الأشياء على ما ستؤولُ إليه، ويعلم حقائقها، ودقائقها، وما وراءها من المقاصد والغايات .

فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويرى نياط عروقها ومجارى القوت في أعضائها.

ويرى ما تحت الأراضي السبع كما يرى ما فوق السماوات السبع ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ (٢).

ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك.

ويرى خيانات الأعين وتقلبات الأجفان وحركات الجنان، قال تعالى : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ (٣) .﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾(٤) ، ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(٥)، ﴿ والله على كل شيءٍ شهيد ﴾(٦) ، أي مطلع ومحيط علمه وبصره وسمعه بجميع الكائنات.

---

(١) سورة طه – الآية ٤٦ .

(٢) سورة العلق - الآية ١٤ .

(٣) سورة الشعراء – الآيتان ٢١٨ ، ٢١٩.

(٤) سورة غافر– الآية ١٩.

(٥) سورة طه – الآية٧ .

(٦) سورة البروج – الآية ٩ .

السميع: الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، والذي لكمال سمعه وسع سمعه الأصوات ، يسمعُ ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، فلا تختلف عليه ، ولا تشتبه عليه ، ولا يشغله سمعٌ عن سمع ، ولا يشغله صوت عن صوت ، ولا يغيب عنه صوت ، ولا يخفى عليه صوت دبيب النملة ، أو حركة الذرة، أو ذبذبات الصخور في أعماق البحار ، أو في أعالِ الجبال، لا يغيب عن سمعه المعدومات وهي التي لم تدخل في حيز الوجود بعد ولا تغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرم بإلحاح (ذوي الحاجات) الملحين .

﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (١) .

الغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من السر.

فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه ما لم يخطر بعد فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا.. وكذا.. فى وقت كذا.. وكذا. .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ (٢).

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٣) .

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾(١) .

---

(١) سورة الرعد – الآية ٢٠ .

(٢)سورة آل عمران – الآية ٥ .

(٣)سورة التغابن – الآية ٤ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٣).

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٤).

أحاط الله – ﷻ – بكل شيء علما وأحصى كل شيء عدداً ووسع كل شئ رحمة وعلماً وعدلاً .. العالم بكل شيء .. ولكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم ، وماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم .. لا يتقيد علمه بزمان ولا مكان.. ولا يعتريه النسيان .. ولم يسبق علمه جهل.

يعلم دبيب الخواطر في القلوب.

عليم بالجزئيات كما هو عليم بالكليات .

عليم بدقائق الأمور وأسرار المقدور وهو بالظاهر بصير وبالباطن خبير.

لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر،

---

(١) سورة سبأ – الآية ٢ .

(٢) سورة المجادلة – الآية ٧ .

(٣)سورة يونس - من الآية ٦١ .

(٤) سورة لقمان – الآية ١٦ .

يعلم مثاقيل الجبال وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد حبات الرمال وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا بحر ما في قعره ولا جبل ما فى وعره ، ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (١).

وما تسقط من ورقة إلا يعلمها: متى نبتت؟، ومتى سقطت؟، ولما سقطت؟، وأين سقطت؟، وفى أي شيء سقطت ؟،.

﴿ وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢).

﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (٣) .

أخرج الحيوان وهو حي من النطفة وهي ميتة، ويخرج النطفة وهي ميتة من الحيوان وهو حي، والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، والزرع من الحب، والحب من الزرع، والنخلة من النواة، والنواة من النخلة.

قائم على كل نفسٍ بما كسبت، مدبر لشئون خلقه وفق حكمةٍ بالغةٍ، وإرادة نافذةٍ، وقدرة منفذةٍ، فله القدرة التامة، والمشيئة النافذة والعلم المحيط بما كان وبما سيكون وبما هو كائن.

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٥٩ .

(٢) سورة الأنعام – الآية ٥٩ .

(٣) سورة الروم – الآية ١٩ .

الشكور: الذي يشكر القليل من العمل، ويعفو عن الكثير من الزلل.

وهو(القوي، العزيز، المتين، القدير): تقْتَضِي كمال قوتِه وعظمته وكبريائه، فلا يملك الخلْق نفعَه فينفعوه، ولا ضره فيضروه، وكمال اقتداره على جميع الموجودات والمعْدُومات، وأنَّ جميع العالَم طَوْع قُدرته ومشيئته، يَتَصَرَّف فيها بما يشاء وكيف يشاء.

وهو العلى الذي لا تدرك ذاته ولا تتصور صفاته فسبحان من لا يدرك ذاته إلا ذاته ولا يحيط الخلق مجتمعين أو متفرقين بصفةٍ من صفاته .

وهو العلى الذي لا يزيده تعظيم العباد علواً ، إذ هو عالٍ بذاته وصفاته على سائر خلقه غنى عنهم وهم الفقراء إليه لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم وهو المتعال عن الأنداد والأضداد ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(١) فلا يدانيه أحد مهما علت رتبته ، فهو الذي يمنع عباده ما شاء من فضله ، ويضع من شاء في أي رتبة شاء ، وهو ولى النعم ومسديها .

تعالى بفضله ورحمته عن الوجود كله .. تمت كلمته صدقاً وعدلاً ، وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبهاً ومثلاً ، وتعالت ذاته أن تشبه شيئاً من الذوات أصلاً . ووسعت الخليقة أفعاله عدلاً وحكمة ورحمة وإحساناً وفضلاً .

له الخلق والأمر ، وله النعمة والفضل ، وله الملك والحمد ، وله الدنيا والآخرة ، وله الثناء والمجد ، وله الثناء الحسن ، له الملك كله ، وله الحمدُ كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، علانيته وسره ، شملت قدرته كل شيء ، ووسعت رحمته كل شيء ووسعت نعمته كل حي .

---

(١) سورة الشورى - من الآية ١١ .

يبدى ويعيد، لا يفنى ولا يبيد﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١)، ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) ، هو الأول (الذي ليس قبله شيء) ، والآخر (الذي ليس بعده شيء) ، والظاهر (الذي ليس فوقه شيء، وهو العالي على كل شيء وهو الغالب الذي لا يغلب، القاهر الذي لا يقهر ، الظاهر للعقول بالدلائل ، الذي دلت كل الدلائل المادية والمعنوية على وجوده ووحدانيته في الذات والصفات والأفعال ..) ، والباطن (الذي ليس دونه شيء) ، والباطن (الذي بطن كل شيء أي علم باطنه وخفاياه) ، والباطن (عن إدراك الحواس وتوهمات الخيال) ، والباطن: الذي احتجب بقوة ظهوره عن سائر خلقه فلا تدركه الأبصار.

الرزاق: الذي يعطى كل كائن حي ما يحفظ به حياته سواء بالأسباب أو بدون الأسباب أو ضد الأسباب﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٣) .

الرزاق: لجميع المخلوقات، فما من موجود في العالم العلوي والعالم السفلي إلا متَمَتِّع برزقه، مغمور بكَرَمه(٤).

---

(١)سورة القصص - من الآية ٨٨ .

(٢) سورة الحديد – الآية ٣ .

(٣) سورة هود – الآية ٦ .

(٤)ورزقه نوعان: أحدهما الرِّزق النافع الذي لا تبعة فيه، وهو موصل للعبد إلى أعلى الغايات، وهو الذي على يد الرسول ﷺ بهدايته وإرشاده، وهو نوعان أيضًا: رِزْق القلوب بالعلوم النافعة والإيمان الصحيح؛ فإن القلوب لا تصلح ولا تفلح ولا تشبع حتى يحصلَ لها العلمُ بالحقائق النافعة، والعقائد

الوهاب: الذي يعطى من يشاء ، متى شاء ، في أي وقت شاء ، على الوجه الذي يشاء .. بغير حساب .

والوهاب: الذي يهب العطاء دون عوض ويعطى النعمة بغير سؤال ويهب ما شاء لمن شاء من المواهب بدون أسباب ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾(١) .

الجواد، الكريم: الذي عمَّ بِجُوده أهل السماء والأرض، فما بالعباد من نعمةٍ فمنه، وهو الذي إذا مسَّهُم الضرُّ فإليه يرجعون، وبه يَتَضَرَّعون، فلا يخلو مَخْلوق

الصائبة، ثم= =التحقق بالأخلاق الجميلة، والتنَزُّه عن الأخلاق الرذيلة، وما جاء به الرسول كفيلٌ بالأمر على أكمل وجْه؛ بل لا طريق لها إلا من طريقه.

والنوع الثاني: أن يغنيَ الله عبده بحلاله عن حرامه، وبفضله عمن سواه، والأول هو المقصود الأعظم، وهذا وسيلة إليه ومعين له، فإذا رَزَق اللهُ العبد العلم النافع والإيمان الصحيح والرزق الحلال والقناعة بما أعطاه الله منه، فقد تَمَّت أموره، واستقامتْ أحواله الدينية والبدنية، وهذا النوع من الرزق هو الذي مدحتْه النصوص النبوية، واشتملتْ عليه الأدعية النافعة.

وأما النوع الثاني: وهو إيصال الباري جميع الأقوات التي تتغذى بها المخلوقات؛ برها وفاجرها، المكلفون وغيرهم، فهذا قد يكون من الحرام كما يكون من الحلال، وهذا فصل النزاع في مسألة: هل الحرام يسمى رزقًا أم لا؟ فإن أريد النوع الأول وهو الرزق المطلق الذي لا تبعة فيه، فلا يدخل فيه الحرام، فإن العبد إذا سأل ربه أن يرزقه، فلا يريد به إلا الرزق النافع في الدين والبدن، وهو النوع الأول، وإن أريد به مطلق الرزق، وهو النوع الثاني، فهو داخل فيه، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ومثل هذا يُقال في النعمة والرحمة ونحوها(بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين).

(١) سورة الشورى - من الآية ٤٩ .

من إحسانه طرفة عين، ولكن يتفاوت العباد في إفاضة الجود عليهم بحسب ما منَّ عليهم من الأساليب المقتضية لجُوده وكرمه.

فإنه – تعالى – الجوَاد المطلق مِن جميع الوجوه والاعتبارات، فكما أنه الجوَادُ بإعطاء الخيرات، ونيل المواهب والهبات والبركات؛ فإنه الجوَاد بالحلْم عن العاصين، والستْر على المخالفين، والصبْر على المحاربين له ولرسله المبارزين، والعفو عن الذنوب.

المقيت: الذي يعطى القوت لكل مخلوق حيث كان.

اللطيف: الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

اللطيف: الذي لطف علمُه حتى أدرك الخفايا والخبايا، وما احتوتْ عليه الصدور، وما في الأراضي من خفايا البذور، ولطف بأوليائه وأصفيائه، فيسَّرهم لليُسرى، وجنبهم العُسرى، وسَهَّل لهم كل طريق يوصل إلى مَرْضاته وكرامته، وحفظهم مِن كلِّ سببٍ ووسيلة توصل إلى سخطِه، من طرق يشعرون بها، ومن طرق لا يشْعرون بها، وقَدَّر عليهم أمورًا يكرهونها لينيلهم ما يُحبون، فلطف بهم في أنفسهم، فأجراهم على عوائده الجميلة، وصنائعه الكريمة، ولطف لهم في أمور خارجة عنهم، لهم فيها كل خير وصلاح ونجاح، فاللطيف مُقارب لمعاني الخبير الرَّؤُوف الكريم.

الجميل: جميل في ذاته، وجمال المخلوقات بأَسْرها من آثار جَماله، وهو الذي أعطاهم الجمال.

جميل في أسمائه؛ لأنها كلها حُسنى.

وجميل في صفاته؛ إذ كلها صفات كمال.

وجميل في أفعاله، فلا أحسن منه حكمًا ولا وصفًا.

الخالق: خالق الأشياء والأحوال يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحدٍ من خلقه وهو الصمد .

هو الخالق لكل شيء .. المالك لكل شيء .. المهيمن على كل شيء .. المتصرف في كل شيء .. المدبر لكل شيء .. القادر على كل شيء .. الرازق لكل شيء.

الخالق.. المقَّدر الموجد المبدع.. الخالق الذي أوجد كل شئ من العدم على غير مثال سابق ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾(١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (٢) .

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣) .

﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الزمر – الآية ٦٢ .

(٢) سورة الحج – الآية ٧٣ .

(٣) سورة لقمان – الآية ١١ ..

(٤) سورة النحل – الآية ١٧ .

وفى الحديث القدسي: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: قال اللَّه تعالى: " ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي! فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة " متفق عَلَيْهِ (١) .

الله ﷻ خالق ومستوٍ في خلقه السموات والذرة، وكذلك الفيل والنملة.

والله ﷻ ما استفاد اسم الخالق بعد الخلق فهو " خالق " قبل أن يخلق الخلق .

والله ﷻ ما استفاد اسم الباري بعد إحداث البرية فهو " البارئ " قبل إحداث البرية.

والله ﷻ ما خلقنا بحاجة منه إلينا بل خلقنا اقتداراً منه علينا.

والله ﷻ ما خلق الخلق بحاجة منه إلى الخلق بل هو غنى عن خلقه..غنى بذاته.. ليس غنى بالإنسان أو بالملائكة أو بالسماوات أو بالأرض أو بالجبال.. الخ.. بل غنى بذاته، وكل الذوات محتاجة إلى ذاته سبحانه وتعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢).

الغني: الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكماله وكمال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً فإن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا محسناً، جواداً، براً، رحيماً كريماً، ومن سعة غناه أن خزائن السماوات والأرض والرحمة بيده، وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات، وأنَّ يده سحاء الليل والنهار ، وخيره على الخلق مدرار .

---

(١) رياض الصالحين – باب تحريم الصور.

(٢)سورة فاطر – الآية ١٥.

الغني: بذاته عن جميع مخلوقاته، فلا يحتاج إلى أحد من خلْقه بوجْه من الوُجُوه، فكلُّ المخلوقات مُفتَقرة إليه في إيجادها، وإعدادها، وإمدادها في أُمُور دينها ودنياها، في جلْب المنافع ودفْع المضار، وهو الذي أغناها وأقناها، ومِن كمال غناه أنه لَمَ يتخذْ صاحبة ولا ولدًا، ولم يكنْ له كُفُوًا أحد، ومِن سعة غناه أن جميع الخيرات والعطايا والنِّعَم في الدُّنيا والآخرة والنعيم المقيم مما لا عين رأتْ، ولا أُذُن سَمِعَتْ، ولا خطر على قلْب بشَر، قطرةٌ مِن بحر غناه وجُوده وكرمه، فهو الغنيُّ بذاتِه، المستغني عن جميع مخلوقاتِه، المغني لعباده، بما أدرَّه عليهم من الخيرات، وأنزله منَ البركات.

ومن كمال غناه وكرمه أنه يأمر عباده بدعائه، ويعدهم بإجابة دعواتهم وإسعافهم بجميع مراداتهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه وما لم يسألوه، ومن كمال غناه أنه لو اجتمع أول الخلق وآخرهم في صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلاً منهم ما سأله وما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه مثقال ذرة .

ومن كمال غناه وسعة عطاياه ما يبسطه على أهل دار كرامته من النعيم واللذات المتتابعات، والخيرات المتواصلات، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومن كمال غناه أنه لم يتخذ صاحبة، ولا ولداً، ولا شريكا في الملك، ولا ولياً من الذل فهو الغني الذي كمل بنعوته وأوصافه، المغني لجميع مخلوقاته .

الغني: الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه وهو المغني جميع خلقه، غنىً عاماً، المغني لخواص خلقه، بما أفاض على قلوبهم، من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية.

وله الغنى المطلق من جميع الكائنات.. وله الحكمة الباهرة التي بهرت جميع المخلوقات.. وله الكلمات التامات النافذات التي لا يجاوزهن برٌ ولا فاجر في جميع البريات.. قيم الأرض والسماوات.. الحي القيوم الذي لكمال حياته، وقيومته، لا تأخذه سنة ولا نوم.. ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، بل هو بائن من خلقه ، مستوٍ على عرشه ، عالٍ على كل شيء ، وفوق كل شيء ، له علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

المجيب: لجميع الداعين، والمجيب خاصة للمضطرين، وكذلك المحبِّين الخاضعين لعظمته، المنكسرة قُلُوبهم من أجله.

الصمد: وهو السيد الذي كمل في سؤدده.

الصمد: وهو الذي صمدت له المخلوقات بحاجاتها وملمَّاتها الدقيقة والجليلة؛ وذلك لكمال عظمته، وسعة جُوده وسلطانه، وعظمة صفاته.

والصمد: الذي تصمد إليه أي تقصده جميع المخلوقات بالذُّل والحاجة والافتقار، ويفزع إليه العالم بأسره، وهو الذي قد كمل في علمه، وحكمته، وحلمه، وقدرته، وعظمته ورحمته، وسائر أوصافه، فالصمد هو كامل الصفات، وهو الذي تقصده المخلوقات في كل الحاجات.

البارئ المصور:

البارئ: المصلح الذي يعطى كل شيء ما يناسبه من الخلق والتكوين والتسوية وفق علمه وإرادته وقوته.

المصور: الذي خص كل موجود بصورة تميزه عما سواه فأحدث الصورة على أي نحو شاء وعلى أي كيفية أراد ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾(١).

القهار، الجبار: الذي قهر كل المخلوقات، ودانتْ له الموجودات بأَسْرها، ومن لوازم قهره أنه يقتضي أنه كامل الحياة والعلم والقدرة، والجبارُ بمعنى القهار، وبمعنى أنه يَجبر الكسير، ويُغني الفقير، ويَجبر القلوبَ المنكَسِرة مِن أجله، ويجبر عبده المؤمن بإصلاح حاله، وهو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى المتكبِّر عن كل نقص وسوءٍ ومثال.

الحسيب: المحاسِب لعباده، المتولي جزاءهم بالعدْل والفضل، وبمعنى الكافي عبدَه همومَه وغمومه، وأخص من ذلك أنه الحسيبُ للمتوكلين؛ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾(٢) ؛ أي: كافيه أمور دينه ودنياه.

الرشيد: وهو الذي أقواله رشد، وأفعاله رشد، وهو مُرْشد الحائرين في الطريق الحسي، والضالين في الطريق المعنوي، فيرشد الخلْق بما شرعه على ألسنة رسله من الهداية الكاملة، ويرشد عبده المؤمن، إذا خضع له، وأخلص عمله، أرشده إلى جميع مصالحه، ويسَّره لليسرى، وجنَّبه العُسْرى.

الحكَم، العدل: الذي إليه الحكم في كل شيء، فيحكم - تعالى - بشرْعه، ويبين لعباده جميع الطرق التي يحكم بها بين المتخاصمين، ويفصل بين المتنازعين، منَ الطرُق العادلة الحكيمة، ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويحكم فيهم بأحكام القضاء والقدر، فيجري عليهم منها ما تقتضيه حكمتُه، ويضع الأشياء مواضعها،

---

(١) سورة الانفطار- الآية ٧ .

(٢) سورة الطلاق- الآية ٣ .

وينزلها منازلها، ويقضي بينهم يوم الجزاء والحساب، فيقضي بينهم بالحق، ويحمده الخلائق على حكمه حتى من قضى عليهم بالعذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مثقال ذرة.

القُدُّوس والسلام: وهو المعظم المقدس عن كلِّ عيب، السالم مِن كلِّ نَقْص، ومن أن يكون له مثل أو كفو أو ند أو سَمِي؛ وذلك لكماله وكمال أسمائه الحسنى وصفاته العلى.

الفتاح: الذي فتح بأحكامه القدرية والشرعية والجزائية، فشرع الشرائع، وسن لعباده الأحكام والوسائل والطرق التي يهتدون بها إلى جميع منافعهم ومصالحهم، ويحكم بين الرُّسُل وأتباعهم وبين أعدائهم، فيكرم الرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة، ويهين أعداءهم، ويكون هذا أكبر دليل على أن هؤلاء على الحق، وأولئك على الباطل.

الفتاح: الذي يفتح لعباده الرحمة والبركات؛ قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾[1].

الفتاح: الذي يفتح لعبده المؤمن أبواب المعارف، وحلاوة الإيمان، وسرور اليقين، وسهولة الطاعات، وتيسير القربات.

---

(١) سورة فاطر- الآية ٧٢.

النور: نور السموات والأرض، وبنوره استنارتْ قلوب المؤمنين، وبنوره استنارتْ جنات النعيم، وحجابه نور، لو كشفه لأحرقتْ سبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه(١).

أسماؤه كلها مدح، وحمد، وثناء، وتمجيد، ولذلك كانت حسنى وصفاته كلها صفات كمال ونعوته كلها جلال وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدلاً.

---

(١) والنور الذي هو وصفه من جملة نعوته العظيمة، وأما النور المخلوق فهو نوعان: نور حسي كنورِ الشمس والقمر والكواكب وسائر المخلوقات، المدرك نورها بالأبصار، والثاني: نور معنوي، وهو نور المعرفة والإيمان والطاعة، فإنَّ لها نورًا في قلوب المؤمنين بحسب ما قام في قلوبهم من حقائق المعرفة، ومواجيد الإيمان، وحلاوة الطاعة، وسرور المحبة، وهذا النور هو الذي يمنع صاحبه من المعاصي ويجذبه إلى الخير، ويدعو إلى كمال الإخلاص لله، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ: « اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، ومن بين يدي نورًا، ومن خلفي نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، اللهُمَّ أعطني نورًا، وزدني نورًا »رواه مسلم.

وهذا النور الذي يعطيه الله عبدَه أعظمُ منَّة منه عليه، وهو أصْل الخير، وهذا النور مهما قَوِيَ فإنه مخلوق، فإياك أن تضعف بصيرتك، ويَقِلَّ تمييزك وعلمك، فتظن هذا النور نور العيان، ومشاهدة القلب لنوع الذات المقدسة؛ وإنما هو نور المعرفة والإيمان، ويبتلى بهذا بعض الصوفية الذين تَرِد عليهم الواردات القوية، فيقع منهم من الشطح والخطل ما ينافي العلمَ والإيمان، كما أن كثيف الطبع، جافي القلب قد تراكمتْ عليه الظلمات، وتوالتْ عليه الغفلات، فلم يكن له من هذا النور حظٌّ ولا نصيب؛ بل ربما ازدرى من سفاهة عقله وقلة وجده هذه الأحوالَ، وزهد فيها، فمتى منَّ الله على العبد بمعرفة صحيحة متلقَّاة من الكتاب والسنة، وتفقَّه في أسماء الله وصفاته وتعبد لله بها، واجتهد أن يحقق مقام الإحسان فيعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، ولهج بذكر الله - تعالى - استنار قلبُه، وحصل له من لذة المعرفة، ومواجيد الإيمان أعظم اللذات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.(بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين).

كل شيء من مخلوقاته دال عليه ومرشد لمن رآه بعين البصيرة إليه .

لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ولا ترك الإنسان سدى عاطلاً .. بل الخلق لقيام توحيده وعبادته وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، ليتوسلوا بشكرها إلى زيادة كرامته ..

تعرف إلى عبادة بأنواع التعريفات وصرف لهم الآيات ونوع لهم الدلالات ودعاهم إلى محبته من جميع الأبواب ومد بينه وبينهم أقوى الأسباب فأتم عليهم نعمه السابغة وأقام عليهم حجته البالغة وأفاض عليهم النعمة وكتب على نفسه الرحمة وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته تغلب غضبه فهو عنده فوق عرشه .. ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ (١) .

يغفرُ ذنباً ويفرجُ هماً ويكشفُ كرباً ، ويجبرُ كسراً ، ويغنى فقيراً ، ويعلمُ جاهلاً ، ويهدى ضالاً ، ويرشدُ حيراناً ، ويغيث لهفاناً، ويفك عانياً ، ويُشبع جائعاً ، ويكسو عارياً ، ويشفى مريضاً ويعافى مبتلى، ويقبل تائباً، ويجزى محسناً ، وينصر مظلوماً ، ويقصمُ جباراً ، ويقيلُ عثرة ، ويسترُ عورةً ، ويؤمنُ خائفاً ويرفع أقواماً ، ويضع آخرين.

" إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفضُ القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه(٢)(٣) .

---

(١) سورة الرحمن – الآية ٢٩ .

(٢) رواه مسلم (مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان « باب الإيمان بالقدر ١/٣٣).

(٣)قوله:(لَا يَنَام) إِذْ النَّوْم لِاسْتِرَاحَةِ الْقَوِيّ وَالْحَوَاسّ وَهِيَ عَلَى اللَّه تَعَالَى مُحَال.

" يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض[١] .

قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمة[٢] الأمور بيده، معقودة بقضائه وقدره .

يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، رفع السماء بغير عمدٍ ترونها ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطوياتٌ بيمينه، ويضع السماوات على إصبع والأراضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وبقية الخلق على إصبع ، ثم يقبض سماواته كلها بيده الكريمة والأراضين بيده الأخرى ثم يهزهن هزاً ثم يقول أنا الملك.. أنا الملك ..أين ملوك الأرض.. أنا الجبار.. أنا المتكبر.. أين الجبارون.. أين المتكبرون.

أنا الذي بدأت الدنيا ولم تكُ شيئاً .. وأنا الذي أُعيدها كما بدأتها .. فالسماوات السبع في كفه كخردلةٍ في كف أحدكم .

ولو أن الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم قاموا صفاً واحداً ما أحاطوا بالله عز وجل .

وَلَا يَنْبَغِي لَهُ :أَيْ لَا يَصِحّ وَلَا يَسْتَقِيم لَهُ النَّوْم فَالْكَلِمَة الْأُولَى دَالَّة عَلَى عَدَم صُدُور النَّوْم وَالثَّانِيَة لِلدَّلَالَةِ عَلَى اِسْتِحَالَته عَلَيْهِ تَعَالَى وَلَا يَلْزَم مِنْ عَدَم الصُّدُور اِسْتِحَالَته فَلِذَلِكَ ذُكِرَتْ الْكَلِمَة الثَّانِيَة بَعْد الْأُولَى .

(١) رواه مسلم (مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الإيمان بالقدر ٣٣/١)

(٢)أزمة : جمع زمام.

ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منهم ما زاد ذلك فى ملكه شيئاً .

ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئاً .

ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم ، حيهم وميتهم ، رطبهم ويابسهم ، قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحدٍ منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة (إلاَّ كما ينقص المِخيط إذا أُدخل البحر) .

﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(١) .

الله ﷻ لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .. متعالٍ ليس شيء أعلى منه .. لا ند له .. لا مساوٍ له .. لا شبيه له .. لا نظير له .. لا مثيل له .. لا وزير له .. لا ضد له .. كبير وما دونه صغير.. قوى وما دونه ضعيف .. عزيز وما دونه حقير .

الله جل جلاله .. أعلى وأعظم من أن نتخيله.. كل ما خطر ببالك فالله ﷻ فوق ذلك .. لا يقارن بمخلوق .

كل شيء خاضع لأمره .. كل شيء طائع لأمره .. كل شيء خاشع له .

عز كل ذليل.. غنى كل فقير.. مغيث كل ملهوف.. مفرج عن كل مكروب.

كنز الفقراء .. حصن الضعفاء .. أمان الخائفين.

سميع عليم .. سميع بصير.. سميع خبير.

---

(١)سورة الروم - من الآية ٢٧ .

واحد لا يتعدد.. أحد لا يتبعض .

الله ﷻ لا يسأل عنه متى كان ..؟ لأنه هو خالق الزمان والمكان .. وهو الذي بدأ نظام الكون وهو الذي ينهي نظام الكون.. ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾(١) ولما ينتهي نظام الزمان يبدأ نظام أهل الجنة (يا أهل الجنة خلودٌ بلا موت).

الله ﷻ أحقُ من ذكر .. وأحقُ من عُبِدَ .. وأحق من حُمِدَ .. وأولى من شُكِرَ .. وأنصرُ من أبتغىَ .. وأرأف من ملك .. وأجودُ من سُئِل .. وأعفى من قدر .. ومغفرته عن عزته .. ومنعته عن حكمته .. وموالاته عن إحسانه وبره وعطفه وكرمه ورحمته.

الله ﷻ .. هو الملك لا شريك له .. والفرد لا ند له .. والغنى فلا ظهير له .. والصمدُ فلا ولد له .. ولا حاجة له .. والعلي فلا شبيه له .. ولا سمي له﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ (٢) .

كل شيء هالك إلا وجهه .. وكل ملك زائل إلا ملكه .. وكل ظل قالص إلا ظله .. وكل فضل منقطع إلا فضله .

لن يطاع إلا بإذنه ورحمته ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته .

يطاع فيشكر .. ويُعصى فيتجاوز ويغفر .

كل نقمةٍ منه عدل .. وكل نعمة منه فضل .

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع

---

(١)سورة التكوير- الآيتان ١، ٢ .

(٢)سورة مريم - من الآية ٦٥ ..

إن عذبوا فبعدله وإن نعموا بفضله وهو الكريم الواسع

أقرب شهيديد.. وأدنى حفيظ.. حال دون النفوس.. وسجل الآثار.. وكتب الآجال.. القلوب له مفضية.. والسر عنده علانية.. والغيب عنده شهادة .

عطاؤه كلام وعذابه كلام .. إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (١) .

قل يا محمد ﷺ لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه وعلى قدرته لنفد البحر قبل أن يفرغ من كتابه ذلك﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ أي بمثل البحر بحراً ثم آخر وهلم جرا .. بحور تمده ويكتب بها ما نفدت كلمات الله كما قال الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢).

لو أن أشجار الأرض منذ أن خلقها الله ﷻ إلى أن تنقضي الدنيا أقلام والبحر من وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداداً لتكسرت الأقلام وفنيت وفني المداد وبقيت كلمات الله ﷻ قائمة لا يفنيها شيء، وكيف تفنى كلماته جل وعلا وهى لا بداية لها ولا نهاية .

(١) سورة الكهف - من الآية ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان – الآية ٢٧ .

فالمخلوق هو أحق بالفناء لأنه له بداية وله نهاية، لا يستطيع أحد أن يقدر قدرة الله ﷻ ولا يثنى عليه كما ينبغي حتى هو الذي يثنى على نفسه كما قال ﷺ في الدعاء :" لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك "(١).

(إن ربنا كما يقول .. وفوق ما نقول)

(١)هذا جزء من حديث عائشة رضى الله عنها وهو فى صحيح الجامع رقم (١٢٩١) وفى صحيح أبو داود (٨٢٣) .. والحديث :" اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك " .

البيان الثاني

في صفة اليقين على الله ﷻ

لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ﷺ

- إن جميع الفوز والفلاح بيد الله جل جلاله والله عنده خزائن كل شيء خالق الأشياء ومصرف الأحوال يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد.
- الفوز والفلاح ليس بالمال الفوز والفلاح بيد الله.
- الفوز والفلاح ليس بالتجارة الفوز والفلاح بيد الله.
- الفوز والفلاح ليس بالزراعة الفوز والفلاح بيد الله، قال الله تعالى(ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً).
- جميع أسباب العزة في العالم كله ما تملك ذره من العزة ولا تملكها أبد الآباد.
- مالك العزة وخالق العزة في أسباب العزة هو الله جل جلاله.
- جميع أسباب الذلة في العالم كله ما تملك ذره من الذلة ولا تملكها أبد الآباد.
- مالك الذلة وخالق الذلة في أسباب الذلة هو الله جل جلاله.
- جميع أسباب الحياة في العالم كله ما تملك ذرة من الحياة ولا تملكها أبد الآباد مالك الحياة وخالق الحياة في أسباب الحياة هو الله جل جلاله جميع أسباب الموت في العالم كله ما تملك ذره من الموت ولا تملكها ابد الآباد مالك الموت وخالق الموت في أسباب الموت هو الله جل جلاله (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل).

● **كل غير الله بغير الله لا يفعل شيئاً ،مثلاً :**

ـ الشمس بدون الله لا تستطيع أن تعطى الحرارة والضوء.

ـ والعين بدون الله لا تستطيع أن تبصر.

ـ والأذن بدون الله لا تستطيع أن تسمع.

ـ واللسان بدون الله لا يستطيع أن يتكلم.

ـ والرجل بدون الله لا تستطيع أن تمشى.

ـ واليد بدون الله لا تستطيع أن تبطش.

ـ والطعام بدون الله لا يستطيع أن يعطى الشبع.

ـ والماء بدون الله لا يستطيع أن يعطى الري.

ـ والسحاب بدون الله لا يُعطي المطر.

ـ والشجر بدون الله لا يعطي الثمر.

ـ والنحل بدون الله لا يُعطي العسل .

ـ والجاموس والبقر بدون الله لا يُعطي اللبن.

ـ والأرض بدون الله لا تُعطي الزرع .

ـ والدواء بدون الله لا يعطي الشفاء.

ـ والنوم بدون الله لا يُعطي الراحة.

ـ والنار بدون الله لا تحــرق.

ـ والأشياء بدون الله لا تُعطي الراح‘

ـ والسكين بدون الله لا تذبح.

ـ والبحر بدون الله جلا لا يغرق.

● **وهكذا كل الأشياء بدون الله لا تستطيع أن تفعل شيء:**

ـ المال لا يفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

ـ التجارة لا تفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

ـ الصناعة لا تفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

ـ الحكومة لا تفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

ـ القبائل لا تفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

ـ السلاح لا يفعل شيء، الذي يفعل هو الله.

ـ والله بغير غيره يفعل كل شيء.. يفعل ما يشاء على الوجه الذي يشاء في الوقت الذي يشاء بقدرته وحده ﷻ ولا يحتاج لأحدٍ من خلقه وهو الصمد (١).

● **كل شيء في خزائن الله:**

ـ خزائن السماوات عند الله.

ـ خزائن الأرض عندا لله

ـ خزائن البحار عند الله.

ـ خزائن الجبال عند الله.

ـ العسل ليس من النحل العسل من خزائن الله.

ـ اللبن ليس من البقر اللبن من خزائن الله.

---

١) قال ابن مسعود ﷺ .. اليقين : الإيمان كله .

وقال بشر: لو تفكر الناس فى عظمة الله ما عصوه .

وقال سفيان الثورى : لو أن اليقين وقع فى القلب كما ينبغي لطار اشتياقاً إلى الجنة وخوفاً من النار. (تاريخ الإسلام للذهبي – ٤ / ٥٥٨) .

ـ الثمر ليس من الشجر الثمر من خزائن الله.

ـ الشفاء ليس من الدواء الشفاء من خزائن الله، قال الله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[1].

- الله خلق السماوات من العدم.
- الله خلق الأرض من العدم.
- الله خلق البحار من العدم.
- الله خلق الجبال من العدم.

(١) سورة الحجر – الآية ٢١.

البيان الثالث

في صفة اليقين على الله ﷻ

لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ﷺ

● **الكلمة الطيبة لا إله إلا الله:**

١) معني لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله،﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾[١].

٢) تحقيق الكلمة الطيبة ...لا إله إلا الله.

٣)مقصد الكلمة الطيبة لا إله إلا الله[٢] :

أ ـ إخراج اليقين الفاسد من القلب علي الأشياء، وإدخال اليقين الصادق في قلوبنا علي الله وصفاته.

ب ـ كيف يتبدل اليقين والعواطف والطريق من :

١) المخلوق إلى الخالق .

٢) ومن الأشياء إلى الأعمال الصالحة .

٣) ومن الدنيا إلى الآخرة .

لأن كل إنسان يمشى تحت يقينه فعندما يتبدل اليقين من الأشياء والمال والذهب والمنصب يأتي في القلب اليقين على ذات الله وقدرة الله وخزائن الله، وعند

---

(١) سورة طه – الآية ١٤.

(٢) وكلمة مقصد : أي ما تُعمله هذه الكلمة في القلب الذي دخلت فيه، فتنوره ، وتخرج منه كل يقين فاسد علي الأشياء والأسباب، وتبدل اليقين والعواطف والطريق : من المخلوق إلي الخالق ومن الأشياء والأسباب إلي الأعمال الصالحة ومن الدنيا إلي الآخرة..

ذلك يرى النظام الغيبي ويتيقن على الوعد والوعيد أي الجنة والنار لأن صفات الله ﷻ أعلى وأشرف لا تجتمع مع حب الدنيا في قلبٍ واحد .

الصحابة قبل الإسلام كان يقينهم على الأصنام ولكن لما قالوا لا إله إلا الله تبدل يقينهم على الله ففهموا أن كل الدنيا لا شيء.. والله سبحانه وتعالى كل شيء.

وأننا لا نتربى من الدكان والوظيفة والزراعة ولكن الذي يربينا هو الله ﷻ .

العزة بيد الله ﷻ .. والذلة بيد الله ﷻ .. والصحة والمرض بيد الله ﷻ .. والغنى والفقر بيد الله ﷻ ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٢).

فالعزة والفلاح ليست فى الأشياء ولكن هي في الحقيقة من خزائن الله ولكن الإنسان لا يرى إلا السبب الظاهري مثال الإنسان ينظر إلى الحنفية هو يظن أن الماء من الحنفية ولكنها سبب والماء يأتي من الخزان وكذلك يظن أن الكهرباء من اللمبة ولكن الكهرباء من المحول وهكذا الإنسان ينظر إلى الحليب فيظن أنه من الجاموس ولكن الحليب يأتي من خزائن الله ﷻ .

---

١) سورة آل عمران - الآية ٢٦ .

٢) سورة الذاريات – الآية ٥٨ .

والقمح ليس من الأرض ولكن من خزائن الله ﷻ والربح ليس من الدكان ولكن من خزائن الله ﷻ.

الأسباب مثل العصا – العصا يضرب بها الرجل ولكن المضروب يقول للعصا لا تضربي ...؟ .

العصا لا تضرب ولكن الذي يضرب هو صاحب العصا.

كذلك الشفاء ليس من الدواء ولكن الشفاء من خزائن الله ﷻ.

الجاموسة بعد الحليب تقول لصاحبها قل لا إله إلا الله.

والدجاجة تصيح بعد وضع البيضة وتقول لصاحبها قل " لا إله إلا الله ".

والدكان أحياناً يأتي بعكس السبب فيأتي بالخسارة بدل الربح .

والعلاج ممكن أحياناً يكون سبباً لزيادة المرض وكذلك الطعام.

والجهد للدين في الظاهر ينقص الدنيا، ولكن في الحقيقة من أقوى أسباب الرزق (١).

١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي - مؤلف حياة الصحابة .

البيان الرابع

فى صفة اليقين على الله

لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله

معنى كلمة التوحيد: " **لا إله إلا الله** " أنه لا معبود بحق إلا الله .

مقصد (لا إلـــه إلا الله): نتيقن بأن الله قادر على كل شيء بدون المخلوقات، بدون الأسباب وأن نتيقن بأن المخلوقات مع جميع الأسباب لا يقدرون على شيء بدون إرادة الله ﷻ .

التفصيل: يعنى أن الله ﷻ قادر على إزالة الجوع بدون الطعام ، وقادر على إزالة العطش بدون الماء ، وقادر على إعطاء الشفاء بدون الدواء ، وقادر على خلق الثمر بدون الشجر ، وقادر على خلق الإنسان وتربيته بدون الوالدين ، وقادر على إنبات النبات بدون المطر ، وقادر على إحراق الشيء بدون النار ، وقادر على قضاء الحوائج بدون أي سبب وأي كسب ، وقادر على إعطاء العزة في صورة الذلة وقادر على إنزال الذلة في صورة العزة وقادر على إعطاء النجاة في صورة الهلاك ، وعلى إعطاء الهلاك في صورة النجاة ، وقادر على إعطاء الغلبة لفئة قليلة بدون السلاح ، وقادر على إتيان الخوف في صورة الأمن ، والأمن في صورة الخوف .

وخلاصة الكلام : أن العزة والذلة والمرض والصحة والضر والنفع والأمن والخوف والصلح والحرب والفتح والهزيمة والضحك والبكاء والفقر والغنى والحياة

والموت ... الخ . كل ذلك بيد الله ﷻ وتصرفه وهو لا يحتاج إلى أحد من خلقه ولا إلى أي سبب والمخلوقات كلها محتاجة إلى الله في خلقهم وصفاتهم واستعمالهم والمخلوقات كلها لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا يملكون ضراً ولا نفعاً (١).

١) الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي - مؤلف حياة الصحابة .

البيان الخامس

فى صفة اليقين على الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله

الله ﷻ جعل الفلاح التام للإنسانية جمعاء يرتكز على الثروة الداخلية للإنسان لأن الفلاح والخسارة وهى حالة داخلية للإنسان، ليس اسم لشيء خارجي، فالعزة والذلة، والراحة والشقاء، والاطمئنان وعدمه، والصحة والمرض، حالات داخلية للإنسان .

فصلاح هذه الأحوال وفسادها ليس متعلقاً بشيء من الأشياء الخارجية فالله ﷻ أعز بعض الناس مع الملك والمال وأعز آخرين مع الفقر ، فالثروة الداخلية هي يقينه وعمله ، فإذا صلح يقين الإنسان فالله سبحانه وتعالى يعطيه حالة الفلاح والطمأنينة وإن كانت الأشياء المادية قليلة .

الله تعالى هو خالق ومالك لكل إنسان وخلق كل شيء بقدرته وهو خالق كل شيء وهو غير مخلوق ، فالمخلوق لا يستطيع أن يفعل شيء فكل خلقه بالقدرة الإلهية هو تحت القدرة دائماً فكل شيء في قبضته سبحانه وتعالى فهو الذي يستعمل هذه الأشياء ويتصرف فيها بقدرته تعالى يستبدل شكل هذه الأشياء وصفاتها أو يتركها كما هي حسب ما يشاء فيجعل من العصا حية .. ومن الحية عصا .

وهكذا كل شيء وإن كان الملك والمال أو البرق والهواء فهو في قبضته ﷻ وتحت تصرفه.

فمن المكان الذي يرى فيه الإنسان العمار قادر أن يجعل منه الخراب.

ومن المكان الذي يرى فيه الإنسان الخراب قادر أن يجعل منه العمران.

الله ﷻ قادر أن يربى جميع المخلوقات على التراب وبدون أي شيء من الأسباب وقادر ﷻ أن يهلك جميع الأشياء مع وجود جميع العدد ووسائل التربية (١).

علامة وجود لا إله إلا الله في القلب:

توجه القلب إلي الله ﷻ في كل حال،لأن فيه اليقين الصحيح : بأن الذي يجلب النفع هو الله والذي يدفع الضر هو الله فنتوجه إليه بقلوبنا وأعمالنا في قضاء حوائجنا الدنيوية والأخروية وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للَّهِ رَب الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ له وَبذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٢).

علامة عدم وجود لا إله إلا الله في القلب:

توجه القلب لغير الله (**الأسباب**)، اعتقادا منه بأن الأشياء والمخلوقات بيدها جلب نفع أو دفع ضر ثم التوجه إليها من دون الله باستعانة أو استغاثة أو دعاء أو توكل أو خشية أو رجاء رغبة أو رهبة أو خوف أو محبة فهذا يقين بغير الله﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن باللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٣).

قال الإمام الشافعي: كُلما تعلقتْ بـ شخص تعلقاً، أذاقكْ الله مُرّ التعلق لتعلم أن الله يغار على قلب تعلق بغيره، فيصدُّك عن ذاك ليردك إليه.

---

١) من رسالة أرسلها الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي مؤلف كتاب حياة الصحابة ، إلي جماعة الحج والعمرة المتجهة من بلاد الهند إلى الحجاز.

٢) سورةالأنعام – الآية ١٦٢.

(٣) سورة البقرة – الآية ٢٥٦.

البيان السادس

فى صفة اليقين على الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله

المعنى: لا معبود بحق في هذا الوجود إلا الله.

المقصد: بمعنى تغيير اليقين من المخلوق إلى الخالق ومن الدنيا إلى الآخرة ومن الأشياء والأسباب إلى أعمال الدين.

فَنُخْرِج من قلوبنا اليقين الفاسد على الأشياء والمشاهدات، ونُدخل اليقين الصادق على الله تعالى، وأن الله خلق سبع سماوات بغير عمد وسبع أراضين.

عليم: يعلم حبات وقطرات الأمطار وعدد أوراق الأشجار، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب حفيظ.

خالق: كل شيء من خلق الله.

مالك: من الفرش إلى العرش، مُلك الله.. ومن الذرة إلى المجرّة مُلك الله.. ومن القطرة إلى البحار والمحيطات مُلك الله.. ومن النملة أو أصغر منها إلى أعظم مخلوق مُلك الله جل جلاله.

الفضيلة:

قوله تعالى: **{** فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**}**، وقوله ﷺ:" من كان آخر كلامه لا اله إلا الله دخل الجنة" صحيح الجامع.

وقوله ﷺ لمعاذ:" ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله على النار" متفق عليه.

الحقيقة(أن لا إله إلا الله في القلب): تجد أن القلب متوجه إلى الله في كل الأحوال .

علامة الحقيقة: تبديل الفكر من الدنيا إلى الآخرة ومن المخلوق إلى الخالق، ومن الأشياء إلى الأعمال.

الأهمية: من كان في قلبه مثقال من:(لا اله إلا الله)لا يخلد في النار: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:"يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً"قَالَ وُهَيْبٌ حَدَّثَنَا عَمْرٌو الْحَيَاةِ وَقَالَ خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ . (١).

عَنْ أَنَسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:" يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ " ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ :قَالَ أَبَانُ : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مِنْ إِيمَانٍ مَكَانَ مِنْ خَيْرٍ . (٢).

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال:" يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا

---

١) صحيح البخاري « كتاب الإيمان « باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال رقم [٢٢].

٢) المرجع السابق رقم [٤٣].

الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة "[١].

وعن أنس عن النبيﷺ قال: يقول الله: أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام" قال هذا حديث حسن غريب[٢].

وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ:" إني لأعرف آخر أهل النار خروجا رجل يخرج منها زحفا، فيقول: يا رب قد أخذ الناس المنازل قال: فيقال له: انطلق فادخل الجنة، قال: فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل، فيرجع فيقول: يا رب! قد أخذ الناس المنازل، قال: فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه، فيقول: نعم فيقال له: تمن ، قال: فيتمنى، فيقال له: فإن لك ما تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا، قال: فيقول: أتسخر بي وأنت الملك، قال: فلقد رأيت رسول الله ضحك حتى بدت نواجذه " قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح[٣].

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ : " إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا الجنة يؤتى برجل فيقول سلوا عن صغار ذنوبه واخبئوا كبارها فيقال له عملت كذا وكذا يوم كذا وكذا عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا قال فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة قال فيقول يا رب لقد عملت أشياء ما أراها ههنا" قال فلقد رأيت رسول الله ضحك حتى بدت نواجذه

---

١) صحيح مسلم _ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم [١٩٣].

٢) سنن الترمذي رقم [٢٥٩٤].

٣) المرجع السابق رقم [٢٥٩٥].

قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح(١).

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ:" يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمما ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة قال فترش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حماله السيل ثم يدخلون الجنة" قال هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن جابر(٢).

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال:" يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان" قال أبو سعيد فمن شك فليقرأ { إن الله لا يظلم مثقال ذرة } قال هذا حديث حسن صحيح(٣).

طرق التحصيل:

١) نُكثر من قول (**لا إله إلا الله**)..نتدرب على يقينها.

٢) نُكثر من الجلوس في مجالس فضائل(**لا إله إلا الله**).

٣) نَدعو الناس إلى تحقيق (**لا إله إلا الله**) في حياتهم.

٤) ندعو الله أن يرزقنا والأمة حقيقة (**لا إله إلا الله**).

قصّص في اليقين والتوكل:

١) **فعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار**: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ

---

١) المرجع السابق رقم [٢٥٩٦].

٢) المرجع السابق رقم [٢٥٩٧].

٣) المرجع السابق رقم [٢٥٩٨].

بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا ؟ ". وفي رواية: «اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما» أخرجه البخاري[١].

وسجل الحق عز وجل ذلك في قوله تعالى: { إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }.

٢) **عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَ** أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ [٢] فَقَالَ:" إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فَقُلْتُ اللَّهُ ثَلَاثًا وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ " **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**

وفي رواية قَالَ جَابِرٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بذَاتِ الرِّقَاعِ،فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لرسول الله ﷺ فجاء رَجُلٌ مِنَ المشْرِكِينَ وَسَيفُ رَسُول الله ﷺ معَلَّقٌ بالشَّجَرَةِ فَاخْتَرطَهُ، فَقَالَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ:" لاَ " فَقَالَ :" فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟" قَالَ :" الله ".

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في"صحيحه"، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: "اللهُ ".قَالَ: فَسَقَطَ السيفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ:" مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ ".فَقَالَ:

---

١) رياض الصالحين _ باب اليقين والتوكل.

٢) اسمه : غورث بن الحارث.

كُنْ خَيرَ آخِذٍ. فَقَالَ:" تَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وَأَنِّي رَسُول الله؟" قَالَ: لاَ، وَلَكنِّي أُعَاهِدُكَ أنْ لا أُقَاتِلَكَ، وَلاَ أَكُونَ مَعَ قَومٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبيلَهُ، فَأَتَى أصْحَابَهُ، فَقَالَ: جئتُكُمْ مِنْ عنْد خَيْرِ النَّاسِ (١)(٢).

٣)**عن ابن عباس أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :**حسبنا اللَّه ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا اللَّه ونعم الوكيل رواه الْبُخَارِيُّ.

وفي رواية له عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قال: كان آخر قول إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار حسبي اللَّه ونعم الوكيل.[٣].

٤) **عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قَالَ:قَالَ رسولُ الله ﷺ** عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيّ ومَعَهُ الرُّهَيطُ، والنبي وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، والنبيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فقيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَومُهُ، ولكنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرتُ فَإِذا سَوادٌ عَظِيمٌ، فقيلَ لي: انْظُرْ إِلَى الأفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظيمٌ، فقيلَ لِي: هذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ ألفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ " ، ثُمَّ نَهَضَ فَدخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ في أُولئكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ

---

١) غريب الحديث: قوله قفل: أي رجع.
والعضاه: الشجر الذي له شوك.
والسمرة بفتح السين وضم الميم: الشجرة من الطلح وهي العظام من شجر العضاه.
واخترط السيف أي سله وهو في يده.
صلتا :أي مسلولا. وهو بفتح الصاد وضمها.
٢) رياض الصالحين _ باب اليقين والتوكل.
٣)المرجع السابق.

حِسَابٍ ولا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذينَ صَحِبوا رسولَ الله ﷺ، وَقالَ بعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا في الإِسْلامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله شَيئاً- وذَكَرُوا أشيَاءَ- فَخَرجَ عَلَيْهِمْ رسولُ الله ﷺ، فَقَالَ:" مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ ؟" فَأَخْبَرُوهُ فقالَ: هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ وَلا يَسْتَرقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُون" فقامَ عُكَّاشَةُ ابنُ محصنٍ، فَقَالَ: ادْعُ الله أنْ يَجْعَلني مِنْهُمْ، فَقَالَ:" أَنْتَ مِنْهُمْ " ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلني مِنْهُمْ، فَقَالَ:" سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ "مُتَّفَقٌ عَلَيهِ(١).

٥) وعندما أراد سعد بن أبي وقاص فتح المدائن وكانت على شاطئ دجلة في العراق وكان النهر في حالة فيضان ، فلم يجد سعد بن أبي وقاص وسيلة لعبور البحر فكون كتيبة سميت كتيبة الأهوال وعبرت النهر وأخلت الشاطئ نسبيا من قوات الفرس، ولما عبرت كتيبة الأهوال النهر وكانوا ستمائة رجل، تبعهم سعد بن أبي وقاص بكامل الجيش وأمر جنده قائلاً: قولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فجعلوا يمشون على الماء كأنهم يمشون على الأرض!!!!!!!.

حتى أن الفرس عندما رأوا هذا الموقف قالوا : ديوانا ديوانا (أى: مجانين مجانين!!!) وعندما رأوهم لا يغرقون قالوا بالفارسية: والله إنكم لا تقاتلون إنسا بل تقاتلون جنا!!! .

٦)**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بِتَمَرَاتٍ فَقُلْتُ** :"ادْعُ اللَّهَ لِي فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ" قَالَ فَصَفَّهُنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ ثُمَّ دَعَا فَقَالَ لِي:" اجْعَلْهُنَّ فِي مِزْوَدِ(٢) وَأَدْخِلْ يَدَكَ وَلَا تَنْثُرْهُ" قَالَ:" فَحَمَلْتُ مِنْهُ كَذَا وَكَذَا وَسْقًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَنَأْكُلُ

---

١) المرجع السابق.

٢) المزود : الوعاء الذي يُحمل فيه الزاد ونحوه.

وَنُطْعِمُ وَكَانَ لَا يُفَارِقُ حَقْوِي فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انْقَطَعَ عَنْ حَقْوِي(١) فَسَقَطَ"(٢).

ورواه البهقي في الدلائل ٢٣٥٦ بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقال : يا أبا هريرة، أمعك شيء ؟ « قال : قلت تمرا في مزود معي ، قال : » جئ به « فأخرجت منه تمرا فأتيته – قال فمسه فدعا فيه ثم قال : » ادع عشرة « ، فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا ، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله وبقي من تمر المزود ، قال : » يا أبا هريرة ، إذا أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل يدك ولا تكبه « ، قال : فأكلت منه حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأكلت منه حياة أبي بكر كلها ، وأكلت منه حياة عمر كلها ، وأكلت منه حياة عثمان كلها ، فلما قتل عثمان انتهب ما في بيتي ، وانتهب المزود ، ألا أخبركم أكلت منه أكثر من مائتي وسق(٣).

٧) **قال ياقوت في " معجم البلدان ": وفي كتاب سيف:** أن المسلمين اقتحموا إلى دارين البحر مع العلاء بن الحضرمي، فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعا يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وإن ما بين دارين والساحل مسيرة يوم وليلة لسفر البحر في بعض الحالات، فالتقوا وقتلوا، وسبوا فبلغ منهم الفارس ستة آلاف، والراجل ألفين .

فقال في ذلك عفيف بن المنذر:

---

١) الحَقْوُ: الخصر. وقيل: مَشَدُّ الإزار.

٢) رواه أحمد ٨٢٧٤ وأخرجه الترمذي (٣٨٣٩) وابن حبان (٦٥٣٢) وأبونعيم في معرفة الصحابة ٤٢٤٥ قال الألباني: إسناده حسن.وقال الحافظ ابن حجر في " فتحه " (١١ / ٢٨١) . و الحديث صحيح بمجموع طرقه.

٣) الوسق : مكيال مقداره ستون صاعا والصاع أربعة أمداد، والمُدُّ مقدار ما يملأ الكفين.

ألم تر أن الله ذلل بحـــــــره وأنزل بالكفار إحدى الجلائــل ؟
دعونا الذي شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل[١].

وفي الطبراني في الأوسط (١٥/٤): عن أبي هريرة قال لما بعث النبي صلى الله عليه و سلم العلاء بن الحضرمي إلى البحرين تبعته فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتهن أعجب انتهينا إلى شاطئ البحر فقال سموا واقتحموا قال فسمينا واقتحمنا فعبرنا فما بل الماء إلا أسافل خفاف إبلنا فلما قفلنا صرنا معه بفلاة من الأرض وليس معنا ماء فشكونا إليه فصلى ركعتين ثم دعا فإذا سحابة مثل الترس ثم أرخت غزاليها فسقينا واستقينا ومات فدفناه في الرمل فلما سرنا غير بعيد قلنا يجيء سبع فيأكله فرجعنا فلم نره.

وفي الطبراني الكبير(٩٥/١٨): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما بعث النبي صلى الله عليه و سلم العلاء بن الحضرمي إلى البحرين تبعته فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتهن أعجب انتهينا إلى شاطئ البحر فقالوا سموا واقتحموا فسمينا واقتحمنا فعبرنا فما بل الماء إلا أسافل أخفاف إبلنا فلما قفلنا صرنا بعد بفلاه من الأرض فليس معنا ماء فشكونا إليه فصلى ركعتين ثم دعا فإذا سحابة مثل الترس ثم أرخت عزاليها فسقينا واستقينا ومات بعد ما بعثه أبو بكر إلى البحرين لما ارتدت ربيعة فأظفره الله بهم وأعطوا ما منعوا من الزكاة ومات فدفناه في الرمل فلما سرنا غير بعيد قلنا يجيء سبع فيأكله فرجعنا فلم نره.

وفي مصنف بن أبي شيبة (٤٢٠/١٠):عن زياد بن حدير، قال: سمعت العلاء بن الحضرمي يحدث خاله، أنه كان من دعائه حين خاض البحر: اللهم يا حليم يا علي يا عظيم.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية(٢٩٠/٦): وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء، وفي قصة العلاء بن زياد، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك، روى

---

١) معجم البلدان (٤٣٢/٢).

منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين ، فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له، فنزلنا منزلا فطلب الماء فلم يجده، فقام وصلى ركعتين وقال، اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك، نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثا نتوضأ به ونشرب، ولا يكون لأحد فيه نصيب غيرنا، فسرنا قليلا فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه، فتوضأنا منه وتزودنا، وملأت إداوتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا، فسرنا قليلا ثم قلت لصاحبي: نسيت إداوتي، فرجعت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط، ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم، فقال، يا علي يا حكيم، إنا عبيدك وفي سبيلك، نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلا، فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لبودنا، ومشينا على متن الماء ولم يبتل لنا شيء ، وذكر بقية القصة.

٨) ما وقع لأبي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ الدَّارَانِيُّ ، سَيِّدُ التَّابِعِينَ وَزَاهِدُ الْعَصْرِ[١]:

قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ: حَدَّثَنَا شُرَحْبِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ ، قَالَ : أَتَى أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ الْمَدِينَةَ وَقَدْ قُبِضَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ فَحَدَّثَنَا شُرَحْبِيلُ أَنَّ الْأَسْوَدَ تَنَبَّأَ بِالْيَمَنِ، فَبَعَثَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ فَأَتَاهُ بِنَارٍ عَظِيمَةٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى أَبَا مُسْلِمٍ فِيهَا ، فَلَمْ تَضُرَّهُ ، فَقِيلَ لِلْأَسْوَدِ :إِنْ لَمْ تَنْفِ هَذَا عَنْكَ أَفْسَدَ عَلَيْكَ مَنِ اتَّبَعَكَ . فَأَمَرَهُ بِالرَّحِيلِ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يُصَلِّي ، فَبَصُرَ بِهِ عُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ، فَقَامَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ قَالَ : مِنَ الْيَمَنِ .قَالَ: مَا فَعَلَ الَّذِي حَرَقَهُ

---

١) اسْمُهُ عَلَى الْأَصَحِّ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ ، وَقِيلَ : اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَقِيلَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوَابٍ . وَقِيلَ : ابْنُ عُبَيْدٍ . وَيُقَالُ : اسْمُهُ يَعْقُوبُ بْنُ عَوْفٍ.

قَدِمَ مِنَ الْيَمَنِ ، وَقَدْ أَسْلَمَ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ (سير أعلام النبلاء للذهبي).

الْكَذَّابُ بِالنَّارِ؟ قَالَ: ذَاكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ، قَالَ : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ ، أَنْتَ هُوَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ . فَاعْتَنَقَهُ عُمَرُ وَبَكَى، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ حَتَّى أَجْلَسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصِّدِّيقِ .

فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُمِتْنِي حَتَّى أَرَانِي فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ مَنْ صُنِعَ بِهِ كَمَا صُنِعَ بِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ .رَوَاهُ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ ، وَهُوَ ثِقَةٌ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ لَكِنَّ شُرَحْبِيلَ أَرْسَلَ الْحِكَايَةَ .

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ الْأَلْهَانِيُّ ، عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا غَزَا أَرْضَ الرُّومِ ، فَمَرُّوا بِنَهْرٍ فَقَالَ : أَجِيزُوا بِسْمِ اللَّهِ ، وَيَمُرُّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، فَيَمُرُّونَ بِالنَّهْرِ الْغَمْرِ ، فَرُبَّمَا لَمْ يَبْلُغْ مِنَ الدَّوَابِّ إِلَّا الرُّكَبَ ، فَإِذَا جَازُوا قَالَ : هَلْ ذَهَبَ لَكُمْ شَيْءٌ؟ فَمَنْ ذَهَبَ لَهُ شَيْءٌ فَأَنَا ضَامِنٌ لَهُ فَأَلْقَى بَعْضُهُمْ مِخْلَاتَهُ عَمْدًا فَلَمَّا جَاوَزُوا قَالَ الرَّجُلُ : مِخْلَاتِي وَقَعَتْ ، قَالَ : اتْبَعْنِي فَأَتْبَعَهُ ، فَإِذَا بِهَا مُعَلَّقَةٌ بِعُودٍ فِي النَّهْرِ ، قَالَ : خُذْهَا .

وعَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ ، أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ أَتَى عَلَى دِجْلَةَ وَهِيَ تَرْمِي بِالْخَشَبِ مِنْ مَدِّهَا فَذَهَبَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ مَسِيرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ لَهَزَ دَابَّتَهُ ، فَخَاضَتِ الْمَاءَ ، وَتَبِعَهُ النَّاسُ حَتَّى قَطَعُوهَا ، قَالَ : هَلْ فَقَدْتُمْ شَيْئًا مِنْ مَتَاعِكُمْ فَأَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيَّ؟ .

وَعَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ ، أَنَّ امْرَأَةَ أَبِي مُسْلِمٍ قَالَتْ: لَيْسَ لَنَا دَقِيقٌ . فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ :دِرْهَمٌ بِعْنَا بِهِ غَزْلًا . قَالَ: ابْغِينِيهِ وَهَاتِي الْجِرَابَ ، فَدَخَلَ السُّوقَ ، فَأَتَاهُ سَائِلٌ ، وَأَلَحَّ ، فَأَعْطَاهُ الدِّرْهَمَ ، وَمَلَأَ الْجِرَابَ نُشَارَةً مَعَ تُرَابٍ ، وَأَتَى وَقَلْبُهُ مَرْعُوبٌ مِنْهَا ، وَذَهَبَ ، فَفَتَحَتْهُ ، فَإِذَا بِهِ دَقِيقٌ حُوَّارَى. فَعَجَنَتْ وَخَبَزَتْ، فَلَمَّا جَاءَ لَيْلًا، وَضَعَتْهُ، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ هَذَا؟ قَالَتْ: مِنَ الدَّقِيقِ، فَأَكَلَ وَبَكَى .

٩) وعن وهب بن منبه قال: كان في بني إسرائيل عابد فلبث سبعًا لم يطعم هو وعياله شيئًا.فقالت له امرأته: لو خرجت وطلبت لنا شيئًا.فخرج فوقف مع العمال فاستأجر

العمال وصرف اللّه عنه الرزق فقال: والله لأعملنّ اليوم مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى أتى أهله فقالت له امرأته: ماذا صنعت فقال: قد عملتَ مع أستاذي وقد وعدني أن يعطيني ثم غدا إلى السوق فوقف مع العمال فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال: والله لأعملن اليوم مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى أقبل إلى منزله فقالتَ له امرأته: ماذا صنعت؟ قال: إن أستاذي قد وعدني أن يجمع لي أجري فخاصمته امرأته وبرزت عليه فلبث يتقلب ظهرًا لبطن وبطنًا لظهر وصبيانه يتضاغون جوعًا ثم غدا إلى السوق فاستؤجر العمال وصرف عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال: والله لأعملن مع ربي فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راكعًا وساجدًا حتى إذا أمسى قال: أين أمضي تركت أقوامًا يتضاغون جوعًا ثم تحمل على جهد منه فلما قرب من داره سمع ضحكًا وسرورًا وسمع رائحة قديد ورائحة شواء فأخذ على بصره وقال: أنائم أنا أم يقظان تركت أقوامًا يتضاغون جوعًا و أشم رائحة قديد ورائحة شواء وأسمع ضحكًا وسرورًا دنا من الباب فطرق الباب فخرجت امرأته حاسرة وقد حسرت عن ذراعيها وهي تضحك في وجهه ثم قالت: يا فلان قد جاءنا رسول أستاذك بدنانير ودراهم وكساء وودك ودقيق وقال: إذا جاء فلان فأقرئوه السلام وقولوا له: إن أستاذك يقول لك: رأيت عملك فرضيته فإن أنت زدتني في العمل زدتك في الأجرة (١) .

١) المنتظم في التاريخ _ الجزء الثاني.

البيان السابع

دعوة الإيمان واليقين

جهد الرسول: هو اسم لمجموعة أعمال، وليس عمل واحد فكما أن الصلاة تطلق على مجموعة أعمال (تكبير، قراءة، ركوع ، سجود، تشهد ، ثم تسليم) فلو أن إنسان كبر ثم قرأ وسجد قبل أن يركع لن تحسب صلاة، وكذلك جهد النبي صلى الله عليه وسلم مجموعة أعمال وعلى الترتيب:

أولا: الجهد على تصحيح دعوة الإيمان واليقين:

إن جميع الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة فقط بيد الله ﷻ.. والله عنده خزائن كل شيء.. خالق الأشياء ومصرف الأحوال .. يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد.. وهو الذي جعل فلاحنا وفلاح البشرية كلها، في امتثال أوامره، وعلى نهج نبيه ﷺ .. وحتى يترسخ فينا هذا اليقين.. لابد لنا من الجهد.. وهذا الجهد يحتاج منا إلى تفريغ الوقت.. هل أنتم مستعدون ؟.

التفصيل: الله تبارك وتعالى جعل جميع الفوز والفلاح بيده، وكذلك الهداية بيده فقط، ولم يجعلها بيد أحد من خلقه، لا بيد ملك مقرب ولا نبي مرسل وإلا لأعطاها نوح عليه السلام لابنه وزوجته، ولأعطاها إبراهيم عليه السلام لأبيه، ولأعطاها صلى الله عليه وسلم لعمه.

ونتكلم فيها بالتفصيل.. حتى تأتي فينا هذه الصفات.

وهذه الصفات هي مادة دعوتنا، نتكلمُ فيها، مثل البائع لا يتكلم عن بضاعة غيره، فنعرض المنهج، وهذا المنهج فيه صلاح حياتنا.

ونخصص وقت في أثناء التعليم، أو أثناء اليوم، بعد أي صلاة نتذاكر بعض علم المسائل مثل(آداب الغسل.. آداب الخلاء.. آداب الوضوء.. آداب المساجد.. مسائل الصلاة.. آداب وتلاوة القرآن وأحكامه.. آداب الزيارة) .

وفي التعليم الانفرادي نتعلم ما شئنا من علم المسائل المهمة والتي نحتاج إليها خلال حياتنا اليومية، سواء من العلماء، أو من كتب أهل السنة المعتبرة.. ويفضل أن نتعلم المسائل الفقهية من العلماء.

البيان الثامن

الفـــوز والفـــلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ *إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (١).

الفوز والفلاح : هو كل ما يتمناه الإنسان من خير، في الدنيا وما بعد الموت ، ومضمونه (العزة – الحفاظة – قضاء الحوائج – حل المشاكل – الرزق الطيب).

١) **العـــزة:** فقط بيد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣).

فالعزة فقط بيد الله عز وجل، وليس جزء ولا ذرة من العزة في الأموال ولا في المناصب، ولا في الجاه، ولا في العمارات، ولا في السيارات، ولا في العقارات، ولا الوظائف، ولا الشكل الجميل.

---

(١) سورة العصر _ الآيات من ١ -٣.

(٢) سورة فاطر - الآية ١٠.

(٣) سورة المنافقون - الآية ٨.

ولـو شـاء الله، ولـو أراد الله أن يعـز أي إنسـان في أي زمـان، وفي أي مكـان، وعلـي أي حـال، واجتمـع أهـل الأرض علـي أن يـذلوه لأعـزه الله عـز وجـل بقدرتـه وحده.

ولـو شـاء الله، ولـو أراد الله أن يُـذل أي إنسـان في أي زمـان، وفي أي مكـان، وعلـي أي حـال، واجتمـع أهـل الأرض علـي أن يعـزوه لأزلـه الله عـز وجـل بقدرتـه وحده.

٢) **الحفاظة**: فقط بيد الله ﷻ.. وليس جزء ولا ذرة من الحفاظة في قوة البدن، ولا في الأسـوار العاليـة، لا في الأقفـال الكبـيرة، ولا في الأب ولا في الأم ، ولا في العائلة، ولا في القبيلة، ولا في الجيوش المجيشة.. ولكن الحفاظة فقط بيد الله جل جلاله.

فلو شاء الله، ولو أراد الله أن يحفظ أي إنسان في أي زمان، وفي أي مكان ، وعلي أي حال، واجتمع أهل الأرض علي أن يهلكوه لحفظه الله عز وجل بقدرته وحده، كما حفظ النبي محمد (ﷺ) وصحبه في الغار، وكما حفظ إبراهيم من النمرود وحكومته في النار، وكما حفظ يونس في بطن الحوت، وكما حفظ موسي عليه السلام وقومه في البحر وأغرق فرعون وجنوده، وكما حفظ عيسي عليه السلام من اليهود ورفعه إلي السماء ، وكما حفظ نوح وأتباعه المؤمنين من الطوفان.

ولو شاء الله، ولو أراد الله أن يهلك أي إنسان في أي زمان، وفي أي مكان ، وعلي أي حال، واجتمع أهل الأرض علي أن يحفظوه لأهلكه الله عز وجل بقدرته وحده.

٣) وقضاء جميع الحوائج وحل جميع المشاكل: فقط بيد الله عز وجل وليس جزء ولا ذرة من قضاء الحوائج وحل المشاكل في الأموال، ولا في الدكاكين، ولا في المناصب، ولا في أصحاب المناصب ولا في الأرض، ولكن قضاء الحوائج وحل المشاكل بيد الله عز وجل.

ولو شاء الله، ولو أراد الله أن يقضي حاجة أي إنسان، أو يحل مشكلته، في أي زمان، وفي أي مكان، وعلي أي حال.. واجتمع أهل الأرض علي أن يقفوا أمام قضاء حاجته والعمل علي عدم حل مشكلته، لقضي الله عز وجل حاجته، وحل مشكلته بقدرته وحده.

٤) الرزق الطيب:

بيد الله عز وجل، وليس جزء ولا ذرة من الرزق الطيب في الوظيفة، ولا في الأرض، ولا في البساتين، ولا في المصانع، ولا في المتاجر ولا في الدكاكين، ولكن بيد الله عز وجل.

ولو شاء الله، ولو أراد الله أن يرزق أي إنسان في أي زمان، وفي أي مكان، وعلي أي حال.. واجتمع أهل الأرض علي أن يمنعوا عن هذا الإنسان رزقه لرزقه الله عز وجل بقدرته وحده (اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد)(١).

---

(١) عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا رفع رأسه من الركوع قال : " اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد " . رواه مسلم (مشكاة المصابيح _ كتاب الصلاة _ باب الركوع ٢٧٦/١).

فأنت تجلس في الدكان ولا تتيقن علي أن الرزق من الدكان، ولكن الرزق من عند الله عز وجل، قال تعالى:﴿إِنّ اللّهَ هُوَ الرّزّاقُ ذُو الْقُوّةِ الْمَتِينُ﴾ (١) .

فالفوز والفلاح:

عطاء من الله ﷻ يبدأ في الدنيا ويترقى ويزداد، ولا يأتي عليه النقصان أبد الآباد.

وكل الأغيار والأسباب على غير الإيمان: حلمٌ جميل واستدراج وإمهال، قال تعالى:﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

وكل الأغيار والأسباب مع الإيمان: خدعة وسراب وامتحان، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ* أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (٣).

(١) سورة الذاريات - الآية ٥٨.

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٨٢.

(٣) سورة النور – الآيتان ٣٩ ، ٤٠.

البيان التاسع

مفهوم السعادة

قال تعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى:﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾(٢) .

السعادة في الدنيا والآخرة .. وقضاء جميع الحوائج في الدنيا والآخرة.. وحل جميع المشاكل في الدنيا والآخرة بيد الله جل جلاله .

وحتى نسعد في الدنيا والآخرة، وتُقضي حوائجنا وتُحل مشاكلنا في الدنيا والآخرة، لابد أن يرضي الله عنا رضاءً كاملا، ولا يرضي الله عنا إلا بالدين الكامل، ولا يأتي الدين الكامل في حياتنا إلا بجهد الرسول ﷺ وعلي نهج الرسول صلي الله عليه وسلم.

(١) سورة النحل - الآية ٩٧.

(٢) سورة طه – الآيات من ١٢٣ : ١٢٦.

البيان العاشر

في دعوة الإيمان واليقين

الله تبارك وتعالى جعل جميع الفوز والفلاح بالدين، وليس بالأموال، ولا بالمناصب، ولا بالزراعة، ولا بالصناعة، ولا بالتجارة، ولا بالقوة ! .

فهذه القيم وسائل وأسباب للعيش وليست مقاصده.

أما المقاصد التي نسعى لتحقيقها والعيش لأجلها بتلك الوسائل والأسباب يكون الفوز والنجاح والسعادة والاطمئنان، مثال: الطالب والمذاكرة والنجاح في الاختبار؛ فالمذاكرة ليست مقصودة لذاتها، ولكن لمقصدها وهو النجاح في الاختبار.

فلو كان الفوز والفلاح بالملك لفاز النمرود، ولو كان بالمناصب لفاز فرعون، ولو كان بالمال لفاز قارون، ولو كان بالزراعة لفاز قوم سبأ، ولو كان بالقوة لفاز قوم عاد؛ ولكن الله تبارك وتعالى جعل جميع الفوز والفلاح في طاعة الله، قال تعالى:﴿ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[1].؛ فكل المال والدنيا لا تدفع عذاب يوم واحد من عذاب يوم القيامة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ

(١) سورة الأحزاب– الآية٧١.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]، هذا في الآخرة، وفي الدنيا أخبرنا ربنا جل وعلا بأنه ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[٢].

الله تبارك وتعالى جعل قضاء الحاجات بالدين، وجعل صلاح حياة الإنسان وسعادته بالدين، وجعل صلاح الأرض بالدين﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء﴾[٣] .

الله تبارك وتعالى واحدٌ أحد لم يلد ولم يولد، صمد، له الأسماء الحسنى، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم.

الله تبارك وتعالى عنده العلم المحيط؛ فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو بكل شيء عليم، عنده علم الليالي والأيام، وعلم الزمان والمكان، وعلم النبات والحيوان، وعلم الإنس والجان،﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٤]، يعلم الماضي والحاضر، وما خفي وما ظهر، وما سكن وما تحرك ، ولا تطلق نظرة ولا تسكب عبرة، ولا تخطى خطوة ولا تُهمس همسة، ولا يُخَط حرفا إلا بعلمه سبحانه،﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[٥] ، ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[١].

---

(١) سورة المائدة– الآية٣٦ .

(٢) سورة طه– الآية١٢٤ .

(٣) سورة الأعراف– الآية٩٦ .

(٤) سورة الأنعام – الآية ٥٩.

(٥) سورة غافر– الآية ١٩.

يعلم مثاقيل الجبال، ويعلم مكاييل البحار، وعدد ورق الأشجار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، وعدد ذرات الرمال، وعدد فراغات الأفلاك والمجرات التي ملأها سبحانه بالملائكة السجود، لا تواري منه سماءٌ سماء، ولا أرض أرضا ولا جبل ما في وعره ولا بحر ما في قعره.

لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وأنه لا يغفل ولا ينسى، وأن علوم الخلائق على سعتها وتنوعها إذا نسبت إلى علم الله اضمحلت وتلاشت،كما أن قدرتهم إذا نسبت إلى قدرة الله لم يكن لها نسبة إليها بوجه من الوجوه ، فهو الذي علمهم ما لم يكونوا يعلمون ،وأقدرهم على ما لم يكونوا عليه قادرين .

وكما أن علمه محيط بجميع العالم العلوي والسفلي ، وما فيه من المخلوقات ذواتها ، وأوصافها، وأفعالها، وجميع أمورها، فهو يعلم ما كان وما يكون في المستقبلات التي لا نهاية لها، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

ويعلم أحوال المكلفين منذ أنشأهم وبعد ما يميتهم وبعد ما يحييهم، قد أحاط علمه بأعمالهم كلها خيرها وشرها وجزاء تلك الأعمال وتفاصيل ذلك في دار القرار.

الله يرى ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، سبحانه يدبر ويرزق جميع المخلوقات، ولا يختلط عليه صوت دون صوت يسمع الكل في وقت واحد﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[٢]، يعلم ما كان

---

(١) سورة طه – الآية٧ .

(٢) سورة الشورى– الآية١١ .

وما يكون وما لا يكون وما لم يكن ولو كان كيف يكون، سمعه محيط ، بصره محيط ... عمله محيط.

الله تبارك وتعالى عنده خزائن كل شيء، فخزائنه لا تنفد أبداً﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ ﴾[١]عنده خزائن الأمطار، وخزائن الرياح، وخزائن الشفاء، وخزائن الهداية، وخزائن الغضب، وخزائن الرحمة، وخزائن البراكين، وخزائن الزلازل، وخزائن الجنة، وخزائن النار، وخزائن الأرزاق ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[٢]، فالسماء لا تمطر بل الله يمطرها بقدر معلوم، والأرض لا تنبت بل الله ينبتها بقدر معلوم ، والحرارة ليست من الشمس بل من خزائن الله تعالى ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[٣].

والله هو الملك . بلا شريك . مالك الملك له كامل التصرف المطلق في الأشياء وفي صفاتها فهي لا تضر ولا تنفع إلا بإذنه؛ فهو الذي خلق النار وخلق فيها صفة الإحراق فهي لا تحرق إلا بإذنه وأمره ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٤]، وكذلك السكين تذبح وتقطع فقط بأمره وإذنه لذا لم تذبح إسماعيل

(١) سورة النحل – الآية ٦٩.
(٢) سورة الحجر – الآية ٢١.
(٣) سورة الكهف – الآية١٠٩ .
(٤) سورة الأنبياء– الآية٦٩ .

عليه السلام ،﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[١] ، الماء من صفاتها الإغراق ولكن الله عطّلها ونجا موسى عليه السلام ثم فعّلها وأغرق فرعون .

الله تبارك وتعالى حول عصا موسى عليه السلام من عصا كلها منافع إلى حية كلها مضار حين ألقها بإذن ربها.

فسبحانه وتعالى هو المتصرف الوحيد والمطلق في كل خلقه فلا يسكن متحرك ولا يتحرك ساكن إلا بإذنه.

يفعل ما يشاء بما شاء وكيف يشاء ومتى شاء وأين شاء، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[٢].

فالله هو القادر الذي يأتي بالشمس من المشرق كل يوم كل يوم، وقبل يوم القيامة يأتي بها من المغرب، ويوم القيامة يجعلها على ارتفاع ميل فوق الخلائق بقدرته . فله كمال القدرة ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[٣].

خلق الخلق بغير خلق يُعينه بل هو يعين الخلق، فليس له معين ولا وزير ولا مشير ولا حاجب ولا مدبر ولا معقب لحكمة، قدرته مطلقة ليس لها نهاية بل هو خالق البداية والنهاية، لا ضد له، لا شبيه له، لا مثيل له .

بديع السماوات والأرض (يعني خلقها بغير مثال سابق)، خلق الإنسان من صلصال كالفخار بقدرته، حفظ إبراهيم عليه السلام من نار النمرود بقدرته، وسخر

---

(١) سورة الأنبياء – الآية ٢٣.

(٢) سورة الأنعام – الآية١٨ .

(٣) سورة فاطر– الآية ٤٤.

الريح لسليمان عليه السلام بقدرته، أخرج الماء لموسى عليه السلام من الحجر بقدرته، ومن بين أصابع محمد عليه السلام بقدرته، وهو الذي يصورنا في الأرحام بقدرته، خلق آدم عليه السلام من طين من غير أب ولا أم بقدرته، وخلق حواء من ضلع آدم عليه السلام بقدرته، وخلق عيسى عليه السلام من غير أب بقدرته، وهو الذي وهب زكريا عليه السلام الولد بقدرته، وأخرج ناقة صالح عليه السلام من الحجر بقدرته.

سبحانه..سبحانه (يعني تعالى وتنزه عن كل نقص) يبدأ كل شيء بكلمة، وينهي كل شيء بكلمة، ويرحم بكلمة ويعذب بكلمة.

قضاؤه وقدره، من أحوال يجريها علينا وأوامر أمليت علينا فقط... ما بين الرحمة أو الحكمة؛ فهو لا يظلم﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1]، يا عبادي أني حرمت الظلم على نفسي...) رواه مسلم.

وما خلق شيء للهو واللعب:﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾[2]﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ*وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[3].

عبادته شرف، والذلة له عزة، والافتقار له غنى، فهو قوي لا يضعف، وغنياً مغنياً لا يعدم، وغالب لا يغلب، وحي لا يموت، وقيوم لا ينام، وجبار لا يقهر، ووفي لا يخلف، وعدل لا يحيف، وجواد لا يبخل، وحافظ لا يغيب، ومجيب لا يسام، وقريب لا يغيب ولا يبعد، وصمد لا يحتاج لأحد وكل الخلائق تحتاج إليه،خالق وما سواه مخلوق مالك وما سواه مملوك رازق وما سواه مرزوق ..هذا هو ربنا .. جل جلاله وعظم سلطانه .. تعالى وتقدس سبحانه.

---

(١) سورة فصلت – الآية ٤٦.

(٢) سورة الدخان – الآية ٣٨ .

(٣) سورة الطارق – الآيتان ١٣ ، ١٤ .

البيان الحادي العاشر

في دعوة الإيمان واليقين

نشتغل في الأسباب الظاهرية، ولكن لا نتكل عليها ونتوكل على الله تعالى.

الاشتغال في الأسباب الظاهرية ليس ممنوع ، ولكن الاتكال على الأسباب الظاهرية ممنوع ، فنتجرد عن الأسباب والوسائل بحسب الاتكال، لا بحسب الاشتغال، نشتغل في مشاغلنا الكسبية والبيتية، ونشتغل في الأسباب الظاهرية، فالله عز وجل ما منعنا أن نشتغل في الأسباب الظاهرية .

قال الله ﷻ لنوح عليه السلام : ﴿ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [١] .

وقال لداود عليه السلام : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ [٣] .

وقال تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [٤]١

والرسول ﷺ في غزوة أحد لبس درعين من حديد .

عُلِمَ من ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يمنعنا من الاشتغال بالسبب الظاهري فلو جاء علينا الجوع فعلينا أن نأكل، قال تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ﴾[١].

---

(١) سورة المؤمنون - من الآية ٢٧.

(٢) سورة الأنبياء – الآية ٨٠.

(٣) سورة البقرة - من الآية٢٩ .

(١) سورة لأنفال - من الآية٦٠ .

ونحتاج إلى الزوجة فنتزوج فالله ﷻ يقول لنا ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[٢] .

وإذا رزقنا بالمولود فالله يقول:﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [٣] وقال تعالى ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ [٤] .

من جميع الآيات السابقة عُلِمَ أن الله تعالى ما منعنا من الاشتغال، بالأسباب الظاهرية ولكن الله تعالى منعنا من الاتكال على الأسباب الظاهرية.

وكيف يُعْلَم ذلك ؟ بالامتحان .

قال تعالى:﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾[٥] .

كيف الله ﷻ يمتحن عبده ؟

الله ﷻ يأتي بأوامره ، فالأوامر تصير بمقابلة الأسباب الظاهرية ، فإذا امتثل الإنسان أوامر الله ﷻ وترك السبب الظاهري ، فهذا الإنسان قوى الإيمان ، وإذا ترك أمر الله ﷻ بسبب الاشتغال بالأسباب الظاهرية فهذا الإنسان ضعيف الإيمان .

والإنسان مكلف أن يتحصل سبب ظاهري الذي فيه منافع وأن يتجنب الأسباب الظاهرية التي فيها مشقة، علي سبيل المثال:

---

(١) سورة البقرة - من الآية ٦٠ .
(٢) سورة النساء - من الآية ٣.
(٣) سورة البقرة - من الآية ٢٣٣.
(٤) سورة الطلاق - من الآية ٦.
(٥) سورة العنكبوت – الآية ٢.

١) يتجنب الجوع ويأكل الطعام .

٢) يتجنب البرد ويلبس الثياب ليتحصل على الدفء.

٣) يتجنب الظلمة ويضيء المصباح ليتحصل على النور .

سيدنا موسى عليه السلام كان عنده سبب ظاهري " العصا " .. والله تعالى قال له: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ (١).

فأجاب موسى عليه السلام ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾(٢) .

فالعصا سبب ظاهري لتربية الغنم وصاحب الغنم ، فجاءت المقابلة ، أمر الله أمام سبب ظاهري . قال ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴾(٣) .

لو يمتثل أمر الله عز وجل يترك سبب نافع ، ولو يشتغل في السبب النافع يترك أمر الله عز وجل .

الآن صار مقابلة أمر الله عز وجل وبين سبب ظاهري الذي فيه منافع ، فسيدنا موسى عليه السلام كان فى قلبه أن النافع والضار هو الله عز وجل ، والمعز والمذل هو الله عز وجل ، وأن النجاح والخسارة من الله عز وجل ، وأن هذه الأشياء المادية لا تنفعنا ولا تضرنا إلا بمشيئة الله تعالى .

فجميع الأشياء المادية مثالها مثال (العصا) فالعصا لا تنفع ولا تضر إلا بمشيئة صاحب العصا ، فعندما تكون العصا على الأرض لا تنفع ولا تضر ، ولكن

---

(١) سورة طه – الآية ١٧.

(٢) سورة طه – الآية ١٨

٣) سورة طه – الآية ١٩.

صاحب العصا أخذ العصا وضرب الشجر وأخذ الثمر وأعطانا الثمر فنحن نشكر صاحب العصا ولا نشكر العصا .

ولو أن صاحب العصا غضب علينا، فأخذ العصا ثم ضربنا فنحن لا نعتب على العصا ونقول لماذا تضربيني يا عصا بل نعتب على صاحب العصا.

فالملك والمال والتجارة والدكاكين والمزارع والبساتين.. الخ فكل هذا مثل العصا ، والله ﷻ هو الذي يستعمل العصا .

فبعوضة واحدة عرجاء تكفي لإهلاك النمرود، وذلك بعد إرادة الله تعالى .

سيدنا موسى عليه السلام ما خاف عندما ترك العصا، ولكن الامتحان الصعب عندما ألقاها تحولت حية، فهرب موسى عليه السلام :﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ (١)، وقال تعالى:﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (٢).

فجاء الأمر من الله:﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾(٢).

فلما جاء أمر الله مقابلة ترك سبب نافع، فترك السبب النافع وامتثل أمر الله.

ولما جاء أمر الله مقابلة أخذ سبب ضار فتحمل المشقة وأخذ السبب الضار.

فكذلك الله ﷻ يعطينا الأمر :

﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون ﴾(٣) .

---

(١) سورة طه - الآية ٢٠.

(٢) سورة القصص – من الآية ٣١ .

(٢) سورة طه – الآية ٢١.

(٣) سورة التوبة – الآية ٤١.

أنتم أنفقوا أموالكم مثل ترك العصا ، ثم تحملوا مشقة أنفسكم مثل أخذ الحية ، فإذا فعلتم ذلك فالله ﷻ يفعل معكم مثل ما فعل مع موسى عليه السلام ، فموسى عليه السلام لما كان يلقى عصاه بإرادته فما كانت قوة العصا إلا لتربية الغنم وصاحب الغنم ، ولما ألقاها بأمر الله ﷻ صارت هذه العصا سبباً لتربية الغنم وصاحب الغنم وتربية اثنا عشر أسباطاً ، قال تعالى ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(١).

ولما أتبعه فرعون بجنوده ، قال تعالى ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾(٢).

ماذا كان رد موسى عليه السلام ..؟ ﴿ قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٣).

ماذا كانت النتيجة ؟

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ (٤).

فأصبحت العصا سبباً لحفاظة موسى عليه السلام وقومه ، وصارت هذه العصا سبباً لإحياء الدين .

---

(١) سورة البقرة - من الآية ٦٠ ..

(٢) سورة الشعراء- الآيتان ٦٠، ٦١.

(٣) سورة الشعراء – الآية ٦٢.

(٤) سورة الشعراء – الآيات ٦٣ : ٦٥.

قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾(١) قيل: كانوا حوالي ستون ألفاً وآمنت زوجة فرعون .

فعندما نترك أموالنا النافعة مثل ترك العصا بسبب أمر الله ﷻ ونتحمل مشقة أنفسنا مثل أخذ العصا، فكما وعد الله ﷻ موسى: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾(٢) .

فالله ﷻ يوعدنا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)(٤).

(١) سورة الشعراء - الآيات ٤٥ : ٤٨.

(٢) سورة طه – الآية ٢١.

(٣) سورة الصف – الآيات ١٠ : ١٣.

(٤) من كتاب الشيخ محمد عمر البالمبورى وبيان منهج النبوة في التبليغ والدعوة للمؤلف.

البيان الثاني عشر

في دعوة الإيمان واليقين

إلى آخر نفس في الحياة نطبق أوامر الله وسنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وهذا لا يتحقق إلا بعد الجهد والتضحية.

وما هو اليقين على هذه الكلمة ؟

نتيقن أنه لا نافع ولا ضار إلا الله، لا معز ولا مذل إلا الله، النفع والضر بيد الله وحده، وليست بهذه الأشياء والوسائل المنتشرة في الأرض، من أراد الله له الفلاح يفلحه في الفقر والمرض، ومن أراد أن يذله، يذله في أسبابه وقصره وماله مثلما حدث لقارون.

اللهُ سُبحَانَهُ وتعالى خلق الكون الذي نراه حولنا من السموات وما فيها، من شمس وقمر ونجوم، والأرض وما فيها، من جبال وبحار وثمار، وخلق الجنة والنار، وخلق ما علمناه وأخبرنا عنه، وما لم نعلمه وقد غاب عنا، والله خلق كل هذا بقدرته سبحانه، وخلق الإنسان.

الله تَعَالَى قادر، خلق السماوات والأرض، وما نرى وما لا نرى، بأمره كن فيكون، لا يحتاج إلى النظام ولا الترتيب، الإنسان لا يستطيع أن يقول كوني سيارة، بل يحتاج إلى ترتيب، ولكن الله تَعَالَى لا يحتاج إلى شيء ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون ﴾[1]، فالله خلق بعض الأشياء تدريجيا هذه سنته، كما خلق الإنسان في بطن أمه تدريجيا، وكما خلق الإنسان أولا نطفة ثم كان علقة ،

(١) سورة يس – الآيات ٨٢.

فمضغة، خلق الإنسان في ظلمات ثلاث، وفى هذا المكان الضيق الله أعطاه جميع الجوارح التي بها يكمل الإنسان، وما أعطاه الإنسان في بطن أمه ، لأنه لو أعطاه الأسنان عند الرضاعة يقطع ثدي أمه، والله تَعَالَى ما نسى أي إنسان من الجوارح ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[١].

يوميا عشرات الملايين من البشر يولدون، وكذلك في وقت واحد هو ينبت الزرع ويخلق الحيوانات والإنس والجن ، وفى وقت واحد يرزق كل واحد منهم ، فالإنسان ما يستطيع أن يفعل شيئين في وقت واحد) .

فهنا ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٢]،أي لا معبود بحق إلا أنت ولا مستعان به سواك.

والإقرار بالشهادتين هو عهد مع الله، فإنه لا يعبد إلا الله، ولا يستعين إلا به.

الله تَعَالَى له نظام: أنه من كان في قلبه الإيمان بالله تَعَالَى وأعماله على طريق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ هذا يفلح وينجح، نحن عاهدنا الله تَعَالَى ألا نعبد إلا إياه ولا نطيع إلا نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

ولا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ معناها: لا معبود بحق إلا الله ، إذا أراد العزة لإنسان لا يستطيع أى مخلوق أن يذل هذا الإنسان.

إذاً نحن نقوم بالأعمال في المسجد، ونتذاكر في قصة فرعون وقارون وهامان فنعرف ماذا فعل الله لكل من تجبر وتكبر ورفض نداء الأنبياء .

---

(١) سورة مريم– الآية ٦٤.

(٢) سورة الفاتحة – الآية ٥.

فالإيمان بذات الله ألا نعتمد على غير الله، ولا رجاء بغير الله، ولا استعانة بغير الله، ولا نعبد إلا الله، ولا نسجد إلا لله، بعد ذلك تأتينا نصرة الله.

ونعلم أن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ركزوا جهدهم على تعليم الأمة الإيمان، وأخذوا أضعاف وقت تعليمهم الأعمال.

لما قام رسول الله ﷺ بدعوة النَّاس إلى الله ، نفى كل ما سوى الله فى قلوبهم .

فما هو الإيمان ؟ هو لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وهذا نفى وإثبات.

سيدنا إبراهيم كان عنده توحيد كامل، وأبوه كان وزيرا، ودعاه إلى التوحيد وكسرا الأصنام ودعا النمرود، ومع هذا دعا الدعاء، وكان خائفا فقال:﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾[١]، هذا موحد كبير ويطلب من الله أن يثبته على هذا التوحيد، فهكذا نحن نتضرع إلى الله تَعَالَى ، وندعوه حتى يثبتنا.

الإنسان يقول لفظ الإيمان ولكن القلب ليس فيه حقيقة الإيمان ، في زماننا على اللسان كلام التوحيد ، ولكن توحيد القلوب ضعيف جدا لأنه يعتمد على غير الله ، والذي يكون في قلبه الإيمان والتوحيد لا يكون على لسانه فقط بل في قلوبهم ، وهذا لا يكون إلا بالدعوة والتضحية ، فيصبح الإنسان لا يخاف من جميع القوات الهدامة ، جميع القوات أمام قدرة الله كنسيج العنكبوت ومثل جناح بعوضة قَالَ تَعَالَى:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾[٢].

---

(١) سورة إبراهيم– الآية ٣٥.

(٢) سورة العنكبوت – الآية ٤١.

وإذا أخرجنا من قلوبنا الخوف من غير الله والرجاء من غير الله، بعد ذلك تأتينا نصرة الله، الله يقول: ﴿ الم . أَحَسِبَ النَّاس أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمِنَ اللهِ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (١)،

تقول إنك موحد، يجب أن تخجل، فقط توحيد باللسان لا يكفى، لابد أن يرسخ في قلوبنا.. والمؤمن الذي يؤمن بالله تَعَالَى ، وأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مرسل مِنَ اللهِ تَعَالَى ، والذي ما آمن بالله تَعَالَى فهو كافر (٢).

(١) سورة العنكبوت– الآيات من ١ :٣.

٢) من كلام الشيخ محمد عمر البالمبوري.

البيان الثالث عشر

في دعوة الإيمان واليقين

قاضي الحاجات هو الله تَعَالَى ، ولا بد للإنسان أن يقضي حاجاته حسب أوامر الله وعلى طريق الرسول ﷺ، فالمطلوب من كل واحد ألا يدعو النَّاس إلى طريق قومه وعشيرته، بل يدعو النَّاس إلى طريق الرسول ﷺ في أي بلد كان، مثل سيدنا صهيب رضي الله عنه، وسيدنا سلمان الفارسي رضي اللهُ عَنْهُ، وسيدنا بلال رضي اللهُ عَنْهُ، هم من بلاد مختلفة، ولكن اجتمعوا على طريق واحد هو طريق النبي ﷺ وهو طريق منزه عن العيوب.

الحمد لله الذي منَّ علينا بهذه الدعوة لندعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ونرجع إليها، الحمد لله الذي أخرج هذا العمل لنا لتوحيد الإلوهية والربوبية وأسماء الله وصفاته، الله عز وجل علم نبيه أن يركز على الإيمان، والنبي ﷺ علم الصحابة رضي اللهُ عَنهُم الإيمان واليقين الصحيح وبه تتميز الأشياء، التوحيد عن الشرك، إذن نصرف أنفسنا لله ولا نتوجه لغير الله .

فقد ركز النبي ﷺ على هذا اليقين والتوحيد الخالص ، حتى أن الله أراد ربط الإنسان بالتوحيد عن طريق الصلاة، فعند الدخول في الصلاة التكبير، وهكذا عند الركوع ، كل هذا لتوحيد الإلوهية، وإذا أتى توحيد الإلوهية يأتي توحيد الربوبية ، وكل جهد مثل الحلقات وغيرها هو لهذا اليقين .

ولذا الدعوة إلى أي شيء ؟

إلى الله وحده لا شريك له، وأن نعبد الله وحده، ولذا لو تقابل أهل الشرك الحقيقي مع أهل الشرك المجازى فيغلب أهل الشرك الحقيقي، ومعنى الشرك الحقيقي هو عبادة الأصنام، والمجازى هو الاعتماد على غير الله، وهذا لا يخرج من كلية الإيمان، ولكن يعذب صاحبه بقدر ما أشرك مع الله .

ولذا فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ اجتهد على النَّاس للإيمان، فبدأ بالدعوة إلى (لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللهِ) ، الإيمان بالله كما هو بأسمائه وصفاته، فعلم الصحابة رضي اللهُ عَنهُم الإيمان فعرفوا كبرياء الله وقدرته وخزائنه، وأنه هو السميع يسمع كل النَّاس لو دعوا الله في وقت واحد، هو يسمع كلامهم ودعائهم، والله بصير يرى النملة السوداء في الليلة لظلماء على الصخرة الصماء، وهو عليم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، الله قدرته عظيمة، قطرتان من الماء يخلق الإنسان، ونواة صغيرة يخلق نخلة كبيرة .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، مؤاخاة بقطع حبال الجاهلية القائمة على التعصب القبلي، أصبح لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللهِ ، فمن قال الشهادة فله عند الله المقام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [1] فهذه هي حقيقة الإيمان، (آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) فلا يكون شك في أمر الله ورسوله ﷺ مع صدقنا

(١) سورة الحجرات _ الآية ١٥.

فى أقوالنا وأعمالنا ، فهكذا بعد الإيمان لا ريبة (ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) بعد ذلك (وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه) فكل الأمة تكون في المجاهدة ، هنا الله تَعَالَى يوفى لنا موعوداته، وذلك حينما يكون عندنا حقيقة الإيمان

ومتى تكون حقيقة الإيمان ؟

يقول تعالى:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (١) فهنا إما فى أعمال الخروج والهجرة، أو أعمال النصرة، أو الشغل فى المقام.

إذا انتقل العبد من الدنيا مع الإيمان، فكرم الله تَعَالَى أن يدخله الجنة بسبب كلمة التوحيد والعمل بها، لأن في هذه الكلمة قوة عظيمة تمنعه من النار، فعَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيتُ عِتْبَانَ فَقُلْتُ حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ قَالَ أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى قَالَ فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَسْنَدُوا عُظْمَ ذَلِكَ وَكُبْرَهُ إِلَى مَالِكِ بْنِ دُخْشُمٍ قَالُوا وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ وَوَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ وَقَالَ:" أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ " قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ: لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(١) سورة الأنفال _ الآية ٧٤.

وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَيَدْخُلَ النَّارَ أَوْ تَطْعَمَهُ " قَالَ أَنَسٌ فَأَعْجَبَنِي هَذَا الْحَدِيثُ فَقُلْتُ لِابْنِي اكْتُبْهُ فَكَتَبَهُ (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِه " (٢).

س: ما معنى اليقين الصحيح ؟

ج: اليقين الصحيح هو:

١ــ أن يكون يقينه على الله، لا يكون يقينه على الأشياء فبهذا يكون إيمانه قويا.

٢ – أن تكون عاطفته صحيحة (إرضاء الله) .

٣ ــ أن يعمل هذا العمل بالشوق، يعنى أن يتيقن على وعد الله ووعد رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، لأن الله وعد على الأعمال .

٤ – أن يعمل العمل بالإحسان .

٥ ــ أن يعمل العمل بمجاهدة النفس.

---

(١) صحيح مسلم _ كتاب الإيمان _ باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا.

(٢) صحيح البخاري _ كتاب الإيمان _ باب صفة الجنة والنار وقال أبو سعيد قال النبي صلى الله عليه وسلم أول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد حوت { عدن } خلد عدنت بأرض أقمت ومنه المعدن { في مقعد صدق } في منبت صدق رقم الحديث (٦٢٠١).

هناك مراحل بعد الموت، وفى البرزخ يسأل عن ثلاثة أسئلة: من ربك؟ وما دينك ؟ وماذا تقول في الرجل الذي بعث فيكم ؟

وإذا مات العبد تأتى الملائكة في قبره، ويسألونه فإذا أجاب فتحوا له طاقة من الجنة، ويوقظونه مرتين في اليوم في الصباح وفى المساء، ليرى مقعده من الجنة، فيقول رب أقم الساعة.

ولذلك كان من تمام الاعتقاد أن تعلم من ربك ؟ ما أمرك به ونهاك عنه ؟.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ "**رواه** الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:" يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ " فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ

يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.

الرسول ابتعثه الله عز وجل وأمره أن يدعوهم إلى الله تَعَالَى، فقام النبي ﷺبالدعوة، فمن أقر بلسانه ودخل الإسلام، الرسول ﷺ قام واهتم بتعليمه الإيمان، فرباه على الصفات الإيمانية وعلمهم الأخلاق، ومن يقر بالشهادتين يخرج الإنسان اليقين بكل ما سوى الله تَعَالَى، وبإقرار الشهادتين هو عهد مع الله تَعَالَى، فإنه لا يعبد إلا الله تَعَالَى، ولا يستعين إلا به، ولا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، الفاعل الحقيقي والمدبر الحقيقي هو الله تَعَالَى، فهو يقين بأسماء الله تَعَالَى وصفاته، وله نصرته الغيبية، فلما قام رسول الله بدعوة النَّاس إلى الله، نفى كل ما سوى الله فى قلوبهم، وكان ذلك غريبا عليهم فحكى الله ذلك عنهم حيث قالوا متعجبين:﴿أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (١) وأخبرهم أن الحياة وقتية عرضية زائلة فقال : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (٢).

(١) سورة ص _ الآية ٥.

(٢) سورة العنكبوت _ الآية ٦٤.

البيان الرابع عشر

في دعوة الإيمان واليقين

إن جميع الفوز والفلاح فقط بيد الله تبارك وتعالى، والله عنده خزائن كل شيء، والله خالق الأشياء والأحوال، يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج إلى أحد من خلقه، وهو الصمد، والله سبحانه وتعالى جعل فوزنا وفلاحنا في الدنيا والآخرة فقط بالإيمان والأعمال الصالحة، وما جعل الفوز والفلاح في أي شيء آخر من أشياء الدنيا.

فلو أن الله جعل الفوز في الأكثرية لفاز قوم نوح:

فقد اتبعه عدد قليل مع طول عمره وطول دعوته، فقد قيل: أن الذين آمنوا به حوالي أربعة وثمانون من بين رجل وامرأة، ولكن كان الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة، ومن عصوه مع كثرتهم كانوا في الخيبة والخسران في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بنار الجحيم ، قال تعالي:﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [١].وقال تعالى:﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٢]. وقال تعالى:﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٣]. فما أكثر ما ذم الله عز وجل الكثرة في كتابه، ومدح القلة فقال :﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[٤].

---

(١) سورة الأنعام _ الآية ١١٦.

(٢) سورة يوسف _ الآية ١٠٣.

(٣) سورة الفرقان _ الآية ٤٤.

(٤) سورة سبأ _ الآية ١٣.

ولو أن الله جعل الفوز في الملك لفاز فرعون والنمرود بن كنعان:

فأما الأول: عدو الله النمرود:

فكان يملك الدنيا كلها وهو أول جبار في الأرض، وكان أحد ملوك الدنيا الأربعة الذين ذكروا في القرآن وهو من الملوك الكافرين، وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية ، واستمر في ملكه أربعمائة سنة وكان قد طغا وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حمله الجهل والضلال وطول الآمال، على إنكار الصانع، فحاجَّ إبراهيم الخليل في ذلك، وادّعى لنفسه الربوبية، وعندما فشل نمرود في محاجته، أمر بحرق إبراهيم بالنار والتي تحولت على إبراهيم بردا وسلام.

وعن موته، ذكر ابن كثير وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار ملكا يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه ثم دعاه الثانية فأبى ثم الثالثة فأبى وقال: اجمع جموعك وأجمع جموعي.

فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، وأرسل الله عليهم بابا من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظاما بادية، ودخلت واحدة منها في منخري الملك فمكثت في منخريه أربعمائة سنة، عذبه الله بها فكان يضرب رأسه بالمرازب في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله بها (١) .

وقيل: كانت البعوضة لا تهدأ في رأسه إلا إذا ضربه الخدم علي رأسه بالنعال، ويستريح قليلاً ثم تعود البعوضة للطنين فيعود ضرب الأحذية على رأسه.. فكتب الله له الذل والخيبة والخسران في الدنيا والآخرة.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، تفسير البغوي، فتح القدير للشوكاني.

والثاني: عدو الله فرعون:

قال تعالي: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ* وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١).

وتبجح وادعي لنفسه الربوبية، حيث قال: [أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ]، ثم ازداد تبجحه حيثُ ادعي الإلوهية ، فقال: [مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي] ، واستعبد بني إسرائيل وقتل أبناءهم، [يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ] واستعلي علي موسى (عليه السلام)، فقال: ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (٢).

فلما تبين عناده واشتد كفره دعا موسى ربه:﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هؤلاء قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ واترك البحر رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ (٣).

---

(١) سورة القصص _ الآيات من ٤ : ٦.

(٢) سورة الزخرف _ الآيتان ٥١ ، ٥٢.

(٣) سورة الدخان _ الآيات من ٢٢: ٢٤.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ (١).

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ *وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾(٢).

فأجري الله الأنهار من فوقه، وجعله عبرة لمن أراد أن يعتبر.

ولو أن الله جعل الفوز في المال لفاز قارون:

ولكن قارون ما امتثل أوامر الله تعالى:﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ

(١) سورة طه _ الآيتان ٧٧.

(٢) سورة الشعراء _ الآيتان ٥٢ ، ٦٦.

وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١).

قد ذُكر أن هلاك قارون كان عن دعوة نبي الله موسى عليه السلام واختلف في سببه، فعن ابن عباس والسدي: أن قارون أعطى امرأة بَغِيًّا مالا على أن تبهت موسى بحضرة الملأ من بني إسرائيل، وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله، فتقول: يا موسى، إنك فعلت بي كذا وكذا.

فلما قالت في الملأ ذلك لموسى عليه السلام، أرْعِدَ من الفَرَق، وأقبل عليها وصلى ركعتين ثم قال: أنشدك بالله الذي فَرَق البحر، وأنجاكم من فرعون، وفعل كذا و[فعل] كذا، لما أخبرتني بالذي حملك على ما قلت؟ فقالت:أما إذ نَشَدْتَني فإن قارون أعطاني كذا وكذا، على أن أقول لك، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه.

فعند ذلك خَرّ موسى لله عز وجل ساجدًا، وسأل الله في قارون.

فأوحى الله إليه أني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه، فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره فكان ذلك.

وقيل:إن قارون لما خرج على قومه في زينته تلك، وهو راكب على البغال الشّهب، وعليه وعلى خدمه الثياب الأرجوان الصّبغة، فمر في جَحْفَله ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام، وهو يذكرهم بأيام الله.

فلما رأى الناس قارون انصرفت وجوه الناس حوله، ينظرون إلى ما هو فيه.

فدعاه موسى عليه السلام، وقال:ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا موسى، أما لئن كنت فُضِّلتَ عَلَيَّ بالنبوة، فلقد فضلت عليك بالدنيا، ولئن شئت لتخرجن،

---

(١) سورة القصص _ الآيتان ٧٦ ، ٧٧.

فلتدعون عليّ وأدعو عليك. فخرج وخرج قارون في قومه، فقال موسى: تدعو أو أدعو أنا؟ قال: بل أنا أدعو. فدعا قارون فلم يجب له، ثم قال موسى: أدعو؟ قال:نعم. فقال موسى: اللهم، مُر الأرض أن تطيعني اليوم. فأوحى الله إليه أني قد فعلت، فقال موسى: يا أرض، خذيهم. فأخذتهم إلى أقدامهم. ثم قال: خذيهم. فأخذتهم إلى ركبهم، ثم إلى مناكبهم. ثم قال: أقبلي بكنوزهم وأموالهم. قال: فأقبلت بها حتى نظروا إليها. ثم أشار موسى بيده فقال: اذهبوا بني لاوي فاستوت بهم الأرض، قال تعالى:﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (١)، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة.

ولو أن الله جعل الفوز والفلاح في القوة لفازت عاد قوم{ هود عليه السلام }:

حيث أن الله عز وجل أعطاهم القوة، فانشغلوا في دنياهم، واستخدموا هذه القوة في البناء واتخاذ المصانع والبطش، فنبي الله{ هود عليه السلام }أخذ يذكره بالله وبنعمه عليهم، كما قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاء

(١) سورة القصص _ الآية٨١.

عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ* فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١) .

ولكنهم لم يمتثلوا أمر الله جل جلاله، قال تعالى:﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾(٢)، اِغْتَرُّوا بِأَجْسَامِهِمْ حِين تَهَدَّدَهُمْ بِالْعَذَابِ، وَقَالُوا نَحْنُ نَقْدِر عَلَى دَفْع الْعَذَاب عَنْ أَنْفُسنَا بِفَضْلِ قُوَّتنَا .

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا ذَوِي أَجْسَام طِوَال وَخَلْق عَظِيم .

وَقَدْ مَضَى فِي " سورة الْأَعْرَاف " عَنْ اِبْن عَبَّاس: أَنَّ أَطْوَلهمْ كَانَ مِائَة ذِرَاع وَأَقْصَرهمْ كَانَ سِتِّينَ ذِرَاعًا.

قَالَ اللَّه تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ : { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدّ مِنْهُمْ قُوَّة } وَقُدْرَة ، وَإِنَّمَا يَقْدِر الْعَبْد بِإِقْدَارِ اللَّه ؛ فَاَللَّه أَقْدَر إِذًا (٣).

قَالَ تَعَالَى: { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا }قَالَ بَعْضهمْ وَهِيَ الشَّدِيدَة الْهُبُوب وَقِيلَ الْبَارِدَة وَقِيلَ هِيَ الَّتِي لَهَا صَوْت وَالْحَقّ أَنَّهَا مُتَّصِفَة بِجَمِيعِ ذَلِكَ فَإِنَّهَا

(١) سورة الشعراء _ الآيات من ١٢٣ : ١٤٠.

(٢) سورة فصلت _ الآيتان ١٥ ، ١٦.

(٣) تفسير القرطبي.

كَانَتْ رِيحًا شَدِيدَة قَوِيَّة لِتَكُونَ عُقُوبَتهمْ مِنْ جِنْس مَا اِغْتَرُّوا بِهِ مِنْ قُوَاهُمْ وَكَانَتْ بَارِدَة شَدِيدَة الْبَرْد جِدًّا كَقَوْلِهِ تَعَالَى :{بِرِيحٍ صَرْصَر عَاتِيَة}أَيْ بَارِدَة شَدِيدَة وَكَانَتْ ذَات صَوْت مُزْعِج وَمِنْهُ سُمِّيَ النَّهَر الْمَشْهُور بِبِلَادِ الْمَشْرِق صَرْصَرًا لِقُوَّةِ صَوْت جَرْيه . وَقَوْله تَعَالَى: { فِي أَيَّام نَحِسَات}أَيْ مُتَتَابِعَات { سَبْع لَيَالٍ وَثَمَانِيَة أَيَّام حُسُومًا } وَكَقَوْلِهِ : { فِي يَوْم نَحْس مُسْتَمِرّ}أَيْ اُبْتُدِئُوا بِهَذَا الْعَذَاب فِي يَوْم نَحْس عَلَيْهِمْ وَاسْتَمَرَّ بِهِمْ هَذَا النَّحْس :{ سَبْع لَيَالٍ وَثَمَانِيَة أَيَّام حُسُومًا}حَتَّى أَبَادَهُمْ عَنْ آخِرهمْ وَاتَّصَلَ بِهِمْ خِزْي الدُّنْيَا بِعَذَابِ الْآخِرَة وَلِهَذَا قَالَ : { لِنُذِيقَهُمْ عَذَاب الْخِزْي فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا وَلَعَذَاب الْآخِرَة أَخْزَى}أَيْ أَشَدّ خِزْيًا لَهُمْ { وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ }أَيْ فِي الْأُخْرَى كَمَا لَمْ يُنْصَرُوا فِي الدُّنْيَا وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّه مِنْ وَاقٍ يَقِيهِمْ الْعَذَاب وَيَدْرَأ عَنْهُمْ النَّكَال (١).

قال تعالى:﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾(٢)

ولو أن الفوز والفلاح في الزراعة وفن العمارة والتشييد لفازت ثمود قوم { سيدنا صالح عليه السلام }: لما وجد { سيدنا صالح عليه السلام } قومه في مزارعهم وحدائقهم مطمئنين آمنين فرحين، قال لهم كما قال تعالى:﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) سورة الحاقة _ الآيات من ٦ : ٨.

وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾(١).

ولو أن الفوز والفلاح في الزراعة كذلك لفازت قوم سبأ:

فقد أرسل الله الأنبياء إلي قوم سبأ ليدعوهم إلي توحيد الله وشكر نعمته، قال تعالي:﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا

(١) سورة الشعراء _الآيات من ١٤١ : ١٥٩.

فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾[1] .

كَانَتْ سَبَأ مُلُوك الْيَمَن وَأَهْلهَا وَكَانَتْ التَّبَابِعَة مِنْهُمْ وَبَلْقِيس صَاحِبَة سُلَيْمَان عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام مِنْ جُمْلَتهمْ وَكَانُوا فِي نِعْمَة وَغِبْطَة فِي بِلَادهمْ وَعَيْشهمْ وَاتِّسَاع أَرْزَاقهمْ وَزُرُوعهمْ وَثِمَارهمْ وَبَعَثَ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِمْ الرُّسُل تَأْمُرهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ رِزْقه وَيَشْكُرُوهُ بِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَته فَكَانُوا كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّه تَعَالَى ثُمَّ أَعْرَضُوا عَمَّا أُمِرُوا بِهِ فَعُوقِبُوا بِإِرْسَالِ السَّيْل وَالتَّفَرُّق فِي الْبِلَاد .

وَكَانَ مِنْ أَمْر السَّدّ أَنَّهُ كَانَ الْمَاء يَأْتِيهِمْ مِنْ بَيْن جَبَلَيْنِ وَتَجْتَمِع إِلَيْهِ أَيْضًا سُيُول أَمْطَارهمْ وَأَوْدِيَتهمْ فَعَمَد مُلُوكهمْ الْأَقَادِم فَبَنَوْا بَيْنهمَا سَدًّا عَظِيمًا مُحْكَمًا حَتَّى اِرْتَفَعَ الْمَاء وَحَكَمَ عَلَى حَافَّات ذَيْنك الْجَبَلَيْنِ فَغَرَسُوا الْأَشْجَار وَاسْتَغَلُّوا الثِّمَار فِي غَايَة مَا يَكُون مِنْ الْكَثْرَة ، حيثُ أَنَّ الْمَرْأَة كَانَتْ تَمْشِي تَحْت الْأَشْجَار وَعَلَى رَأْسهَا مِكْتَل أَوْ زِنْبِيل وَهُوَ الَّذِي تُخْتَرَف فِيهِ الثِّمَار فَيَتَسَاقَط مِنْ الْأَشْجَار فِي ذَلِكَ مَا يَمْلَؤُهُ مِنْ غَيْر أَنْ يَحْتَاج إِلَى كُلْفَة وَلَا قِطَاف لِكَثْرَتِهِ وَنُضْجه وَاسْتِوَائِهِ.

وَكَانَ هَذَا السَّدّ بِمَأْرِبِ بَلْدَة بَيْنهَا وَبَيْن صَنْعَاء ثَلَاث مَرَاحِل وَيُعْرَف بِسَدِّ مَأْرِب.

وَلَمْ يَكُنْ بِبَلَدِهِمْ شَيْء مِنْ الذُّبَاب وَلَا الْبَعُوض وَلَا الْبَرَاغِيث وَلَا شَيْء مِنْ الْهَوَامّ وَذَلِكَ لِاعْتِدَالِ الْهَوَاء وَصِحَّة الْمِزَاج وَعِنَايَة اللَّه بِهِمْ لِيُوَحِّدُوهُ وَيَعْبُدُوهُ كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى " : لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنهمْ آيَة " ثُمَّ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: " جَنَّتَانِ عَنْ يَمِين وَشِمَال " أَيْ مِنْ نَاحِيَتَيْ الْجَبَلَيْنِ وَالْبَلْدَة بَيْن ذَلِكَ " كُلُوا مِنْ رِزْق

(١) سورة سبأ _ الآيات من ١٥ : ٢١ .

رَبّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَة طَيِّبَة وَرَبّ غَفُور " أَيْ غَفُور لَكُمْ إِنْ اِسْتَمْرَرْتُمْ عَلَى التَّوْحِيد.

فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ

وَقَوْله تَعَالَى " فَأَعْرَضُوا " أَيْ عَنْ تَوْحِيد اللَّه وَعِبَادَته وَشُكْره عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَعَدَلُوا إِلَى عِبَادَة الشَّمْس مِنْ دُون اللَّه.

قيل: بَعَثَ اللَّه تَعَالَى إِلَيْهِمْ ثَلَاثَة عَشَر نَبِيًّا، وقيل: أَرْسَلَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ اِثْنَيْ عَشَر أَلْف نَبِيّ وَاَللَّه أَعْلَم وَقَوْله تَعَالَى " : فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْل الْعَرِمِ " الْمُرَاد بِالْعَرِمِ الْمِيَاه وَقِيلَ الْوَادِي وَقِيلَ الْجُرَذ وَقِيلَ الْمَاء الْغَزِير.

وَذَكَرَ غَيْر وَاحِد مِنْهُمْ اِبْن عَبَّاس وَوَهْب بْن مُنَبِّه وَقَتَادَة وَالضَّحَّاك أَنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَرَادَ عُقُوبَتهمْ بِإِرْسَالِ الْعَرِمِ عَلَيْهِمْ بَعَثَ عَلَى السَّدّ دَابَّة مِنْ الْأَرْض يُقَال لَهَا الْجُرَذ نَقَبَتْهُ قَالَ وَهْب بْن مُنَبِّه وَقَدْ كَانُوا يَجِدُونَ فِي كُتُبهمْ أَنَّ سَبَب خَرَاب هَذَا السَّدّ هُوَ الْجُرَذ فَكَانُوا يَرْصُدُونَ عِنْده السَّنَانِير بُرْهَة مِنْ الزَّمَان فَلَمَّا جَاءَ الْقَدَر غَلَبَتْ الْفَأْر السَّنَانِير وَوَلَجَتْ إِلَى السَّدّ فَنَقَبَتْهُ فَانْهَارَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ قَتَادَة وَغَيْره الْجُرَذ هُوَ الْخُلْد نَقَبَتْ أَسَافِله حَتَّى إِذَا ضَعُفَ وَوَهِيَ وَجَاءَتْ أَيَّام السُّيُول صَدَمَ الْمَاء الْبِنَاء فَسَقَطَ فَانْسَابَ الْمَاء فِي أَسْفَل الْوَادِي وَخَرِبَ مَا بَيْن يَدَيْهِ مِنْ الْأَبْنِيَة وَالْأَشْجَار وَغَيْر ذَلِكَ وَنَضَبَ الْمَاء عَنْ الْأَشْجَار الَّتِي فِي الْجَبَلَيْنِ عَنْ يَمِين وَشِمَال فَيَبِسَتْ وَتَحَطَّمَتْ وَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْأَشْجَار الْمُثْمِرَة الْأَفِيقَة النَّضِرَة كَمَا قَالَ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى " وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُل خَمْط " قَالَ اِبْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَعِكْرِمَة

وَعَطَاء الْخُرَاسَانِيّ وَالْحَسَن وَقَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَهُوَ الْأَرَاك وَأَكْلَة الْبَرْبَر " وَأَثْل " قَالَ الْعَوْفِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس هُوَ الطَّرْفَاء وَقَالَ غَيْره هُوَ شَجَر يُشْبِه الطَّرْفَاء وَقِيلَ هُوَ السَّمَر وَاَللَّه أَعْلَم وَقَوْله " وَشَيْء مِنْ سِدْر قَلِيل " لَمَّا كَانَ أَجْوَد هَذِهِ الْأَشْجَار الْمُبَدَّل بِهَا هُوَ السِّدْر قَالَ " وَشَيْء مِنْ سِدْر قَلِيل " فَهَذَا الَّذِي صَارَ أَمْر تَيْنِك الْجَنَّتَيْنِ إِلَيْهِ بَعْد الثِّمَار النَّضِيجَة وَالْمَنَاظِر الْحَسَنَة وَالظِّلَال الْعَمِيقَة وَالْأَنْهَار الْجَارِيَة تَبَدَّلَتْ إِلَى شَجَر الْأَرَاك وَالطَّرْفَاء وَالسِّدْر ذِي الشَّوْك الْكَثِير وَالثَّمَر الْقَلِيل ; وَذَلِكَ بِسَبَبِ كُفْرهمْ وَشِرْكهمْ بِاَللَّهِ وَتَكْذِيبهمْ الْحَقّ وَعُدُولهمْ عَنْهُ إِلَى الْبَاطِل وَلِهَذَا.

يَذْكُر تَعَالَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ النِّعْمَة وَالْغِبْطَة وَالْعَيْش الْهَنِيء الرَّغِيد وَالْبِلَاد الْمَرْضِيَّة وَالْأَمَاكِن الْآمِنَة وَالْقُرَى الْمُتَوَاصِلَة الْمُتَقَارِبَة بَعْضهَا مِنْ بَعْض مَعَ كَثْرَة أَشْجَارهَا وَزُرُوعهَا وَثِمَارهَا بِحَيْثُ إِنَّ مُسَافِرهمْ لَا يَحْتَاج إِلَى حَمْل زَادَ وَلَا مَاء بَلْ حَيْثُ نَزَلَ وَجَدَ مَاء وَثَمَرًا وَيُقِيل فِي قَرْيَة وَيَبِيت فِي أُخْرَى بِمِقْدَارِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَيْرهمْ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى " وَجَعَلْنَا بَيْنهمْ وَبَيْن الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا " **قَالَ** وَهْب بْن مُنَبِّه هِيَ قُرَى بِصَنْعَاء وَكَذَا قَالَ أَبُو مَالِك وَقَالَ مُجَاهِد وَالْحَسَن وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَمَالِك عَنْ زَيْد بْن أَسْلَمَ وَقَتَادَة وَالضَّحَّاك وَالسُّدِّيّ وَابْن زَيْد وَغَيْرهمْ يَعْنِي قُرَى الشَّام يَعْنُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مِنْ الْيَمَن إِلَى الشَّام فِي قُرًى ظَاهِرَة مُتَوَاصِلَة وَقَالَ الْعَوْفِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بَيْت الْمَقْدِس وَقَالَ الْعَوْفِيّ عَنْهُ أَيْضًا هِيَ قُرًى عَرَبِيَّة بَيْن الْمَدِينَة وَالشَّام " قُرًى ظَاهِرَة " أَيْ بَيِّنَة وَاضِحَة يَعْرِفهَا الْمُسَافِرُونَ يُقِيلُونَ فِي وَاحِدَة وَيَبِيتُونَ فِي أُخْرَى وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : " وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْر "أَيْ جَعَلْنَاهَا بِحَسَبِ مَا يَحْتَاج الْمُسَافِرُونَ إِلَيْهِ "سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ " أَيْ الْأَمْن حَاصِل لَهُمْ فِي سَيْرهمْ لَيْلًا وَنَهَارًا.

﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بَطِرُوا هَذِهِ النِّعْمَة وَأَحَبُّوا مَفَاوِز وَمَهَامِه يَحْتَاجُونَ فِي قَطْعهَا إِلَى الزَّاد وَالرَّوَاحِل وَالسَّيْر فِي الْحُرُور وَالْمَخَاوِف كَمَا طَلَب بَنُو إِسْرَائِيل مِنْ مُوسَى أَنْ يُخْرِج اللَّه لَهُمْ مِمَّا تُنْبِت الْأَرْض مِنْ بَقْلهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومهَا وَعَدَسهَا وَبَصَلهَا مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي عَيْش رَغِيد فِي مَنّ وَسَلْوَى وَمَا يَشْتَهُونَ مِنْ مَآكِل وَمَشَارِب وَمَلَابِس مُرْتَفِعَة وَلِهَذَا قَالَ لَهُمْ " أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْر اِهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّة وَالْمَسْكَنَة وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّه " وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ" وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَة بَطِرَتْ مَعِيشَتهَا " وَقَالَ تَعَالَى : " وَضَرَبَ اللَّه مَثَلًا قَرْيَة كَانَتْ آمِنَة مُطْمَئِنَّة يَأْتِيهَا رِزْقهَا رَغَدًا مِنْ كُلّ مَكَان فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّه فَأَذَاقَهَا اللَّه لِبَاس الْجُوع وَالْخَوْف بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ " وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقّ هَؤُلَاءِ " فَقَالُوا رَبّنَا بَاعِدْ بَيْن أَسْفَارنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسهمْ " أَيْ بِكُفْرِهِمْ " فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيث وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلّ مُمَزَّق " أَيْ جَعَلْنَاهُمْ حَدِيثًا لِلنَّاسِ وَسَمَرًا يَتَحَدَّثُونَ بِهِ مِنْ خَبَرهمْ وَكَيْف مَكَرَ اللَّه بِهِمْ وَفَرَّقَ شَمْلهمْ بَعْد الِاجْتِمَاع وَالْأُلْفَة وَالْعَيْش الْهَنِيء تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَاد هَاهُنَا، وَهَاهُنَا.

والقحط الذي أصاب أرض قبيلة سبأ، والشتات الذي مزق غالبية أهلها، كان عقابا من الله تعالي لتحول تلك الغالبية تحت إغراء الشيطان من التوحيد إلي الشرك، ومن عبادة الله تعالي بما أمر إلي عبادة الشمس والقمر والكواكب، ومن الشكر لله علي سابغ نعمه إلي التمرد والاستعلاء والبطر، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالي:

"ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين، وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك علي كل شيء حفيظ" .

ولو أن الله جعل الفوز بالتجارة لفاز قوم شعيب:

الله سبحانه وتعالى أرسل سيدنا شعيب إلى أهل مدين وهم قوم كفار يعبدون الأيكة، وهي شجرة من الأيكة حولها غيضة ملتفة بها، وكانوا من أسوأ الناس معاملة يبخسون المكيال والميزان ويطففون فيهما، فبعث الله فيهم رجلاً منهم (شعيب عليه السلام)، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي هذه الأفعال القبيحة، فآمن بعضهم وكفر أكثرهم، حتى أحل الله بهم العذاب وأنجى المسلمين منهم، قال تعالى:﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ

مِّنكُم بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ * قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ * وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (١) .

أخذتهم صيحة واحدة.. صوت جاءهم من غمامة أظلتهم جعلت كل واحد فيهم يجثم على وجهه في مكانه الذي كان فيه في داره.. لم يستطع أن يتحرك أو يجري أو يختبئ أو ينقذ نفسه.. جثم في مكانه مصروعا بصيحة .

فكانوا في الخيبة والخسران والذين اتبعوا شعيباً عليه السلام، في الفوز والفلاح.

فالله سبحانه وتعالى لم يجعل الفوز في أي شيء من هذه الأشياء، ولكنه سبحانه وتعالى جعل الفوز فقط بالإيمان والأعمال الصالحة، بامتثال أوامره وعلى نهج نبيه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣)

---

١) سورة هود _ الآيات من ٨٤ : ٩٤.

٢) سورة العصر.

٣) سورة الأحزاب _ الإية ٧١.

والله عنده خزائن كل شيء، فخزائن جميع الأشياء فقط بيد الله تبارك وتعالى، خزائن {العزة، الهداية، العذاب، العلم، الرزق }فجميع خزائن النعم والنقم بيد الله تبارك وتعالى، فجميع نعيم الدنيا لا يساوي نقطة من بحر من نعيم رجل واحد من أهل الجنة، ونعيم أهل الجنة وأهل الدنيا لا يساوي نقطة من بحر من خزائن نعيم الله الغيبية، وكذلك جميع عذاب أهل الدنيا لا يساوي نقطة من بحر من عذاب رجل واحد من أهل جهنم، وعذاب أهل جهنم وأهل الدنيا لا يساوي نقطة من بحر من خزائن عذاب الله الغيبية، قال الله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1] وفي الحديث القدسي عن أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ، رضي اللَّهُ عنه، عن النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم فيما يَرْوِى عَنِ اللَّهِ تبارك وتعالى أنه قال: يا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلاَ تَظالموا، يَا عِبَادِي كُلُّكُم ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أهْدكُمْ، يَا عِبَادي كُلُّكُمْ جائعٌ إِلاَّ منْ أطعمتُه، فاسْتطْعموني أطعمْكم، يا عبادي كلكم عَارٍ إِلاَّ مِنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أتقَى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما زادَ ذلكَ فِي مُلكي شيئاً، يا عِبَادِي لو أَنَّ أوَّلكم وآخرَكُم وإنسَكُم وجنكُمْ كَانوا عَلَى أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي

---

١) سورة الحجر – الآية ٢١.

لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمِدِ اللَّه، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ». قَالَ سعيدٌ: كان أبو إدريس إذا حدَّثَ بهذا الحديث جَثَا عَلَى رُكبتيه. رواه مسلم. وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللَّه قال: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث (١).

والله خالق الأشياء والأحوال، فالله سبحانه وتعالى خالق جميع الأشياء: الله خالق السموات، الله خالق الأرض، الله خالق الليل، الله خالق النهار، الله خالق الشمس، الله خالق القمر، الله خالق النجوم.....الخ، قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٢) .

والله سبحان وتعالى خالق جميع الأحوال كذلك: حال العزة وحال الذلة وحال الغنى وحال الفقر وحال الصحة وحال المرض....الخ، فجميع الأحوال التي تأتي علينا هي من الله وليست من ذات الأشياء، فالأشياء لا تملك شيئا.

والله سبحانه وتعالى خلق الأرض وجعل فيها صفة الإنبات، ولكن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعطينا الثمر بدون النبات مثلما أعطى مريم عليها السلام، قال الله تعالى:﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا

(١) رياض الصالحين _ باب المجاهدة.

(٢) سورة الزمر – الآية ٦٢.

دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١) لماذا؟ لأن الله يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد.

والله سبحانه وتعالى خلق البحر وجعل فيه صفة الإغراق: ولكن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يغرق بدون البحر مثلما أغرق قارون في اليابسة، قال تعالى:﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾ (٢)، لماذا؟ لأن الله يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد

والله سبحانه وتعالى خلق النار وجعل فيها صفة الإحراق، ولكن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يأخذ صفة الإحراق من النار مثلما فعل مع إبراهيم عليه السلام ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾(٣) لماذا؟ لأن الله يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد.

والله سبحانه وتعالى خلق الطعام وجعل فيه صفة الشبع، ولكن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يشبع بدون الطعام مثلما فعل مع أهل الكهف:﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾(٤) رباهم بدون الطعام والشراب ، لماذا؟ لأن الله يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ٣٧

(٢) سورة القصص _ الآية٨١.

(٣) سورة الأنبياء _ الآية ٦٩.

(٤) سورة الكهف _ الآية ٢٥.

والله خلق الفم وجعل فيه صفة الكلام، ولكن الله سبحانه وتعالى قادر على أن ينطق بدون اللسان، قال تعالى:﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(١) لماذا؟ لأن الله يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد.

والله سبحانه وتعالى خلق الحديد وجعل فيه صفة البأس الشديد ولكن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يأخذ منه البأس مثلما فعل مع داود عليه السلام، قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾(٢) فأصبح مثل العجين بيده، لماذا؟ لأن الله يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد

فلو أن جميع أهل الدنيا أرادوا عزة إنسان والله سبحانه وتعالى أراد أن يذل هذا الإنسان لا يكون له إلاّ الذلة، فإذا كان أمر الله هكذا فما هو المطلوب منا.

المطلوب هو امتثال أوامر الله سبحانه وتعالى على طريق النبي صلى الله عليه وسلم، يعني امتثال أمر الله في الحال لتكن نصرة الله معنا، فالله سبحانه وتعالى أنزل دينه كاملاً لفلاح الإنس والجان في الدنيا والآخرة، فالذي يكون عنده الدين الكامل تكن نصرة الله معه والذي يكون عنده الدين الجزئي أو أجزاء من الدين يأخذ الأجر والثواب ولكن لا تكن نصرة الله معه، قال تعالى:﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾(٣) وقال تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا

(١) سورة فصلت _ الآية ٢١.

(٢) سورة سبأ _ الآية ١٠.

(٣) سورة المائدة _ الآية ٣ .

فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾(١) وقال تعالى:﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٢).

(١) سورة الأنعام _ الآية ٣٨.

٢) سورة الحاقة _ الآيات من ٤٤ : ٤٨ .

البيان الخامس عشر

في دعوة الإيمان واليقين

ونبذ الشرك والاعتماد على غير الله

لما قام رسول الله بدعوة النَّاس إلى الله، نفى كل ما سوى الله في قلوبهم، وكان ذلك غريبا عليهم فبين الله ذلك عنهم حيث قالوا متعجبين: ﴿أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (١)، وأخبرهم أن الحياة وقتية عرضية زائلة فقال : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (٢).

إن حقيقة الإيمان ألا تجعل لله ندا ولا صنما ولا شريكا ، فالصنم كان امتحانا للمشركين، أما في زماننا هذا فالصنم هي مشاغل الدنيا وأسبابها التي ابتلينا بها فهي الامتحان، لأن ذلك لا يعبد فيه المسلمون صنما، ولكن أسبابا يعتمدون عليها ، ومشاغل قدموها على أمر الله فشاركوا الله مع غيره، أو اتخذوا أسبابهم ندا، واليقين لا يرسخ في القلب إلا بالدوام على المذاكرة، بأن نذكر الله بألسنتنا وفى قلوبنا ومع النَّاس ، أما أن نذكر الله بألسنتنا ثم نكبر المادة بقلوبنا فهذا هو الشرك، لكن الصحابة رضي اللهُ عَنهُم صغروا المادة وعظموا الله فهابتهم الأسود(٣).

(١) سورة ص _ الآية ٥ .

(٢) سورة العنكبوت _ الآية ٦٤.

٣) من كلام الشيخ محمد عمر البالمبوري.

البيان السادس عشر

في دعوة الإيمان واليقين

قال الله تعالى:﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (١)، في الظاهر نرى الربا فيه زيادة والصدقة فيها نقصان، ولكن هنا يوجد أمران: النظر والخبر، فعلينا أن نختار طريق الخبر الذي نصدق فيه بكل ما يخبرنا به الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، ولا نختار طريق النظر، لأن النظر لا يعطى نتيجة إلا في الماديات، أما الغيبيات فمحلها الخبر اليقيني عن رب العالمين.

نحن نشتغل في الأسباب المادية بموافقة الأسباب الغيبية، ولكن إذا خالفنا الأسباب الغيبية، تكون في الأسباب الظاهرية الضرر والهلاك، مثل المال الذي عند قارون ، والملك الذي عند فرعون والنمرود، والوزارة التي عند هامان لكن لو وافق الأمر الأسباب الغيبية ولو كانت مخالفة للأسباب الظاهرية، ولو رأينا فيها الضر فنحن ننفذ الأمر ففيه نصرة، فسيدنا موسى عليه السلام الله تَعَالَى أعطاه العصا وهى سبب ظاهري، وجاء أمر الله:﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ (٢)، ورغم المنافع التي هددها سيدنا موسى، ورغم النفع الظاهري الله تَعَالَى أمره بإلقائها، فعنا تقابل بين المنافع التي فيها وبين فقدها بعد الأمر بتركها، فنفذ موسى عليه السلام الأمر بتركها ، فهنا انقلبت حية، وليست حية عادية بل قال الله تَعَالَى فيها: ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (٣)، ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ

(١) سورة البقرة _ الآية ٢٧٦.

(٢) سورة طه _ الآية ١٩.

(٣) سورة البقرة _ الآية ٢٧٦.

﴾(١)، فهنا هرب سيدنا موسى ولم ينظر خلفه(وَلَمْ يُعَقِّبْ) فهنا جاء أمر آخر مِنَ اللهِ تَعَالَى: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾(٢)، والنتيجة ،﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾(٣) ، فالإنسان إذا قام بأمر الله تَعَالَى بخلاف المشاهد فهنا الإيمان ، لذلك أمر آخر (وَاضْمُمْ يَدَكَ) وأمر ثالث (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) وكل هذا خلاف النفس والطبيعة الإنسانية، لكن إذا قام الإنسان بامتثال أوامر الله تَعَالَى بخلاف المشاهد ، فالله تَعَالَى يوفى له وعده خلاف المشاهد وخلاف الظاهر .

يقين المشاهدات بالنظر، ونحن يقيننا بالخبر، المشاهدة تقول: الأرض تنبت، والحقيقة أن الله هو الذي ينبت، وهو الرزاق والأرض تنبت بأمره وقدرته تعالى.

إن من طبيعة الإنسان الابتعاد عن الضار، لكن لو أن أي ضار طرف في الصراع مع أوامر الله تَعَالَى ، فلابد من ترك مقتضيات الأشياء ونضحي بها لأمر الله تَعَالَى ومراده، فالنار نحن نبتعد عنها ونتجنبها مخافة الإحراق، ولكن لو وجد صراع بين أمر الله تَعَالَى وبين مقتضيات الطبيعة وهو الإحراق بالنار، فلابد من التضحية بالموروث وبالشيء المجرب، والاعتماد على أمر الله تَعَالَى، فهذا هو الذي فعله سيدنا إبراهيم عليه السلام، ما ترك أمر الله تَعَالَى بسبب أمر النار، بل صمم على أمر الله تَعَالَى حتى ألقاه النمرود في النار، وكان له النصر في النهاية.

الله تَعَالَى أمر موسى عليه السلام بإلقاء عصاه، مع أنها ذات نفع له فقال: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا

(١) سورة القصص _ الآية ٣١.
(٢) سورة القصص _ الآية ٢١.
(٣) سورة القصص _ الآية ٢١.

عَلَى غَنَمِي* وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى* قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ، فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ (١) ، فهنا سيدنا موسى عليه السلام: (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ)، فهنا هرب لما عاين الحية، ولكن جاء أمر أشد من الأول وهو (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) فهنا صراع بين مقتضيات البشرية وبين أمر الله تَعَالَى، فقد موسى عليه السلام أمر الله تَعَالَى فبشره الله تَعَالَى : (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى)، فرأى أن السعادة فى امتثال أمر الله تَعَالَى ببصيرة نور النبوة ، ولذلك سيدنا موسى عليه السلام ، الله تَعَالَى أراد أن يرينا امتثال أمره فأمره أن يأخذها من فيها – على ما ورد فى التفسير – على خطرها المعلوم ، فأخذها سيدنا موسى عليه السلام ، وهكذا كل أمر بين أخذ المنافع أو المضار وتركها، وبين أمر الله تَعَالَى، يقدم أمر الله تَعَالَى، فالزكاة أخذ من المال، وهو نقص في الظاهر، ولكن الله تَعَالَى أمر بذلك فهي نفع .

ولذلك لما أخذ سيدنا موسى عليه السلام العصا كانت فيها نصرة الله خلاف المشاهد، ولكن بأمر مِنَ اللهِ تَعَالَى يأخذها فيأتي منافع تنفيذ الأمر، والله تَعَالَى ينصر الإنسان إذا نفذ أوامر الله تَعَالَى وامتثل للأمر خلاف المشاهد، بل باليقين على وعد الله تَعَالَى الذي يأتي خلاف الطبيعة.

لا نترك الأسباب بالكلية ولا نعتمد عليها بحيث تمنعنا عن أداء واجبنا نحو الدين ، ولا نرتاب في رزق الله تَعَالَى لنا أو نصرتنا ، فهذا شرط من شروط الإيمان،

---

(١) سورة طه _ الآيات من ١٧ :٢٠.

قال الله تَعَالَى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(١).

وهذا هو الفرق الذي بيننا وبين الصحابة رضي اللهُ عَنهُم، كانوا مستعدين لتنفيذ أمر الله تَعَالَى ولو خالف ذلك أمورهم الحياتية وأسباب معيشتهم، مثلما حدث لهم في غزوة بدر، وتبوك، وذلك الامتثال للأمر والنظر إلى موعود الله تَعَالَى ولو خالف الأسباب والأحوال سماه الله تَعَالَى في قرآنه بالتجارة المنجية فقَالَ تَعَالَى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢) (٣).

(١) سورة الحجرات _ الآية ١٥.

(٢) سورة الصف _ الآيتان ١١ :١٢ .

(٣) من كلام الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله).

البيان السابع عشر

في دعوة الإيمان واليقين

إن جميع الفوز والفلاح (فقط) بيد الله ﷻ ، والله عنده خزائن كل شيء، خالق الأشياء ومصرف الأحوال، يفعل ما يشاء بقدرته، ولا يحتاج لأحد من خلقه، وهو الصمد، وهو الذي جعل فوزنا وفلاحنا في الدين الكامل

فوزنا وفلاحنا في الدنيا والآخرة فقط بالدين الكامل.

ما هو الدين الكامل؟..

هو امتثال جميع أوامر الله على طريقة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الليل والنهار (على مدار ساعة) في كل حال.

بالدين الكامل نصرة الله موعودة. وبأجزاء الدين نصرة الله غير موعودة (أجر وثواب ممكن.

كيف يأتي في حياتنا الدين الكامل؟..

هناك طريق واحد، مثل الفم هو طريق واحد للكلام، هكذا يوجد طريق واحد به يحيا فينا وفي جميع الأمة الدين الكامل، وهو ((جهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم و على منهاجه)).

وبسبب ختم النبوة كل فرد من هذه الأمة (مسئول ومبعوث) لإقامة جهد النبي محمد صلى الله عليه و سلم.

ما هو جهد النبي صلى الله عليه و سلم؟

هو مجموعة من الأعمال: مثل الصلاة هي مجموعة من الأعمال (تكبيرة

الإحرام، قراءة الفاتحة، ركوع سجود تسبيح إلى آخره...) إذا نقص أي عمل من أعمال الصلاة، فالصلاة غير كامل، وهكذا جهد النبي صلى الله عليه و سلم.

وأهم الأعمال في جهد النبي صلى الله عليه و سلم:

١ – الدعوة إلى الله تعالى.

٢ ــ والجلوس في حلقات الفضائل .

٣ ــ القيام بالعبادات على نهج صحيح وأهمها الصلاة.

٤– ذكر الله وتلاوة القرآن والأدعية المأثورة والدعاء.

٥ – معاملة الناس والتعاون معهم بسلوك وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.

هذه الأعمال تقوم بها مجموعة من الناس، وتحيي بيئتها في المسجد، فتكون بداية جماعة المسجد.

فكل فرد من جماعة المسجد يقوم بنفسه بهذه الأعمال ويقيم غيره عليها بالصفات التالية:

١) **اليقــين:** لقوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا }. ولقوله ﷺ سيد الاستغفار أن يقول : « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » قال : « ومن قالها من النهار مُوقِنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة .

٢) **المتابعــة:** أي متابعة الرسول ﷺ لقول الله تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ

وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } ، وقوله تعالى { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } ، وقول الرسول ﷺ :" مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ ". متفق عليه.

٣)**الإخـــلاص** : لقوله تعالى { وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} وقوله تعالى { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} وعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أبي حفْصٍ عُمرَ بنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ، قال : سمِعْتُ رسُولَ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يقُولُ :" إِنَّما الأَعمالُ بالنِّيَّات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى، فمنْ كانَتْ هجْرَتُهُ إِلَى الله ورَسُولِهِ فهجرتُه إلى الله ورسُولِهِ، ومنْ كانَت هجْرَتُه لدُنْيَا يُصيبُها، أَو امرَأَةٍ يَنْكحُها فهْجْرَتُهُ إلى ما هَاجَر إِلَيْهِ " متَّفَقٌ على صحَّتِه(١)..

٤) **الإحســـــان:**

لقوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }.

وقوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَهُ إِلَى

(١) رياض الصالحين _ باب الإخلاص وتصحيح النية في جميع الأقوال والأحوال البارزة والخفية.

رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ . قَالَ: الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ ! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ :أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ . قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ .قَالَ :أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ "... ألخ .رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١) .

٥) **الإحتسـاب:**

لقوله تعالى { فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ :" مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "متفق عليه.

٦) **المجاهـدة:**

لقوله تعالى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان ١/ ٩.

الْمُحْسِنِينَ }.

وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ:" مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنْ الصَّبْرِ" رواه مسلم

وهذه الصفات نطبقها في صلاتنا، فإذا جاءت في الصلاة تنتشر في الحياة.

فهذه المجموعة يكون من الناس يكون فكرهم واحد، ومقصدهم واحد، وعاطفتهم واحدة، وهمهم واحد، وكلامهم واحد، وقلوبهم مجتمعة.

هذه الجماعة إذا كانت بالصفات التي ذكرناها وبنفس الروابط تكون (نصرة الله معها ويد الله مع الجماعة) لو جميع القوات اجتمعوا لإيذائهم لا يستطيعون إلا إذا أراد الله صرفه لهم لتربيتهم.

شروط لا إله إلا الله

الأول: العلم المنافي للجهل: والمراد أن يعلم معناها نفياً وإثباتاً، فلا يكفي قولها مع جهل معناها. ومعناها (**لا معبود بحق إلا الله**) . قال تعالى:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[١]. وقوله تعالى ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢]. و عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ " رواه مسلم .

الثاني : اليقين المنافي للشك : والمراد أن يكون مستيقناً بعد قول هذه الكلمة يقيناً جازماً، فالإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين، لا علم الظن، فكيف إذا دخل الشك . قال الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(٣).

وعَنْ قَتَادَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ نَبِي اللَّهِ ﷺ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى

---

(١) سورة محمد – الآية ١٩.

(٢) سورة الزخرف – الآية ٨٦.

(٣) سورة الحجرات _ الآية ١٥ .

الرَّحْلِ قَالَ «يَا مُعَاذُ ». قَالَ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ « يَا مُعَاذُ ». قَالَ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ «يَا مُعَاذُ ». قَالَ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ « مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ «إِذًا يَتَّكِلُوا » فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا.

وعَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيتُ عِتْبَانَ فَقُلْتُ حَدِيثٌ بلغني عَنْكَ قَالَ أصابني فِي بصري بَعْضُ الشيء فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى – قَالَ – فَأَتَى النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَسْنَدُوا عُظْمَ ذَلِكَ وَكِبْرَهُ إِلَى مَالِكِ بْنِ دُخْشُمٍ قَالُوا وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ وَوَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ. فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلاَةَ وَقَالَ « أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ». قَالُوا إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ. قَالَ «لاَ يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَيَدْخُلَ النَّارَ أَوْ تَطْعَمَهُ ». قَالَ أَنَسٌ فَأَعْجَبَنِي هَذَا الْحَدِيثُ فَقُلْتُ لِابْنِي اكْتُبْهُ فَكَتَبَهُ.

وفي الصحيحين عن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَأَنَّ

الْجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ ».

وفي رواية: «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ ».

وفي صحيح مسلم: عَنْ عُثْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ».

وفيه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسِيرٍ – قَالَ – فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ قَالَ حَتَّى هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ – قَالَ – فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِىَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ فَدَعَوْتَ اللَّهَ عَلَيْهَا. قَالَ فَفَعَلَ – قَالَ – فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ – قَالَ وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ – قُلْتُ وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى قَالَ كَانُوا يَمُصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ. قَالَ فَدَعَا عَلَيْهَا – قَالَ – حَتَّى مَلأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ لاَ يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ».

وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ – شَكَّ الأَعْمَشُ – قَالَ لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« افْعَلُوا ». قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ وَلَكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِى ذَلِكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « نَعَمْ ». قَالَ فَدَعَا بِنِطَعٍ فَبَسَطَهُ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ – قَالَ – فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ – قَالَ – وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ – قَالَ – وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكِسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَىْءٌ يَسِيرٌ – قَالَ – فَدَعَا

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ ثُمَّ قَالَ « خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ ». قَالَ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلاَّ مَلأُوهُ - قَالَ - فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضِلَتْ فَضْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ لاَ يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ ».

وعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِى نَفَرٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِى النَّجَّارِ فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا فَلَمْ أَجِدْ فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِى جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ - وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ - فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: « أَبُو هُرَيْرَةَ ». فَقُلْتُ: عَلَيْنَا فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا فَفَزِعْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ وَهَؤُلاَءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ: « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ». وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ قَالَ « اذْهَبْ بِنَعْلَىَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ فَقَالَ مَا هَاتَانِ النَّعْلاَنِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. فَقُلْتُ هَاتَانِ نَعْلاَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنِى بِهِمَا مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَىَّ فَخَرَرْتُ لإِسْتِي فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِى فَقَالَ لِي رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ: « مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ». قُلْتُ لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً خَرَرْتُ لإِسْتِي قَالَ ارْجِعْ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَا عُمَرُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ. قَالَ « نَعَمْ ». قَالَ فَلاَ تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « فَخَلِّهِمْ ».

وضده الشك، كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾(١)

الثالث :**الإخلاص المنافي للشرك والرياء** : والمراد أن تكون الأعمال كلها خالصة لله ، قال تعالى:﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (٢) وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : " لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَى مِنْكَ ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ ، إِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ ".

---

(١) سورة التوبة_ الآية ٤٥ .

(٢) سورة البينة – الآية ٥.

الرابع: **المحبة المنافية للبغض**: والمراد حب هذه الكلمة، ولما اقتضته، ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها، الملتزمين بشروطها، وبغض ما ناقض ذلك،قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾(١).

وفي الحديث عَنْ أَنَسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:" ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ ".متفق عليه (٢)

الخامس: **القبول المنافي للرد**: والمراد أن يقبل ما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٣) ، وفي صحيح البخاري: عن أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلاَ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ

---

(١) سورة البقرة_ الآية ١٦٥ .

(٢) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان ١/ ١٠ .

(٣) سورة الصفات _ الآية ٣٥ .

وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ" قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ قَالَ إِسْحَاقُ وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَيَّلَتْ الْمَاءَ قَاعٌ يَعْلُوهُ الْمَاءُ وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي مِنْ الأَرْضِ."

السادس: الانقياد المنافي للترك: والمراد الانقياد لما دلت عليه ، المنافي لترك ذلك .

قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ الله إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾(٢) . وفي الحديث: عن عبد الله بن عمرو قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تَبَعَاً لِمَا جِئْتُ بِهِ " رواه في شرح السنة وقال النووي في أربعينه : هذا حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح (٣).

والفرق بين القبول والانقياد، أن القبول سابق للانقياد، فكل منقاد قابل، وليس كل قابل منقاداً.

السابع: الصدق المنافي للكذب أو النفاق: والمراد أن يقولها صدقاً من قلبه لا نفاقاً .

قال تعالى:﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾(٤)

.وجاء في الصحيحين من حديث معاذ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ »..

---

(١) سورة الزمر_ الآية ٥٤ .

(٢) سورة النساء_ الآية ١٢٥ .

(٣) مشكاة المصابيح _ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٥٩/١.

٤) سورة العنكبوت – الآية ٢.

الثامن :الكفر بما يعبد من دون الله. (١).

قال الشيخ حافظ الحكمي:

العلـــم واليقيـــن والقبـــول والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة وفقـــك الله لما أحبـــه(٢).

١) شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
٢) في منظومته سلم الوصول.

توحيد الربوبية والإلوهية

توحيد الربوبية: إفراد الله عز وجل بالخلق ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة ، والملك ، والتدبير ، وسائر ما يختص به من أفعال .

توحيد الإلوهية: هو إفراد الله تعالى بالعبادة:(الحب والخوف والرجاء والصلاة والزكاة والدعاء والنذر والطاعة.. وغير ذلك من الأقوال والأفعال التي يحبها الله ويرضاها).

توحيد الأسماء والصفات: هو الإيمان بما وصف الله به نفسَه في كتابه ، أو وَصَفَه به رسوله، من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت على الوجه اللائق به – سبحانه وتعالى ــ من غير تأويل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

وعرفه الشيخ عبد الرحمن بن سعدي قال : " توحيد الأسماء والصفات: وهو اعتقاد انفراد الرب – جل جلاله – بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة ، والجلال ، والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه ، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله – من جميع الأسماء ، والصفات ، ومعانيها ، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها ، ولا تعطيل ، ولا تحريف ، ولا تمثيل . ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله – – من النقائص والعيوب ومن كل ما ينافي كماله (١).

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ١٠/٣ مجموعة ابن سعدي.

أقوال المشايخ

في مسألة التوحيد

(علاوة علي ما بيناه في البيانات السابقة)

يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (حفظه الله):

الدنيا دار الأسباب، ولكن الله مسبب الأسباب، يرى في هذه الدنيا الشيء من الشيء والولد من الأب، ولكن في الحقيقة الله – سبحانه وتعالى– هو المؤثر في الأشياء، نحن نرى أن الحب من الثمر ولكن الأصل أن الله خالق الحب والنوى ولكن ترى الأشياء من الأشياء، ولكن الله هو مسبب الأسباب، ولكن نحن لا نرى قدرته.

الله سبحانه وتعالى قادر على تعمير حياة الإنسان وتدميرها، والله ليس بحاجة إلى أي سبب ولما أراد الله تعمير حياة يوسف، عمرها في السجن، ولما أراد الله تدمير حياة فرعون وقارون ودمر حياتهم في العزة والملك.

الحمد لله الذي أخرج هذه الدعوة لندعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ونرجع إليهما، الحمد لله الذي أخرج هذا العمل لتوحيد الإلوهية، والربوبية، وأسماء الله وصفاته.

الله ﷻ علم نبيه أن يركز على الإيمان والنبي علم أصحابه الإيمان واليقين الصحيح، وبضدها تتميز الأشياء، التوحيد ضد الشرك، نصرف أنفسنا لله ولا نتوجه لغير الله، سواء صنم يعبد، أو قبر يزار، بل كل هذا شرك، ولكن الشرك، شرك دون شرك، وكفر دون كفر، وكذلك اليقين.

ولذلك ركز النبي على هذا اليقين والتوحيد الخالص، حتى أن النبي أراد ربط الإنسان بالتوحيد عن طريق الصلاة، فعند الدخول في الصلاة التكبير، وهكذا الركوع، كل هذا لتوحيد الإلوهية، وإذا أتى توحيد الإلوهية، يأتي توحيد الربوبية، وكل جهد مثل الحلقات وغيرها هو لهذا اليقين (١).

ولكن الدعوة إلى أي شيء؟ الدعوة إلى الله وحده لا شريك له.

وكما نعبد الله وحده ونعترض على أهل الأصنام فكذلك نحن ننكر عبادة غير الأصنام، وكذلك ننكر على الذين عندهم الشركيات.

لو تقابل أهل الشرك الحقيقي، مع أهل الشرك المجازي، فيغلب أهل الشرك الحقيقي، ومعنى الشرك الحقيقي، هو عبادة الأصنام، والمجازي الاعتماد على غير الله، وهذا لا يخرج عن كلية الإيمان ولكن يعذب صاحبه بقدر ما أشرك مع الله الأسباب.

حقيقة الإيمان أن نتيقن على ذات الله ولا نتأثر إلا به، والله أمر نبيه: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾(٢) ، فقدم لفظة ربك على التكبير وهذا يفيد الحصر، أي لا تكبر غير ربك.

معية الله بالصفات الإيمانية الصبر والتقوى والإحسان، وهذا هو زبدة الإيمان، وأنا أقول إن الإيمان بذات الله أن لا نعتمد على غير الله، ولا رجاء بغير الله، ولا استعانة بغير الله، ولا نستعين إلا بالله، ولا نعبد إلا الله، ولا نسجد لغير الله، ولا

---

(١) وجوب الدعوة إلي الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة _ ومنهاج جماعة التبليغ في ذلك.

(٢) سورة المدثر_ الآيات من ١ : ٧.

نركع للأصنام ولا نقوم لغير الله، فإذا أخرجنا من قلوبنا الخوف من غير الله، والرجاء من غير الله، بعد ذلك تأتينا نصرة الله (١).

ويقول الشيخ مفتي زين العابدين(رحمه الله):

عرفنا أن محمداً وجميع الأنبياء ركزوا جهدهم على تعليم الأمة، وصبروا وأخذوا أضعاف مدة تعليمهم في الإيمان على تعليم الأعمال فما هو الإيمان؟

الإيمان هو لا إله إلا الله، وهذا نفي وإثبات، فالإنسان إذا كان قلبه متعلق بالأسباب والقوة، وقوة السلاح، وقوة الأشياء المادية، وقوة الملك والمال، ويجد قلبه متأثراً بالأحجار سواء أحجار الجاهلية، أو الأحجار الإلكترونية، فكلها أحجار، فإذا رأى الإنسان ذلك، يجتهد ويخرج من هذه الشركيات، حتى يكون قلبه متعلق بالله الأحد، الذي يفعل ولا يستعين بأحد، والصمد الذي يفعل ولا يحتاج إلى شيء.

قوم ثمود كانوا أساتذة العالم في البناء، والله أخرج لهم ناقة من الجبل، ويروى أنها كانت حامل ووضعت حملها، كل ذلك ليعلم الله خلقه بأني أنا الخالق، أخلق الولد بدون أب، والناقة من الجبل، وعيسى من غير أب، وآدم من غير أب وأم، كل ذلك لبيان قدرة الله، لأن الإنسان كثيراً ما يربط بين الأسباب، ويعتقد أن فيها النفع والضر، فهذا معنى لا إله إلا الله، نخرج من قلوبنا الاعتماد على غير الله، فالله إذا شاء يخلق العزة مع قلة العدد، تلك الإرادة التي علمها رسول الله لابن عباس ، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ

(١)المرجع السابق.

فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ "**رواه** الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:" يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ " فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.

الخلاق: هو الله صاحب الإرادة هو الله.

فإذا خلي قلب الإنسان من كل المخلوقات فعند ذلك يأتي اليقين، فيجد قلبه متقبلاً اليقين.

المادة الأولى في مدرسة النبي هي الإيمان بأسماء الله وصفاته، الإيمان بأن الله هو النافع والضار، هو الذي يضل وينفع ويمنع ويهدي، وإذا صلح اليقين بهذه الصفات يصبح عنده حقيقة الإيمان بأسماء الله وصفاته" أ. هـ. (١).

---

(١)المرجع السابق.

ويقول الشيخ أحمد اللات:

المؤمن لا يترك أمر الله، ولا يسأل إلا الله، ولا يرجو إلا الله، فرعون اجتهد حتى لا يأتي موسى، وكان يقتل الأطفال، ولكن الله إذا أراد أن يحفظ الإنسان فمن يستطيع أن يضره؟ وكذلك الذي يريد الله له الحياة فمن يستطيع أن يميته؟ فالله – سبحانه وتعالى– يبين هذا حتى يقوي الإيمان في قلوب الناس إلى يوم القيامة.

فجميع الأنبياء ونبينا دعوا إلى الإيمان والعمل، ففلاح الإنسان بلا إله إلا الله محمد رسول الله، فهي من جزأين فالإنسان يخرج من بيته ويتحمل الشدائد حتى يخرج من قلبه جميع الأشياء، ويدخل اليقين على الله، لا يكون في قلوبنا أي يقين على غير الله، سواء الشمس والقمر والملائكة وجبريل، هكذا يأتي في قلوبنا اليقين الخالص، فالله خالق بدون معونة أحد، يستطيع بقدرته أن يفعل كل شيء بقدرته. إذا أتى الإيمان في قلوبنا، كيف أن الله هو الرازق، هو المانع، كيف نؤمن بصفات الله وأسماءه، هو رب العالمين هو ذو القوة المتين" أ. هـ (١).

ويقول الشيخ عبد الوهاب(٢):

أول ما اجتهد عليه الأنبياء هو الإيمان، من الأشياء إلى رب الأشياء، وكانوا يقولون قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فلاحكم بيد الله وقوتكم بيد الله، وكل شيء من خزائن الله:﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٣) الروح من الله، الحياة من الله، الموت من الله، وكل شيء محتاج إلى أمر الله، ولا يستطيع الإنسان أن يستعمل أي

---

(١)المرجع السابق.

(٢) أمير الدعوة والتبليغ بدولة باكستان.

(٣) سورة المنافقون _ الآية ٧.

حاجة إلا بأمر الله، الله أعطى النور للشمس، ولكن الشمس لا تمشي بأمرها بل بأمر الله، والله قادر على كل شيء هو الأحد، هو الصمد، ومعنى الصمد الذي لا يحتاج إلى شيء، ولهذا المقصد نجتهد حتى ندخل في قلوب الناس الاعتماد على الله، فنتحرك للعالم حتى نبين لهم ذلك، نحن لا نستطيع أن نحصر قدرة الله لأن عقلنا محصور" أ. هـ. (١).

ويقول الشيخ جمشيد(٢):

قال تعالى:﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(٣)

{ وَالْعَصْرِ }الواو للقسم إن للتأكيد، والجملة الاسمية هنا للتأكيد، فأتى الله بكل هذه التأكيدات، قال تعالى: { وَالْعَصْرِ }أي الدهر أو وقت العصر { إِنَّ الْإِنسَانَ }أي جميع الناس { إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ } { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ }للإيمان ثلاثة جهود، التصديق بالجنان، والعمل بالأركان، وإقرار اللسان.

ويقول الشيخ ظهير:

اليقين الصحيح هو أن يعلم الإنسان أنه محتاج إلى أمر الله، كذلك الأشياء في نفعها وضرها محتاجة إلى أمر الله، هذا هو اليقين الصالح وهذا هو مفهوم لا إله إلا

---

(١)المرجع السابق.

(٢) من علماء الدعوة والتبليغ بمركز الدعوة برايوند باكستان.

(٣) سورة العصر.

الله، أي سوى الله لا يضر ولا ينفع، إنما النفع والضر هو من الله جل جلاله هذا هو اليقين الصالح" أ. هـ.(١).

ويقول الشيخ الأنصاري (حفظه الله):

والإيمان الذي يتحصل بغير التضحيات يكون ضعيفاً جداً ويخالطه الخوف والرعب من غير الله ولا يمكن لهذا الإيمان أن يعلم صاحبه الاعتماد والتوكل على ذات الله وحده في أداء الدعوة فمرة تراه يتوجه إلى الملك ومرة إلى المال وتارة إلى القوم والعشيرة وأخرى إلى الحكومات والوزارات فيبقى دائماً متذبذب، وكلما رأى شيئاً توجه إليه. وصاحب الدعوة يرجو ويأمل المدد والعون من غير الله كيف يتمكن من أن يوجه الناس إلى ذات الله تعالى؟ لهذا فالصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين تعلموا من الرسول ﷺ الدعوة إلى أثناء تعليمهم هذا كانوا يتحملون المصائب والشدائد التي تلاقيهم(٢).

ويقول أيضا: ليس لنا مقصد في هذه الدنيا إلى أن يرضى الله ﷻ عنا ويكون معنا ، لذا نجتهد حتى يتعلق القلب بالله ﷻ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) الصلاة.. الصيام.. الحياة.. الممات.. مقصدها واحد وهو رضاء الله ﷻ .

والعبودية: هي أن ينقطع القلب عن غير الله ﷻ ويثق به، ولا يتوجه في جميع الأحوال إلا إلى الله ﷻ.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الفهم العميق في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف.

(٣) سورة الأنعام – الآية ١٦٢.

فعندما يكون القلب مملوءً بعظمة الله ﷻ، فلا يتوجه إلى أي باب، إلا إلى باب الله ﷻ .. **لا إله إلا الله** .. **والإلـه:** ما يُلهينا عن غيره، وتألهه القلوب وتُحبه وتعظمه.

ماذا يقول الكفار ؟

يقولـون: ﴿ أَجَعَـلَ الْآلِهَـةَ إِلَهـاً وَاحِـداً إِنَّ هَـذَا لَشَـيْءٌ عُجَـابٌ﴾[١] فـدعوة الأنبياء.. أن يـدخل في القلـب محبة الله ﷻ وعظمـة الله ﷻ، وأن يخرج منه غير الله ﷻ نهائياً، فيصونوا القلب عن الخلائق: ﴿ حَنِيفاً مُسْلِماً﴾ [٢] مائلاً إلى الله عن غيره.

ولكـن هـذا الشيء صعب.. كيـف يعلـم أنـه لله ﷻ أم لغيره ؟ الله ﷻ أعطانـا الميزان " التضحية " وبهذا الميزان يفهم الإنسان هل قلبه مشغول بالله أم بغيره.. نحن فهمنـا أن التضـحية بـذبح البقـرة والشـاة.. ولكـن التضـحية أن تكـون مسـتعد أن تضحى بمالك ونفسك من أجل الله ﷻ وليتضح الأمر أبين ما بينه الله ﷻ في القرآن الكـريم عـن سـيدنا إبـراهيم عليه السلام.. هـل يميـل إبـراهيم عليه السلام إلى قبيلتـه وقومـه أم إلى الملائكة؟.

لما أخذوه وأجمعوا أن يلقوه في النار، وجمعوا الحطب ودبروا فالله ﷻ أتى بشيئين:

النظام الظاهري: القوم والقبيلة والحكومة والكون كله.. مخالف لإبراهيم عليه السلام حتى والده.

والنظـام الغيبـي: نظـام السـماء موافقـاً لسـيدنا إبـراهيم عليه السلام فنزلـت الملائكـة.. ونـزل جبريل عليه السلام .. وملك الرياح .. وملك المياة .. الخ وعرضوا على إبراهيم عليه السلام النصرة،

---

(١) سورة صّ – الآية ٥.

(٢) سورة آل عمران – الآية ٦٧.

فلم يتأثر إبراهيم عليه السلام من الموافقة أو المخالفة بل قلبه يتوجه إلى الله ﷻ: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١) اليقين دخل في القلب أن هذه الأشياء الظاهرية ليست شيء.. في حالة اضطرارية ولكن ما توجه إلى الملائكة.. وما توجه إلى قومه ولكن توجه إلى الله ﷻ .

ولا يستطيع أن يقول هذا القول، إلا من كان في قلبه حقيقة الإيمان، وبهذه القصة الله ﷻ يخبرنا لو تقومون بهذا الطريق؛ تجدونني معكم في كل مكان(٢).

وفي توحيد الأسماء الصفات:

يقول الشيخ زين العابدين (حفظه الله):

وكيف علم النبي أصحابه الإيمان بجزئية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهذه ليست كلمة باللسان فقط بل يقين خالص لا خدعة فيه، يكون يقيناً واحداً بذاته، واحداً بصفاته، منه تنزل الأحكام وإليه تصعد الأعمال.

المادة الأولى في مدرسة النبي هو الإيمان بأسماء الله وصفاته، الإيمان بأن الله هو النافع، هو الضار، هو الذي يضل ويمنع ويهدي، وإذا صلح يقين الإنسان بهذه الصفات يصبح عنده حقيقة الإيمان بأسماء الله وصفاته، وهو في سائر أعماله يكون مخلصاً لله، هذا الإنسان الذي آمن بأسماء الله وصفاته، يعلم أن الله معه يسمعه ويراه فإذا صلى الإنسان ولم يؤمن بأسماء الله وصفاته، فصلاته تكون ضعيفة وغير صحيحة، كذلك الإنسان إذا ترسخ في قلبه أسماء الله وصفاته، فيكون مراقب الله،

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٧٣.

(٢) المرجع السابق.

أعماله خالصة وهو غير محتاج إلى أن يتلفظ بنيته، لأن هذه النية رسخت في قلب من رسخ في قلبه الأسماء والصفات.

نستطيع أن نحلف بالله، لا سعادة لنا إلا بالإيمان، وأن الإيمان والعمل الصالح هو الذي ينقصنا، ولا تنقصنا الأسباب، ونستحضر أسماء الله وصفاته.

الله له صفاته ومن صفاته السمع، ونحن نسمع ولكن سمع الله يليق به ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (١) وكذلك له البصر، ونحن لنا البصر، ولكن بصر الله ليس كبصرنا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (٢) ومن صفاته العدل والإعطاء" أ. هـ (٣).

(١) سورة الشورى – الآية ١١.

(٢) سورة الشورى – الآية ١١.

(٣) وجوب الدعوة إلي الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة _ ومنهاج جماعة التبليغ في ذلك للشيخ خالد عبد الرحمن.

اللهُ (جل جلاله)

لفظ الجلالة : " الله " اسم علم للذات المقدسة ذات الباري جل وعلا ومعناه : المعبود بحق .

وقيل: إنه اسم جامد لا يعرف له في كلام العرب اشتقاق.

وقيل: إنه مشتق أله.. يأله .. إلاهة .

وقرأ ابن عباس: " ويذرك وإلا هتك " أي عبادتك.

وقيل: مشتق من أله، إذا تحير، لأنه تعالي يحيُر في الفكر في حقائق صفاته.

وقيل: مشتق من ألهت إلى فلان ، أي سكنت إليه فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره سبحانه وتعالي و الأرواح لا تفرح إلا بمعرفته ، لأنه الكامل علي الإطلاق دون غيره .

وقيل : الإله من " أله " الفصيل إذا أولع بأمه ، والمعني : أن العباد مولهون ، مولوعون بالتضرع إليه في كل الأحوال ، فتجد إذا وقع في بلاء عظيم وآفة قوية ، فهناك ينسي كل شيء إلا الله تعالي ، فيقول بلسانه يارب.. يارب، فإذا تخلص عن ذلك البلاء ، وعاد إلى منزل الآلاء والنعماء ، أخذ يضيف ذلك الخلاص إلى الأسباب الضعيفة والأحوال الخسيسة إلا من رحم ربي ، والمحسن في الظاهر هو الله أو غيره ، وغيره لا يحسن إلا إذا خلق الله في قلبه الإحسان ، فالله هو المحسن في الحقيقة .

واسم الله: مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال

واسم الله: دال علي كونه مألوها معبودا تألهه الخلائق محبه وتعظيماً.. وخضوعاً.. وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب.

واسم الله: هو المألوه المعبود.. ولا سبيل للعباد إلى معرفته إلا عن طريق عبادته.

قال ابن رجب الحنبلي(رحمه الله) :

الإله هو الذي يطاع ولا يعصي هيبة له وإجلالا ، ومحبةً وخوفاً ورجاءاً ، وتوكلا عليه ، وسؤالا منه ودعاءاً له ، ولا يصلح هذا إلا الله ﷻ ، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الأمور كان ذلك قدحا في إخلاصه في قوله " لا إله إلا الله " وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك .

وقيل الإله : مشتق من " أله " الرجل يأله إذا فزع من أمر نزل به فألهه أي أجاره .. فالله ﷻ هو المجير لكل الخلائق من جميع المضار قال تعالي ﴿وَهُوَ يُجْيِرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) .

وهو المطعم: قال تعالي : "﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ ﴾ (٢) .

وهو المنعم: قال تعالي : ﴿ وَمَا بِكُم مّن نّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمّ إِذَا مَسّكُمُ الضّرّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (٣) .

وهو الموجد: قال تعالي : ﴿ كُلّ مّنْ عِندِ اللّهِ ﴾ (٤) .

فسبحانه وتعالي قهار للعدم بالوجود والتحصيل ، جبار لها بالقوة والعقل والتكميل ، فكان في الحقيقة هو الله ولا شيء سواه .

---

(١) سورة المؤمنون – الآية ٨٨ .

(٢) سورة الأنعام – الآية ١٤ .

(٣) سورة النحل – الآية ٥٣ .

(٤) سورة النساء – الآية ٧٨ .

واعلم أنه تعالي هو المستحق للعبادة لأنه تعالي المنعم بكل النعم أصولها وفروعها، فغاية الإنعام صادرة منه تعالي، والعبادة غاية التعظيم، وغاية التعظيم لا تليق إلا لمن صدرت منه غاية الإنعام.

الرب((ﷻ))

قال تعالي : ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ﴾ أي مربيهم بالنعم وأجلها الوحي وإرسال الرسل .

وكونه " رب العالمين " فلا يليق به : أن يترك عباده سدي هَملاً لا يعرفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم ، وما يضرهم وما ينفعهم . وهو رب كل شيء .. وخالقه.. ورازقه.. والقادر عليه ولا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له ، في قبضته وتحت قهره وسلطانه .

فاجتمع الخلق بصفة الربوبية .. وافترقوا بصفة الإلهية فألهه السعداء، وأقروا له طوعا بأنه الله الذي لا إله إلا هو الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإنابة والإخبات والخشية والتوكل والخضوع إلا له.

وهنا افترق الناس وصاروا فريقين: فريقا مشركين في السعير، وفريقا موحدين في الجنة.

الرحمــن

قال تعالي: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (١) فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم بما ينالون به غاية كمالهم .

الرحمن :

فمن أعطي اسم " الرحمن " حقه عرف أنه: متضمن إرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإثبات الكلأ، أو إخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح، أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح.

الرحيم:

والرحمة: هي السبب الذي بين الله وبين عباده ، فالتأليه منهم له، والربوبية منه لهم، والرحمة سبب واصل بينه وبين عباده بها أرسل إليهم الرسل،وأنزل عليهم الكتب، وبها هداهم وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم، وبها عافاهم وأنعم عليهم.

وصفات الإحسان، والجود، والبر، والحنان، والمنَّة، والرأفة، واللطف.. أخص باسم " الرحمن ": الذي الرحمة وصفه.

الرحيم: الراحم بعباده ولهذا يقول الله تعالي: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيما ﴾(٢).

وقال تعالي ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيم ﴾ (٣) ولم يجيء رحمان بعباده، ولا رحمان بالمؤمنين مع ما في اسم الرحمن الذي هو علي وزن فعلان من سعه هذا الوصف.

---

(١) سورة الفاتحة – الآية ٣ .

(٢) سورة الأحزاب – الآية ٤٣ .

(٣) سورة التوبة – الآية ١١٧.

فيقولون: غضبان لمن امتلئ غضباً، وندمان وحيران وسكران لمن أمتلئ بذلك، فبناء فعلان للسعة والشمول، ولهذا يقرن استواءه علي العرش بهذا الاسم كثير قال تعالي﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىَ﴾ " (١) . وقال تعالي﴿ثُمَّ اسْتَوَىَ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْبِهِ خَبِيراً﴾(٢) فاستوي علي عرشه باسم الرحمن لأن العرش محيط بالمخلوقات وقد وسعها ، والرحمن محيطة بالخلق واسعة لهم كما قال تعالي﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلّ شَيْءٍ﴾ (٣) فاستوي علي أوسع مخلوقاته بأوسع صفاته .

فبين الخلق وبين الله سبب العبودية.. وبينه وبينهم سبب الرحمة.

واقتران ربوبيته برحمته " رب العالمين . الرحمن الرحيم " كاقتران استوائه علي عرشه برحمته﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ دليل علي شمول ربوبيته وسعتها فكل شيء مشمول بربوبيته ورحمته .

﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدّينِ﴾ يدل علي أنه: محمود في إلوهيته (إله محمود) .. محمود في ربوبيته (رب محمود)

محمود في رحمانيته (رحمان محمود) .. محمود في ملكه (ملك محمود) ومثال ذلك قوله تعالي ﴿ والله غني حميد﴾ ..﴿ والله عليم حكيم﴾ .. ﴿ والله قدير والله غفور رحيم ﴾.. ﴿ والله عليم حليم ﴾ .

---

(١) سورة طه – الآية ٥ .

(٢) سورة الفرقان – الآية ٥٩ .

(٣) سورة الأعراف – الآية ١٥٦ .

فالغني صفة كمال والحمد صفه كمال .. واقتران غناه بحمده كمال، وعلمه كمال، وحكمته كمال، واقتران العلم بالحكمة كمال، وقدرته كمال، ومغفرته كمال، واقتران قدرته بمغفرته كمال.

وعلمه كمال وحلمه كمال، واقتران علمه بحلمه كمال، فما كل من قدر عفا.. ولا كل من عفا يعفو عن قدرة .. ولا كل من علم يكون حليما.. ولا كل عليم عالم.

فما قرن شيء إلى شيء أزين: من حلم إلى علم.. ومن عفو إلى قدره.. ومن ملك إلى حمد.. ومن عزة إلى رحمة .

قال تعالي ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ وقال تعالي حكاية عن عيسي عليه السلام ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فإنهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فإنكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) . أي إن غفرت لهم كان مصدر مغفرتك عن عزة، وهي كمال القدرة، وعن حكمة وهي كمال العلم.(٢)

(١) سورة المائدة – الآية: ١١٨

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم – ٤٢/١ ، مختصر تفسير ابن كثير ١٩/١ ، التفسير الكبير للرازي ٢٠٢/١ ، صفوة التفاسير للصابوني ٢٧/١ .

مختارات
من الرد على الملاحدة

ـ سُئل الامام الشافعى (رحمة الله): عن وجود الصانع ؟

فقال: ورقة التوت، تأكلها دودة القز، فتخرج منها الإبريسم (يعنى الحرير)، وتأكلها النحلة، فتخرج منها العسل، وتأكلها الشاه، فتخرج منها البعر، وتأكلها الظباء (١) فينعقد فى نوافحها المسك.

الدهرية وأبو حنيفة النعمان (رحمه الله):

دخل بعض الناس على أبى حنيفة النعمان رحمة الله عليه وكانوا من الدهرية، الذين يقولون : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾ (٢) .

وكان أبو حنيفة سيفاً على الدهرية، وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه فبينما هو قاعد فى مجلسه هجموا عليه بسيوفهم، وهموا بقتله، فقال لهم: أجيبوني عن مسألة، ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا له: هات، فقال لهم: ما تقولون، في رجل قال لكم: إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة بالأثقال، قد احتوتها في لجة البحر الأمواج المتلاطمة والرياح مختلفة، وهى من بينها تجرى مستوية ليس لها ملاح يجريها، ولا متعهد يدفعها، هل يجوز ذلك في العقل ؟ قالوا: لا، هذا شيء لا يقبله العقل ..!!.

---

(١) الغزال.

(٢) سورة الجاثية – الآية ٢٤.

فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله ! إذا لم يجز فى العقل سفينة تجرى في البحر مستوية من غير ملاح ولا متعهد يجريها، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ؟

فبكوا جميعا ، وقالوا: صدقت وأغمدوا سيوفهم وتابوا.

ـ ومرة أخرى سُئل عن وجود الصانع ؟.

فقال: إن الوالد يريد الذكر، فيكون أنثى، ويريد الأنثى فيكون الذكر فدل على الصانع.

ـ وبرهن الإمام أحمد بن حنبل على وجود الصانع :

فقال: قلعة حصينة ملسا، لا فرجة فيها، ظاهرها كالفضة المذابة، وباطنها كالذهب الإبريز، ثم انشقت الجدران، وخرج من القلعة حيوان سميع بصير.

فلا بد من الفاعل (القلعة هي البيضة) (والحيوان هو ما يخرج منها (فراخ، بط... الخ).

ـ وسأل هارون الرشيد مالكاً – رحمة الله عليه – عن ذلك ؟

فقال: انظر إلى اختلاف الأصوات، وتردد النغمات، وتفاوت اللغات، وصدق الله ﷻ حيث يقول﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ (١) .

ـ ويروى أن: بعض الزنادقة أنكروا الصانع عند جعفر الصادق:

فقال جعفر: هل ركبت البحر ؟

---

(١) سورة الروم – الآية ٢٢.

قال: نعم هاجت يوما الرياح الهائلة فكسرت السفن، وغرقت الملاحين، فتعلقت أنا ببعض ألواحها، ثم ذهب عنى ذلك اللوح ، فإذا أنا مدفوع فى تلاطم الأمواج، حتى دفعت إلى الساحل.

فقال جعفر: قد كان اعتقادك من قبل على السفينة والملاح، ثم على اللوح حتى ينجيك، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك، أم كنت ترجو السلامة بعد ؟

قال: بل رجوت السلامة. قال جعفر: ممن كنت ترجوها ؟. فسكت الرجل.

فقال جعفر: إن الصانع جل في علاه هو الذي كنت ترجوه وهو الذي أنجاك من الغرق ، فأسلم الرجل على يده .

ـ وسُئِلَ الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بما عرفت ربك ؟

فقال: عرفت ربى بربي، ولولا ربى ، ما عرفت ربى .

ـ وقيل لطبيب: بما عرفت ربك ؟

فقال : بإهليج مجفف أطلق ، وملين أمسك.

وقال آخر: عرفته بالنحلة، بأحد أطرافها تعسل، وبالآخر تلسع، والعسل مقلوب اللسع .

ـ وقال أعرابي: لمحمد بن على زين العابدين بن الحسين: هل رأيت الله ربك حين عبدته ؟

قال: لم أكن أعبد من لم أره، قال كيف رأيته ؟ ، قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، لكن رأته القلوب بحقيقة الإيمان، لا يدرك بالحواس، ولا يشبه بالناس،

معروف بالآيات، منعوت بالعلامات، لا يجور في القضيات ذلك الله لا إله إلا هو رب الأرض والسموات .

فقال الأعرابي: الله أعلم حيث يجعل رسالته .

ـ وّسئل أعرابى: عن الدليل ؟

فقال: البعرة.. تدل على البعير ، وآثار الأقدام .. تدل على المسير، فسماء ذات أبراج.. وأرض ذات فجاج.. وبحار ذات أمواج.. ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير.

ـ وهذا قس بن ساعدة الأيادى: آمن بالله ورسوله بفطرته السليمة ، فالله ﷻ فطر النفوس على معرفته ومحبته .

فعن ابن عباس(رضي الله عنهما) قال: لما قدم وفد إياد على رسول الله ﷺ قال لهم رسول الله ﷺ أيكم يعرف قس بن ساعدة الأيادى ؟ قالوا: كلنا نعرفه يا رسول الله ! قال: ما فعل ؟ قالوا: مات يا رسول الله ﷺ ! قال رسول الله ﷺ: رحم الله قس بن ساعدة ! ما أنساه وكأني أنظر إليه بسوق عكاظ فى الشهر الحرام على جمل أورق أحمر وهو يخطب الناس ويتكلم بكلام عليه حلاوة وهو يقول :

أيها الناس: اجتمعوا ، واسمعوا، واحفظوا، وعوا، من عاش مات، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وبحار تزخر، ونجوم تزهر ، ومطر ونبات، وآباء وأمهات ، وذاهب وآت، وضوء وظلام ، وبر وآثام ، ولباس ومركب، ومطعم ومشرب ، إن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لعبراً ، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحور لا تغور، أقسم قس قسماً حقا لئن كان في الأرض رضاً ليكون سخطاً ، إن لله دينا هو أحب الأديان إليه من دينكم الذي

أنتم عليه، مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالإقامة هناك فأقاموا، أم تركوا هناك فناموا ؟.

ثم قال: أقسم قس قسماً براً لا إثم فيه، ما لله على الأرض دين هو أحب إليه من دين أظلكم أبانه، وأدرككم أوانه، طوبى لمن أدركه فاتبعه، وويل لمن أدركه ففارقه، ثم أنشأ يقول:

فى الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مورداً ... للموت ليس له مصادر
ورأيت قومي نحوها ... تمضى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إلي ... ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محالة ... حيث صار القوم صائر (١)

وكان يقول: إن للسماء إلهاً عظيم الشأن.. هو الذي خلقها فسواها، وبالكواكب زينها ، وبالقمر المنير والشمس أشرقها ، وأظلم ليلها ، وأضاء نهارها ، وذكر الحديث .

ـ ومن النكت التي وقعت بصصد هذا الموضوع:

في إحدى المدارس الابتدائية، وقف معلم يقول لطلاب السنة السادسة الابتدائية: أترونني؟. قالوا: نعم، قال: فإذن أنا موجود، أترون اللوح؟. قالوا: نعم، قال: فاللوح إذن موجود، ثم قال: أترون الله ؟ قالوا: لا، قال: فالله إذن غير موجود.

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم الأصبهانى .

فوقف أحد الطلاب الأذكياء؛ وقال: أترون عقل الأستاذ: قالوا: لا. قال: فعقل الأستاذ إذن غير موجود. فالأستاذ مجنون.

ــ وقيل لأعرابية: أن فلاناً من العلماء قد فرغ الليلة من إقامة ألف دليل على وجود الله تعالى؛ فقالت: لأن في نفسه ألف شبهة. أما هي فالأمر عندها لا يحتاج إلى إثبات.

ــ ومن الطرائف التي تحكى قصة الخلاق والزبون؛ وفيها أن رجلاً ذهب إلي الحلاق لكي يحلق له شعر رأسه ويهذب له لحيته.

وما أن بدأ الحلاق عمله في حلق رأس هذا الرجل ، حتى بدأ بالحديث معه في أمور كثيرة إلى أن بدأ الحديث حول وجود الله، قال الحلاق: أنا لا أؤمن بوجود الله.

قال الزبون: لماذا تقول ذلك ؟.قال الحلاق: حسنا، مجرد أن تنزل إلى الشارع لتدرك بأن الله غير موجود، قل لي، إذا كان الله موجودا هل ترى أناسا مرضى؟ .

وإذا كان الله موجودا هل ترى هذه الأعداد الغفيرة من الأطفال المشردين ؟ . طبعا إذا كان الله موجودا فلن ترى مثل هذه الآلام والمعاناة. أنا لا أستطيع أن أتصور كيف يسمح ذلك الإله الرحيم بمثل هذه الأمور.

فكر الزبون للحظات لكنه لم يرد على كلام الحلاق حتى لا يحتد النقاش .وبعد أن انتهى الحلاق من عمله مع الزبون. خرج الزبون إلى الشارع، فشاهد رجل طويل شعر الرأس مثل الليف، طويل اللحية، قذر المنظر، أشعث أغبر، فرجع الزبون فورا إلى صالون الحلاقة ؛ وقال للحلاق: هل تعلم بأنه لا يوجد حلاق أبدا، قال الحلاق متعجبا :كيف تقول ذلك. أنا هنا وقد حلقت لك الآن .

قال الزبون: لو كان هناك حلاقين لما وجدت مثل هذا الرجل.

قال الحلاق: بل الحلاقين موجودين، وإنما حدث مثل هذا الذي تراه عندما لا يأتي هؤلاء الناس لي لكي أحلق لهم.

فقال الزبون: وهذا بالضبط بالنسبة إلى الله، فالله موجود ولكن يحدث ذلك عندما لا يذهب الناس إليه عند حاجتهم، ولذلك ترى الآلام والمعاناة في العالم.

ـ قال عالم الرياضيات مكتشف قانون الجاذبية إسحاق نيوتن: إنه لا يمكن أن تأتي إلى حيز الوجود مباهج عالم الطبيعة الزاهرة ومنوعاتها هذه بدون إرادة واجب الوجود أعني به الإله القادر قدرة مطلقة السميع البصير المكتمل الذي يسع كل شيء.

ـ قال هيرشل عالم الفلك الإنجليزي: كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حد لقدرته ولا نهاية.

ـ قال وولتر أوسكار لندبرج عالم الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية الأمريكي: أما المشتغلون بالعلوم الذين يرجون الله فلديهم متعة كبرى يحصلون عليها كلما وصلوا إلى كشف جديد في ميدان من الميادين إذ إن كل كشف جديد يدعم إيمانهم بالله ويزيد إدراكهم وأبصارهم لأيادي الله في هذا الكون.

ـ أما العالم الأمريكي الفسيولجى أندرو كونواى إيفى فقد قال: إن أحداً لا يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول إن الله موجود، كما إن أحداً لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول. إن الله غير موجود، وقد ينكر منكر وجود الله تعالى ولكنه لا يستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل. وأحيانا يشك الإنسان في وجود شيء من الأشياء ولابد في هذه الحالة أن يستند شكه إلى أساس فكري، ولكنني لم أقرأ ولم أسمع في حياتي دليلا عقليا واحدا على عدم وجوده تعالى وقد قرأت وسمعت

في الوقت ذاته أدله كثيرة على وجوده، كما لمست بنفسي بعض ما يتركه الإيمان من حلاوة في نفوس المؤمنين وما يخلفه الإلحاد من مرارة في نفوس الملحدين.

ــ وهذا العالم المادى الألمانى : (المتخصص فى علم الأحياء) يبحث فى معمله زهرة نادرة ، لم يكن رآها من قبل ، وحوله تلاميذه يشاركونه فى فحصه ، فبعد أن رأى عجائب الزهرة ، أخذ يصيح ، ويقول : الآن عرفت الله ..

ــ في مواعظ الإمام على ﷺ وكرم الله وجهه: أنه ذكر ملك الموت فقال: هل تحس به إذا دخل منزلا ؟! أم هل تراه إذا توفى أحداً ؟! بل كيف يتوفى الجنين في بطن أمه ..؟! أيلج عليه من بعض أحشائها، أم أجابته الروح بإذن ربها ..؟!

كيف يصف إلهه من لا يستطيع أن يصف مخلوق مثله؟!(١).

(١) كتاب نهج البلاغة .

تأمل في قدرة الله

تأمل في نبات الأرض وانظـر ... إلى آثار ما صـــــنع المليـك
عيون من لجين شاخصـــات ... وأزهارها كما الذهب السبيك
على قضيب الزبرجد شاهدت ... بأن الله ليس له شـــــريك(١)

وقال ابن المعتز :

فيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيــف يجحــده الجاحــد
وفــى كــل شــىء لــه أيــه ... تــدل علــى أنــه واحــد

(١) من شعر أبي نواس .

قصيدة مع الله والذرة

يـــا أيهـــا الإنســـان مهـــلاً واتئـــد		واشـــكر لربـــك فضـــل مـــا أولاك
كـــل العجائـــب صـــنعة العقـــل الـــذي		هـــو صـــنعة الله الـــذي ســـواكا
والعقـــل لـــيس مـــدرك شـــيئا إذا		مـــا الله لـــم يكتـــب لـــه الإدراكـــا
لله فـــي الآفـــاق آيـــات لعـــل		أقلهـــا هـــو مـــا إليهـــا هـــداكا
ولعـــل مـــا فـــي الـــنفس مـــن آياتـــه		عجـــب عجـــاب لـــو تـــري عيناكـــا
قـــل للطبيـــب تخطفتـــه يـــدي الـــردي		يـــا شـــافي الأمـــراض مـــن أرداكـــا ؟
قـــل للمـــريض نجـــا وعـــوفي بعـــد مـــا		عجـــزت فنـــون الطـــب مـــن عافاكـــا ؟
قـــل للصـــحيح يمـــوت لا مـــن علـــة		مـــن بالمنايـــا يـــا صـــحيح دهاكـــا ؟
قـــل للبصـــير وكـــان يحـــذر حفـــرة		فهـــوي بهـــا مـــن ذا الـــذي أهواكـــا ؟
بـــل ســـائل الأعمـــي خطـــا بـــين الزحـــام		بـــلا اصـــطدام مـــن يقـــود خطاكـــا ؟
قـــل للجنـــين يعـــيش معـــزولا بـــلا		راع ولا مرعـــي مـــا الـــذي يرعاكـــا ؟
قـــل للوليـــد بكـــي وأجهـــش بالبكـــاء		لـــدي الـــولادة مـــا الـــذي أبكاكـــا ؟
وإذا تـــري الثعبـــان ينفـــث ســـمه		فاســـأله مـــن ذا بالســـموم حشـــاكا ؟
وأســـأله كيـــف تعـــيش أو تحيـــا		وهـــذا الســـمُ يمـــلأ فاكـــا ؟
وأســـأل بطـــون النحـــل كيـــف تقـــاطرت		شـــهداً وقـــل للشـــهد مـــن حلاكـــا ؟
بـــل ســـائل اللـــبن المصـــفي كـــان		بـــين دم وفـــرث مـــا الـــذي صـــفاكا ؟

وإذا رأيت الحي يخرج من حنايا		ميت فاسأله من أحياكا ؟
قل للهواء تحسه الأيدي ويخفي		عن عيون الناس من أخفاكا ؟
قل للنبات يجف بعد تعهد		ورعاية من بالجفاف رماكا ؟
وإذا رأيت النبت في الصحراء		يربو وحده فسأله من أرباكا ؟
وإذا رأيت البدر يسري ناشراً		أنواره فاسأله من أسراكا ؟
واسأل شعاع الشمس يدنو وهي		أبعد كل شيء ما الذي أدناك ؟
قل للمرير من الثمار من الذي		بالمر من دون الثمار رماكا ؟
وإذا رأيت النخل مشقوق النوي		فاسأله من يا نخل شق نواكا ؟
وإذا رأيت النار شب لهيبها		فاسأل لهيب النار من أوراكا ؟
وإذا تري الجبل الأشم مناطحا		قمم السحاب فاسأله من أرساكا ؟
وإذا تري الصخر يفجر بالمياه		فسله من بالماء شق صفاكا ؟
وإذا رأيت النهر بالعذب الزلال		جري فسله من الذي أجراك ؟
وإذا رأيت البحر بالملح الأجاج		طغى فسله من الذي أطفاك ؟
وإذا رأيت الليل ينشي داجيا		**فأسأله ياليل من يا ليل حاك دجاجك؟**
وإذا رأيت الصبح يُسفر ضاحيا		فاسأله من يا صبح صاغ ضحاكا؟
الله في كل العجائب ماثل		إن لم تكن تراه فإنه يراكا[1]

(١) القصيدة للشيخ علي بديوي – شيخ معهد دمنهور – نقلا من كتاب وصايا الرسول

مراقبة الله جل جلاله

الآيات في مراقبة الله تعالى:

قال تعالى : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الشعراء – الآية ٢١٨ .
(٢) سورة المجادلة – الآية ٧ .
(٣) سورة العلق – الآية ١٤ .
(٤) سورة المائدة – الآية ١١٧ .
(٥) سورة النساء – الآية ١ .
(٦) سورة الأحزاب – الآية ٥٢ .

الأحاديث في المراقبة:

فى حديث جبريل عليه السلام أنه: لما سأل رسول الله ﷺ عن الإحسان؟ فقال:" أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ" صحيح مسلم .

مِنْ جَرَّايَ، أي: ابتغاء وجهي.

معنى المراقبة:

يقول ابن القيم : المراقبة: دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه(٢) .

فكلما هَفَت نفسه إلى المعصية، عَلِمَ علم اليقين أن الله البصير سبحانه وتعالى مُطلعٌ على خفايا نفسه وعلى سره وجهره .. فلا يكن الله تعالى أهون الناظرين إليه.

فإذا تيَّقن العبد من نظر الله تعالى إليه، تتولد لديه مراقبة لله في جميع أحواله مما يجعله يرتقي درجة عظيمة من درجات الإيمان ألا وهي درجة الإحسان.

---

(١) انظر صحيح مسلم شرح النووى – باب تعريف الإسلام والإيمان – ١٥٦/١

(٢)مدارج السالكين ٦٥/٢ .

قال الحارث المحاسبي: أوائل المراقبة: علم القلب بقرب الرب ﷻ، والمراقبة في نفسها التي تورث صاحبها وتكمل له الاسم ويستحق أن يسمي مراقبًا: دوام علم القلب بعلم الله ﷻ في سكونك وحركتك، علمًا لازمًا للقلب بصفاء اليقين.

ومن أسمائه الحسنى (الرقيب):

الرقيب في اللغة:

فعيل بمعنى فاعل وهو الموصوف بالمراقبة، والرقابة تأتي بمعنى الحفظ والحراسة والانتظار مع الحذر والترقب.

وعن ابن عمر رضي الله عنه: أن أبا بكر رضي الله عنه قال: "ارْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ"صحيح البخاري، أي: احفظوه فيهم .

وقال هارون عليه السلام:{ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}(١).

فالرقيب الموكل بحفظ الشيء المترصد له المتحرز عن الغفلة فيه، ورقيب القوم حارسهم، وهو الذي يشرف على مرقبة ليحرسهم، ورقيب الجيش طليعتهم، والرقيب الأمين .. وراقب الله تعالى في أمره، أي: خافه.

ومعنى "الرقيب" أي: المراقب، المطلع على أعمال العباد، الذي لا تخفى عليه خافية، ويدخل في معنى "الرقيب" أيضاً: المدبر لأمور الخلق على أحسن ما يكون.

---

(١) سورة طه _ الآية ٩٤

وقال الخازن في "لباب التأويل" (٤٧٣/١) في تفسير قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) : والرقيب في صفة الله تعالى: هو الذي لا يغفل عما خلق، فيلحقه نقص، ويدخل عليه خلل، وقيل: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء من أمر خلقه، فبيّن بقوله : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) أنه يعلم السر وأخفى ، وإذا كان كذلك فهو جدير بأن يخاف ويتقى" انتهى .

وقال الألوسي في "روح المعاني" (٢٠٩/٤) :ناظراً إلى قلوبكم ، مطلعاً على ما فيها" انتهى .

وقال في "التحرير والتنوير" (١٥٠/١٣) في تفسير قوله تعالى : (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ): والقائم على الشيء : الرقيب فيشمل الحفظ والإبقاء والإمداد" انتهى .

وجاء في "لسان العرب" (٤٢٤/١) مادة : (رقب) : في أَسماءِ اللّه تعالى: الرَّقِيبُ ، وهو الحافظُ الذي لا يَغيبُ عنه شيءٌ" انتهى .

وقال ابن جرير في قوله : (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) :وكان الله على كل شيء : ما أحل لك، وحرم عليك، وغير ذلك من الأشياء كلها، حفيظًا ، لا يعزب عنه علم شيء من ذلك ، ولا يؤوده حفظ ذلك كله" (١).

وقال الزجاج : الرقيب: هو الحافظ الذي لا يغيب عمَّا يحفظه(٢).

---

(١)تفسير الطبري" (٣٠٤/٢٠).

(٢)تفسير الأسماء (٥١)

وقال السعدي : الرقيب: المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفسٍ بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير(١).

الآثار في مراقبة الله تعالى:

وعن عبد الله بن دينار، قال: خرجت مع ابن عمر إلى مكة فعرسنا، فانحدر علينا راع من الجبل، فقال له ابن عمر رضي الله عنهما: أرع أنت ؟ قال: نعم ، قال: بعني شاة من الغنم ؟ قال: إني مملوك ، قال: قل لسيدك أكلها الذئب، قال: فأين الله ﷻ ؟ قال ابن عمر: فأين الله ثم بكى، واشتراه بعد وأعتقه (٢).

وخرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، ليلا يتعسس، ليتفقد أحوال الرعية حتى قرب الفجر، فتأهب ليذهب إلى المسجد ، فسمع امرأة تقول : لابنتها أمزقي اللبن بالماء ، فقالت البنت : كيف أمزق (أخلط) وقد نهى أمير المؤمنين عن المزق ؟ فقالت الأم: إن الناس يمزقون، فما يدرى أمير المؤمنين بنا إن مزقنا ولا يرانا. فقالت البنت: يا أماه ! أن كان أمير المؤمنين لا يرانا فرب أمير المؤمنين يرانا.

ويروى: أن رجلا راود امرأة في فلاة ليلاً فأبت، فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب . فقالت : فأين مكوكبها (أي خالقها وصانعها) .

وأكره رجل: امرأة على نفسها وأمرها بغلق الأبواب، فقال لها: هل تبقى باب لم تغلقينه ؟ قالت : نعم ، الذي بيننا وبين الله .. فتركها ولم يتعرض لها .

ورأى بعض الصالحين رجلا يكلم امرأة، فقال: إن الله يراكما سترنا الله وإياكم.

---

(١)تيسير الكريم الرحمن ٩٤٧/١ .

(٢) تاريخ الإسلام - ٥٩٧/٢ .

وسُئِلَ الجنيد (رحمة الله): بما يستعان على غض البصر ؟ قال: بعلمك إن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى من تنظره.

وقال سفيان الثوري: عليك بمراقبة من لا تخفى عليه خافيه

وقال ابن المبارك: راقب الله يا فلان، فسأله الرجل عن المراقبة ؟ فقال له : كن أبداً كأنك ترى الله ﷻ.

وقال المحاسبي: المراقبة علم القلب بقرب الرب .

وقال ابن القيم(رحمه الله): المراقبة دوام علم العبد وتيقنه ، باطلاع الحق الله ﷻ على ظاهره وباطنه، بأن الله تعالى (رقيب عليه .. ناظر إليه .. سامع لقوله .. مطلع على عمله) وهى امتلاء القلب من عظمة الله تعالى ، بحيث يذهله ذلك عن تعظيم غيره .

وقيل: من راقب الله تعالى في خواطره عصمه في حركات جوارحه.

وقيل لبعضهم: متى يهش الراعي، غنمه بعصاه عن مراتع الهلكة ؟ فقال: إذا علم أن الله عليه رقيب.

وكان الإمام أحمد رحمه الله عليه يردد هذه الأبيات :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفـــــل ساعة ولا أن ما تخفــى عليه يغيب

يقول ابن القيم في النونية:

وَهْوَ الرَّقِيبُ عَلَى الخَوَاطِرِ واللَّوَا ... حِظِ كَيْفَ بالأَفْعَالِ بالأَرْكَانِ(١)

(١)القصيدة النونية (٢٤٤).

وقال ذا النون المصري: علامة المراقبة: إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظم الله، تحقير ما حقر الله وتصغير ما صغر الله.

والمراقبة هي: التعبد بأسمائه (الرقيب.. الحفيظ.. العليم.. السميع.. البصير).

فعلى العبد أن يراقب ربه بالمحافظة على حدوده وشرعه واتباعه لسُنَّة نبيه ﷺ .. فيوقن بأن الله معه من فوق عرشه يتابعه يراه ويسمعه، كما ورد من حديث عبد الله بن عباس ﷺ أن رسول الله قال له: "يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سَألت فاسْأل الله، وإذا اسْتعنتَ فاسْتعن بالله" رواه الترمذي وصححه الألباني .

قال الحسن "رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر" ..

ثم تأتي مرحلة المراقبة بعد العمل .. وهي أن يكون قلبه وجلاً ألا يُقبَل عمله، وهذا من تمام المراقبة .. قال تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: ٦٠]

ومن راقب الله في خواطره، عصمَّه الله في حركات جوارحه.

ويقول أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري: إذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ونفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك .

وينبغي على العبد أن: يراقب نفسه قبل العمل وأثناء العمل وبعد الفراغ من العمل.

وفوائد المراقبة ست:

١) الفوز بالجنة والنجاة من النار.

٢) أن يشمله الله بحفظه ورعايته في الدنيا والآخرة .. كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم ".. ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه" [متفق عليه]

٣) الأمان من الفزع الأكبر يوم القيامة ..

٤) المراقبة دليلٌ على كمال الإيمان وحُسن الإسلام .. فالمراقبة ترتقي بإيمان العبد إلى درجة الإحسان:" أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ" رواه مسلم.

٥) تُثمر محبة الله تعالى ورضاه .

٦) يرزقه الله تعالى حُسن الخاتمة.

وورد اسم (الرقيب)في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام:{ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيم } [المائدة:١١٧].

وورد في السُّنَّة المطهَّرة .. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ "تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ثُمَّ قَرَأَ { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } .. فَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ

عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }" صحيح البخاري.

وفي خطبة الحاجة .. كما ورد من حديث ابن مسعود ﷺ قَال: علمنا رسول اللهِ خطبة الحاجة: "إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلاَ مُضِل لهُ، وَمَنْ يُضْلِل فَلاَ هَادِي لهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ الذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " رواه أبو داوود وصححه الألباني.

وأخيرا نختم بقول الله ﷻ ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأرض وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١) .

(١) سورة يونس – الآية ٦١ .

الرجـاء

قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فإن أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ (٤)(٥).

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) سورة العنكبوت – الآية ٥ .

(٢) سورة الكهف – الآية ١١٠ .

(٣) سورة البقرة – الآية ٢١٨ .

(٤) سورة الإسراء – الآية ٥٧ .

٥) ابتغاء الوسيلة : طلب القرب منه بعبوديته ، ومحبته.. فذكر الله ﷻ ثلاث مقامات (المحبة – الرجاء – الخوف) التي بني عليها الإيمان : هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى .

وقيل : هو الثقة بجود الرب .

وقيل : هو حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة.

وَسَلَّمَ:" أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ، قُلْنَا: لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ:" لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا ". متفق عليه (١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فَمَرَّ بِقَوْمٍ فَقَالَ:" مَنِ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ وَامْرَأَةٌ تَحْضِبُ بِقِدْرِهَا وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا ، فَإِذَا ارْتَفَعَ وَهَجٌ تَنَحَّتْ بِهِ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَتْ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَلَيْسَ اللَّهُ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَتْ أَلَيْسَ اللَّهُ أَرْحَمَ بِعِبَادِهِ مِنَ الْأُمِّ بِوَلَدِهَا ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: إِنَّ الْأُمَّ لَا تُلْقِي وَلَدَهَا فِي النَّارِ ، فَأَكَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْكِي، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا الْمَارِدَ الْمُتَمَرِّدَ الَّذِي يَتَمَرَّدُ عَلَى اللَّهِ وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ "رَوَاهُ ابْنُ مَاجَة (٢).

الفرق بين التمني والرجاء ؟

التمني: يكون مع الكسل بدون الجهد والتعب والاجتهاد، مثل: من يتمنى أن تكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها أو كالذي يبذره في أرض سبخة صلبة مرتفعة لا يصل إليها الماء ، ولم يتعهدها أصلاً ، ثم انتظر الحصاد فهذا يسمى انتظاره حُمقاً وغروراً وتمنياً لا رجاء.

والرجاء: يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل.. مثل: رجل له أرضاً طيبة فشقها وفلحها فألقى فيها بذراً حميداً ، ثم ساق إليها الماء في أوقات الحاجة ، ونقى الأرض

---

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الدعوات _ باب سعة رحمة الله ٢/ ٧٣٢.

(٢) المرجع السابق ٢/٧٣٥.

من الشوك والحشائش، وما يفسد الأرض ثم جلس ينتظر من فضل الله ﷻ دفع الصواعق والآفات والحشرات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته فهذا يسمى انتظاره رجاء .

فالعبد إذا ثبت بذر الإيمان، وسقاه بماء الطاعات، وطهر القلب من شكوك الأخلاق الرديئة، وطلب من الله: أن يثبته على ذلك إلى الموت " اللهم يا مثبت القلوب ، ثبت قلوبنا على دينك " .

وحسن الخاتمة، المفضية إلى المغفرة.. كان انتظاره لذلك رجاءاً محموداً، باعثاً على المواظبة على الطاعات، والقيام بمقتضى الإيمان حتى الموت.

وإن انهمك في طلب الدنيا، وانشغل عن الطاعات، وترك قلبه مشحونا برذائل الأخلاق.. كان ذلك حمقاً وغروراً، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (١) .

قال ابن كثير رحمة الله عليه: فخلف من بعد الجيل الذين منهم الصالح والطالح، خلق آخر لا خير فيهم، وقد ورثوا دراسة الكتاب والتوراة، قال مجاهد: هم النصارى وقد يكون أعم من ذلك يقاضون عن بذل الحق ونشره، بعَرض الحياة الدنيا، ويسوفون أنفسهم، ويعدونها بالتوبة، كلما شرف لهم شيء في الدنيا أخذوه حلالاً كان، أم حراماً ويتمنون المغفرة (٢).

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٦٩ .

(٢) انظر مختصر منهاج القاصدين .

قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً﴾ (١) مع كفره وعناده وتجبره وإنكاره المعاد قال تعالى ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً﴾ (٢) قال ذلك اغتراراً منه ، لما رأى فيها من الزروع، والثمار، والأشجار، والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها .. ظن أن لا تفرغ، ولا تفنى، ولا تهلك، ولا تتلف، لقلة عقله، وضعف يقينه بالله ﷻ ، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها ، وكفره بالآخرة (٣) .

ولهذا قالوا الرجاء ثلاثة أنواع:

١) رجل عمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله.

٢) ورجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها، فهو يرجو لمغفرة الله ﷻ وإحسانه وجوده وكرمه وحلمه.

٣) ورجل متمادٍ في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو المغرور المتمني صاحب الرجاء الكاذب.. ولهذا أجمع العارفون على أن: الرجاء لا يصح إلا مع العمل.

وقال شاه كرمان: علامة الرجاء حسن الطاعة.

---

(١) سورة الكهف – الآية ٣٥ .

(٢) سورة الكهف – الآية ٣٦ .

(٣) مدارج السالكين لابن القيم . مختصر تفسير ابن كثير .

وقال معروف الكرخي: رجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه خذلان، وحمق، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) .

(١) سورة البقرة – الآية ٢١٨ .

تقوى الله جل جلاله

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتم مُسْلِمُونَ﴾ (١)

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣).

ثم ذكر خصال التقوى فقال: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٤).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هي أن يطاع الله فلا يعصى.. ويذكر فلا ينسى.. ويشكر فلا يكفر.. والتقوى هي رأس الأمر كله.

---

(١) سورة آل عمران – ١٠٢ .
(٢) سورة البقرة – ١٧٧.
(٣) سورة آل عمران – ١٣٤.
(٤) سورة آل عمران – ١٣٣.

وهى وصية الله ﷻ للأولين والآخرين قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فإن لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً﴾ (١)

تعريف التقوى:

أن تجعل بينك وبين الله وقاية بامتثال أمره واجتناب نهيه.

قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله ﷻ على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله ﷻ.

وسأل عمر بن الخطاب أبي بن كعب (رضي الله عنهما) عن التقوى ؟ فقال أبي: أما سلكت طريقا فيه شوك: قال بلى: قال فما عملت: قال شمرت واجتهدت: قال فذلك التقوى .

وقال الحسن: التقوى أن لا تختار على الله سوى الله وتعلم أن الأمور كلها بيد الله ﷻ.

وقال على بن أبي طالب : هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل .

وقال على أيضاً : هي ترك الإصرار على المعصية.. وترك الاغترار بالطاعة .

وقيل: التقوى أن تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق.

وقيل: التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك.

---

(١) سورة النساء – الآية ١٣١ .

الزمان والمكان :

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن" رواه الإمام أحمد والترمذي(١).

والتقوى: أن ترى العبد وقافاً عند حدود الله ﷻ.

ثمرات التقوى :

محبة الله: قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢).

الولاية لله عز وجل : قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) .

الهداية: قال تعالى: ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤)

الحصول علي المعية الإلهية:قال تعالى ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٥)

الحصول علي الفلاح: قال تعالى ﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ﴾ (٦) .

قبول الأعمال : قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٧) .

---

(١) رواه الإمام أحمد [٢١٣٥٤] و الترمذي [١٩٨٧] و قال : (حديث حسن صحيح) ، و حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ، و انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة[١٣٧٣] .

(٢) سورة التوبة – الآية ٧ .

(٣) سورة الجاثية – الآية ١٩ .

(٤) سورة البقرة – الآيتان ١ ، ٢ .

(٥) سورة التوبة – الآية ١٢٣ .

(٦) سورة آل عمران – الآية ١٣٠ .

(٧) سورة المائدة – الآية ٢٧ .

التيسير في كل الأمور: قال تعالى ﴿ وَمَن يَتّقِ اللّهَ يَجْعَل لّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴾ (١) .

حصول الرزق : قال تعالى ﴿ وَمَن يَتّقِ اللّهَ يَجْعَل لّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ﴾ (٢)

تكفير السيئات وتعظيم الأجر والثواب : قال تعالى ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتّقِ اللّهَ يُكَفّرْ عَنْهُ سَيّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرا ﴾ (٣) .

حصول النور وتكفير السيئات ومغفرة الذنوب : قال تعالى﴿ يا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفّرْ عَنكُمْ سَيّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٤)

التوفيق للعلم: قال تعالى ﴿ وَاتّقُواْ اللّهَ وَيُعَلّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٥)

إصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب: قال تعالى ﴿ يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اتّقُواْ اللّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ﴾ (٦)

---

(١) سورة الطلاق – الآية ٤ .
(٢) سورة الطلاق – الآيتان ٢ ، ٣ .
(٣) سورة الطلاق – الآية ٥ .
(٤) سورة الأنفال – الآية ٢٩ .
(٥) سورة البقرة – الآية ٢٨٢ .
(٦) سورة الأحزاب – الآية ٧٠ .

حصول الفوز:قال تعالى: ﴿ إِنّ لِلْمُتّقِينَ مَفَازاً * حَدَآئِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً * وَكَأْساً دِهَاقاً ﴾ (١) .

حصول النجاة : قال تعالى: ﴿ وَيُنَجّي اللّهُ الّذِينَ اتّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسّهُمُ السّوَءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢)

محبة الأخلاء يوم القيامة: قال تعالى ﴿ الأخِلاّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ إِلاّ الْمُتّقِينَ ﴾ (٣)

عز الفوقية علي الخلق: قال تعالى ﴿ وَالّذِينَ اتّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٤)

البشري بالكرامات: قال تعالى ﴿ أَلآ إِنّ أَوْلِيَآءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٥)

الحصول علي موعود الله بالجنة:

قال تعالى: ﴿ إِنّ الْمُتّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (٦)

وقال تعالى: ﴿ إِنّ الْمُتّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴾ (٧)

---

(١) سورة النبأ – الآيات من ٣١ : ٣٤ .
(٢) سورة الزمر – الآية ٦١ .
(٣) سورة الزخرف – الآية ٦٧ .
(٤) سورة البقرة – الآية ٢١٢ .
(٥) سورة يونس – الآية ٦٢ .
(٦) سورة الحجر – الآية ٤٥ .
(٧) سورة الطور – الآية ١٧ .

وقال تعالى: ﴿ إِنّ الْمُتّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (١)

حصول القرب من الله: قال تعالى: ﴿ إِنّ الْمُتّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مّقْتَدِرٍ ﴾ (٢)

النجاة من النار: قال تعالى: ﴿ وَإِن مّنكُمْ إِلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىَ رَبّكَ حَتْماً مّقْضِيّاً * ثُمّ نُنَجّي الّذِينَ اتّقَواْ وّنَذَرُ الظّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾ (٣) .

لتكن مشيتك إلى المسجد أوقر مشية ، ولتكن خشيتك فى الصلاة أوفر خشية ، واذكر عزة الملك العزيز ، ولا تنس حديث الأزيز ، وانظر بين يدي أي جبار أنت ماثل ،ولأي مكار أنت مقاتل .

احرص وفيك بقية، على أن تكون لك نفس تقيه، فلن يسعد إلا التقى، وكل من عداه شقي.

فالمتقي: من سلك سبيل المصطفى ﷺ، ونبذ الدنيا وراء القفا ، وكلف نفسه الإخلاص والوفا، واجتنب الحرام .

---

(١) سورة الدخان – الآية ٥١ .

(٢) سورة القمر – الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) سورة مريم – الآيتان ٧١ ، ٧٢ .

الإتباع (لسيد الخـــلق)

محمدٌ رسول الله ﷺ

قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الأِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ (١). وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى "قِيلَ: وَمَنْ أَبَى ؟ قَالَ: أطاعني دخل الجنة، ومَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى" رواه البخاري (٣).

وعن أبي رافع وغيره رفعه قال : قال رسول الله ﷺ: " لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في

(١) سورة الفتح – الآية ٢٩.

(٢) سورة النساء _ الآية ٦٤.

(٣) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الاعتصام بالكتاب والسنة ٥١/١.

كتاب الله اتبعناه " رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة والبيهقي في دلائل النبوة. وقال الترمذي حسن صحيح [١].

وعن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال : " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه " رواه أبو داود وروى الدارمي نحوه وكذا ابن ماجة إلى قوله : " كما حرم الله " [٢].

وعن العرباض بن سارية : قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فأوصنا قال : " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة " . رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة إلا أنهما لم يذكرا الصلاة (٣)

---

(١) المرجع السابق ٥٧/١.
(٢) المرجع السابق ٥٧/١
(٣) المرجع السابق ٥٨/١.

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " رواه في شرح السنة وقال النووي في أربعينه : هذا حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح [١].

وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ.متفق عليه "[٢].

ولهذا يشترط لقبول الأعمال شرطين:

أولهما: أن يكون صاحبه قد قصد به وجه الله عز وجل.

ثانيهما: أن يكون موفقا لما شرعه الله تعالى في كتابه، أو بيّنه نبيّه في سنته.. فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :" مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ "متفق عليه، وعَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

ولهذا قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: وفيه أنَّ العملَ وإن وافق نية حسنة لَم يصح إلاَّ إذا وقع على وفق الشرع.

ومِمَّا يدلُّ على أنَّه لا بدَّ مع حسن القصد من موافقة السنَّة قصة الصحابي الذي ذبح أُضحيته قبل صلاة العيد، وقال له النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم:" شاتُك شاةُ لحم " (٤).

---

(١) المرجع السابق ١/٥٩.

(٢) المرجع السابق ١/٥١.

(٣) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان _ باب الإعتصام بالكتاب والسنة١/ ٥١.

(٤) رواه البخاري (٩٥٥) ومسلم (١٩٦١)،

ويدلُّ على ذلك أيضاً : أنَّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه جاء إلى أناس متحلِّقين في المسجد، وبأيديهم حصى، وفيهم رجلٌ يقول: كبِّروا مائة، فيُكبِّرون مائة يعدُّون بالحصى، ويقول: هلِّلوا مائة، سبِّحوا مائة كذلك، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعدُّ به التكبيرَ والتهليلَ والتسبيحَ، قال: فعُدوا سيِّئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا يَضيعَ من حسناتكم شيءٌ، وَيْحَكم يا أمّة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابةُ نبيِّكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابُه لَمْ تَبْلَ، وآنيتُه لَمْ تُكسر، والذي نفسي بيده إنَّكم لَعلَى مِلَّةٍ هي أهدى من مِلَّة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلاَّ الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه(١).

وكذلك أصحاب السفينة الذين أرادوا أن يخرقوا خرقا في السفينة، الذين جاءوا في المثل الذي ضربه النبي: عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا »[٢] ، وفي رواية بلفظ : « إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»[٣].

---

١) سنن الدارمي (٢١٠) بإسناد صحيح، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (٢٠٠٥).

فإذا اختلّ واحد من هذين الشرطين لم يكن العمل صالحا ولا مقبولا ويدل على هذا قوله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١)، فقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يكون العمل صالحا أي: موافقا للشرع، ثم أمر أن يخلص به صاحبه لله، لا يبتغي به سواه.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: وهذان ركنا العمل المتقبل: لا بد أن يكون خالصا لله تعالى، صوابا على شريعة رسول الله ﷺ، وروي مثل هذا عن القاضي عيّاض رحمه الله وغيره.

- معنى (محمد رسول الله):

أ - طاعته ﷺ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

ب ـ هداية ورحمة للعالمين: قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢).

- المقصد من (محمد رسول الله):

أ ـ تحويل العادات إلي عبادات.

ب ـ إخراج طرق الأغيار (اليهود ، والنصارى، والمشركين، والمجوس، والملحدين، من حياتنا)، وإدخال حياة النبي ﷺ في حياتنا، من عبادات، ومعاملات

---

١) سورة الكهف – الآية ١١٠.

(٢) سورة الأنبياء – الآية ١٠٧.

ومعاشرات، وأخلاق.

جـ ـ كُل الطرق تؤدي إلى الهلاك والفساد والخسران، إلا طريق الرسول ﷺ فإنه يؤدي إلى الفوز والفلاح والنجاح، فكيف تكون حياتنا مطابقة لحياه الرسول ﷺ في الصورة والسيرة والسريرة.

د ـ قبول الأعمال.

- **مقتضيات محمد رسول الله (ﷺ):**

١) تصديقه ﷺ فيما أخبر والاعتقاد بأن ما جاء به هو الحق من عند الله تعالى وأن ما سواه هو الباطل قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾(١).

٢) الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم.

٣) الإيمان بكونه خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات.

٤) الإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع.

٥) الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها وأدى الأمانة ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها.

٦) النصيحة له: وذلك يتحصل بتعظيمه ونصره حياً وميتاً وإحياء سنته وتعليمها والإقتداء به في أقواله وأفعاله ومحبته ومحبة أتباعه.

٧) الإيمان بعصمته ﷺ.

٨) طاعته صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة النجم – الآيتان ٣ ، ٤.

٩) اتباع سنته صلى الله عليه وسلم.

١٠) محبته صلى الله عليه وسلم.

١١) كثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

- وجوب محبته:

الدليل من القرآن:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[١].

قال القاضي عياض: "كفى بهذه الآية حظا وتنبيها ودلالة وحجة على لزوم محبته ووجوب فرضها واستحقاقه لها ﷺ؛ إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى (فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ) ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله"[٢] .

---

(١) سورة التوبة – الآية ٢٤.

(٢) الشفاء للقاضي عياض.

الدليل من السنة:

عَنْ أَنَسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ متفق عليه (١)

وَعَنْ أَنَسٍ ، عَنْهُ ﷺ": ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ، وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا . وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ". متفق عليه (٢)

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ :" لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ .فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :" لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ.فَقَالَ عُمَرُ : وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: " الْآنَ يَا عُمَرُ " (٣) .

وعن أنس بن مالك قال:جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! متى الساعة ؟ قال: وما أعددت للساعة ؟ قال: حب الله ورسوله، قال: فإنك مع من أحببت.

قال أنس فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي ﷺ:" فإنك مع من أحببت، قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم(٤).

---

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان ١/ ١٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) البخاري ٥٢٣/١١ مع الفتح.

(٤) مسلم ١٤٥/٨

بعض الآثار في محبة الصحابة لرسول الله:

١) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه[١]

٢) وسئل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ [٢].

٣) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ما نمت ليلة إلا رأيت فيها النبي ﷺ في المنام.

٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ بعبد الله بن أُبي وهو في ظل أُطُم فقال: غبَّر علينا ابن أبي كبشة. فقال ابنه عبد الله بن عبد الله رضي الله عنه: يا رسول الله والذي أكرمك لئن شئت لأتيتك برأسه؟ فقال: لا، ولكن بَرَّ أباك وأحسن صحبته. قال الهيثمي: رواه البزّار ورجاله ثقات.

وعند الطبراني عن عبد الله بن عبد الله أنه استأذن النبي ﷺ أن يقتل أباه قال: «لا تقتل أباك».وعند ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول رضي الله عنه أتى رسول الله ﷺ إنَّه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمر لي به فأنا أحمل

---

(١) مسلم ١٤٥/٨

(٢) الشفاء

إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرَّ بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله؛ فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ:" بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا ". كذا في البداية .

وأخرج الطبراني عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني المصطلق قام ابن عبد الله بن أبي رضي الله عنه فسلّ على أبيه السيف، وقال لله عليَّ أن لا أغمده حتى تقول: محمد الأعزُّ وأنا الأذلُّ قال: ويلك محمد الأعزّ وأنا الأذلُّ، فبلغت رسول الله ﷺ فأعجبه وشكرها له.

٥) وأخرج ابن سعد عن الزهري قال: لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة، فكلَّمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يُقْبِل عليه رسول الله ﷺ فقام فدخل على ابنته أم رضي الله عنها. فلمّا ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه. فقال: يا بنية أرغبتِ بهذا الفراش عني أم بي عنة؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نَجِس مشرك. فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر. وذكره ابن إسحاق نحوه بلا إسناد، كما في البداية وزاد: فلم أحب أن تجلس على فراشه.

٦) روى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر أن سعد بن معاذ رضي الله عنه قال: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعدُّ عندك ركائبك، ثم نلقي عدونا، فإن أعزَّنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت

الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلَّف عنك أقوام ما نحن بأشد حبّاً لك منهم، ولو ظنُّوا أنك تلقي حرباً ما تخلَّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش كان فيه. كذا في البداية .

٧) وأخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليَّ من نفسي، وإنك لأحب إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيِّين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك؛ فلم يردّ عليه النبي ﷺ شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ}(١) (٢).

وعند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لأحبك حتى إني لأذكرك فلولا أنِّي أجيء فأنظر إليك ظننت أن نفسي تخرج، فأذكر أنِّي إن دخلت الجنة صرت دونك في المنزلة، فيشقُّ ذلك عليَّ وأحب أن أكون معك في الدرجة، فلم يردّ عليه رسول الله ﷺ شيئاً، فأنزل

---

(١) سورة النساء _ الآية: ٦٩.

(٢) قال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة. انتهى. وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن عائشة رضي الله عنها بهذا السياق والإسناد نحوه، وقال: هذا حديث غريب من حديث منصور وإبراهيم تفرد به فُضَيل، وعنه العابدي.

الله عزل وجل: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مّنَ النَّبِيّينَ وَالصّدّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ}الآية ـ. فدعاه رسول الله ﷺ فتلاها عليه.(١)

٨) وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أصابت نبي الله ﷺ خَصَاصة، فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه، فخرج يلتمس عملاً يصيب فيه شيئاً لُيغيث به النبي ﷺ فأتى بستاناً لرجل من اليهود فاستسقى له سبعة عشر دلواً، على كل دول تمرة، فخيَّره اليهودي على تمرِه فأخذ سبعة عشر عجوة، فجاء بها إلى النبي ﷺ فقال: «من أين لك هذا يا أبا الحسن؟» قال: بلغني ما بك من الخصاصة يا نبي الله، فخرجت ألتمس لك عملاً لأصيب لك طعاماً. قال: «حملك على هذا حبُّ الله ورسوله؟» قال: نعم يا نبي الله. قال النبي ﷺ :« ما من عبد يحب الله ورسوله إلا الفقر أسرع إليه جرية السيل على وجهه، ومن أحب الله ورسوله فليعدَّ للبلاد تجفافاً». كذا في كنز العمال وقال: وفيه حَنَش.

٩) وأخرج الطبراني عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فرأيته متغيراً، فقلت: بأبي أنت مالي أراك متغيراً؟ قال: «ما دخل جوفي ما يدخل

---

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط. اهـ.

جوف ذات كبد منذ ثلاث» قال: فذهبت فإذا يهودي يسقي إبلاً له فسقيت له على كل دلو بتمرة، فجمعت تمراً، فأتيت به النبي ﷺ فقال: «من أين لك يا كعب؟» فأخبرته، فقال النبي ﷺ:«أتحبني يا كعب؟». قال: بأبي أنت، نعم، قال: «إن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى معادنه، وإنه سيصيبك بلاء فأعدّ له تجفافاً». قال: ففقده النبي ﷺ فقال: «ما فعل كعب؟» قالوا مريض، فخرج يمشي حتى دخل عليه، فقال: «أبشر يا كعب»، فقالت أمه: هنيئاً لك الجنةُ يا كعب قال النبي ﷺ:«من هذه المتألِّية على الله؟» قلت هي أمي يا رسول الله، قال: «ما يدريك يا أم كعب؟ لعل كعباً قال ما لا ينفعه ومنع ما لا يغنيه» وأخرجه ابن عساكر مثله، كما في الكنز إلا أنَّ في روايته: «لعل كعباً قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه».

١٠) وأخرج الطبراني عن حُصين بن وَحْوَح الأنصاري أن طلحة بن البراء رضي الله عنهما لما لقي النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يلصق برسول الله ﷺ يقبِّل قدميه. قال: يا رسول الله، مرني بما أحببت ولا أعصي لك أمراً. فعجب لذلك النبي ﷺوهو غلام، فقال له عند ذلك: «اذهب فاقتل أباك» فخرج مولياً ليفعل، فدعاه فقال له: «أقبل فإني لم أبعث بقطيعة رحم».

فمرض طلحة بعد ذلك فأتاه النبي ﷺ يعوده في الشتاء في برد وغيم. فلما انصرف قال لأهله: "لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت فآذنوني به

حتى أشهده وأصلِّي عليه وعجِّلوه ". فلم يبلغ النبي ﷺ بني سالم بن عوف حتى توفي وجنَّ عليه الليل. فكان فيما قال طلحة: ادفنوني وألحقوني بربي عزَّ وجل، ولا تدعو رسول الله ﷺ فإني أخاف عليه اليهود أن يصاب في سببي. فأخبر النبي ﷺ حين أصبح، فجاء حتى وقف على قبره، فصفّ الناس معه ثم رفع يديه فقال: «اللهمَّ ألقَ طلحة تضحك إليه ويضحك إليك» كذا في الكنز .

وأخرجه الطبراني أيضاً عن طلحة بن مسكين عن طلحة بن البراء رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺقال: «ابسط ـ يعني يدك ـ أبايعك، قال: «وإن أمرتك بقطيعة والديك؟» قلت: لا، ثم عدت له فقلت: ابسط يدك أبايعك. قال: علام؟» قلت: على الإسلام. قال: «وإن أمرتك بقطيعة والديك؟» قلت: لا، ثم عدت الثالثة، ـ وكانت له والدة وكان من أبرِّ النسا بها ـ، فقال له النبي ﷺ:«يا طلحة، إنه ليس في ديننا قطيعة الرحم، ولكن أحببت أن لا يكون في دينك ريبة». فأسلم فحسن إسلامه، ثم مرض فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فوجده مغمى عليه، فقال النبي ﷺ :«ما أظن طلحة إلا مقبوضاً من ليلته فإن أفاق فأرسلو إليَّ» فأفاق طلحة في جوف الليل فقال: ما عادني النبي ﷺ قالوا: بلى، فأخبروه بما قال. فقال: لا ترسلوا إليه في هذه الساعة فتلسعه دابة أو يصيبه شيء، ولكن إذا فُقدت فأقرئوه منِّي السلام، وقولوا له: فليستغفر لي، فلما صلى النبي ﷺ الصبح سأل عنه، فأخبروه بموته وبما قال.

قال: فرفع النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «اللهمَّ، الْقَهُ يضحك إليك وأنت تضحك إليه». قال الهيثمي: رواه الطبراني مرسلاً، وعبد ربه بن صالح لم أعرفه، وبقية رجاله وُثِّقوا. انتهى. وأخرجه ابن السَّكَن نحوه كما في الإصابة.

١١) وأخرج ابن عساكر عن الزُّهري قال: شُكي عبد الله بن حذافة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ أنه صاحب مزاح وباطل، فقال: " اتركوه فإن له بطانة يحب الله ورسوله». كذا في المنتخب .

١٢) عَنْ الْأَدْرَعِ السُّلَمِيِّ قَالَ جِئْتُ لَيْلَةً أَحْرُسُ النَّبِيَّ ﷺ فَإِذَا رَجُلٌ قِرَاءَتُهُ عَالِيَةٌ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا مُرَاءٍ قَالَ فَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ فَفَرَغُوا مِنْ جِهَازِهِ فَحَمَلُوا نَعْشَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ارْفُقُوا بِهِ رَفَقَ اللَّهُ بِهِ إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ وَحَفَرَ حُفْرَتَهُ فَقَالَ أَوْسِعُوا لَهُ أَوْسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ حَزِنْتَ عَلَيْهِ فَقَالَ أَجَلْ إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (١).

١٣) وزيد بن الدَّثِنَة رضي الله عنه قال له أبو سفيان عند قتله: أنشدك بالله يا زيد: أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني

(١) سنن ابن ماجه « كتاب الجنائز « باب ما جاء في حفر القبر _ رقم (١٥٥٩)، والبغوي وابن منده وأبو نُعيم .

جالس في أهلي قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحد كحبِّ أصحاب محمد محمداً.

١٤) وخبيب رضي الله عنه حين نادَوه يناشدونه: أتحب أن محمداً مكانك؟ قال: لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشكة يُشاكها في قدمه ـ في رغبة الصحابة في القتل في سبيل الله.

١٥) وعن أنس رضي الله عنه في قصة إسلام أبي قحافة رضي الله عنه قال: فلما مدّ يده يبايعه بكى أبو بكر رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ:« ما يبكيك؟ » قال: لأن تكون يد عمك مكان يده ويسلم ويقر الله عينك أحب إليَّ من أن يكون ـ وسنده صحيح. وأخرجه الحاكم من هذا الوجه وقال: صحيح على شرط الشيخين. كذا في الإصابة .

وعند الطبراني والبزّار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة رضي الله عنهما إلى رسول الله ﷺ يقوده شيخ أعمى يوم فتح مكة، فقال له رسول الله ﷺ:«ألا تركتَ الشيخ في بيته حتى نأتيه؟» قال: أردت أن يؤجره الله، لأنا كنت بإسلام أبي طالب أشد فرحاً مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرة عينك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ«صدقت». قال الهيثمي : وفيه موسى ابن عبيدة وهو ضعيف.

١٦) وأخرج ابن مردوية والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما أُسر الأسارى يوم بدر أسر العباس ـ رضي الله عنه ـ فيمن أُسر، أسره رجل من الأنصار. قال: وقد أوعدتُه الأنصار أن يقتلوه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: « إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه». قال عمر: أفآتيهم؟ قال: «نعم» فأتى عمر الأنصار فقال لهم: أرسلوا العباس، فقالوا: لا والله لا نرسله، فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله رضا؟ قالوا: فإن كان له رضًا فخذه، فأخذه عمر. فلما صار في يده قال له عمر: يا عباس أسلم، فو الله لئن تسلم أحب إليَّ من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك. كذا في البداية .

وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر رضي الله عنه للعباس: أسلم، فو الله لئن تسلم كان أحب إليَّ من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا ما رأيت رسول الله ﷺ يحب يكون لك سبقاً. كذا في كنزل العمال .

وعند ابن سعد عن الشَّعبي أن العباس رضي الله عنه تحفّى عمر رضي الله عنه في بعض الأمر فقال له: يا أمير المؤمنين أرأيتَ أن لو جاءك عمُّ موسى مسلماً ما كنت صانعاً به؟ قال: كنت ـ والله ـ محسناً إليه، قال: فأنا عم محمد النبي صلى الله عليه وسلم قال: وما رأيك يا أبا الفضل؟ فو الله لأبوك أحب إليَّ من أبي؟ قال: الله الله، لأني كنت أعلم أنه أحب إلى رسول الله ﷺ من أبي، فأنا أوثر حب رسول الله ﷺ علي حبِّي.

وعند ابن سعد أيضاً عن أبي جعفر محمد بن علي أن العباس رضي الله عنه جاء إلى عمر رضي الله عنه فقال له: إنَّ النبي ﷺ أقطعني البحرين، قال: من يعلم ذلك؟ قال: المغيرة بن شعبة، فجاء به فشهد له، قال: فلم يمضِ له عمر ذلك كأنه لم يقبل شهادته، فأغلظ العباس لعمر فقال عمر: يا عبد الله خذ بيد أبيك ـ وقال سفيان عن غير عمرو قال: ـ قال عمر: والله يا أبا الفضل لأنا بإسلامك كنت أسر مني بإسلام الخطاب لو أسلم لمرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦) أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما، ويبتسمان إليه وتبتسم إليهما.

١٧) وأخرج الطبراني وابن حِبَّان في صحيحه عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير ما يتكلم منا متكلم؛ إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: «أحسنهم خلقاً»..

١٨) وأخرج أبو يَعْلى ـ وصحَّحه ـ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الأمر فأؤخر سنتين من هيبته.

١٩) وأخرج البيهقي عن الزُّهري قال: حدثني من لا أتَّهم من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ أو تنخَّم ابتدروا نُخامته فمسحوا بها وجوههم وجلودهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لم تفعلون هذا؟» قالوا: نلتمس به البركة. فقال رسول الله ﷺ:«من أحب أن يحبه الله وروسله فليصدق الحديث، وليؤدِّ الأمانة، ولا يؤذِ جاره». كذا في الكنز .

٢٠) وقد تقدّم في حديث صلح الحديبية عند البخاري وغيره من المسور بن مخرمة ومروان: ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه، قال: فو الله ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظِّمه أصحابه ما يعظِّم أصحاب محمد محمداً.

٢١) وأخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي مُرادس السُّلمي رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فدعا بطهور، فغمس يده فتوضأ، فتتبَّعناه فحسوناه. فقال النبي ﷺ«ما حملكم على ما فعلتم؟» قلنا: حب الله ورسوله. قال: «فإن أحببتم أن يحبكم الله ورسوله فأدُّوا إذا ائتمنتم، واصدقوا إذا حدَّثتم، وأحسنوا جوار من جاوركم» قال الهيثمي: وفيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف.

٢٢) وأخرج أبو يعلى والبيهقي في الدلائل عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أن أباه حدَّثه أنه أتى النبي ﷺ وهو يحتجم، فلما فرغ قال: «يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد» فلما برز عن رسول الله ﷺ عمد إلى الدم فشربه. فلما رجعل قال: « يا عبد الله ما صنعت بالدم؟ » قال: جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخفى على الناس. قال: « لعلَّك شربته؟ » قال: نعم، قال: « ولم شربت الدم؟ ويل للناس منك وويل لك من الناس» قال أبو موسى قال أبو عاصم: فكانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم. كذا في الإصابة [١].

وفي رواية: قال أبو سلمة: فيرون أن القوة التي كانت في ابن الزبير رضي الله عنهما من قوة دم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند أبي نُعيم في الحلية عن كَيْسان مولى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: دخل سلمان رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وإذا عبد الله بن الزبير معه طست يشرب ما فيها، فدخل عبد الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: «فرغت؟» قال: نعم. قال سلمان ما ذاك يا رسول الله؟ قال: «أعطيته غسالة محاجمي يُهريق ما فيها». قال سلمان: ذاك شربه والذي بعثك بالحق، قال: « شربته؟ » قال نعم، قال: « لِمَ ؟» قال: أحببت أن يكون دم

---

١) وأخرجه الحاكم ، والطبراني نحوه. قال الهيثمي : رواه الطبراني والبزار باختصار، ورجال البزار رجال الصحيح غير هُنيد بن القاسم وهو ثقة. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن عساكر نحوه، كما في الكنز مع ذكر قول أبي عاصم..

رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوفي، فقال بيده على رأس ابن الزبير وقال: « ويل لك من الناس وويل للناس منك لا تمسُّك النار إلا قَسَم اليمين. [١].

٢٣) وأخرج الطبراني عن سفينة رضي الله عنه قال: احتجم النبي ﷺ قال: « خذ هذا الدم فادفنه من الدواب والطير والناس » فتغيَّبت فشربته، ثم ذكرت ذلك له فضحك. قال الهيثمي: رجال الطبراني ثقات.

٢٤) وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أباه مالك بن سنان رضي الله عنه لما أُصيب رسول الله ﷺ في وجهه يوم أُحد مص دم رسول الله صلى الله عليه وسلم وازدرده، فقيل له: أتشرب الدم؟ فقال: نعم، أشرب دم رسول الله ﷺفقال رسول الله ﷺ:« خالط دمي دمه لا تمسه النار » قال الهيثمي : لم أرَ في إسناده من أُجمع على ضعفه. انتهى.

٢٥) وأخرج الطبراني عن حكيمة بنت أُميمة عن أمها قالت: كانت للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت سريره، فقام فطلبه فلم يجده فسأل فقال: «أين القدح» قالوا: شربته سُرَّة خادم أم سلمة التي قدمت معها من أرض الحبشة. فقال النبي ﷺ:« لقد احتظرتْ من النار بحظار ». قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وحكيمة وكلاهما ثقة.

٢٦) وأخرج الطبراني عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فنزل على أبي أيوب. فنزل رسول الله ﷺ السُّفل ونزل أبو أيوب العُلْو، فلمّا أمسى وبات جعل أبو أيوب يذكر أنه على ظهر بيتٍ رسولُ الله ﷺ أسفل

---

(١) وأخرجه ابن عساكر عن سلمان نحوه مختصراً ورجاله ثقات. كذا في الكنز..

منه، وهو بينه وبين الوحي فجعل أبو أيوب لا ينام يحاذر أن يتناثر عليه الغبارة ويتحرك فيؤذيه. فلما أصبح غدا إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما جعلتُ الليلة فيها غمضاً أنا ولا أم أيوب. فقال: «وممَّ ذاك يا أبا أيوب؟» قال: ذكرت أني على ظهر بيت أنت أسفل مني، فأتحرك فيتناثر عليك الغبار ويؤذيك تحركي، وأنا بينك وبين الوحي. قال: « فلا تفعل يا أبا أيوب. ألا أعلِّمك كلمات إذا قلتهن بالغداة عشر مرات وبالعشي عشر مرات أعطيت بهنَّ عشر حسنات، وكُفِّر عنك بهنَّ عشر سيئات، ورُفع لك بهن عشر درجات، وكنَّ لك يوم القيامة كعدل عشر محرِّرين؟ تقول: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد لا شريك له». كذا في الكنز .

وعند الطبراني أيضاً عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: لما نزل عليَّ رسول الله ﷺ قلت: ـ بأبي وأبي ـ إني أكره أن أكون فوقك وتكون أسفل مني. فقال رسول الله ﷺ:«إنَّ أرفق بنا أن نكون في السفل لما يغشانا من الناس». فلقد رأيت جرة لنا انكسرت فأُهريق ماؤها، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء فرقاً من أن يصل إلى رسول الله ﷺ منا شيء يؤذيه. فكنا نصنع طعاماً فإذا ردَّ ما بقي منه تيممنا موضع أصابعه فأكلنا منها نريد بذلك البركة. فرّد علينا عشاءه ليلة وكنا جعلنا فيه ثوماً أو بصلاً فلم نرَ فيه أثر أصابعه. فذكرت له الذي كنا ننصع والذي رأينا من ردِّه الطعام ولم يأكل، فقال: «إني وجدت منه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجَي فلم أحب أن يوجد مني ريحه، فأما أنتم فكلوه»، كذا في الكنز . وهكذا أخرجه الحاكم إلاَّ أنه لم

يذكر: فكنا نصنع طعاماً ـ إلى آخره، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي.

وقد أخرجه أبو نُعيم وابن عساكر نحو سياق الطبراني إلاَّ أن في روايتهما: فقلت: يا رسول الله، لا ينبغي أن أكون فوقك، انتقل إلى الغرفة. فأمر رسول الله ﷺ بمتاعه فنُقل، ومتاعه قليل. كذا في الكنز . وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم عن أبي أيوب، كما في الإصابة. .

٢٧) أخرج الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: كان أسيد بن حضير رضي الله عنه رجلاً صالحاً ضاحكاً مليحاً، فبينما هو عند رسول الله ﷺ يحدِّث القوم ويضحكهم، فطعن رسول الله ﷺ في خاصرته. فقال: أوجعتني، قال: «اقتص»، قال: يا رسول الله إنَّ عليك قميصاً ولم يكن عليَّ قميص. قال: فرفع رسول الله ﷺ قميصه فاحتضنه ثم جعل يقبل كشحه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أردتُ هذا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي فقال: صحيح.

٢٨) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي حِبَّانُ بْنُ وَاسِعِ بْنِ حِبَّانَ عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ :أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَّلَ صُفُوفَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَفِي يَدِهِ قِدْحٌ يُعَدِّلُ بِهِ الْقَوْمَ ، فَمَرَّ بِسَوَادِ بْنِ غَزِيَّةَ ، حَلِيفِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ -قَالَ ابْنُ هِشَامٍ :يُقَالُ ، سَوَّادٌ ، مُثَقَّلَةٌ ، وَسَوَادٌ فِي الْأَنْصَارِ غَيْرُ هَذَا ، مُخَفَّفٌ - وَهُوَ مُسْتَنْتِلٌ مِنْ الصَّفِّ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ :وَيُقَالُ : مُسْتَنْصِلٌ مِنْ الصَّفِّ -

فَطُعِنَ فِي بَطْنِهِ بِالْقِدْحِ ، وَقَالَ: اسْتَوِ يَا سَوَّادُ فَقَالَ :يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْجَعْتَنِي وَقَدْ بَعَثَكَ اللَّهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، قَالَ: فَأَقِدْنِي. فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَطْنِهِ ، وَقَالَ : اسْتَقِدْ ، قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَ بَطْنَهُ : فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَّادُ ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَضَرَ مَا تَرَى ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ. فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْرٍ ، وَقَالَهُ لَهُ . كذا في البداية .

٢٩) وأخرج عبد الرزاق عن الحسن أن النبي ﷺ لقي رجلاً مختضباً بصفْرة وفي يد النبي ﷺ جريدة، فقال النبي ﷺ:«حط درس»، فطعن بالجريدة بطن الرجل وقال: «ألم أنهك عن هذا؟» فأثَّر في بطنه دماً أدماه، فقال الرجل: القود يا رسول الله، فقال الناس: أمن رسول الله ﷺ تقتص؟ فقال: ما لبشرة أحد فضل على بشرتي. فكشف النبي ﷺ عن بطنه ثم قال: «اقتص»، فقبَّل الرجل بطن النبي ﷺ وقال: أدعها لك أن تشفع لي يوم القيامة. كذا في الكنز .

وأخرجه ابن سعد عن الحسن أن رسول الله ﷺ رأى سواد بن عمرو هكذا ـ قال إسماعيل: ملتحفاً ـ فقال: خط خط ورس ورس.

ثم طعن بعود أو سواك في بطنه، فماد في بطنه فأثَّر في بطنه ـ فذكر نحوه.

وأخرج عبد الرزاق أيضاً كما في الكنز عن الحسن قال: كان رجل من الأنصار يقال له سوادة بن عمرو رضي الله عنه يتخلق كأنه عرجون، وكان النبي ﷺ إذا رآه نفض له، فجاء يوماً وهو متخلق، فأهوى له النبي ﷺ بعود كان في

يده فجرحه، فقال له: القصاص يا رسول الله، فأعطاه العود ـ وكان على النبي ﷺ قميصان ـ فجعل يرفعهما، فنهره الناس، وكف عنه حتى إذا انتهى إلى المكان الذي جرحه رمى بالقضيب وعلقه يقبله، وقال: يا نبي الله، بل أدعُها لك تشفع لي بها يوم القيامة. وأخرجه البغوي كما في الإصابة .

٣٠) وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة رضي الله عنه كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد والنبي ﷺ خلفه يتترَّس به ـ وكان رامياً ـ وكان إذا رمي رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه، ويرفع أبو طلحة صدره، ويقول: هكذا ـ بأبي أنت وأمي ـ يا رسول الله، لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك، وكان أبو طلحة يشور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: إني جَلْد يا رسول الله، فوجهني في حوائجك ومُرْني بما شئت. كذا في البداية . وأخرجه ابن سعد عن أنس نحوه.

٣١) وأخرج البيهقي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين حين رأى من الناس ما رأى: "يا عباس، ناد: يا معشر الأنصار، يا أصحاب الشجرة" فأجابوه: لبيك، لبيك. فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك، فيقذل درعه في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، ثم يؤم الصوت، حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مائة، فاستعرض الناس فاقتتلوا. وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار، ثم جُعلت آخراً للخزرج، وكانوا صُبراً عند الحرب، وأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه فنظر إلى مُجْتَلَد القوم، فقال: الآن حمي الوطيس. قال: فو الله ما راجعه الناس إلا والأسارى عند رسول الله ﷺ مكتَّفون، فقتل الله منهم من قتل، وانهزم

منهم من انهزم، وأفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أموالهم وأبناءهم كذا في البداية .

وعند ابن وَهْب من حديث العباس رضي الله عنه ـ فذكره وفيه: وقال رسول الله ﷺ: " أي عباس، نادِ أصحاب السَّمُرة " قال: فوا لكأنَّما عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة على أولادها، فقالوا: يا لبيكاه، يا لبيكاه ورواه مسلم عن ابن وهب. كذا في البداية وقد أخرج ابن سعد حديث العباس بطوله ـ فذكر نحوه.

أما الناس بعد صحابة رسول الله ﷺ فقد انقسموا في محبته إلى ثلاثة أقسام:

١ــ من فرط في سنته، وكلما خرجت من حياته سنة دخلت في حياته بدعة.

٢ــ ومنهم من أفرط في محبته ﷺ، حتى ابتدعوا أموراً تخالف هديه، ظنا منهم أن هذه الأمور دليل على محبته مثل الاحتفال بمولده، ومدحه ورفعه فوق منزلته، فوقعوا فيما وقع فيه النصارى، ولهذا نبه على ذلك النبي، فعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ " رواه أبو داود.

٣ــ ومنهم من اعتدل في محبته فوفاه حقه وامتثل أمره وأحب سنته، وهم الصحابة ومن نهج نهجهم.

▪ توحيد الطاعة والاتباع:

هو أن نفرد رسول الله ﷺ بالإتباع، فلا نتبع إلا إياه إتباعا صادقًا، لأن طاعته طاعة لله وحده لا شريك له، فهو المبلغ عن الله.

فالطاعة هي لله ابتداءً.. أما طاعة رسول الله ﷺ، فهي طاعة لله، كما ثبت

بالبرهان القاطع، وإتباع أمره، هو إتباع لأمر الله.

فهذا التوحيد هو فعل العبد المبني على اعتقاده انفراد الله بالسيادة، والحاكمية، وانفراده بحق التشريع، وتصديقه أن مراد الله إنما يعرف بالوحي إلى الرسل والأنبياء.

وهذا هو معنى: (**أشهد أن محمداً رسول الله**): وهو ما نسميه توحيد الطريق: لا طريق إلا طريق رسول الله ﷺ.

▪ ما الفرق بين طاعة النبي واتباع النبي والتأسي بالنبي؟

أولا : الطاعة:

١)الطاعة لله تعالى ورسوله ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١]. طاعة الرسول ﷺ فيما يبلّغ عن ربه.

٢)الطاعة لله تعالى والرسول وأولي الأمر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[٢].طاعة العلماء في أحكام الشرع من طاعة الرسول ﷺ ، وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٣].

---

١) سورة الأنفال – الآية ١.

٢) سورة النساء – الآية٥٩.

٣) سورة آل عمران– الآية ١٣٢.

إن الله سبحانه تعالى أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم أصحاب سلطان، ولم يأمر باتباعهم لأنهم قد يكونوا ظالمين غير متبعين لهديه سبحانه وتعالى فنكرههم، ونهي عن طاعتهم في المعصية، ففي الحديث:

إن الشيطان له أتباع وهو مذموم ومنهي عنه، قال تعالى : ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١]. وليس له طاعة لأنه لا سلطان له ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٢].وفي قوله تعالي ﴿إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾إدانة للعاصين والكافرين لأنهم غير مجبورين علي المعصية أو الكفر فهم فعلوا ذلك اتباعا وليس طاعة للشيطان .

وقد يقول قائل: ما دام الإتباع هو الطاعة الناتجة عن الحب فهل أحد يحب الشيطان؟

بالطبع لا أحد يحب الشيطان ولكن العاصين والكافرين يحبون الشهوات التي هي من خطوات الشيطان﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ [٣].

والطاعة ليست دليل حب فقد يأتي الإنسان بالطاعة وهو كاره كما في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[٤].

وقوله تعالى:﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾[٥].

---

١) سورة البقرة– الآية ١٦٨.

٢) سورة الحجر– الآية ٤٢.

٣) سورة آل عمران– الآية ١٤.

٤) سورة التوبة– الآية٥٤.

٥) سورة هود– الآية٢٨ .

الإنفاق في سبيل الله طاعة، والالتزام بما أمر الله طاعة، فهل يقبل الله طاعة العبد وهو كاره لها؟!!

ثانيا: الاتّباع:

قال تعالى::﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم﴾ (١).

والاتباع دليل حب، تأمل قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾(٢) لاحظ التضاد بين (اتبعوا – كرهوا).

والإتباع يكون في حسن الأداء وفي طريقة الأداء فيما أمرنا الله تعالى به أو نهانا عنه والكمال في الأداء نعرفه من رسول الله ﷺ فهو الذي شرّعه لنا.

ثالثا: التأسّي:

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (٣)

والتأسّي يتعلق بما تكرهه النفس وما تكرهه النفس إما بلاء أو فتنة أو امتحان.

فإذا فعلنا ما فعله الرسول من أوامر فهذه طاعة، وإذا فعلنا ما فعله من حيث حسن أداء الأوامر فهذا اتّباع، وإذا فعلنا ما فعله الرسول ﷺ من حيث عكس ما

---

١) سورة آل عمران - الآية ٣١.

٢) سورة محمد – الآية٢٨ .

٣) سورة الأحزاب - الآية ٢١.

تشتهيه نفسه فهذا تأسّي. يقول تعالى (واتقوا الله) فيما فرض عليكم، وقال تعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١) أي تقرّب إليه بشيء تتقنه.

الله تعالى أعد رسوله إعداداً كاملاً حتى صار قدوة وأسوة، فالقدوة في كل شيء حتى في النوم والدخول والخروج والجماع.....ألخ.

والأسوة في الشدائد، أي تتأسى به فيما تكرهه نفسك وما تحبه.

هناك أسوة حسنة وأسوة سيئة، والرسول ﷺ أسوة حسنة لأنه يتصرف عكس ما تشتهيه نفسه فبدل أن ينام يقوم الليل فتتورم قدماه ﷺ وبدل أن يغضب يعفو عمن أغضبه.

فالإتباع أشمل وأعم من الطاعة وأن الإتباع هو طاعة ناتجة عن الحب وقد أمر الله سبحانه وتعالي بإتباع نبيه كما في قوله تعالي:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وقوله تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).وغير ذلك من الآيات.

وختاما قال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (١).فالمؤمن الحق يحب النبي، ويضحي بحياته فداء لحياة النبي.

---

١) سورة المائدة - الآية ٣٥.

٢) سورة الأنفال– الآية ٦٤.

٣) سورة آل عمران– الآية ٣١.

أيقدم المؤمن حياة النبي على حياته وحب النبي على حب نفسه ثم بعد ذلك لا يطيعه؟!

- **برهان: محمد رسول الله:** إتباع السُنة في كل شيء.
- يقولون : فى هذا الزمن لا تنفع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ويدخل أحدهم الخلاء فيستنجى بيده اليسرى، ويأكل بيده اليسرى وكأنه لا يفرق بين فيه وفرجه.
- **تارك السنة يعاقب :** أكل رجل بشماله عند النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ:" كل بيمينك ، قال لا أستطيع قال لا استطعت (ما منعه إلا الكبر) فما رفعها إلى فيه (**شلت يده**). رواه مسلم عن عمرو بن الأكوع (٢) .
- الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ .
- الحياة لا تسير بدون نهجه.
- الرسول ﷺ هو العبد النموذجي الذي يريده الله قدوة للعالمين.
- قال تعالي : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (٣) ووراء ذلك رضا الله ﷻ .
- وقال تعالي: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٤).

---

١) سورة الأحزاب – الآية ٦.

٢) رياض الصالحين - باب السنة وآدابها .

٣) سورة الأحزاب - الآية ٢١.

٤) سورة الفتح - الآية ١٠.

- **الإتباع الكامل دليل الحب الكامل :** ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) حقيقة الإتباع فيما أُحب وفيما أكره .. مثل الوضوء قبل النوم يكون ثقيل على النفس.
- الذي يسخر بالسنة ولو كانت بسيطة يخرج من الملة .
- والذي يقول أنا عارف أنها سنة ولما أقتنع بها أعملها هذا متردد ويخشى عليه النفاق .

- **تارك السنة ملعون :** فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: " ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب ، الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذله الله ويذل من أعزه الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والتارك للسنة " (رواه البيهقي ورزين في كتابه والترمذي في القدر والطبراني في المعجم والحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي). (٢).

- **تارك السنة ضال :**

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: نزل القرآن وسن رسول الله ﷺ السنن ثم قال : اتبعونا . فو الله ! إن لم تفعلوا تضلوا.

---

١) سورة آل عمران - الآية ٣١.

٢) مشكاة المصابيح – كتاب الإيمان _ باب الإيمان بالقدر ٣٩/١ .

وعن أبي قلابة قال: إذا حدثت رجل بالسنة فقال دعنا من هذا وهات كتاب الله فاعلم أنه ضال (١).

- **التحذير من ترك سنته ﷺ:**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ:" فَمَنْ" (٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم "لَتَتّبِعُنّ سَنَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ. شِبْراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ. حَتّىَ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبَ لاَتّبَعْتُمُوهُمْ" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ آلْيَهُودُ وَالنّصَارَىَ؟ قَالَ "فَمَنْ؟".(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَفَارِسَ وَالرُّومِ فَقَالَ وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِك"(٤).

---

١) تاريخ الإسلام - الذهبى -٣ / ٣٤٣ .

٢) صحيح البخارى _ كتاب الاعتصام.. وصحيح مسلم _ كتاب العلم _ باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

٣) صحيح مسلم.

٤) صحيح البخاري _ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة.

وفي رواية أبي واقد الليثي عند الترمذى – " وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنّ سُنّةّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"...عند الترمذى ...وعند أحمد: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِثْلًا بِمِثْل"....(١). (بالضم والمشهور في معظم الروايات بالفتح).

قال ابن حجر في الفتح: قوله: "لَتَتّبِعُنّ سَنَنَ" بفتح السين للأكثر. وقال ابن التين قرأناه بضمها..... وقال المهلب بالفتح أولى لأنه الذي يستعمل فيه الذراع والشبر وهو الطريق .

معنى السنن:

والسُّنَّة: الطريقة، والسَّنن أَيضاً سُبل ومناهج وعادات.

والسُّنَّةُ الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل :فلان من أَهل السُّنَّة؛ معناه من أَهل الطريقة المستقيمة المحمودة، وهي مأْخوذة من السَّنَنِ وهو الطريق... وسَنَن الطريق وسُنَنُه وسِنَنُه وسُنُنُه: نَهْجُه.

قال ابن حجر : المراد بالسنة الطريقة لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره ، والمراد من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني. [٢]

فالسنن: جمع سُنة، والأصلُ فيها الطريقة والسِّيرة، وإذا أُطْلِقَت في الشَّرع فإنما يُرادُ بها ما أَمَرَ به النبي صلى اللّه عليه وسلم ونهى عنه ونَدَب إليه قولا وفِعْلا، مما لم يَنْطق به الكِتابُ العزيزُ. ولهذا يقال في أدِلَّة الشَّرع الكِتابُ

---

١) مشكاة المصابيح – باب الإيمان بالقدر – ١ / ٣٨

(١) فتح الباري (١٠٥/٩).

والسُّنَّة، أي القرآن والحديث وسنة النبي: طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله تعالى: قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته، نحو: {سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا} (١).

فتطلق السنة في الشرع: على كل ما جاء عن رسول الله ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، وتطلق السنة على المأمور به ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، في قصة الرهط الثلاثة الذين قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".(٢).

وبعد أن عرفنا السنة لغة واصطلاحاً علينا أن نعرف الشريعة فنقول :

الشريعة في اللغة: تطلق العرب الشريعة في اللغة الابتداء، تقول شرع فلان في الكتابة أي بدأ.

---

١) فتح الباري _ لابن حجر.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٧٧٦)، باب الترغيب في النكاح، ورواه مسلم في النكاح برقم (١٤٠١)، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم.

قال ابن كثير في تفسيره: الشرعة والشريعة هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء، ومنه يقال : شرع في كذا أي ابتدأ فيه، كذا الشريعة وهي ما يشرع فيها إلى الماء، أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل، والسنن الطرائق. (١)

أما الشريعة في الاصطلاح هي:

كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال.(٢)

وقد صنف الشيخ أبو بكر الآجري كتاب الشريعة، وصنف الشيخ أبو عبد الله ابن بطة كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية وغير ذلك، وإنما مقصود هؤلاء الأئمة في السنة باسم الشريعة العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان مثل اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل، وان الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله خالق كل شيء، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه على كل شيء قدير ، وأنهم لا يكفرون أهل القبلة بمجرد الذنوب، ويؤمنون بالشفاعة لأهل الكبائر ونحو ذلك من عقود أهل السنة، فسموا أصول اعتقادهم شريعتهم، وفرقوا بين شريعتهم وشريعة غيرهم . (٣).

وقال ابن الأثير: وهو ما شَرَع اللّه لِعبادِه من الدِّين: أي سَنَّه لهم وافْترضَه عليهم. (٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٩٠).

(٢) المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي (ص١٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/٣٠٦-٣٠٧).

(٤) النهاية لابن الأثير (٢/١١٤١).

معنى اتباع السنن:

جاء في الروايات السابقة : ألفاظ "لَتَتّبِعُنّ سَنَنَ"..." لَتَرْكَبُنّ سُنّةّ"..." لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ "، " تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا"...وهذه الألفاظ بمجموعها تدل على المراد شرعا باتباع السَنن بحيث يمكن أن نقرب المعنى فنقول: أخبر الرسول بما يكون من أمته بعده من اتباع سبل ومناهج وعادات أمم الكفر في الأرض،سواء كانوا متمثلين في أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، لأنهم كانوا المشهورين بالديانات السماوية ، أو في فارس والروم ، لكونهم كانوا إذ ذاك أكبر ملوك الأرض وأكثرهم رعية وأوسعهم بلادا ، والناس إنما يقلِدون من كان هذا حاله، وليس المراد الحصر ، فما هي إلا أمثلة وأسماء وإن تغيرت أو تسمت بأسماء أخر ، وهذا يظهر في قوله (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها) والأخذ هو السيرة ، يقال أخذ فلان بأخذ فلان أي سار بسيرته ، والمعنى تسير بسيرة الأمم قبلها ، سواء في دينها ، كاليهود والنصارى ، أو في دنياها: كفارس والروم ، فحيث قال فارس والروم كان هناك قرينة تتعلق بالحكم بين الناس وسياسة الرعية، وحيث قيل اليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بأمور الديانات أصولها وفروعها، وهكذا فنحن نشاهد تقليد أجيال الأمة لأمم الكفر في الأرض، فيما هي عليه من أخلاق ذميمة وبدع محدثة وعادات فاسدة، تفوح منها رائحة النتن، وتمرغ أنف الإنسانية في مستنقع من وحل الرذيلة والإثم، وتنذر بشر مستطير ، ثم إن هذا الإتباع ليس هامشي أو عرضي بل هو اتباع دقيق لا تفوتهم منه فائتة ، عبر عنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى بقوله:" لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ

شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ"....وفي لفظ:" لو دخلوا"..." لدخلتموه..."وهذا كناية عن شدة الموافقة لهم في عاداتهم، رغم ما فيها من سوء وشر، ومعصية لله تعالى ومخالفة لشرعه. و(جُحر الضَب) ثقبه وحفرته التي يعيش فيها، والضب دويبة تشبه الحرذون تأكله العرب، والتشبيه بجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته، ونتن ريحه وخبثه، وما أروع هذا التشبيه الذي صدق معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم،فوقع ذلك التتبع والإتباع الممقوت من أمة المسلمين لأمم الكفر البائدة الفاسدة ، وصدق ربنا جل وعلا إذ يقول عن نبيه صلى الله عليه وسلم "وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى..."

,قال ابن حجر في الفتح:

قد أخرج الطبراني من حديث المستورد بن شداد رفعه " لا تترك هذه الأمة شيئا من سنن الأولين حتى تأتيه " .

ووقع في حديث عبد الله بن عمرو عند الشافعي بسند صحيح " لتركبن سنة من كان قبلكم حلوها ومرها ".

قال ابن بطال: أعلم النبي ﷺ أن أمته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلهم، وقد أنذر في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر، والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأن الدين إنما يبقى قائما عند خاصة من الناس ، قلت: وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ وسيقع بقية ذلك.أ.هـ

قال المناوي في فيض القدير: " لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِثْلًا بِمِثْلٍ" هذا لفظ خبر معناه النهي عن اتباعهم ومنعهم من الالتفات لغير دين الإسلام لأن نوره قد بهر الأنوار وشرعته نسخت الشرائع ، وهذا الإخبار من معجزاته فقد اتبع كثير من أمته سنن فارس في شيمهم ومراكبهم وملابسهم وإقامة شعارهم في الحروب وغيرها وأهل الكتابين في زخرفة المساجد وتعظيم القبور حتى كاد أن يعبدها العوام وقبول الرشا(**الرشوة**) وإقامة الحدود على الضعفاء دون الأقوياء وترك العمل يوم الجمعة والتسليم بالأصابع وعدم عيادة المريض يوم السبت والسرور بخميس البيض وأن الحائض لا تمس عجيناً إلى غير ذلك مما هو أشنع وأبشع ، وقوله: (حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم) مبالغة في الإتباع فإذا اقتصروا في الذي ابتدعوه فستقتصرون وإن بسطوا فستبسطوا حتى لو بلغوا إلى غاية لبلغتموها حتى كانت تلك الأمم تقتل أنبياءها فلما عصم اللّه رسوله ، من أمة الإسلام من قتلوا خلفاءهم تحقيقاً لصدق الرسول صلى اللّه عليه وسلم.

قال الحراني: وجمع ذلك أن كفر اليهود أضل من جهة عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه عملاً ولا قولاً وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم يجتهدون في أصناف العبادة بلا شريعة من اللّه ويقولون ما لا يعلمون ، ففي هذه الأمة من يحذو حذو الفريقين ولهذا كان السلف الصالح كسفيان بن عيينة يقولون: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى ، قضاء اللّه نافذ بما أخبر رسوله صلى اللّه عليه وسلم بما سبق في علمه ، لكن ليس الحديث إخباراً عن جميع الأمة لما تواتر عنه أنها لا تجتمع على ضلالة.أ.هـ

- الله ختم على كتف النبي ﷺ وقال له توجه حيث شئت فإنك منصور ، فالنصرة بإتباع السنة .
- الذي يقول عن السنة مثل العمامة واللحية قشور فلا حظ له في الهدى الظاهر لأن الدين ليس فيه قشور، هم عابوا على السنة لأنهم لم يفعلوها.
- **علامة إتباع السنة:** يوضع لك القبول في الأرض لأنك تتبع سيد المقبولين ﷺ (١).

كيف تأتي فينا صفة اتباع النبي صلى الله عليه وسلم:

١) نحقق الإتباع للرسول صلى الله عليه وسلم في صورته وسيرته وسريرته.

٢) نكثر من الجلوس في مجالس فضائل اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣) ندعو الناس إلى تحقيق اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤) ندعو الله عز وجل أن يرزقنا والأمة حقيقة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم .

قصص في الإتباع:

١ ـ عَنْ عَابِسِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ فَقَالَ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ (٢).

---

١) من كتاب كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله للمؤلف.

٢) رواه البخاري في ""الصحيح"" كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود (٥٤١/٣) ، ""فتح"". ومسلم في ""الصحيح"" كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (١٦/٩)...

٢ـ وقال رضي الله عنه بعد أن قبّل الحجر الأسود: ""ما لنا وللرمل، إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه (١).

٣ـ وعن يعلى بن أمية قال: كنت مع عمر رضي الله عنه فاستلم الركن، قال يعلى: وكنت مما يلي البيت، فلما بلغت الركن الغربي الذي يلي الأسود وحدرت بين يديه لأستلم، فقال: ما شأنك؟ قلتُ: ألا تستلم هذين؟ قال: ألم تطف مع رسول الله ﷺ، فقلت: بلى، قال: أرأيته يستلم هذين الركنين ـ يعني الغربيين ـ ؟ قلت: لا، قال: فليس لك فيه أسوة حسنة؟ قلت: بلى، قال: فانفذ عنك (٢).

٤ ـ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال لأبيه : سمعت الناس يقولون مقالةً فآليتُ أن أقولها لك، زعموا أنك غير مستخلف، فوضع رأسه ساعةً ثم رفعه فقال: ""إن الله عز وجل يحفظ دينه، وإني إن لا أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن أستخلف فإن أبا بكر قد استخلف"". قال عبد الله: فو الله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر، فعلمت أنه لم يكن يعدل برسول الله ﷺ أحدًا وأنه غير مستخلف. **(٣).**

٥ ـ وعن يعقوب بن زيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في يوم جمعة وقطر عليه ميزاب العباس، وكان على طريق عمر إلى المسجد، فقلعه عمر، فقال له العباس: قلعت ميزابي، والله ما وضعه حيث كان إلا رسول الله ﷺ بيده، قال عمر:

---

١) رواه الإمام البخاري في "" الصحيح "" كتاب الحج، باب الرمل (٥٥٠/٣) فتح برقم (١٦٠٥).

٢) أخرجه أحمد في (المسند) (٢٢٢/٤) والبيهقي في (السنن)(٧/٥) وعبدالرزاق في (المصنف) حديث رقم (٨٩٤٥).

٣) خرجه الإمام مسلم في الصحيح كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه (٢٠٥/١٢) ""نووي"" والإمام أحمد في المسند (٤٧/١) واللفظ له.

لا جرم أن لا يكون لك سلم غيري ولا يضعه إلا أنت بيدك. قال: فحمل عمر العباس على عنقه فوضع رجليه على منكبي عمر، ثم أعاد الميزاب حيث كان، فوضعه موضعه، وفي رواية: فقال عمر للعباس: فأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ ففعل ذلك العباس(١).

٦ ـ وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس بن حصن، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شبابًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجهٌ عند هذا الأمير تستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن لي عيينة، فلما دخل قال: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى همّ بأن يقع به فقال الحرّ: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢). وإن هذا من الجاهلين. فو الله! ما جاوزها عمر حين تلاها عليه. وكان وقّافًا عند كتاب الله (٣).

---

١) أخرجه خرجه أحمد في (المسند) (١/٢١٠) وابن سعد في (الطبقات (٤/٢٠) وأخرج الحاكم في (المستدرك) قصة طويلة متضمنة لما في هذا الأثر ٣/٣٣١.

٢) سورة الأعراف _ الإية ١٩٩.

٣) أخرجه الإمام البخاري في (الصحيح) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (١٣/ ٢٦٤) (فتح) برقم (٧٢٨٦٩).

قوله"" :فتستأذن لي عليه"" أي: في خلوة، وإلا فعمر كان لا يحتجب إلا وقت خلوته وراحته، ومن ثمّ قال له: سأستأذن له عليه، أي: حتى تجتمع به وحدك. فتح الباري (١٣/٢٧٢)..

٧ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ ، فَنَزَعَهُ ، فَطَرَحَهُ ، فَقَالَ : " يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ ؟ فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَمَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١) .

٨) وعَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللّهِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ اصْطَنَعَ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ. فَكَانَ يَجْعَلُ فَصّهُ فِي بَاطِنِ كَفّهِ إذَا لَبِسَهُ. فَصَنَعَ النّاسُ. ثُمّ إنّهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَنَزَعَهُ. فَقَالَ: "إنّي كُنْتُ أَلْبَسُ هَذَا الْخَاتَمَ وَأَجْعَلُ فَصّهُ مِنْ دَاخِلٍ" فَرَمَى بِهِ. ثُمّ قَالَ: "وَاللّهِ لاَ أَلْبَسُهُ أَبَداً" فَنَبَذَ النّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ .وَلَفْظُ الْحَدِيثِ لِيَحْيَى.رواه مسلم.

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ رَأَى فِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، خَاتَمًا مِنْ وَرِقٍ، يَوْمًا وَاحِدًا ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اصْطَنَعُوا الْخَوَاتِيمَ مِنْ وَرِقٍ وَلَبِسُوهَا فَطَرَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَمَهُ، فَطَرَحَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ متفق عليه (٢).

٩) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : بَعَثَتْ قُرَيْشٌ خَارِجَةَ بْنَ كُرْزٍ يَطْلُعُ عَلَيْهِمْ طَلِيعَةً ، فَرَجَعَ حَامِدًا يُحْسِنُ الثَّنَاءَ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّك أَعْرَابِيٌّ قَعْقَعُوا لَكَ السِّلَاحَ فَطَارَ فُؤَادُكَ فَمَا دَرَيْتَ مَا قِيلَ لَكَ وَمَا قُلْتَ ، ثُمَّ أَرْسَلُوا عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ فَجَاءَهُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا هَذَا الْحَدِيثُ ؟ تَدْعُو إِلَى ذَاتِ اللَّهِ ، ثُمَّ جِئْتَ قَوْمَكَ بِأَوْبَاشِ النَّاسِ ، مَنْ تَعْرِفُ وَمَنْ لَا

---

١) مشكاة المصابيح _ كتاب اللباس _ باب الخاتم ٢/ ١٢٥٣ .

٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .

تَعْرِفُ ، لِتَقْطَعَ أَرْحَامَهُمْ وَتَسْتَحِلَّ حُرْمَتَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَقَالَ : إِنِّي لَمْ آتِ قَوْمِي إِلَّا لِأَصِلَ أَرْحَامَهُمْ ، يُبَدِّلُهُمْ اللَّهُ بِدِينٍ خَيْرٍ مِنْ دِينِهِمْ ، وَمَعَايِشَ خَيْرٍ مِنْ مَعَايِشِهِمْ ، فَرَجَعَ حَامِدًا يُحْسِنُ الثَّنَاءَ ، قَالَ : قَالَ إِيَاسٌ عَنْ أَبِيهِ : فَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى مَنْ كَانَ فِي يَدِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ فَقَالَ : يَا عُمَرُ ، هَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي إِخْوَانَكَ مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَاَللَّهِ مَا لِي بِمَكَّةَ مِنْ عَشِيرَةٍ ، غَيْرِي أَكْثَرُ عَشِيرَةً مِنِّي ، فَدَعَا عُثْمَانَ فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ عُثْمَانُ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَتَّى جَاءَ عَسْكَرَ الْمُشْرِكِينَ ، فَعَتَبُوا بِهِ وَأَسَاءُوا لَهُ الْقَوْلَ ، ثُمَّ أَجَارَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ابْنُ عَمِّهِ وَحَمَلَهُ عَلَى السَّرْجِ وَرَدِفَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ : يَا ابْنَ عَمِّ ، مَا لِي أَرَاكَ مُتَخَشِّعًا ؟ أَسْبِلْ ، قَالَ : وَكَانَ إِزَارُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ : هَكَذَا إِزْرَةُ صَاحِبِنَا ، فَلَمْ يَدَعْ أَحَدًا بِمَكَّةَ مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَبْلَغَهُمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ سَلَمَةُ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ قَائِلُونَ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ ، نَزَلَ رُوحُ الْقُدُسِ ، قَالَ : فَثُرْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ تَحْتَ شَجَرَةِ سَمُرَةٍ فَبَايَعْنَاهُ ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ قَالَ : فَبَايَعَ لِعُثْمَانَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، فَقَالَ النَّاسُ : هَنِيئًا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَنَحْنُ هَاهُنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَوْ مَكَثَ كَذَا وَكَذَا سَنَةً مَا طَافَ حَتَّى أَطُوفَ " (١).

---

١) مصنف ابن أبي شيبة .

وفي رواية: قالت له قريش: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ وأقام عثمان بمكة ثلاثا يدعو قريشا. وقال المسلمون – وهم بالحديبية، قبل أن يرجع عثمان –: خلص عثمان من بيننا الى البيت فطاف به، فقال رسول الله ﷺ: " ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون" ، وقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص إليه قال: " ذلك ظني به ألا يطوف بالكعبة حتى نطوف "، وعند ابن جرير وابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع – مرفوعا – " لو مكث كذا كذا سنة ما طاف حتى أطوف " فلما رجع عثمان الى رسول الله ﷺ قال المسلمون له: اشتفيت من البيت يا أبا عبد الله ! ! فقال عثمان: بئس ما ظننتم بي ! فو الذي نفسي بيده، لو مكثت مقيما بها سنة ورسول الله ﷺ مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله ﷺ ولقد دعتني قريش إلى أن أطوف بالبيت فأبيت. فقالوا: كان رسول الله ﷺ أعلمنا وأحسننا ظنا .(١).

وعَنِ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، يَأْتَزِرُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ، وَقَالَ : " هَكَذَا كَانَتْ إِزْرَةُ صَاحِبِي " ، يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢).

١٠ ــ قال عبد الله بن مسعود: مَن سرَّه أن يلقى اللهَ غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهنَّ؛ فإنَّ الله شرع لنبيِّكم سنن الهدى، وإنَّهنَّ من سُنن

---

١) السيرة الحلبية ٢/٧٠١.

٢) الشمائل للترمذي .

الهدى، ولو أنَّكم صلَّيتُم في بيوتكم كما يُصلِّي هذا المتخلِّف في بيته لتركتُم سنَّة نبيِّكم، ولو تركتم سنَّة نبيِّكم لضللتُم . رواه مسلم .

١١ – أرسل جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) غلامه ليشتري له فرساً، فوجد الغلام الفرس بثلاثمائة درهم، وجاء الغلام بصاحب الفرس ومعه الفرس إلى جرير ليقبضه الثمن، فلما رأى جرير الفرس وجده يستحق أكثر من ثلاثمائة، فقال: يا فلان! فرسك يستحق أربعمائة .قال: قبلت. قال: خمسمائة. قال: قبلت. قال: ستمائة. قال: قبلت.. حتى وصل به إلى ثمانمائة فقال الرجل: قبلت. فأعطاه الثمانمائة فتعجب الغلام، وقال لجرير : ما هذا الذي فعلت؟ قال له: إني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم.

١٢ــ وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أتى النبي ﷺ ذات يوم وهو يخطب، فسمعه وهو يقول: "اجلسوا" فجلس مكانه خارجاً عن المسجد حتى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: "زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله". كذا في الكنز . وأخرجه البيهقي أيضاً نحوه عن عبد الرحمن بسند الصحيح، كما في الإصابة.

وأخرجه ابن عساكر أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ جلس على المنبر يوم الجمعة، فقال: "اجلسوا" فسمع عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قول النبي ﷺ :" اجلسوا " فجلس في بني غَنْم، فقيل: يا رسول الله، ذاك ابن رواحة سمعك وأنت تقول لناس اجلسوا فجلس في مكانه. كذا في الكنز .

١٣ــ وأخرج ابن أبي شيْبَة عن عطاء رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يخطب فقال للناس: "اجلسوا"، فسمعه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو على الباب فجلس؛ فقال: "يا عبد الله ادخل" كذا في الكنز .

وأخرجه ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه قال: لما استوى رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة قال: "اجلسوا فسمع ذلك ابن مسعود رضي الله عنه فجلس عند باب المسجد فرآه النبي ﷺ فقال: " تعال يا عبد الله بن مسعود. كذا في الكنز.

١٤ــ أخرج أبو داود عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺخرج يوماً ونحن معه، فرأى قبة مشرفة فقال: ما هذه؟ قال له أصحابه: هذه لفلان ـ رجل من الأنصار ـ قال: فسكت وحملها في نفسه، حتى إذا جاء صاحبها رسول الله ﷺ يسلِّم عليه في ا لناس فأعرض عنه، فعل ذلك مراراً حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه، فشكا ذلك إلى أصحابه، فقال: والله إني لأنكر رسول الله ﷺ قالوا: خرج فرأى قبتك. قال: فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سواها بالأرض؛ فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم يرها قال: ما فعلت القبّة؟ قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، فقال: "أما إنَّ كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا إلا ما لا" ـ يعني ما لا بد منه ـ..

وأخرجه ابن ماجة مختصراً وفي روايته: فمر النبي ﷺ بعد فلم يرها، فسأل عنها فأخبر أنه وضعها لما بلغه، فقال: "يرحمه الله، يرحمه الله."

١٥ــ وأخرج الدولابي في الكُنى عن عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : انطلقت مع رسول الله ﷺ عقبة أذاخر وعليَّ ريْطة مُضَرَّجة. فالتفت إليَّ رسول الله ﷺ فقال: "ما هذا الثوب؟" فعرفت كراهيته، فأتيت رَحْلي وهم يسجُرون

التنور فألقيتها فيه، ثم أتيته فقال: "ما فعلت الرَيْطة؟" فقلت: ألقيتها في التنور. قال: "أفلا أعطيتها بعض أهلك؟."

١٦ــأخرج أحمد والبخاري في التاريخ وابن عساكر عن سهل بن الحنظلية العَبْشَمي رضي الله عنه قال: قال لي العَبْشَمي رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم "نعم الرجل خريم الأسديّ لولا طول جُمَّته وإسبالُ إزاره" فبلغ ذلك خُرَيماً فأخذ شفرة فقطع جُمّته إلى أنصاف أذنيه، ورفع إزاره إلى أنصاف ساقيه .كذا في الكنز.

١٧ ــ وأخرج أبو نُعيم عن الكناني رسول عمر رضي الله عنهما إلى هرقل، وكان يقال له جثُّامة بن مُساحِق بن الربيع بن قيس الكناني. قال: جلست فلم أدرِ ما تحتي، فإذا تحتي كرسي من ذهب فلما رأيته نزلت عنه فضحك. فقال لي: لم نزلت عن هذا الذي أكرمناك به؟ فقلت: إني سمعت رسول الله ﷺينهى عن مثل هذا. كذا في الكنز وأخرجه ابن مَنْده نحوه كما في الإصابة

١٨ــ وأخرج عبد الرزاق عن رافع بن خَدِيج رضي الله عنه قال: دخل عليَّ خالي يوماً فقال: نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم عن أمر كان لكم نافعاً، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا وأنفع لكم ـ فذكر الحديث في كراء الأرض كما في كنز العمال.

١٩ــ وأخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم في المعرفة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن محمد بن أسلم بن بجرة أخي الحارث بن الخزرج ـ رضي الله عنه ـ وكان شيخاً كبيراً. قد حدَّث نفسُه قال: إنْ كان ليدخل المدينة فيقضي حاجته بالسوق ثم يرجع إلى أهله، فإذا وضع رداءه ذكر أنه لم يصلِّ في مسجد

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: والله ما صلَّيت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين، فإنه قد قال لنا: "من هبط منكم هذه القرية فلا يرجعنَّ إلى أهله حتى يركع في هذا المسجد ركعتين". كذا في الكنز . وأخرج ابن مَنْده وقال: غريب؛ والطبراني إلا أنه سماه مسلم بن أسلم، كما في الإصابة.

٢٠ــ وأخرج سعيد بن منصور وابن النجار عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: خطبت جارية من الأنصار فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: "رأيتها؟" فقلت: لا، قال: "فانظر إليها فإنه أحرَى أن يُؤدَم بينكما". فأتيتها فذكرت ذلك لوالديها، فنظر أحدهما إلى صاحبه. فقمت فخرجت، فقالت الجارية: عليَّ الرجل، فوقفتْ ناحية خِدْرها، فقالت: إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر إليَّ فانظر، وإلاّ فإني أحرِّج عليك أنت نظر. فنظرت إليها فتزوجتها فما تزوجت امرأة قط كانت أحب إليَّ منها ولا أكرم عليَّ منها، وقد تزوجت سبعين امرأة كذا في الكنز.

٢١ــ خرج البيهقي من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رُومان عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة، فقال له: "كُنْ بها حتى تأتينا بخبر من أخبار قريش" ولم يأمره بقتال، وذلك في الشهر الحرام، وكتب له كتاباً قبل أن يعلمه أين يسير، فقال: "اخرج أنت وأصحابك، حتى إذا سرت يومين فافتح كتابك وانظر فيه، فما أمرتك فيه فامض له، ولا تَستكرهَنَّ أحداً من أصحابك على الذهاب معك."

فلَّما سار يومين فتح الكتاب فإذا فيه أن "امضِ حتى تنزل نخلة فتأتينا من أخبار قريش بما يصل إليك منهم"، فقال لأصحابه حين قرأ الكتاب: سمعٌ وطاعةٌ، من كان منكم له رغبة في الشهادة فلينطلق معي فإني ماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كره ذلك منكم فليرجع فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهاني أن أستكره منكم أحداً.

فمضى معه القوم حتى إذا كان ببُحران أضلَّ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان رضي الله عنه عنهما بعيراً لهما كانا يتعقبانه، فتخلَّفاً عليه يطلبانه، ومضى القوم حتى نزلوا نخله، فمر بهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان والمغيرة ابنا عبد الله معهم تجارة قدموا بها من الطائف أدَمٌ وزبيب، فلما رآهم القوم أشرف لهم واقد بن عبد الله رضي الله عنه وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه حليقاً قالوا: عُمَّار ليس عليكم منهم بأس، وائتمر القوم بهم ـ يعني أصحاب رسول الله ﷺ في آخر يوم من رجب. فقالوا: لئن قتلتموهم إنكم لتقتلونهم في الشهر الحرام، ولئن تركتموهم ليدخلنَّ في هذه الليلة الحرم فليمتنعنَّ منكم، فأجمع القوم على قتلهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي. بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وهرب المغيرة وأعجزهم، واستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله ﷺ فقال لهم: "والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام" فأوقف رسول الله ﷺ الأسيرين والعير فلم يأخذ منها شيئاً.

فلما قال لهم رسول الله ﷺ ما قال أسقط في أيديهم وظنوا أن قد هلكوا، وعنَّفهم إخوانهم من المسلمين، وقالت قريش حين بلغهم أمر هؤلاء: قد سفك

محمد الدم في الشهر الحرام، وأخذ فيه المال، وأسر فيه الرجال، واستحل الشهر الحرام فأنزل الله في ذلك: { يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ }(١). يقول: الكفر بالله أكبر من القتل. فلما نزلت ذلك أخذ رسول الله ﷺ العير وفدَى الأسيرين، فقال المسلمون: أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ فأنزل الله فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ ....إلى قوله: أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ}(٢). ، وكانوا ثمانية وأميرهم التاسع عبد الله بن جحش رضي الله عن. وأخرج أبو نُعيم هذه القصة من طريق أبي سعيد البقّال عن عكرمة عن ابن عباس مطوَّلة. وكذا أخرجها الطبري من طريق أسباط ابن نصر عن السدِّي، كما في الإصابة.

٢٢ــ وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: "لا يُصلينَّ أحد العصر إلاَّ في بني قُريظة. فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلِّي العصر حتى نأتيها. وقال بعضهم: بلى نصلِّي لم يرد منا ذلك. فذُكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنِّف واحداً منهم. وهكذا رواه مسلم.

وأخرج الطبراني عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الأحزاب رجع فلبس لأمته واستجمر.

---

١)سورة البقرة_ الآية ٢١٧.

٢)سورة البقرة_ الآية ٢١٨.

زاد دُحَيم في حديثه: قال رسول الله ﷺ "فنزل جبريل عليه السلام فقال: عذيرَك من مُحارب ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد" فوثب رسول الله ﷺ فزعاً فعزم على الناس أن لا يصلُّوا العصر إلاَّ في بني قريظة، فلبسوا السلاح وخرجوا، فلم يأتوا بني قُريظة حتى غربت الشمس. واختصم الناس في صلاة العصر، فقال بعضهم: صلُّوا فإن رسول الله ﷺ لم يرد أن تتركوا الصلاة .وقال بعضهم: عز علينا أن لا نصلِّي حتى نأتي بني قريظة، وإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ فليس علينا إثم. فصلَّت طائفة العصر إيماناً واحتساباً. وطائفة لم يصلوا حتى نزلوا بني قريظة بعدما غربت الشمس فصلَّوها إيماناً واحتساباً. فلم يعنِّف رسول الله ﷺ واحدة من الطائفتين. (١).

٢٣) عَنْ أَيُّوبَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ قَرِيبًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ خَذَفَ فَنَهَاهُ وَقَالَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ الْخَذْفِ وَقَالَ إِنَّهَا لَا تَصِيدُ صَيْدًا وَلَا تَنْكَأُ عَدُوًّا وَلَكِنَّهَا تَكْسِرُ السِّنَّ وَتَفْقَأُ الْعَيْنَ قَالَ فَعَادَ فَقَالَ أُحَدِّثُكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْهُ ثُمَّ عُدْتَ لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا(٢).

٢٤) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: " لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ، إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ إِلَيْهَا "، قَالَ: فَقَالَ بِلَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ ، قَالَ : فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ

---

١) قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير ابن أبي الهذيل وهو ثقة اهـ، وأخرجه البيهقي نحوه عن عبيد الله بن كعب بن مالك ومن حديث عائشة رضي الله عنها أطول منه، كما في البداية.

٢) سنن ابن ماجه « كتاب الصيد « باب النهي عن الخذف _ رقم الحديث (٣٢٢٦).

، فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا، مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُ: وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ(١)

وعن مجاهد عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: لا يمنعن رجل أهله أن يأتي المسجد فقال: ابن لعبد الله بن عمر: فإنا نمنعهن. فقال عبد الله: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا فو الله ما أكلمك أبداً، قال فما كلمه عبد الله حتى مات. رواه أحمد وصححه الألباني .

شدة حرص الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) على العمل بالسنة:

- قال الإمام المرُّوذي: قال لي أبو عبد الله: ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به، حتى مر بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً، فاحتجمت وأعطيت الحجام ديناراً (٢).

- وقال أبو الحسن بن المنادي: استأذن أحمد زوجته في أن يتسرى؛ طلباً للإتباع، فأذنت له، فاشترى جارية بثمن يسير، وسماها ريحانة؛ استناناً برسول الله صلى الله عليه وسلم (٣)

- وقال حنبل: (كانت كتب أبي عبد الله أحمد بن حنبل التي يكتب بها: من فلان إلى فلان، فسألته عن ذلك فقال: رسول الله ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر، وكتب

---

١) صحيح مسلم » كِتَاب الصَّلَاةِ » بَاب خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَى الْمَسَاجِدِ إِذَا لَمْ إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج مطيبة _ رقم الحديث (٤٤٢).

٢) سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٩٦.

٣) المناقب لابن الجوزي ص٢٤٣.

كل ما كتب على ذلك، وأصحاب النبي ﷺ ، وهذا الذي يكتب اليوم لفلان محدث لا أعرفه) (١).

ـ قال إبراهيم بن هانيء: اختبأ عندي أحمد بن حنبل ثلاث ليال – وذلك زمن الواثق لما فرض عليه الإقامة الجبرية– ثم قال لي: اطلب لي موضعاً حتى أدور إليه، قال: إني لا آمن عليك يا أبا عبد الله، فقال: النبي ﷺ اختفى في الغار ثلاثة أيام، وليس ينبغي أن نتبع سنته ﷺ في الرخاء ونتركها في الشدة) (٢).

ـ بل وهو في الاحتضار عند معاينة الموت، كان حريصاً على تطبيق السنة، فقد سُئل ابنُه عبد الله: هل عقل أبوك عند المعاينة –أي معاينة الموت–؟ قال: نعم،كنا نوضئه، فجعل يشير بيده، فقال لي صالح: أي شيء يقول؟ فقلت: هو ذا يقول: خللوا أصابعي، فخللنا أصابعه، ثم ترك الإشارة، فمات من ساعته (٣).

ـ وفي مرض موته، وقد أهم الناسَ أمرُه، فهرعوا يتوافدون على بيته، حتى امتلأ بهم الشارع، وأغلق باب الزقاق المؤدي إلى بيته، وأخذ الناس يدخلون عليه أفواجاً، حتى امتلأت بهم داره، وهم يسألونه، ويدعون له، ويخرجون، ثم يدخل فوج آخر، وهكذا، فبينما هم في هذه الأثناء؛ إذ جاء جارٌ للإمام أحمد قد خضب، فرآه الإمام أحمد، فقال: إني لأرى الرجل يحيي شيئاً من السنة فأفرح به (٤).

---

١) الآداب الشرعية لابن مفلح ١ / ٤٨٤.

٢) طبقات الحنابلة ٩٧/١.

٣) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٤٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٣٥.

ويقول: أصول السنة عندنا :

ـ التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ والاقتداء به ، وترك البدع ، وكل بدعة ضلالة .

ـ وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين .

ـ والسنة عندنا آثار الرسول صلى الله عليه وسلم .

ـ والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن الكريم .

ـ وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء ، إنما هو الإتباع وترك الهوى .

ـ ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها : الإيمان بالقدر خيره وشره ، والتصديق بالأحاديث فيه ، والإيمان بها ، لا يقال : (لم) (ولا) (كيف) إنما هو التصديق والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان به والتسليم له ، مثل : حديث (الصادق المصدوق) ومثل: ما كان مثله في القدر ، ومثل : أحاديث الرؤية كلها، وإن نبت عن الأسماع ، واستوحش منها المستمع ، وإنما عليه الإيمان بها ، وأن لا يرد منها حرفا واحدا ، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات ، وأن لا يخاصم أحدا ، ولا يناظره ، ولا يتعلم الجدال ، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه ، لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة ، حتى يدع الجدال ويسلم ويؤمن بالآثار .

ـ والقرآن كلام الله وليس بمخلوق ، ولا يضعف أن يقول : ليس بمخلوق ، قال : فإن كلام الله ببائن منه، وليس منه شيء مخلوق، وإياك ومناظرة من أحدث فيه ، ومن قال باللفظ وغيره ، ومن وقف فيه فقال لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق ، وإنما هو كلام الله ، فهذا صاحب بدعة، مثل من قال : هو مخلوق ، وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق (١).

حرص الإمام مالك على اتباع السنة :

ـ قال الإمام مالك رحمه الله: مَن ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أنَّ محمداً خان الرسالة؛ لأنَّ الله يقول: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) ، فما لَمْ يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً (٢).

ـ قال مالك رحمه الله: "السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك."

ـ جاء رجل إلى الإمام مالك قال: يا إمام أريد العمرة! قال: اعتمر! قال: أريد أن أحرم لها من المدينة من المسجد! قال: يا بني اعتمر رسول الله ﷺ من ذي الحليفة واعتمارك من المسجد خلاف السنة وإني أخشى عليك الفتنة إذا أنت فعلت هذا ثم تلا {فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم }.

---

١) هذا بعض ما جاء في كتاب أصول السنة للإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى .

٢) الاعتصام للشاطبي (٢٨/١).

ـ وكان من شدة تعظيم الإمام مالك (رحمه الله) لحديث رسول الله ﷺ : إذا جلس للفقه جلس كيف كان، وإذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا وتعمم وقعد على منصته بخشوع وخضوع ووقار ، ويبخر المجلس من أوله إلى فراغه تعظيما للحديث(١) .

حرص الإمام الشافعي على السُنة :

ـ نص الامام الشافعي في " الرسالة " على أن السنة منزَّلة كالقرآن، محتجا بقول الله (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) فذكر السنة بلفظ التلاوة كالقرآن، وبين سبحانه أنه آتاه مع الكتاب غير الكتاب،، وهو ما سنّه على لسانه مما لم يذكره فيه، ولهذا قال " ألا إني قد أوتيت القرآن، ومثله معه ."رواه أبو داود. وفي بعض طرقه قال : " أوتيت القرآن، وأوتيت مثله " من السنن التي لم ينطق بها القرآن بنصه، وما هي إلا مفسرة لإرادة الله به، كتحريم الحمار الأهلي، وكل ذي ناب من السباع، وليسا بمنصوصين في الكتاب .

ـ وقال ابن حبان في صحيحه (في قوله): " بلغوا عني ولو آية "، قال : " فيه دلالة على أن السنة يقال فيها : آي. وقال الشافعي في" الرسالة : " في باب فرض طاعة الرسول : قال الله : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وكل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج، والصلاة، والزكاة، لولا بيان الرسول ما كنا نعرف

---

١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٩٦/١، والشفاء للقاضي عياض ٦٠١/٢.

.

كيف نأتيها، ولا كان يمكننا أداء شيء من العبادات، وإذا كان الرسول من الشريعة بهذه المنزلة، كانت طاعته على الحقيقة طاعة لله.

حرص الإمام أبو حنيفة على السنة:

-كان الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله يحث على اتباع السنة وينّفر من القول في دين الله تعالى بالرأي وكان يحرض على العمل بحديث رسول الله

ـ وكان يقول : إياكم والقول في دين الله تعالى بالرأي؛ وعليكم باتباع السنة؛ فمن خرج عنها ضلّ.

ـ ودخل عليه مرة رجل من أهل الكوفة والحديث يقرأ عنده، فقال الرجل :دعونا من هذه الأحاديث، فزجره الإمام أشد الزجر، وقال له : لولا السّنة ما فهم أحد القرآن.

ـ وقيل له : قد ترك الناس العمل بالحديث وأقبلوا على سماعه، فقال رضي الله عنه :نفس سماعهم للحديث عمل به.

ـ وكان رضي الله عنه يقول :لم تزل الناس في صلاح ما دام فيهم من يطلب الحديث فإذا طلبوا العلم بلا حديث فسدوا.

ـ وكان يقول :لا ينبغي لأحد أن يقول قولاً حتى يعلم أن شريعة رسول الله ﷺ تقبله .

حرص بعض الأئمة على السنة:

ـ قال عبد الرحمن بن مهدي: سمعت سفيان يقول: ما بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط إلا عملت به ولو مرة(١).

ـ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ سِنَانَ :كَانَ لَا يُتَحَدَّثُ فِي مَجْلِسِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَلَا يُبْرَى قَلَمٌ، وَلَا يَتَبَسَّمُ أَحَدٌ، وَلَا يَقُومُ أَحَدٌ قَائِمًا، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرَ أَوْ كَأَنَّهُمْ فِي صَلَاةٍ ، فَإِذَا رَأَى أَحَدًا مِنْهُمْ تَبَسَّمَ أَوْ تَحَدَّثَ، لَبِسَ نَعْلَهُ، وَخَرَجَ (٢) .

ـ وعن مسلم بن يسار قال: إني لأصلي في نعليَّ وخلعهما أهون علي وما أطلب بذلك إلا السنة (٣).

ـ قال ابن رجب رحمه الله:(من سار على طريق الرسول ﷺ وإن اقتصد، فإنه يسبق من سار على غير طريقه وإن اجتهد (٤).

ـ قال ابن القيم رحمه الله : لو تركت السنن للعمل لتقطعت سنن رسول الله ﷺ ودرست رسومها وعفت آثارها(٥).

---

١) سير أعلام النبلاء للذهبي .
٢) المرجع السابق.
٣) كتاب الزهد للإمام أحمد
٤) لطائف المعارف.
٥) أعلام الموقعين لابن القيم.

حرص الشيخ إلياس علي اتباع السُنة:

مما يدل علي حرصه علي السنة :

١) كان أحد الأحباب الذين يقومون بخدمته، يصب عليه ماء الوضوء، فعند غسل اليدين إلي المرفقين، صب عليه الماء من عند المرفق، فصاح الشيخ (رحمه الله) قائلا: أتريدُ أن تهلكني، إن من السنة أن نبدأ بمقدم الأعضاء.

٢) كان الشيخ إلياس (رحمه الله) يحضر الصلاة خلال مرضه ،الذي توفي فيه متهاديا بين رجلين ، اندفاعا وراء التشبه بهيئة النبي ﷺ ، في حضوره المسجد في مر ض وفاته ، التي صورتها الأحاديث : " فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان الأرض " (١) حتى كان يعز علي الشيخ أن يحدث خلاف ذلك يوما .

٣) وحكي أن الأحباب حملوه يوما وهو مريض من حجرته ، وأدخلوه المسجد ، فلما وصل أمام باب المسجد قدم الرجل اليمني وأخر اليسرى، فهو محمول ولكن في قلبه إتباع السنة .

٤) وفي آخر يوم من حياته ــ وهو أشغل يوم في حياة الإنسان ــ دعا ابن أخيه المحدث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، وأكد عليه الوصية أن يتبع ويتقصى من دواوين السنة ومجاميعها كل جزء يتعلق بحياة النبي ﷺ ، سواء كان من الأعمال أو الأقوال أو الأخلاق والعادات وكرر عليه التأكيد أن ينفق في نشره بما يستطيعه من الجهد وما يمكنه من السعي ، وما يملكه من الوقت (٢).

---

١) المرجع السابق صـ١٠٣

٢) المرجع السابق صـ١٠٢.

٥) ومما يدل علي حرصه علي السنة أنه كان يؤكد في كلامه دائما علي يقين الكلمة (لا إله إلا الله) وحسن إتباع النبي ﷺ ، وجعلهما المبدأ الأول في الصفات الستة ، ويري في إتباع النبي نصرة الله تبارك وتعالى .

٦) ومما يدل علي حرصه علي السنة كتاب حياة الصحابة الذي ألفه ابنه الشيخ يوسف الذي تربى علي يد والده الشيخ إلياس، فقد أورد فيه بابا كبيرا لصاحب السنة ﷺ في محبة النبي ﷺ وتوقيره وتعظيمه وإجلاله وتعظيمه ، ووجوب اتباعه وامتثال أمره ، والتهديد علي من خالف أمره.

٧) وكان يري أن الأحوال القلبية ، التي تمر بقلب الإنسان ،لا بد أن يتأثر بالأحوال والحوادث البشرية العامة في الحدود الشرعية ، فكان النبي ﷺ يحزن طبعا بصفته بشرا ، بالحوادث والعوامل التي تُسبب الحزن .. كما كان يتكيف بكيفية السرور والحمد والشكر في مواطن السرور والغبطة ، وقد ينشأ سوء فهم لبعض الناس ، فيفهمون أنه لا بد لاكتمال الروحانية والربانية ، وللترقي في مدارج الكمال ، أن يتحلل البشر من جميع الإحساسات ، والكيفيات، والانفعالات البشرية ، فلا يحزن أبدا من المحزنات ، ولا يسر من المضحكات.

وهذا هو الشيخ السرهندي يعيب علي شيخ جليل أعرب عن عدم تأثره من نعي وفاة ابنه ولم يعر ذلك اهتماما ، ولم يبد أي حزن يحزنه الثاكل ، يقول السرهندي : إنه لما تُوفي إبراهيم ابن سيدنا محمد ﷺ سمعه الناس يقول : إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ، وإنا لفراقك يا إبراهيمُ لمحزونون.

وأظن أنا أنه ربما ما بلغه نقد الشيخ السرهندي، لكنه كتب إلي والده هذا نفس المعني ، مما يدل علي كمال إتباعه للسنة ، وفهمه العميق الدقيق لروح الشريعة.

وكتب عند ولادة ابن له: إن ذلك لنعمة كبري من الله ﷻ، لا بد الاغتباط بها من صميم القلب ، وإن لم يتأت السرور طبعا وعفوا ، وانطلاقا من القلب ، فلا بد من اصطناعه ، وإبدائه شكرا لله العزيز القدير[1].(٢).

حرص الشيخ ابن باز (رحمه الله)علي اتباع السنة:

سُئل الامام ابن باز (رحمه الله) عن هذا الحديث:عن أبي هريرة – رضي الله عنه –أن رسول الله ﷺ قال : " لا يَمْشِ أَحَدُكُمْ في نَعْلٍ واحِدَةٍ، لِيَنْعَلهُما جَميعًا، أو لِيَخْلَعْهُما جَميعًا ". وفي رواية : " أو لِيُحْفِهِما جَميعًا ". متفق عليه.

وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إذا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِ أَحَدِكُمْ، فلا يَمْشِ في الأخرى حَتّى يُصْلِحَها " **رواه مسلم.**

فقال: ظاهر النهي التحريم، فقال السائل: قد تكون النعل في مكان والأخرى قريبة منها ؟، فقال: لا يلبسهما إلا جميعا، فقال السائل: ولو خطوة واحدة ؟ فقال رحمه الله: احرص على أن لا تعصي الله تعالى ولو بخطوة واحدة.

فالواجب أن يربى الناس . فضلاً عن الدعاة . على تعظيم النبي ﷺ، وتعزيره وتوقيره، ومن مقتضيات ذلك تعظيم سنته وإجلالها؛ فإذا رأيت الإنسان مقبلاً على السنة حريصاً على الاهتداء بهدي النبي ﷺ علماً وعملاً؛ فاعلم أنه على

---

١) المرجع السابق صـ١٠٣.

٢) من كتاب الأمراء الثلاثة للمؤلف.

خير. وإذا رأيت الإنسان يتقاصر عن فعل السنن ويلتمس المعاذير للتخفف منها؛ فاعلم أنه على غير الجادة.

نعم! لا يجوز أن تُنَزَّل السنن منزلة الفرائض، لكن لا يجوز أيضاً أن تُزدرى السنن وتهجر، وخاصة ممن هم في منزلة القدوة الذين يحتذى بهم. قال الله تعالى .: {وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(١) .

فماذا يقال لبعضنا، تمر عليه السنة تلو السنة، يطبقها حيناً، ويتركها أحايين، بل بعضهم إذا نوقش في ترك بعض المسنونات قال: الأمر لا يصل إلى حد الوجوب، وإذا نوقش في فعل بعض المنهيات قال: النهي لا يصل إلى حد التحريم.

نعم قد يكون كلامه صحيحاً، لكن الكمَّل من العباد، يبادرون إلى فعل الأمر وإن كان للاستحباب، ويبادرون بترك المحرم وإن كان للتنزيه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

١) سورة الأعراف _ الآية ١٥٨.

صفة الصلاة

ذات الخشوع والخضوع

قال تعالى ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خِداجٌ – ثلاثاً – غير تمام فقيل لأبي هريرة: إنّا نكون وراء الإمام؟ فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: قال اللّه عزّ وجلّ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: { الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } قال اللّه: حمدني عبدي، وإذا قال: { الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ }قال اللّه: أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال: { مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } قال: مجّدني عبدي، وقال مرة: فوّض إليّ عبدي، فإذا قال:{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: { اهدِنَا

---

١) سورة البقرة – ٢٣٨ .

٢) سورة العنكبوت - من الآية ٤٥ .

الصِّرَاطَ المستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل "رواه مسلم عن أبي هريرة"(١).

- آخر وصية للنبي ﷺ:((الصلاةَ الصلاةَ، وما ملكتْ أيمانُكم))؛ رواه أحمد وغيره.
- لأهميتها فرضت في السماء ليلة الإسراء والمعراج.
- لأهميتها فرضت قبل الصيام والزكاة والحج.
- أكثر الفرائض ذكرا في القرآن.
- ولأهميتها أوجبها الله في اليوم والليلة خمس مرات، لأنها صلة بين العبد وربه، وهي معراج المؤمن يعرج بها إلى الله عز وجل، يستعين بها العبد علي قضاء حوائجه الدنيوية والأخروية، يقول الله تعالى:﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾(٢).
- قال تعالى:﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٣)
- لما تحمل حفنة من الماء تعرف قيمتك أنك كنت من نطفة.

---

١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة _ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٣٩/١ ، ٢٩٦ ، وأبو داود في كتاب الصلاة باب من ترك القراءة بفاتحة الكتاب في صلاته ٢١٥/١ ، والترمذي في تفسير القرآن _ باب من سورة فاتحة الكتاب ١٨٤/٥، والنسائي في كتاب الافتتاح ، باب ترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب ٦٠٥/١.

٢) سورة البقرة – الآية ٤٥.

٣) سورة الروم– الآية ٣١.

- فإذا فقدت الماء تيمم ترجع إلى أصلك التراب.
- ثم تقف أمام الله تتجه بالجسد إلى القبلة وتتجه بالقلب إلى الله﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)،﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢).
- الصلاة دورة تدريبية مركزة ولو رسبت فيها كيف تنجح في غيرها.
- دورة مركزة فى كل وقت تحت أمره وفى كل أمر تحت أمره .
- فى الصلاة تتمرن الأعضاء والجوارح على امتثال الأوامر .
- تصلى باليقين : حي على الفلاح .. أى فيها فلاحي ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(٣).
- وبطريقة الرسول ﷺ " صلوا كما رأيتمونى أصلى "(٤).
- فإذا قضيت بهذا الأمر فانتشروا فى الأرض .. مشيك فى دكانك .. فى وظيفتك .. حسب مشيئة الله ﷻ .
- الصلاة تحكم حركة الأمة فى الحياة إذا صلحت الصلاة صلُح جميع شئون الحياة .
- وعن ابن مسعود ﷺ قال : " احملوا حوائجكم على المكتوبات " (٥) ولكن الصلاة الضعيفة هي مثل الأساس الضعيف لا تقدر أن تحمل عليه شيء .

---

١) سورة الأنعام – الآية ٧٩ .

٢) سورة الأنعام – الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

٣) سورة المؤمنون - الآية ١ .

٤) رواه البخارى عن مالك بن الحويرث (مشكاة المصابيح – باب تأخير الآذان – ١ / ٢١٥).

٥) رواه عبد الرازق فى مصنفه (حياة الصحابة – باب ترغيب الصحابة فى الصلاة).

- ما كان يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق.. ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف (١).. لماذا ..؟! لأنه محتاج .. مثل الذي أنهى خدمته فهو يسند حتى يأخذ معاشه (الراتب) لأنه محتاج لذلك .. وأي احتياج .. ونحن جميعنا محتاجين إلى الله ﷻ .
- إياك نعبد وإياك نستعين .. أولاً العبادة ثم يأتي العون من الله ﷻ .. حي على الصلاة .. حي على الفلاح إذا تكون الصلاة يكون الفلاح ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (٢).
- أبو العلاء الحضرمي صلى ودعا وقال في البحر اللهم اجعل لنا سبيلاً إلى عدوك .. ثم عبر بجيشه البحر (٣).
- إذا لم يستجيب لنا ندعو حتى يستجاب لنا الدعاء، نجتهد حتى تكون الصلاة محلاً لقبول الدعاء.
- الصلاة ليست للثواب فقط بل للمنافع .
- أنس ﷺ يصلى حتى ينزل المطر (٤).
- أبو معلق ﷺ يصلى وتنزل له النصرة من السماء .. ينزل الملك ويقتل اللص .. لأنه يعرف لمن يصلى (٥).

---

١) رواه مسلم ، انظر رياض الصالحين - باب فضل صلاة الجماعة .
٢) سورة المؤمنون - الآيتان ١، ٢ .
٣) حياة الصحابة - باب التأييدات الغيبية - ٣ / ٦١٢ .
٤) المرجع السابق .
٥) المرجع السابق - ٣ / ٥٤١ .

- سيدنا يعقوب قال لبنيه عندما طلبوا منه أن يستغفر لهم ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ (١).. أخَّر الدعاء لقيام الليل.. يعرف وقت قبول الدعاء.. نمهل حاجتنا إلى الليل.
- قال ابن مسعود ﷺ : مادمت فى الصلاة فأنت تقرع باب الملك ومن يقرع باب الملك يفتح له .
- نتمرن فتصبح الصلاة منهج وجميع الحاجات تقضى بالصلاة .
- الصلاة سلاح ولكن لا نعرف قيمته .
- استقامة الحياة باستقامة الصلاة .
- علامة صلاح الداعي بصلاح صلاته .
- إذا صلح البصر داخل الصلاة .. صلح خارج الصلاة .. وكذلك الجوارح.
- فساد الصلاة .. فساد كل ما حوله من جميع شعب الحياة .
- الصلاة نور .
- الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة قال ﷺ :" بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ,وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ " **متفق عليه**(٢). ".
- وهي عمود الإسلام فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ لِي : " إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ " قَالَ :

---

١) سورة يوسف – الآية ٩٨ .

٢) مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان ١٠/١ .

قُلْتُ: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : أَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ فَالْإِسْلَامُ ، وَأَمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلَاةُ ، وَأَمَّا ذِرْوَةُ سَنَامِهِ فَالْجِهَادُ (١).

■ وعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حِينَ طُعِنَ ، فَقَالُوا : الصَّلاةَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : " نعم، وَلا حَظَّ فِي الإِسْلامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ(٢)

■ وقد كان عمر بن الخطاب يكتب إلى الأفاق.. إن أهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

■ فكل مستخفٍ بالصلاة مستهين بها، فهو مُستخف بالإسلام مستهين به، وإنما حظهم في الإسلام على قدر حظهم في الصلاة ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة، فكلّ مستخفٍّ بالصّلاة مستهينٍ بها: هو مستخفٌ بالإسلام مستهين به.

■ وإنما حظّهم من الإسلام على قدر حظّهم من الصّلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصّلاة، فاعرف نفسك يا عبد الله، واعلم أنّ حظّك من الإسلام وقدر الإسلام عندك بقدر حظّك من الصّلاة وقدرها عندك.

---

١) المستدرك على الصحيحين « كتاب الجهاد « رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد رقم الحديث(٢٤٥٥).، والحديث رواه أحمد والترمذي وابن ماجة (مشكاة المصابيح _ كتاب الإيمان ١٦/١ .

٢) رواه مالك في الموطأ، والبيهقي

▪ احذر أن تلق الله عزّ وجل ولا قدر للإسلام عندك، فإنّ قدر الإسلام في قلبك كقدر الصّلاة في قلبك، فالصّلاة عمود الإسلام، فقد قال ﷺ: (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ) رواه الترمذي.

▪ ألست تعلم أنّ الفسطاط إذا سقط عموده سقط الفسطاط ولم ينتفع بالطنب ولا بالأوتاد؟ وإذا قام عمود الفسطاط انتفعت بالطنب والأوتاد ، فكذلك الصّلاة من الإسلام.

▪ فانظروا رحمكم الله واعقلوا، وأحكموا الصّلاة، واتّقوا الله فيها، وتعاونوا عليها وتناصحوا فيها بالتعليم من بعضكم لبعض، والتذكير من بعضكم لبعض من الغفلة والنّسيان، فإنّ الله عزّ وجل قد أمركم أن تعاونوا بالبرّ والتقوى، والصّلاة: أفضل البر.

▪ والصلاة شعار الإسلام وعلامته الظاهرة، يقول الله تعالى:{ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} .

▪ وعَنْ نُمَيْرِ بْنِ سَلَمَةَ ، قَالَ: " أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يُسْأَلُ عَنْ صَلَاتِهِ ، فَإِنْ تُقُبِّلَتْ مِنْهُ ؛ تُقُبِّلَ مِنْهُ سَائِرُ عَمَلِهِ(١)

▪ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلُحَتْ؛ فَقَدْ أَفْلَحَ وَنَجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ؛ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ"(٢) .

---

١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه .

٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كل صلاة لا يتمها (٨٦٤)، والترمذي في كتاب الصلاة- باب ما جاء أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة (٤١٣)، والنسائي في

ولأهمية الصلاة فرضها الله في السماء بدون واسطة جبريل عليه السلام كما في باقي الأوامر.

مقصد الصلاة:

أ _ امتثال أمر الله عز وجل (تحقيق العبودية لله تعالى).

ب _ إقامة ذكر الله: قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾(١).

جـ _ أن تكون حياتنا خارج الصلاة كداخل الصلاة.

د _ أن يكون بين العبد وربه علاقــة.

هـ _ رفع الدرجات: عن مَعْدَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ قَالَ لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ أَوْ قَالَ قُلْتُ بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:" عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً " (٢).

كتاب الصلاة- باب المحاسبة على الصلاة (٤٦٥)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة- باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة (١٤٢٥).

١) سورة طه – الآية ١٤ .

٢) «صحيح مسلم» كتاب الصلاة « باب فضل السجود والحث عليه _ رقم الحديث ٤٨٨ .

وعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيِّ –رضي الله عنه– قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي :سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ : " أَوَغَيْرُ ذَلِكَ " . قَالَ : هُوَ ذَلِكَ . قَالَ :" فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ" (١).

و ـ *القرب من الله* : **قال تعالى:**﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ (٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ "(٣).

ز ـ *تكفير الذنوب*: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول: أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو اللَّه بهن الخطايا متفق عَلَيهِ(٤).

---

١) «صحيح مسلم « كتاب الصلاة « باب فضل السجود والحث عليه _ رقم الحديث ٤٨٩ ، وأبو داود، والنسائي.

(٢) سورة العلق – الآية ١٩.

٣) أخرجه مسلم (٣٥٠/١ ، رقم ٤٨٢) ، وأبو داود (٢٣١/١ ، رقم ٨٧٥) ، والنسائي (٢٢٦/٢ ، رقم ١١٣٧) . وأخرجه أيضاً : أحمد (٤٢١/٢ ، رقم ٩٤٤٢) ، وابن حبان (٢٥٤/٥ ، رقم ١٩٢٨) ، والبيهقي (١١٠/٢ ، رقم ٢٥١٧).

٤) رياض الصالحين _ باب فضل الصلوات .

وعن جابر ﷺ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر(١) على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات رواه مُسلِمٌ (٢).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل اللَّه تعالى: { وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } (٣) فقال الرجل: ألي هذا؟ قال: لجميع أمتي كلهم متفق عَلَيهِ (٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: " الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر " رواه مُسلِمٌ (٥).

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول:" ما من امرئ مسلم تحضر صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة؛ وذلك الدهر كله رواه مُسلِمٌ (٦).

---

١) الغمر بفتح الغين المعجمة: الكثير..
٢) المرجع السابق.
٣) سورة هود . الآية ١١٤ .
٤) المرجع السابق.
٥) المرجع السابق.
٦) المرجع السابق .

هـ _ *الاستفادة من خزائن الله الغيبية:* يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): اللهُ سُبحَانَهُ أخذ النَّبِي ﷺ إليه فى السماء وأراه خزائنه، ثم دله على مفاتيح تلك الخزائن وهى فى الصلاة والاستعانة والطلب من الله فيقول تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ (١)، وحتى تكون الصلاة مثمرة لا بد من أن تكون الصلاة قوية وهذا بالإخلاص، فيجب أن تكون النية هي رضاء اللهُ سُبحَانَهُ.

فالصلاة سببا لاستفادة الإنسان من قدرة الله تَعَالَى وخزائنه، مثل الزراعة للاستفادة من خيرات التربة .

فالرجل اليوم بسبب فساد يقينه صار يستخدم أولاده لسد حاجاته، والحاجة ما سدت، ومن ليس على منهج الله تَعَالَى استخدم نساءه لسد حاجته، وما سدت حاجته، وكثير من النَّاس يمنعون أولادهم من تعلم علوم الدين، ويعلمونهم العلوم العصرية، لأنهم يظنون أن تعلمهم الدين يقلل رزقهم، فالنساء والأولاد والكبار صاروا متطوعين للشغل، ولكن ما سدت الحاجة، وما علموا أن الشيء الذي كتبه الله تَعَالَى للإنسان هو الذي سيكون، مهما اجتهد الإنسان كثيرا أم قليلا، فالرسول ﷺ كان إذا لم يجد قوتا في بيته ما كان يأمر أهله بالكسب، ولكن كان يأمرهم بالصلاة وهكذا أمره الله تَعَالَى :﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة _ الآية ٤٥ .

٢) سورة طه _ الآية ١٣٢.

وفي الحديث: عن أبي هريرة رَضيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء **رواه مُسلِمٌ**(١).

وعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ ، كَانَ يَقُولُ " : احْمِلُوا حَوَائِجَكُمْ عَلَى الْمَكْتُوبَةِ " وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَائِنَا : " مَا مِنْ صَلَاةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْعُوَ فِيهَا حَاجَتِي مِنَ الْمَكْتُوبَةِ " (٢) .

وعن ابن مسعود ﷺ أيضا: " مَا دُمْتَ فِي صَلاةٍ فَأَنْتَ تَقْرَعُ بَابَ الْمَلِكِ ، وَمَنْ يَقْرَعْ بَابَ الْمَلِكِ يُفْتَحْ لَهُ " (٣).

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الْمُجَابِينَ، وَفِي الدُّعَاءِ عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ – ﷺ– مِنَ الْأَنْصَارِ يُكَنَّى أَبَا مُعَلَّقٍ وَكَانَ تَاجِرًا يَتَّجِرُ بِمَالٍ لَهُ وَلِغَيْرِهِ، يَضْرِبُ بِهِ فِي الْآفَاقِ، وَكَانَ نَاسِكًا وَرِعًا، فَخَرَجَ مَرَّةً فَلَقِيَهُ لِصٌّ مُقَنَّعٌ فِي السِّلَاحِ، فَقَالَ لَهُ: ضَعْ مَا مَعَكَ فَإِنِّي قَاتِلُكَ، قَالَ: فَمَا تُرِيدُهُ مِنْ دَمِي؟ شَأْنُكَ بِالْمَالِ، قَالَ: أَمَّا الْمَالُ فَلِي، وَلَسْتُ أُرِيدُ إِلَّا دَمَكَ، قَالَ: أَمَّا إِذَا أَبَيْتَ فَذَرْنِي أُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، قَالَ: صَلِّ مَا بَدَا لَكَ ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ فِي آخِرِ سُجُودِهِ أَنْ قَالَ : **يَا وَدُودُ يَا وَدُودُ، يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، يَا فَعَّالًا لِمَا تُرِيدُ، أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لا يُرَامُ، وَبِمُلْكِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَبِنُورِكَ الَّذِي مَلأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ أَنْ تَكْفِيَنِي شَرَّ هَذَا اللِّصِّ، يَا مُغِيثُ أَغِثْنِي**، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ أَقْبَلَ

---

١) رياض الصالحين _ كتاب الأذكار- باب فضل الذكر والحث عليه.

٢) رواه عبد الرازق فى المصنف « كتاب الصلاة « باب الرجل يدعو ويسمي في دعائه رقم الحديث (٤٠٤٠) حياة الصحابة – باب ترغيب الصحابة فى الصلاة .

٣) حلية الأولياء لأبي نعيم _ ترجمة عبد الله بن مسعود .

بِيَدِهِ حَرْبَةٌ قَدْ وَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنَيْ فَرَسِهِ، فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ اللِّصُّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قُمْ ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ فَقَدْ أَغَاثَنِي اللَّهُ بِكَ الْيَوْمَ، فَقَالَ: أَنَا مَلَكٌ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، دَعَوْتَ بِدُعَائِكَ الْأَوَّلِ فَسَمِعْتُ لِأَبْوَابِ السَّمَاءِ قَعْقَعَةً، ثُمَّ دَعَوْتَ بِدُعَائِكَ الثَّانِي، فَسَمِعْتُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ ضَجَّةً، ثُمَّ دَعَوْتَ بِدُعَائِكَ الثَّالِثِ، فَقِيلَ لِي: دُعَاءُ مَكْرُوبٍ فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُوَلِّيَنِي قَتْلَهُ، قَالَ الْحَسَنُ: فَمَنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَدَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ، اسْتُجِيبَ لَهُ، مَكْرُوبًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مَكْرُوبٍ (١).

وقال ابن سعد في الطبقات: [٩٥٠١] أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ زُرَارَةَ قَالَ: قَالَ : أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ قَالَ : شَكَا قَيِّمٌ لأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي أَرْضِهِ الْعَطَشَ، قَالَ: فَصَلَّى أَنَسٌ ، وَدَعَا ، فَثَارَتْ سَحَابَةٌ حَتَّى غَشِيَتْ أَرْضَهُ، حَتَّى مَلأَتْ صِهْرِيجَهُ .فَأَرْسَلَ غُلاَمَهُ فَقَالَ : انْظُرْ أَيْنَ بَلَغَتْ هَذِهِ ، فَنَظَرَ ، فَإِذَا هِيَ لَمْ تَعْدُ أَرْضَهُ(٢)..

وقال أيضاً [٩٥٠٢] : قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ،عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ : جَاءَ أَنَسًا أَكَّارُ بُسْتَانِهِ فِي الصَّيْفِ، فَشَكَا الْعَطَشَ، فَدَعَا بِمَاءٍ ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَرَى شَيْئًا ؟ فَقَالَ : مَا أَرَى

---

١) أخرجه ابنُ أبي الدنيا في " مجابي الدعوة (٦٤) " و" الهواتف " (٢٤) ، ومن طريقهِ أخرجه اللالكائي في " شرح أصولِ الاعتقاد (١٦٦ / ٥) "وبوَّب عليه : " سياق ما روي من كراماتِ أبي معلق " ، وأخرجه " أبو موسى المديني " – كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في " الإصابة " (٧ / ٣٧٩) في ترجمة "أبي معلق الأنصاري " ونقل عنه أنه أورده بتمامه في كتاب " الوظائف " ، وكذا رواه عنه تلميذه ابن الأثير في " أسد الغابة " (٦ / ٢٩٥).

٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢١/٧.

شَيْئًا، قَالَ: فَدَخَلَ، فَصَلَّى، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ، أَوْ فِي الرَّابِعَةِ : انْظُرْ .قَالَ : أَرَى مِثْلَ جَنَاحِ الطَّيْرِ مِنَ السَّحَابِ، قَالَ : فَجَعَلَ يُصَلِّي، وَيَدْعُو حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ الْقَيِّمُ فَقَالَ :قَدِ اسْتَوَتِ السَّمَاءُ وَمَطَرَتْ ، فَقَالَ : ارْكَبِ الْفَرَسَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ بِشْرُ بْنُ شَغَافٍ ، فَانْظُرْ أَيْنَ بَلَغَ الْمَطَرُ، قَالَ : فَرَكِبَهُ، فَنَظَرَ، قَالَ : فَإِذَا الْمَطَرُ لَمْ يُجَاوِزْ قُصُورَ الْمُسَيَّرِينَ، وَلاَ قَصْرَ الْغَضْبَانِ (١).

أبو العلاء الحضرمي صلى ودعا وقال في البحر اللهم اجعل لنا سبيلاً إلى عدوك .. ثم عبر بجيشه البحر (٢).

ويروى أنه جاءت امرأة يوما إلى أحد الصالحين فقالت: إن ابني قد أخذه الحرس، وإني أحب أن تبعث إلي صاحب الشرطة، لئلا يضرب، فقام فصلى، فطول الصلاة، وجعلت المرأة تحترق في نفسها، فلما انصرف من الصلاة، قالت المرأة: الله! الله! في ولدى. فقال لها: إني إنما كنت في حاجتك.. فما قام من مجلسه الذي صلى فيه حتى جاءت امرأة إلي تلك المرأة قالت لها: ابشري فقد أطلق ولدك، وها هو في المنزل، فانصرفت إليه.

وكتب الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (رحمه الله) في رسالته التي أرسلها إلي جماعة الحج والعمرة : الله تعالى أعطانا الصلاة للاستفادة المباشرة من قدرته، ففي الصلاة أمرنا الله أن نستعمل هذا الجسد ونقيده من الرأس إلي الجسد بالطريقة التي تُرضي الله عز وجل، فالعينين والأذنين واليدين والقدمين واللسان مع التوجه والخوف من الله تعالى في القلب، ومع اليقين بأنني إذا استعملت جسمي تحت أمر الله تعالى

---

١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢١/٧.

٢) حياة الصحابة - باب التأييدات الغيبية - ٣/ ٦١٢.

في التسبيح والتكبير والركوع والسجود، ففي ذلك الاستفادة والنفع أكثر من أن أملك جميع الكائنات.

فمع هذا اليقين يُصلي العبد ويبسط يديه أمام الله عز وجل، فالله تعالى يقضي جميع حاجاته، وبمثل هذه الصلاة الله يغفر جميع الذنوب، وبمثل هذه الصلاة الله تعالى يبارك للعبد في رزقه، ويوفقه لطاعته.

فحتى نتعلم هذه الصلاة ندعو الناس ونرغبهم في الصلاة ذات الخشوع والخضوع، ونبين لهم فائدة الصلاة في الدنيا والآخرة، ونقرأ عن صفة صلاة النبي ﷺ وأصحابه الكرام، ونتدرب لتحسين صلاتنا، فنهتم بالوضوء، ونستحضر عظمة الله في قلوبنا أثناء القيام والركوع والسجود والجلوس في كل عمل من هذه الأعمال، أقل القليل لأن الله تعالى يرانا، وبعد الصلاة نتفكر بأننا ما أدينا الصلاة كما يليق بشأن الله تعالى، فنستغفر ونبكي أمام الله تعالى حتى يرزقنا حقيقة الصلاة.

وقال رجل للشيخ يوسف: نحن ندعو الناس إلى الصلاة حتّى نحصلَ على اليقين بالصلاة فكيف نعرف أنّه صار عندنا هذا اليقين؟

فقال له الشيخ يوسف: إذا كنتَ ذاهباً إلى المسجد للصلاة وجاء الوزير إلى باب دكّانك وأرسلَ من يطلبك فذهبتَ معه فليس عندك يقين بهذه الصلاة، أمّا إذا أجبتَه قائلاً: الآن دخلَ وقتُ الصلاةِ قُل له يأتي للصّلاةِ لأنّ فلاحي وفلاحه في الصلاة أُصلّي أوّلاً ثُمّ بعدها أقابله، هذا اليقين بالصلاة وأهمّيتها، فمجرّد العلم لا يكفي بل لابدّ أنْ نجتهِد لليقين والحقيقة.

ويقول الشيخ سعد هارون:

نحن نتجول لإكمال الإيمان، ولإكمال العبادات في حياتنا، وكلما ندعو الناس للإيمان وللعبادات تأتي حقيقة الإيمان وحقيقة العبادات في حياتنا.

فأي صفة تريد أن تحييها في حياتك فبجهد الدعوة تحصل عليها، وهكذا لإقامة الصلاة في حياتنا ندعو إلى الصلاة.

وإقامة الصلاة معناه إصلاح الصلاة، أي نجتهد في صلاتنا ونرتقي بها، هذا من الناحية الفردية، وأما من الناحية الاجتماعية فمعنى إقامة الصلاة هو إشاعتها ونشرها حتى لا يبقى فرد في المجتمع لا يصلي.

والرسول ﷺ يقول :" صَلُّوا كما رأيتموني أصلي" فهكذا نصلح ظاهر الصلاة على ترتيبها من قيام وركوع وسجود وكذلك نصلح باطنها، فعلى قدر إصلاحنا للصلاة تصلح بقية الأوامر في الحياة، فلا أصلي بالغفلة، قالبا حاضر في الصلاة وقلبا خارج الصلاة، ولكن أصلي وأنا أستحضر في كل ركن بأن الله يراني ويرى ما في قلبي وأستحضر عظمته تعالى.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الصلاة العجلى لا تنهى عن المنكر والذي لا تنهاه صلاته عن المنكر يبتعد عن الله.

وأما حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقد رأى رجلا يصلي ومستعجل في صلاته فسأله حذيفة منذ كم تصلي هكذا فأجابه الرجل منذ أربعين سنة فقال له حذيفة لو أنت تصلي هكذا كل عمرك ومت فلن تحشر على دين محمد صلى الله عليه وسلم.

وكذلك أربط جميع ما أحتاجه من الدنيا أربطه في صلاتي كما يربط أهل الدنيا دنياهم بالأسباب، فقد كان رسولنا كما جاء، عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلاةِ[1]، ففي بدر: عن ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ح وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِيُّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنِي أَبُو زُمَيْلٍ هُوَ سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن ، وفي رواية أحمد وأبو داود والبيهقي في شعب الإيمان: إذا حزبه أمر صلى .

ذَلِكَ أَجْمَعُ فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:" صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ " فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ (١).

فنحن نصلي ونكثر من الصلاة حتى تحل مسألتنا ولو استوجب الأمر مائة أو مئتا ركعة.

نصلي بخمس صفات:

١) **باليقين:** أن صلاتي فيها الفوز والفلاح، قال تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[٢]، وفي الآذان ينادي المؤذن: (حي على الصلاة.. حي علي الفلاح) .

٢) **باستحضار الفضائل:** (يعني ماذا يعطيني الله علي هذه الصلاة).. عند الوضوء نستحضر فضائل الوضوء.. عند المشي إلي المسجد نستحضر فضائل المشي إلى المسجد.. عند الصلاة نستحضر فضائل الصلاة وثوابها.

٣) **بالعلم:** أي بطريقة الرسول(صلوا كما رأيتموني أصلي): قَالَ الشَّيخ محمد عمر(رَحِمَهُ اللهُ): أوامر اللهُ سُبحَانَهُ وتعالى منتشرة في القرآن والأحاديث، فمثلا أمر الزكاة، وأمر الصلاة، وأمر الحج، وأمر الإنسان للزوجة، وأمر السكنى للزوجة، وأمر الصدقات، وهكذا الأوامر منتشرة ولكن ما هو الترتيب لامتثال أوامر اللهُ سُبحَانَهُ وتعالى ؟ أي أمر تقدم وأي أمر تؤخر ؟ ليس من قبلنا نبين أن هذا الأمر مقدم وأن هذا الأمر مؤخر، بل نفرق بامتثال أوامر الله تَعَالَى وفقا لما

---

(١) صحيح مسلم _ كتاب الجهاد والسير _ باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم_ رقم الحديث: (١٧٦٣).

٢) سورة المؤمنون – الآية ١ ، ٢.

جاء في حياة الرسول ﷺ ، ترتيب أوامر الله تَعَالَى، ننظر كيف فعلها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ؟ فإذا صلى العبد حسب لفظ القرآن هذا الأمر : (أقيموا الصلاة)، فإقامة الصلاة فقط من هذا الأمر، فلذالك أولا يسجد ثم يركع ثم يقوم، وهكذا لا تصح صلاته، ولو امتثل أمر الله تَعَالَى (أقيموا الصلاة)، ولكنه خالف ترتيب الرسول ﷺ فإن صلاته لا تقبل، إذا كان الواحد يقول إن الله تَعَالَى أمرنا بالصيام والصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع ، لذلك أنا لا آكل ولا أشرب ليلا، وهذا لا يصح صومه لأنه لو صام وأقام أمر الله فقد خالف ترتيب الرسول ﷺ، فالامتثال لأوامر الله تَعَالَى يجب أن يكون باتباع ترتيب الرسول ﷺ، وأي أمر مؤخر ...) .

٤) **بصفة الإحسان:** أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. فالصلاة بالغفلة تلف كما يلف الثوب بالخرقة السوداء ، ويضرب بها الوجه يوم القيامة ، فهذا مع أنها صلاة إلا أنها ليست دينا بسبب الغفلة وعدم الإحسان ، أما تقبيل صبي من الأولاد مع الرحمة ونية السنة يسمى دينا.

٥) **بمجاهدة النفس:** فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يَقومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا، يَا رَسُولَ الله ، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأخَّرَ ؟ قَالَ : " أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً.! " **متفقٌ عَلَيْهِ.**

الصلاة الحقيقة: أن ينقطع العبد عن المخلوق نهائيا.

أثر الصلاة في حياة المسلم:

١) **حصول الفلاح في الدنيا والآخرة: قال تعالى:** ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾(١)

٢) **الابتعاد عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى:** ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(٢).

وهكذا في ذكر الله تَعَالَى الأثر هو اطمئنان القلب ، كذلك في الدعاء ، الأثر فى الدعاء الاستجابة ، هكذا النَّبِي ﷺ بين لنا دعاء الدين :" اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك " الترمذي.

إذن لكل شيء أثر، الصوم أثره التقوى، وما هو أثر التقوى ؟ إذا جاءت التقوى فى الإنسان الله تَعَالَى يقضى حاجاته، كذلك التقوى في الإنسان تجنبه من الوقوع فى الحرام وتجعل له مخرجا، كذلك بالتقوى الله تَعَالَى ييسر أموره، وبالتقوى الله تَعَالَى ينزل عليه البركة ، هكذا بالتقوى الله تَعَالَى ينصر الإنسان، وبالتقوى معية الله تَعَالَى تكون مع الإنسان لقوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) وإذا كانت التقوى مع الإنسان الله تَعَالَى ينصره ويعينه.

---

١) سورة المؤمنون – الآية ١ ، ٢.

(٢) سورة العنكبوت – الآية ٤٥.

٣) سورة التوبة– الآية ٣٦.

يقول ابن القيم (رحمه الله): الصلاة قرة عيون المحبين، ولذة أرواح الموحدين، وبستان العابدين، ولذة نفوس الخاشعين، ومحك أحوال الصادقين، وميزان أحوال السالكين.

وهي رحمةُ الله المهداة إلى عباده المؤمنين، هداهم إليها، وعرَّفهم بها، وأهداها إليهم على يد رسوله الصادق الأمين، رحمة بهم، وإكراما لهم، لينالوا بها شرف كرامته، والفوز بقربه لا لحاجة منه إليهم ، بل منَّة منه ، وتفضُّلا عليهم.

والوضوء: ظاهره طهارة البدن، وأعضاء العباد، وباطنه وسرّه طهارة القلب من أوساخ الذنوب والمعاصي وأدرانه بالتوبة؛ ولهذا يقرن تعالى بين التوبة والطهارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

وشرع النبي ﷺ للمتطهِّر أن يقول بعد فراغه من الوضوء أن يتشهد ثم يقول: " اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ الْمُتَطَهِّرِينَ" رواه الترمذي[2].

فإنه بالشهادة يتطهر من الشرك، وبالتوبة يتطهر من الذنوب، وبالماء يتطهر من الأوساخ الظاهرة.

فشرع له أكمل مراتب الطهارة قبل الدخول على الله عز وجل، والوقوف بين يديه.

وكما أنه لا ينبغي أن يصرف وجهه عن القبلة إلى غيرها فيها، فكذلك لا ينبغي له أن يصرف قلبه عن ربِّه إلى غيره فيها.

---

١) سورة البقرة – الآية ٢٢٢.

٢) وقد صححه الألباني في صحيح الترمذي، وجزم ابن القيم في "زاد المعاد" بثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم.

إذا ما أطاع اللسان القلب في التكبير، أخرجه من لبس رداء التكبّر المنافي للعبودية، ومنعه من التفات قلبه إلى غير الله.

تمام عبودية الركوع أن يتصاغر الراكع، ويتضاءل لربه، بحيث يمحو تصاغره لربه من قلبه كلَّ تعظيم فيه لنفسه، ولخلقه ويثبت مكانه تعظيمه ربه وحده لا شريك له.

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يطيل الجلوس بين السجدتين بقدر السجود يتضرع إلى ربه فيه، ويدعوه ويستغفره، ويسأله رحمته، وهدايته ورزقه وعافيته.

شرع للعبد إذا رفع رأسه من السجود أن يجثو بين يدي الله تعالى مستعديا على نفسه، معتذرا من ذنبه إلى ربه ومما كان منها، راغباً إليه أن يغفر له ويرحمه ويهديه ويرزقه ويعافيه(١).

علامة قبول الصلاة :

إذا كانت الصلاة قرة العين كما قال النبى ﷺ:" وجعلت قرة عيني في الصلاة "(٢).

إذا خشع القلب وخضعت الجوارح وذلك باستحضار عظمة الله ﷻ والنظر موضع السجود والاطمئنان فى جميع الأركان .

والخشوع هو الخضوع والتذلُّل والسكون، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ

---

١) كتاب أسرار الصلاة لابن القيم.

٢) رواه أحمد والنسائى بإسناد حسن عن أنس ﷺ (مشكاة المصابيح – باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبى ﷺ - ٣/ ١٤٤٨).

* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[١].؛ أي: قد فاز وسعد ونجح المؤمنون المصلُّون، ومن صفاتهم أنهم {فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}، والخشوع في الصلاة هو: حضور القلب فيها بين يدي الله – تعالى – محبةً له وإجلالاً، وخوفًا من عقابه، ورغبةً في ثوابه، مستحضرًا لقُربه، فيسكن لذلك قلبُه، وتطمئن نفسُه، وتسكن حركاتُه، متأدبًا بين يدي ربِّه، مستحضرًا جميعَ ما يقوله ويفعله في صلاته من أولها إلى آخرها، فتزول بذلك الوساوسُ والأفكار، والخشوعُ هو روح الصلاة، والمقصود الأعظم منها؛ فصلاةٌ بلا خشوعٍ كبدنٍ ميت لا روح فيه.

وأصلُ الخشوع خشوعُ القلب، الذي هو مَلِك الأعضاء، فإذا خشع القلبُ خشعتِ الجوارحُ كلُّها، ولما رأى سعيد بن المسيب رجلاً يعبث في صلاته، قال: لو خشع قلبُ هذا لخشعتْ جوارحُه"[٢] ، وليس للعبد من صلاته إلا ما عَقَل منها، وحضر قلبُه فيها، والشيطانُ يريد من العبد ألاَّ يصلِّيَ ليكونَ من أصحاب النار، فإذا صلى حالَ بينه وبين نفسه، يوسوس له، ويشغله عن صلاته حتى يبطلها أو ينقصها، وفي الحديث عن النبي ﷺ : ((إن العبد ليصلي الصلاةَ، ولا يُكتب له إلا ربعها، إلا خمسها، إلا سدسها، حتى بلغ عشرها)) "[٣].

وقال ابن عباس: "ركعتانِ في تفكُّرٍ خيرٌ من قيام ليلة والقلبُ ساهٍ"[٤].

---

١) سورة المؤمنون– الآيتان ١ ، ٢.

٢) كتاب شرح السنة ٣/ ٢٦١.

٣) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه بنحوه؛ "الترغيب والترهيب"، ج١/ ص٣٠٥.

٤) شرح السنة"، ج٣/ ص٢٦١.

وقال سلمان الفارسي: "الصلاة مكيالٌ، فمن وفَّى وُفِّي له، ومن طفَّف، فقد علِمتم ما قال الله في المطففين"(١).

وفي الحديث: ((أسوأ الناس سرقةً الذي يسرق من صلاته؛ وهو الذي لا يتم ركوعَها ولا سجودَها، ولا القراءةَ فيها)) (٢).

وفي الحديث: ((إن الله يَنصبُ وجهَه لوجه عبده في صلاته، ما لم يلتفت)) (٣).

ويقول ابن القيم (رحمه الله) في كتاب القيم الوابل الصيب من الكلم الطيب:

الالتفات في الصلاة : وقوله في الحديث:" وَآمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا فِي صَلَاتِكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ - حَسِبْتُهُ قَالَ - وَجْهَهُ لِعَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ "(٤).

الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى.

الثاني: التفات البصر وكلاهما منهي عنه.

ولا يزال الله مقبلاً على عبده ما دام العبد مقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره أعرض الله تعالى عنه.

وقد سئل رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في صلاته فقال:" اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد"(١)، وفي رواية: ((إياك والالتفاتَ في الصلاة؛ فإنه هَلَكة))

---

١) المصدر السابق في نفس الصفحة، وأخرجه البيهقي في "سننه"، ج٢/ ص٢٦١.

٢) رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه؛ "الترغيب والترهيب"، ج٣/ ص٢٩٩.

٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح؛ "الترغيب والترهيب"، ج١/ ص٣٣٣.

٤) رواه البخاري ومسلم.

[٢].وفي أثر يقول الله تعالى: (**إلى خير مني، إلى خير مني؟**) ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه أو مثل رجل قد استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يميناً وشمالاً وقد انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به، لأن قلبه ليس حاضراً معه، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟ أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتاً مبعداً قد سقط من عينيه؟ فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه فامتلأ قلبه من هيبته، وذلت عنقه له، واستحى من ربه تعالى أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه .. وبين صلاتيهما كما قال حسان ابن عطية: إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة وأن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن أحدهما مقبل على الله عز وجل والآخر ساه غافل.

فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله وبينه حجاب لم يكن إقبالاً ولا تقرباً، فما الظن بالخالق عز وجل؟ وإذا أقبل على الخالق عز وجل وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس والنفس مشغوفة بها ملأى منها فكيف يكون ذلك إقبالاً وقد ألهته الوساوس والأفكار وذهبت به كل مذهب؟ والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان وأشده عليه، فهو

---

١) رواه عبد الرازق في المصنف _ باب لزوم الجماعة، وأحمد والترمذي، وأبو داود، وابن خزيمة ، وابن حبان، والطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في السنن الكبرى والدعوات.

٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: صحيح.

يحرص ويجتهد أن لا يقيمه فيه، بل لا يزال به يبعده ويمنيه وينسيه ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهون عليه شأن الصلاة فيتهاون بها فيتركها.

فإن عجز عن ذلك منه وعصاه العبد وقام في ذلك المقام أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكره في الصلاة ما لم يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي شيء والحاجة وآيس منها فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها ويأخذه عن الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله لم تخف عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقابله.

فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه. فوجد نشاطاً وراحة وروحاً، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها، لأنها قرة عينيه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بها لا منها.

فالمحبون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ:" يا بلال أرحنا بالصلاة " ولم يقل أرحنا منها، وقال ﷺ:"جعلت قرة عيني في الصلاة " فمن جعلت قرة عينه في الصلاة كيف تقر عينه ﷺ بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها؟ فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرة عينه في الصلاة هي التي تصعد ولها نور وبرهان، حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل فتقول حفظك الله تعالى كما حفظتني، وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تلف كما

يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول ضيعك الله كما ضيعتني، وقد روي في حديث عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ: " مَنْ تَوَضَّأَ فَأَبْلَغَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلاةِ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا ، وَسُجُودَهَا وَالْقِرَاءَةَ فِيهَا ، قَالَتْ:حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي ، ثُمَّ أُصْعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَلَهَا ضَوْءٌ وَنُورٌ فَفُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى اللَّهِ فَتَشْفَعُ لِصَاحِبِهَا ، وَإِذَا لَمْ يُتِمَّ رُكُوعَهَا ، وَلا سُجُودَهَا ، وَلا الْقِرَاءَةَ فِيهَا ، قَالَتْ : ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي ، ثُمَّ أُصْعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَعَلَيْهَا ظُلْمَةٌ فَغُلِّقَتْ دُونَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ثُمَّ تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا " لَفْظُ حَدِيثِ زُهَيْرٍ ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي الْوَضَّاحِ اخْتِصَارٌ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا أَحْسَنَ الرَّجُلُ الصَّلاةَ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا ، قَالَتِ الصَّلاةُ:حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي، وَإِذَا أَسَاءَ الصَّلاةَ فَلَمْ يَتِمَّ رُكُوعَهَا، وَلا سُجُودَهَا قَالَتِ الصَّلاةُ : ضَيَّعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي فَتُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُهُ "[1].

فالصلاة المقبولة والعمل المقبول أن يصلي العبد صلاة تليق بربه عز وجل.

فإذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به كانت مقبولة.

والمقبول من العمل قسمان:

أحدهم: أن يصلي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله عز وجل ذاكر لله عز وجل على الدوام، فأعمال هذا العبد تعرض على الله عز وجل حتى تقف قبالته

---

١) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

فينظر الله عز وجل إليها، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضية قد صدرت عن قلب سليم مخلص محب لله عز وجل متقرب إليه أحبها ورضيها وقبلها.

والقسم الثاني: أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله فأركانه مشغولة بالطاعة وقلبه لاه عن ذكر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رفعت أعمال هذا إلى الله عز وجل لم تقف تجاهه ولا يقع نظره عليها، ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال حتى تعرض عليه يوم القيامة فتميز، فيثيبه على ما كان له منها ويرد عليه ما لم يرد وجهه به منها.

والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلب شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل ناظراً بقبله إليه مراقباً له ممتلئاً من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطوات وارتفعت حجبها بينه وبين

ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به.

فالقسم الأول: معاقب، **والثاني** محاسب، **والثالث** مكفر عنه، **والرابع** مثاب، **والخامس** مقرب من ربه لأن له نصيباً ممن جعلت قرة عينه في الصلاة، فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، وقد روي أن العبد إذا قام يصلي قال الله عز وجل**) :(** ارفعوا الحجب، فإذا التفت قال أرخوها) ، وقد فسر هذا الالتفات بالتفات القلب عن الله عز وجل إلى غيره، فإذا التفت إلى غيره، أرخى الحجاب بينه وبين العبد فدخل الشيطان وعرض عليه أمور الدنيا وأراه إياها في صورة المرآة، وإذا أقبل بقلبه على الله ولم يلتفت لم يقدر الشيطان على أن يتوسط بين الله تعالى وبين ذلك القلب، وإنما يدخل الشيطان إذا وقع الحجاب، فإن فر إلى الله تعالى وأحضر قلبه فر الشيطان، فإن التفت حضر الشيطان، فهو هكذا شأنه وشأن عدوه في الصلاة.

أنواع القلوب:

الأول : وإنما يقوى العبد على حضوره في الصلاة واشتغاله فيها بربه عز وجل إذا قهر شهوته وهواه، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة وأسره الهوى ووجد الشيطان فيه مقعداً تمكن فيه كيف يخلص من الوساوس والأفكار؟

والقلوب ثلاثة: قلب خال من الإيمان وجميع الخير، فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه لأنه قد اتخذ بيتاً ووطناً وتحكم فيه بما يريد وتمكن منه غاية التمكن.

القلب الثاني: قلب قد استنار بنور الإيمان وأوقد فيه مصباحه لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية، فللشيطان هنالك إقبال وإدبار ومجالات ومطامع، فالحرب دول وسجال.

وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر. (١)

والخشوع تكاملٌ بين معانٍ مختلفة، من التوجُّه إلى الله، ومن التجرُّد له عما سواه، واستشعار جلال الله وعظمته، والتذلُّل له، والخضوع والاستكانة بين يديه، ولا بد من استحضار هذا الشعورِ الكامل لدى كلِّ قول أو عمل من إجراءات الصلاة؛ فالخشوع قيامُ القلب بين يدي الربِّ بالخضوع والذلِّ.

وأجمع العارفون على أن الخشوع محلُّه القلب، وثمرتُه على الجوارح؛ فالخاشعون هم الخاضعون لله والخائفون منه، وفسر الخشوع في الصلاة بأنه جمْعُ الهمة لها، والإعراضُ عما سواها، وهذا الخشوع وسيلةٌ لتنمية مَلَكة حصر الذهن، التي لها أكبر الأثر في نجاح الإنسان في هذه الحياة، وقد علق فلاح المصلِّين بالخشوع في صلاتهم؛ فدلَّ على أن من لم يخشع في صلاته، فليس من أهل الفلاح(٢).

---

١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم.

٢) مدارج السالكين"، ١٢١/١، و١٢٦.

فلنجتهد في إحياء مقصد الصلاة ذات الخشوع والخضوع، فكان مقصد الصلاة عند الأولياء الخشوع للقلب والخضوع للجوارح، وأن يكون المسلم خارج الصلاة كما هو في داخل الصلاة، ففي داخل الصلاة القلب حاضر مع الله خاشع لله، فإذا خرج من الصلاة ليمارس الأعمال ويكون مع الناس يكون مع الأعمال الدنيويه بجسمه، وقلبه خاشع لله.

قَالَ الشَّيخُ محمد عمر (رَحِمَهُ اللهُ): إذا صلحت الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، ففى الصلاة هنالك تربية للجسد، كيف تكون الجوارح خاشعة لله تعالى ؟ فإذا كانت كذلك فالجسد يكون خارج المسجد ومع ذلك فهو مقيد بأمر الله تَعَالَى ، العين لا تنظر إلى الحرام، وهكذا كل الجوارح، كيف تكون صلاتنا حقيقية ؟

في داخل الصلاة الجوارح كلها خاضعة لله، وكل جارحة مقيدة بأوامر الله، فإذا خرج المسلم من الصلاة كان جسده مقيداً بحركاته لأوامر الله (العين،اللسان، اليد،الرجل)أ .هـ.

لقد كانت مقاصد العبادات حقيقيةٌ متجسدةٌ في نفوس الأولياء، فأخذت حقيقة العبادة مأخذها من نفوسهم، أخذت مكانها اللائق الذي شرعت من أجله، فكانت سجدتهم حيةٌ بروحها من الحب، الحنان، الخشية، الرهبة، الأنس.

كانت السجدة تأخذ بأرواحهم من الكون إلى المكون، من عالم الظلمة(الضجيج والصخب) إلى عالم النور، من عالم الخصومات والوحشة إلى عالم الأنس والرحمة، من عالم القلق والاضطراب والحيرة إلى عالم السكون والأمن والاطمئنان، من أرض البهائم والحشرات والديدان والهوام، إلى عالم الملائكة، من أرض الشهوات

والقاذورات المنتنة إلى حظائر القدس، حيث تتلاشى الأبعاد والمسافات والمحسوسات والمقادير والحجوم.. وهناك قُرة العين .

الخشوع في الصلاة:

قال تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (١)

والخشوع هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها. (٢).

الفرق بين صلاتنا وصلاة النبي والصحابة:

أن النبي كان يقول:" أرحنا بها يا بلال ".. ولسان حال الكثير منا ..أرحنا منها يا إمام.

يقول الشيخ مفتي زين العابدين (رحمه الله)(٣) : بعض الناس يقولون: نحن نصلى لماذا تأتون إلينا ؟

فنحن نقول لهم : نحن لا ندعو الناس للصلاة التي نصليها نحن وأنتم ، بل للصلاة – ذات الخشوع والخضوع – التي كان يصليها النبي ﷺ ، وأبو بكر، وعمر، والصحابة رضي الله عنهم أجمعين في البيت الحرام عند الكعبة، وفى المسجد النبوي .أ.هـ.

---

١) سورة المؤمنون – الآية ١ ، ٢.

٢) تفسير السعدي – سورة المؤمنون.

(٣) مفتي باكستان الأسبق ومن علماء الدعوة والتبليغ بالباكستان.

وإذا دعونا الناس لإقامة الصلاة، فنكون دعوناهم لأمر عظيم وركن عظيم في الدين، وليس ذلك فحسب، بل بعد الصلاة نجلس نتشاور معهم في كيفية إحياء الدين فينا وفي العالم كله إلي يوم القيامة (١).

فوائد السواك:

١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ ، وَبِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ "مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٢) وعنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ ﷺ قَال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ ؟ قَالَتْ : بِالسِّوَاكِ .رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٣) وَعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ :كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ لِلتَّهَجُّدِ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ .مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. .

٤) وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ "رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَالدَّارِمِيُّ وَالنَّسَائِيُّ ، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ بِلَا إِسْنَادٍ (٢).

وقال الشيخ أبو بكر الجراعي الحنبلي(مبينا فضل السواك وطريقة استعماله):

الحَمْـــدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا ... فَكَمْ لَهُ مِنْ نِعْمَـــةٍ حَبَانَا

ثُمَّ الصَّـــلاَةُ وَالسَّـــلاَمُ أَبَدَا ... عَلَى النَّبِيِّ المصْطَفَى مُحَمَّدَا

وَآلِهِ وَصَحْبِـــــــهِ الكِرَامِ ... القَانِتِينَ فِي دُجَى الظَّلاَمِ

---

١) من كتب الأسئلة المهمة للمؤلف.

٢) الأحاديث الأربعة من كتاب مشكاة المصابيح – كتاب الطهارة _ باب الصلاة _ ١/ ١٢١.

وَبَعْدُ فَالسِّوَاكُ مِنْ عُرْجُونِ ... مَنْدُوبٌ اوْ أَرَاكٍ أَوْ زَيْتُونِ

وَشِبْهُ هَذَا مَا عَدَا المضِـــرَّا ... كَفَـــاكَ رَبِّي ضَرَرًا وَشَرَّا

كَذَاكَ عُودٌ قَدْ غَـــدَا مُفَتَّتَا ... عِنْدَ السِّوَاكِ مَنْعُهُ لَقَدْ أَتَى

فَظَاهِرُ القَوْلِ تَسَاوَتْ فَضْلاَ ... وَفِي احْتِمَـــالِ الأَرَاكُ أَوْلَى

بِإِصْبَـــعٍ هَلْ يَحْصُلُ المرَادُ ... أَوْ خِرْقَةٍ إِنْ عُدِمَ الأَعْوَادُ

أَوْ يَحْصُلاَنِ مُطْلَقًا قَدْ قَالُوا ... أَوْ لاَ تَسَمَّعْ إِنَّهَا أَقْـــوَالُ

وَتَحْصُلُ السُّنَّـــةُ إِذْ ذَاكَ إِذَا ... بِقَدْرِ مَا أَزَالَـــهُ مِنَ الأَذَى

وَهْوَ مُؤَكَّدٌ لَدَى انْتِبَـــاهِ ... ثُمَّ القِرَاءَةْ فِي كِتَابِ اللَّـــهِ

كَذَا الصَّلاَةُ مَعْ تَغَيُّرِ الفَمِ ... ثُمَّ الوُضُوءُ وَالدُّخُولُ فَاعْلَمِ

أَعْنِي إِلَى المنْـــزِلِ يَا إِمَامِي ... وَاجْعَلْهُ شِبْرًا وَاسْتَمِعْ كَلاَمِي

وَبِاليَمِينِ اقْبِضْ أَوِ اليَسَارِ ... فَعِنْدَنَا فِيهِ الخِلاَفُ جَارِي

وَفَوْقَهُ ثَلاَثَةٌ قَدْ حَـــرَّرُوا ... وَتَحْتَهُ الإِبْهَامُ ثُمَّ الخِنْصَـــرُ

ابْدَأْ بِهِ بِالجَـــانِبِ اليَمِينِ ... عَرْضًا عَلَى الأَسْنَانِ لِلتَّبْيِينِ

كَذَا عَلَى اللَّثَةِ وَاللِّسَـــانِ ... عَلَيْهِ طُولاً يَا أَخَـــا البَيَانِ

مَسْنُونَةٌ فِي سَائِرِ الأَحْـــوَالِ ... إِلاَّ الصِّيَـــامَ بَعْدَمَا زَوَالِ

فَإِنَّ فِيهِ الخُلْفَ فِي الكَرَاهَةِ ... مَعَ الإِبَاحَةْ يَا أَخَا النَّبَاهَةِ

وَجَاءَ الاسْتِحْبَابُ عَنْ إِمَامِ ... وَهْوَ اخْتِيَارُ العَالِمِ الهُمَامِ

وُجُوبُهُ نُفِيْ عَنِ الإِنْسَـــانْ ... إِلاَّ النَّبِيَّ المصْطَفَى العَدْنَانْ

فَإِنَّ فِيهِ الخُلْفَ فِي الوُجُوبِ ... هَذَا كَذَاكَ سَائِرُ الشُّعُوبِ

البَيْهَقِيُّ قَدْ رَوَى مَرْفُوعَـــا ... يَكُونُ خَلْفَ أُذْنِهِ مَوْضُوعَ

أَمَّا أَبُو دَاوُدَ حَقًّا قَدْ وَقَـــفْ ... هَذَا عَلَى زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ وُقِفْ

فَاحْرِصْ عَلَيْهِ كَيْ تَنَالَ أَجْرَا ... مَعْ رِضَا مَوْلاَكَ فَهْوَ أَحْرَى
فَوَائِدُ السِّـــــوَاكِ يَا إِخْوَانِي ... بِهِ تَزُولُ صُفْـــرَةُ الأَسْنَانِ
يُطَـــهِّرُ الأَفْوَاهَ يُرْضِي الرَّبَّا ... يُسَهِّلُ النَّزْعَ وَيُبْطِي الشَّيْبَا
يُحَسِّنُ الصَّوْتَ يُذَكِّي الفِطْنَةَ ... يَزِيدُ فِي العَقْلِ يُصِيبُ السُّنَّةَ
بِهِ تَقَـــوَّى لَثَةُ الأَسْنَـانِ ... يَزِيدُ فِي فَصَـــاحَةِ اللِّسَانِ
يُجِدُّ أَبْصَارًا يَزِيدُ أَجْـــرَا ... يُطَيِّبُ النَّكْهَةَ يَنْفِي الفَقْرَا
يُزِيلُ أَيْضًا حُـــفْرَةَ الأَسْنَانِ ... وَيَقْطَعُ السَّوْدَاءَ فِي الأَبْدَانِ
يُنْقِي الدِّمَاغَ يَا أَخَا الإِحْسَانِ ... وَتَحْصُـــلُ القُوَّةُ لِلأَبْدَانِ
صُلْبًا قَوِيًّـــا يَذْكُرُ الشَّهَادَهْ ... عِنْدَ المَمَاتِ لِامْرِئٍ اعْتَادَهْ
يَنْفِي عَذَابَ القَبْرِ وَالصُّدَاعَا ... رُطُوبَةَ الأَجْسَادِ وَالأَوْجَاعَا
مَلاَئِكُ اللَّهِ لَهُ مُصَافِحِـــهْ ... حِينَ تَرَى الأَنْوَارَ فِيهِ لاَئِحَهْ
يُقَطِّعُ البَلْغَمَ يَطْـــرُدُ المَنَامْ ... يُحَصِّلُ العَوْنُ بِهِ عَلَى الدَّوَامْ
أَيْضًا يَكُونُ يَا أَخِي مُصَحِّحَا ... لِمِعْدَةِ الآكِلِ ذَاكَ وَاضِحَا
بِهِ الصَّلاَةُ فُضِّـــلَتْ سَبْعِينَا ... رَوَاهُ أَحْمَـــدُ لَنَا يَقِينَـــا
وَيَهْزِمُ العَدُوَّ فِي الضِّـــرَابِ ... وَفَّقَكَ الرَّحْمَـــنُ لِلصَّوَابِ
وَذَكَرُوا فِي لَفْظِهِ المَنَافِـــعْ ... تَرْكُ السِّوَاكِ يَنْبَغِي يَا سَامِعْ
لِرَمَدٍ أَوْ عَطَشٍ أَوْ تُخْمَـــةِ ... أَوْ خَفَقَانٍ قَدْ أَتَى أَوْ لَقْوَةِ(١)
أَوْ لِسُعَالٍ قَدْ عَرَضْ أَوْ قَيْءِ ... وَقَاكَ رَبِّي ضُرَّ كُلِّ شَـــيْءِ
فَذِي ثَلاَثُونَ مِنَ الفَـــوَائِدْ ... مَعْ خَمْسَـــةٍ لَقَدْ أَتَتْ زَوَائِدْ
فَاسْمَعْ هَدَاكَ اللَّهُ ذِي المَقَالَهْ ... لِنَظْمِهَـــا مِنْ رَبِّهِ الإِقَالَهْ

---

١) اللقوة: داء يصيب الوجه، يعوج منه الشدق إلى جانب العنق.

يَسْأَلُ مَوْلاَهُ مُجِيبَ الدَّاعِي هُوْ نَجْلُ زَيْدٍ نَسْبُهُ جَـــرَاعِي
يُدْعَى أَبَا بَكْرٍ خُوَيْدِمَ السُّنَنْ وَقَاهُ مَوْلاَهُ مُضِـــلاَّتِ الفِتَنْ
مَعْ جُمْلَةِ الأَصْحَابِ وَالإِخْوَانِ السَّالِكِـــــينَ مَنْهَجَ الإِيمَانِ
وَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَـــــامِ ثُمَّ صَـــــلاَةُ اللَّهِ مَعْ سَلاَم
عَلَى النَّـبِيِّ سَيِّدِ الأَنَـــــامْ وَالآلِ وَالصَّحْـــبِ لَهَا خِتَامْ
مَا نَاحَتِ الوَرْقُ عَلَى الأَفْنَانِ وَحَنَّ مُشْتَاقٌ إِلَى الأَوْطَانِ (١)

الوضوء :

الوضوء: طهارةٌ واجبة من الحدث الأصغر، كالبول، والغائط، والريح، والنوم العميق، وأكل لحم الإبل.

وكيفية الوضوء:

١- أن ينوي الوضوء بقلبه بدون نطق بالنية؛ لأن النبي ﷺ لم ينطق بالنية في وضوئه، ولا صلاته، ولا شيءٍ من عباداته؛ ولأن الله يعلم ما في القلب؛ فلا حاجة أن يخبر عمَّا فيه.

٢- ثم يسمي فيقول: "بسم الله".

٣- ثم يغسل كفَّيه ثلاث مرات.

٤- ثم يتمضمض ويستنشق بالماء ثلاث مرات.

---

١) من كتاب "الفواكه العديدة في المسائل المفيدة"، للشيخ أحمد المنقور، جـ١، ص ٣٠-٣٢.
وقد نقلته من كتاب بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين للشيخ عبد الله ن جار الله آل جار الله ـ رحمه الله.

٥- ثم يغسل وجهه ثلاث مرات، من الأُذن إلى الأذن عرضًا، ومن منابت شعر الرأس إلى أسفل اللحية طولاً.

٦- ثم يغسل يديه ثلاث مرات من رؤوس الأصابع إلى المرفقين، يبدأ باليمنى ثم اليسرى.

٧- ثم يمسح رأسه مرة واحدة، يبلُّ يديه ثم يمرها من مقدم رأسه إلى مؤخره، ثم يعود إلى مقدمه.

٨- ثم يمسح أذنيه مرة واحدة، يُدخِل سبَّابتيه في صماخهما، ويمسح بإبهاميه ظاهرهما.

٩- ثم يغسل رجليه ثلاث مرات من رؤوس الأصابع إلى الكعبين، يبدأ باليمنى ثم اليسرى. [١].

الغسل:

الغسل: طهارة واجبة من الحدث الأكبر، كالجنابة، والحيض.

وكيفية الغسل:

١- أن ينوي الغسل بقلبه بدون نطق بالنية.

٢- ثم يسمي فيقول: "بسم الله".

٣- ثم يتوضأ وضوءًا كاملاً.

٤- ثم يحثي الماء على رأسه، فإذا أرواه أفاض عليه ثلاث مرات.

٥- ثم يغسل سائر بدنه[٢].

---

١) من رسالة في الوضوء والغسل والصلاة بقلم/ الشيخ محمد بن صالح العثيمين شعبان - ١٣٩٧هـ.

٢) المرجع السابق.

التيمم:

التيمم: طهارة واجبة بالتراب بدلاً عن الوضوء والغسل لمن لم يجد الماء، أو تضرَّر باستعماله.

وكيفية التيمم:

أن ينويه عمَّا تيمم عنه من وضوء أو غسل، ثم يسمي، ثم يضرب الأرض أو ما يتصل بها من الجدران، ويمسح وجهَه وكفيه[1].

ويقول في الشرح الممتع: والكيفيَّة عندي التي توافق ظاهر السُّنَّة: أن تَضْرب الأرض بيدَيك ضَرْبة واحدة بلا تفريج للأصابع، وتَمْسَح وجهك بكفَّيك، ثم تَمْسَح الكفَّين بعضهما ببعض، وبذلك يَتِمُّ التَّيمُّم.

ويُسَنُّ النَّفْخ في اليدين؛ لأنه وَرَدَ عن النَّبيِّ ــصلّى الله عليه وسلّمــ (متفق عليه،)، إلا أن بعض العلماء قيَّده بما إذا عَلِق في يدَيه تراب كثير انظر: «المغني» (١/٣٢٤)، «الإقناع» (١/٨٦). [2].

الصلاة:

صفة صلاة النبي ﷺ للشيخ بن باز (رحمه الله):

١) يسبغ الوضوء، وهو أن يتوضأ كما أمره الله؛ عملا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى

---

١) المرجع السابق.

٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع.

الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (١).

وفي الحديث: عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ يَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَقَالَ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لِي يَا ابْنَ عُمَرَ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ "رواه مسلم في صحيحه (٢).

وقوله ﷺ للذي أساء صلاته : إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ (٣)..

٢) يتوجه المصلي إلى القبلة : وهي (الكعبة) أينما كان، بجميع بدنه، قاصدا بقلبه فعل الصلاة التي يريدها من فريضة أو نافلة، ولا ينطق بلسانه بالنية؛ لأن النطق باللسان غير مشروع؛ بل هو بدعة، لكون النبي ﷺ لم ينطق بالنية، ولا أصحابه

---

١) سورة البقرة – الآية ٢٢٢.

٢) صحيح مسلم « كتاب الطهارة « باب وجوب الطهارة للصلاة .

٣) نص الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه ، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ، فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ " ، فَرَجَعَ فَصَلَّى ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، فَارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ " ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا فعَلِّمْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : " إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا " أخرجه البخاري ومسلم، السنن الكبرى » كتاب الصلاة » جماع أبواب أقل ما يجزي من عمل الصلاة وأكثره » باب من دخل المسجد فصلى ثم سلم على الرسول فأمره بإعادة الصلاة .

رضي الله عنهم ، ويسن أن يجعل له سترة يصلي إليها إن كان إماما أو منفردا؛ لأمر النبي ﷺ بذلك " واستقبال القبلة شرط في الصلاة إلا في مسائل مستثناة ومعلومة ، موضحة في كتب أهل العلم.

٣) يكبر تكبيرة الإحرام قائلا: (**الله أكبر**)، ناظرا ببصره إلى محل سجوده.

٤) يرفع يديه عند التكبيرة إلى حذو منكبيه، أو إلى حيال أذنيه.

٥) يضع يديه على صدره، اليمنى على كفه اليسرى والرسغ والساعدة لثبوت ذلك من حديث وائل بن حجر، وقبيصة بن هلب الطائي، عن أبيه رضي الله عنهما .

٦) يسن أن يقرأ دعاء الاستفتاح وهو: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ، سَكَتَ هُنَيَّةً، قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، مَا تَقُولُ ؟ قَالَ:أَقُولُ : اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ. " **رواه مسلم**. (١).

أو يقول: " سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ " (٢).

وفي رواية:" سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلاَ

---

١) صحيح مسلم » كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ » بَاب مَا يُقَالُ بَيْنَ تَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ وَالقِرَاءَة _ (رقم الحديث: ٩٤٥)..

٢) سنن النسائي _ رقم الحديث(٨٩٩) صحيح، وابن ماجة رقم الحديث(٨٠٥) صحيح.

إِلَهَ غَيْرُكَ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ [١].

أو يقول: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ، لاَ يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. رواه مسلم [٢].

وإن أتى بغيرهما من الاستفتاح الثابتة عن النبي ﷺ فلا بأس، والأفضل أن يفعل هذا تارة وهذا تارة لأن ذلك أكمل في الإتباع، ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ويقرأ سورة الفاتحة لقوله ﷺ:" لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ متفق عليه.

ويقول بعدها آمين جهرا في الصلاة الجهرية، ثم يقرأ ما تيسر من القرآن.

٧) يركع مكبرا رافعا يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه جاعلا رأسه حيال ظهره واضعا يديه على ركبتيه مفرقا أصابعه ويطمئن في ركوعه ويقول: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ .رواه

---

١) سنن الترمذي _ رقم الحديث (٢٤٢) صحيح.

٢) صحيح مسلم _ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه _ رقم الحديث (٧٧١) ..

مسلم وأحمد والترمذي ، والأفضل أن يكررها ثلاثا أو أكثر ويستحب أن يقول مع ذلك:" سُبحانَكَ اللّهمَّ ربَّنا وَبِحمدِكَ، اللّهمَّ اغفِرْ لي " متفق عليه . .

ويستحب أيضا أن يقول: " سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ » ثلاث مراتٍ . رواه أحمد وأبو داود ، والنسائي .

ويقول:" سُبحانَكَ اللّهمَّ ربَّنا وَبِحمدِكَ، اللّهمَّ اغفِرْ لي. رواه أحمد وأبو داود ، والنسائي.

ويقول: " سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ " رواه وأحمد وأبو داود والنسائي.

ويقول :" اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي. وَمُخِّي وَعَظْمِي (وفي رواية : وَعِظَامِي وَعَصَبِي " رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي.

٨) يرفع رأسه من الركوع رافعا يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه قائلا : سمع الله لمن حمده إن كان إماما أو منفردا ، ويقول حال قيامه :" رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ " متفق عليه.

أو يقول:"رَبَّنَا لَكَ الْحَمْد" متفق عليه .

أو يقول:" اللهمَّ ربَّنا ولك الحمدُ " متفق عليه

أو يقول: " اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ" متفق عليه.

أو يقول:" رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ " رواه البخاري

ومالك وأبو داود .

أو يقول:" رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ. أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ. أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ. وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ. اللَّهُمَّ! لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ " رواه مسلم والنسائي.

أما إن كان مأموما فإنه يقول عند الرفع : رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ.

٩) إلى آخر ما تقدم ، ويستحب أن يضع كل منهما – أي الإمام والمأموم – يديه على صدره كما فعل في قيامه قبل الركوع لثبوت ما يدل على ذلك عن النبي ﷺ من حديث وائل ابن حجر وسهل بن سعد رضي الله عنهما .

١٠) يسجد مكبرا واضعا ركبتيه قبل يديه إذا تيسر ذلك، فإن شق عليه قدم يديه قبل ركبتيه مستقبلا بأصابع رجليه ويديه القبلة ضاما أصابع يديه ويسجد على أعضائه السبعة: الجبهة مع الأنف، واليدين، والركبتين، وبطون أصابع الرجلين ، ويقول: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى » ثلاث مرات – وكان أحياناً يكررها أكثر من ذلك .رواه مسلم وأحمد وأبو داود.

ويستحب أن يقول مع ذلك : "سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ (ثَلاَثاً) » حديث صحيح – رواه أبو داود ، والبيهقي ، والدار قطني .

ويقول:" سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ » **رواه مسلم .**

ويقول: "سُبحانَكَ اللّهمَّ ربَّنا وَبِحمدِكَ، اللّهمَّ اغفِرْ لي » **متفق عليه** .

ويقول: " سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ « **رواه أحمد وأبوداود والنسائي .**

ويقول: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلاَنِيَتَهُ وَسِرَّهُ » رواه مسلم وأبوداود. .

ويقول:"اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ .تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » **رواه مسلم وأحمد والترمذي** .

ويكثر من الدعاء: لقول النبي ﷺ:" أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم " ، وقوله ﷺ:" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء رواهما مسلم في صحيحه .

١١) ويسأل ربه له ولغيره من المسلمين من خيري الدنيا والآخرة، سواء كانت الصلاة فرضا أو نفلا، ويجافي عضديه عن جنبيه، وبطنه عن فخذيه، وفخذيه عن ساقيه، ويرفع ذراعيه عن الأرض، لقول النبي ﷺ:"اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب " متفق عليه .

١٢) يرفع رأسه مكبرا، ويفرش قدمه اليسرى ويجلس عليها، وينصب رجله اليمنى، ويضع يديه علي فخذيه وركبتيه، ويقول:" رَبِّ اغْفِرْ لِي رَبِّ اغْفِرْ لِي " رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وفي رواية لأحمد:" ربِ اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني".

ويطمئن في هذا الجلوس حتى يرجع كل فقار إلى مكانه كاعتداله بعد الركوع لأن

النبي ﷺ كان يطيل اعتداله بعد الركوع وبين السجدتين ، ويسجد السجدة الثانية مكبرا ، ويفعل فيها كما فعل في السجدة الأولى .

١٣) يرفع رأسه مكبرا ، ويجلس جلسة خفيفة مثل جلوسه بين السجدتين ، وتسمى جلسة الاستراحة ، وهي مستحبة في أصح قولي العلماء ، وإن تركها فلا حرج ، وليس فيها ذكر ولا دعاء .

١٤) ثم ينهض قائما إلى الركعة الثانية معتمدا على ركبتيه إن تيسر ذلك ، وإن شق عليه اعتمد على الأرض بيديه ، ثم يقرأ الفاتحة وما تيسر له من القرآن بعد الفاتحة، كما سبق في الركعة الأولى، ثم يفعل كما فعل في الركعة الأولى، ولا يجوز للمأموم مسابقة إمامه؛ لأن النبي ﷺ، حذر أمته من ذلك، وتكره موافقته للإمام، والسنة له: أن تكون أفعاله بعد إمامه من دون تراخ، وبعد انقطاع صوته، لقول النبي ﷺ: " إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا ولك الحمد وإذا سجد فاسجدوا "متفق عليه.

١٥) إذا كانت الصلاة ثنائية – أي ركعتين؛ كصلاة الفجر والجمعة والعيد – جلس بعد رفعه من السجدة الثانية ناصبا رجله اليمنى، مفترشا رجله اليسرى، واضعا يده اليمنى على فخذه اليمنى ، قابضا أصابعه كلها إلا السبابة ، فيشير بها إلى التوحيد عند ذكر الله سبحانه، وعند الدعاء، وإن قبض الخنصر والبنصر من يده اليمنى، وحلق إبهامها مع الوسطى، وأشار بالسبابة فحسن، لثبوت الصفتين عن النبي صلى الله عليه وسلم، والأفضل: أن يفعل هذا تارة وهذا تارة، ويضع يده

اليسرى على فخذه اليسرى وركبته ، ثم يقرأ التشهد في هذا الجلوس، وهو : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النبي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ **وهو بين ظَهْرَانَيْنَا فلما قُبِضَ قُلْنَا السَّلَامُ يَعْنِي على النبي صلى الله عليه وسلم" متفق عليه**[١]. **، ثم يقول :** اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ[٢].

وفي رواية:اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ[٣].

١٦)ويستعيذ بالله من أربع فيقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمن عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّال .**رواه مسلم**[٤].

---

١) البخاري _ رقم الحديث(٥٩١٠) ، ومسلم _ رقم الحديث (٤٠٠) .

٢) صحيح البخاري _ رقم الحديث(٣١٩٠).

٣) سنن النسائي _ رقم الحديث(١٢٨٨)، والنسائي _ رقم الحديث(١٢٩٠)، ابن حبان_ رقم الحديث(١٩٥٧).

٤) صحيح مسلم _ رقم الحديث(٥٩٠).

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ : إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاَللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ ، يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، ومِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، ومِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شر فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّال [١].

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ : بَلَغَنِي أَنَّ طَاوُسًا قَالَ لِابْنِهِ : أَدَعَوْتَ بِهَا فِي صَلاَتِكَ ؟ فَقَالَ : لاَ ، قَالَ : " أَعِدْ صَلاَتَكَ " ؛ لأَنَّ طَاوُسًا رَوَاهُ عَنْ ثَلاَثَةٍ ، أَوْ أَرْبَعَةٍ ، أَوْ كَمَا قَالَ [٢][٣].

---

١) صحيح البخاري _ رقم الحديث(٥٩٠).

٢) المرجع السابق.

٣) وقد اختلف العلماء في حكم هذه الاستعاذة، فذهب جمهورهم إلى استحبابها ، وذهبت طائفة منهم إلى وجوبها .

قال النووي – رحمه الله - : وإن طاوسا رحمه الله تعالى أمر ابنه حين لم يدع بهذا الدعاء فيها بإعادة الصلاة ، هذا كله يدل على تأكيد هذا الدعاء ، والتعوذ ، والحث الشديد عليه ، وظاهر كلام طاوس رحمه الله تعالى أنه حمل الأمر به على الوجوب ، فأوجب إعادة الصلاة لفواته ، وجمهور العلماء على أنه مستحب ، ليس بواجب ." شرح النووي " (٥ / ٨٩) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - : بل قد ذهب طائفة من السلف ، والخلف ، إلى أن الدعاء في آخرها واجب ، وأوجبوا الدعاء الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم آخر الصلاة بقوله : (إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال) رواه مسلم ، وغيره ، وكان طاووس يأمر من لم يدع به أن يعيد الصلاة ، وهو قول بعض أصحاب أحمد ." مجموع الفتاوى " (٢٢ / ٥١٨) .

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : وفي التعوّذ من هذه الأربع قولان :

القول الأول : أنه واجب ، وهو رواية عن الإمام أحمد ؛ لما يلي :

لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بها .٢_ ولشدَّة خطرها ، وعِظَمها .

والقول الثاني : أنه سُنَّة ، وبه قال جمهور العلماء .

ولا شَكَّ أنه لا ينبغي الإخلالُ بها ، فإن أخلَّ بها : فهو على خَطَرٍ من أمرين :

ثم يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، وإذا دعا لوالديه أو غيرهما من المسلمين فلا بأس، سواء كانت الصلاة فريضة، أو نافلة، (لعموم قول النبي ﷺ في حديث ابن مسعود لما علمه التشهد: " ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو "[1]. وهذا يعم جميع ما ينفع العبد في الدنيا والآخرة، ثم يسلم عن يمينه وشماله قائلا : السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله .

١٧) إن كانت الصلاة ثلاثية – كالمغرب – أو رباعية كالظهر والعصر والعشاء – فإنه يقرأ التشهد المذكور آنفا، مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ينهض

١_ الإثم ، ٢_ ألا تصح صلاته ، ولهذا كان بعضُ السَّلف يأمر مَنْ لم يتعوَّذ منها بإعادة الصَّلاة ." الشرح الممتع " (٣/ ١٩٩ ، ٢٠٠) .

والأرجح هو قول الجمهور ، ويُحمل فعل طاوس رحمه الله – إن صح عنه – على توكيد هذا الاستحباب ؛ حيث إن أمره بالإعادة كان لابنه في سياق تعليمه ، لا لعامة المصلين ، وهو احتمال ذكره أبو العباس القرطبي ، وارتضاه جمع من الأئمة ، حيث قال :

" ويحتمل : أن يكون ذلك إنما أمره بالإعادة تغليظًا عليه ؛ لئلا يتهاون بتلك الدعوات ، فيتركها ، فيُحْرَم فائدتها ، وثوابها .

انتهى من " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم " (٢ / ٢٠٩) .

ثم إن الأصل في الأدعية في الصلاة وغيرها : أنها للاستحباب ، والإرشاد ، إلا أن تدل قرينة قوية على الوجوب .

١) ومن الأدعية المسنونة التي تقال بعد التشهد و قبيل السلام :

_ " اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً ، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » متفق عليه .

_ " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَسْرَفْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي . أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ » رواه مسلم .

_ " رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ». متفق عليه .

_ " اللَّهُمَّ حَاسِبْنِيْ حِسَاباً يَسِيراً » رواه أحمد والحاكم وابن حبان وابن خزيمة . .

قائما معتمدا على ركبتيه، رافعا يديه إلى حذو منكبيه، قائلا (الله أكبر) ويضعهما – أي : يديه – على صدره ، كما تقدم ، ويقرأ الفاتحة فقط ، وإن قرأ في الثالثة والرابعة من الظهر زيادة عن الفاتحة في بعض الأحيان فلا بأس، لثبوت ما يدل على ذلك عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد – رضي الله عنه – ، وإن ترك الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد الأول فلا بأس؛ لأنه مستحب وليس بواجب في التشهد الأول، ثم يتشهد بعد الثالثة من المغرب، وبعد الرابعة من الظهر والعصر والعشاء، ويصلي على النبي ﷺ، ويتعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال ، ويكثر من الدعاء .

ومن الدعاء المشروع في هذا الموضع وغيره : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار) ، لما ثبت عن أنس – رضي الله عنه – قال : كان أكثر دعاء النبي ﷺ: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) كما تقدم ذلك في الصلاة الثنائية؛ لكن يكون في هذا الجلوس متوركا واضعا رجله اليسرى تحت رجله اليمنى ، ومقعدته على الأرض ناصبا رجله اليمنى ، لحديث أبي حميد في ذلك ، ثم يسلم عن يمينه وشماله ، قائلا : (السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله) ويستغفر الله ثلاثا ويقول : (اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله

الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) ، ويسبح الله ثلاثا وثلاثين ، ويحمده مثل ذلك ، ويكبره مثل ذلك ، ويقول تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

ويقرأ (آية الكرسي)، (قل هو الله أحد) ، (قل أعوذ برب الفلق) ، (قل أعوذ برب الناس) ، بعد كل صلاة ، ويستحب تكرار هذه السور الثلاث ، ثلاث مرات بعد صلاة الفجر ، وصلاة المغرب ، لورود الحديث الصحيح بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما يستحب أن يزيد بعد الذكر المتقدم بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب قول : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير) **عشر مرات؛ لثبوت ذلك عن النبي** ﷺ وإن كان إماما انصرف إلى الناس وقابلهم بوجهه بعد استغفاره ثلاثا، وبعد قوله: اللهم أنت السلام ومنك السلام تبارك يا ذا الجلال والإكرام.

أشياء مكروهة في الصلاة:

١- يُكره في الصلاة الالتفاتُ بالرأس أو بالبصر؛ فأما رفعُ البصر إلى السماء، فحرامٌ.

٢- ويكره في الصلاة العبث والحركة لغير الحاجة.

٣- ويكره في الصلاة استصحاب ما يشغل؛ كالشيء الثقيل، والملون بما يلفت النظر.

٤- ويكره في الصلاة التخصر، وهو وضع اليد على الخاصرة.

أشياء مبطلة للصلاة:

١- تبطل الصلاة بالكلام عمدًا، وإن كان يسيرًا.

٢- وتبطل الصلاة بالانحراف عن القِبلة بجميع البدن.

٣- وتبطل الصلاة بخروج الرِّيح من دبره، وبجميع ما يوجِب الوضوءَ أو الغسل.

٤- وتبطل الصلاة بالحركات الكثيرة المتوالية لغير ضرورة.

٥- وتبطل الصلاة بالضحك، وإن كان يسيرًا.

٦- وتبطل الصلاة إذا زاد فيها ركوعًا، أو سجودًا، أو قيامًا، أو قعودًا متعمدًا ذلك.

٧- وتبطل الصلاة بمسابقة الإمام عمدًا.

من أحكام سجود السهو في الصلاة:

١- إذا سها في صلاته، فزاد فيها ركوعًا أو سجودًا، أو قيامًا أو قعودًا، فإنه يسلِّم منها ثم يسجد للسهو سجدتين ويسلم أيضًا.

مثاله: إذا كان يصلي الظهر، فقام إلى ركعة خامسة، ثم ذَكَر أو ذُكِّر، فإنه يرجع بدون تكبير، ويجلس فيقرأ التشهد الأخير ويسلم، ثم يسجد سجدتين ويسلم، وكذلك لو لم يعلم بالزيادة إلا بعد فراغه منها، فإنه يسجد للسهو سجدتين ويسلم.

٢- إذا سلم قبل تمام صلاته ناسيًا، ثم ذَكر أو ذُكِّر في وقت قريب، بحيث يبني آخر الصلاة على أولها، فإنه يتم ما بقي من صلاته، ثم يسلم، ثم يسجد سجدتين ويسلم.

مثاله: إذا كان يصلي الظهر، فسها فسلَّم في الركعة الثالثة، ثم ذَكر أو ذُكِّر، فإنه يأتي بالرابعة ويسلم، ثم يسجد سجدتين ويسلم، فإن لم يذكر إلا بعد زمن طويل، فإنه يعيد الصلاة من أولها.

٣- إذا ترك التشهدَ الأول أو غيرَه من واجبات الصلاة نسيانًا، فإنه يسجد سجدتين للسهو قبل السلام، ولا شيء عليه، فإنْ ذكره قبل مفارقة محلِّه أتى به، ولا شيء عليه، وإن ذكره بعد مفارقة محله وقبل وصوله إلى ما يليه، رجع إليه فأتى به.

مثاله: إذا نسي التشهد الأول، فقام إلى الثالثة حتى استتم قائمًا، فإنه لا يرجع، ويسجد للسهو سجدتين قبل السلام، وإن جلس للتشهد ونسي أن يتشهد، ثم ذكر قبل أن يقوم، فإنه يتشهد ويكمل الصلاة، ولا شيء عليه، وكذلك لو قام ولم يجلس وذكر قبل أن يستتم قائمًا، فإنه يرجع ويتشهد ويكمل الصلاة، لكن ذَكَرَ أهلُ العلم أنه يسجد للسهو سجدتين من أجل النهوض الذي زاده في صلاته، والله أعلم.

٤- إذا شكَّ في صلاته: هل صلى ركعتين أو ثلاثًا؟ ولم يترجح عنده أحد الطرفين - فإنه يبني على اليقين، وهو الأقل، ثم يسجد سجدتين للسهو قبل السلام ويسلم.

مثاله: إذا كان يصلي الظهر، فشك في الركعة الثانية: هل هي الثانية أو الثلاثة؟ ولم يترجح عنده أحدهما - فليجعلها الثانية وليكمل عليها، ثم يسجد قبل السلام سجدتين ويسلم.

٥- إذا شك في صلاته: هل صلى ركعتين أو ثلاثًا؟ وترجح عنده أحد الطرفين - فإنه يبني على ما ترجح عنده، سواء كان الأقل أم الأكثر، ويسجد للسهو سجدتين بعد السلام ويسلم.

مثاله: إذا كان يُصلي الظهر، فشك في الركعة الثانية: هل هي الثانية أو الثالثة؟ وترجح عنده أنها الثالثة - فليجعلها الثالثة وليكمل عليها ويسلم، ثم يسجد سجدتين ويسلم.

وإذا كان الشك بعد فراغه من الصلاة، فإنه لا يلتفت إليه إلا أن يتيقَّن، وإذا كان كثير الشكوك، فإنه لا يلتفت إلى الشك؛ لأنه من الوسواس(١).

من علامات عدم الخشوع في الصلاة:

١) عدم الطمأنينة وتأدية الصلاة بسرعة وعجلة ونقرها كنقر الغراب .

٢) العبث بالفرش أو الحصى وتقليب العين في النقوش والزخارف .

٣) الالتفات في الصلاة ورفع البصر إلى السماء .

٤) السهو في الصلاة وعدم التركيز فلا يدري على كم ينصرف من الركعات .

٥) كثرة الهواجس والخواطر وذكر أمور الدنيا في الصلاة.

٦) العبث بالساعة والنظر إليها أو إصلاح أطراف الثوب وتحريك العباءة .

٧) مسابقة الإمام في الركوع والسجود.

قصص في أحوال الخاشعين في الصلاة:

١) عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ ، يَعْنِي : يَبْكِي.

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَا مِنَ الْبُكَاءِ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَرَوَى النَّسَائِيُّ الرِّوَايَةَ الْأُولَى ، وَأَبُو دَاوُدَ الثَّانِيَةَ.

٢) وروى أن الصديق –رضي الله عنه– كان في صلاته كأنه وتد، وكان يسكن في ركوعه حتى تقع العصافير على ظهره.

---

١) من رسالة في الوضوء والغسل والصلاة بقلم/ الشيخ محمد بن صالح العثيمين _ شعبان - ١٣٩٧هـ.(من كتاب بهجة للناظرين فيما يصلح الدنيا والدين)

٣) كان لعمر بن الخطاب خطان أسودان في وجهه، من كثرة بكائه بين يدي ربه في الصلاة.

٤) قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إنّ الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل للّه تعالى صلاة، قيل: وكيف ذاك: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على اللّه تعالى فيها؟

٥) قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إن أهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينهُ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع

٦) وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله: لا يتحرك في صلاته ولا يحك شيئاً من جسده حتى يفرغ.

٧) كان الربيع بن خثيم رحمه الله: إذا سجد كأنه ثوب مطروح ، فتجيء العصافير فتقع عليه

٨) وكان عثمان بن عفان يختم القرآن كله في ركعة واحدة.

٩) وكان "على بن أبي طالب" إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه، فقيل له: مالك يا أمير المؤمنين ؟ قال: جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها .

١٠) وكان حفيده "على زين العابدين" إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم.

١١) وقال الحسن البصري رحمه الله: كل صلاة لا يحضرها قلبك فهي إلى العقوبة أسرع منها إلى الثواب .

١٢) قال الحسن: سمعهم عامر بن عبد قيس وما يذكرون من ذكر الضيعة في الصلاة، قال : تجدونه؟ قالوا: نعم، قال: والله لئن تختلف الأسنة في جوفي أحب إليَّ أن يكون هذا في صلاتي .

١٣) يقول أبو بكر بن عياش: رأيت حبيب بن أبي ثابت ساجداً، فلو رأيته قلت: ميت، يعني من طول السجود .

١٤) كان إبراهيم التيمي إذا سجد كأنه جذم حائط ينزل على ظهره العصافير .

١٥) قال ابن وهب: رأيت الثوري في الحرم بعد المغرب، صلى ثم سجد سجدة، فلم يرفع حتى نودي بالعشاء .

١٦) صلى أبو عبد الله النباحي يوماً بأهل طرسوس، فصيح بالنفير، فلم يخفف الصلاة، فلما فرغوا قالوا: أنت جاسوس، قال: ولم؟ قالوا: صيح بالنفير وأنت في الصلاة فلم تخفف، قال: ما حسبت أن أحداً يكون في الصلاة فيقع في سمعه غير ما يخاطب به الله –عز وجل.

١٧) كان الإمام البخاري يصلي ذات ليلة، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى الصلاة، قال: انظروا إيش آذاني؟

١٨) عن ميمون بن حيان قال: ما رأيت مسلم بن يسار متلفتاً في صلاته قط خفيفة ولا طويلة، ولقد انهدمت ناحية المسجد ففزع أهل السوق لهدته وإنه في المسجد في صلاته فما التفت .

١٩) عندما سُئل خلف بن أيوب: ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها؟ قال: لا أُعوِّد نفسي شيئاً يفسد علي صلاتي، قيل له: وكيف تصبر على ذلك؟ قال:

بلغني أن الفساق يصبرون تحت سياط السلطان فيقال: فلان صبور ويفتخرون بذلك؛ فأنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذبابة؟ !

٢٠) قال القاسم بن محمد: غدوت يوماً وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة –رضي الله عنها –أسلِّم عليها، فغدوت يوماً إليها فإذا هي تصلي الضحى وهي تقرأ: ﴿ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ (١)، وتبكي وتدعو وتردد الآية فقمت حتى مللت وهي كما هي، فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت: أفرغ من حاجتي ثم أرجع، ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هي تردد الآية وتبكي وتدعو .

٢١) عن حاتم الأصم أنه سئل عن صلاته فقال: إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي أظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيراً بتحقيق، وأقرأ قراءة بترتيل، وأركع ركوعاً بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشع، وأقعد على الورك الأيسر، وأفرش ظهر قدمي، وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها الإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا؟

٢٢) قال بكر بن عبد الله المزني : إذا أردت أن تنفعك صلاتك، فقل: لا أصلي غيرها .

٢٣) قال عثمان بن أبي دهرش: ما صليت صلاة قط إلا استغفرت الله تعالى من تقصيري فيها .

---

١) سورة الطور – الآية ٢٧.

٢٤) *قصة عباد بن بشر وعمار بن ياسر:*

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَمِّي صَدَقَةُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ عَقِيلِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ ، فَأَصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةَ رَجُلٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ؛ فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلًا ، أَتَى زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا ؛ فَلَمَّا أُخْبِرَ الْخَبَرَ حَلَفَ لَا يَنْتَهِي حَتَّى يُهْرِيقَ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ دَمًا ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلًا ، فَقَالَ : مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا (هَذِهِ) ؟ قَالَ : فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ ، وَرَجُلٌ آخَرُ مِنْ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَا : نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَ : فَكُونَا بِفَمِ الشِّعْبِ . قَالَ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ قَدْ نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنْ الْوَادِي ، وَهُمَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ .

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ ، قَالَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ أَيَّ اللَّيْلِ تُحِبُّ أَنْ أَكْفِيكَهُ: أَوَّلَهُ أَمْ آخِرَهُ ؟ قَالَ: بَلْ اكْفِنِي أَوَّلَهُ؛ قَالَ : فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ ، وَقَامَ الْأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي ؛ قَالَ : وَأَتَى الرَّجُلُ ، فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ. قَالَ : فَرَمَى بِسَهْمٍ ، فَوَضَعَهُ فِيهِ ؛ قَالَ: فَنَزَعَهُ وَوَضَعَهُ ، فَثَبَتَ قَائِمًا ؛ قَالَ: ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ . قَالَ: فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، وَثَبَتَ قَائِمًا ؛ ثُمَّ عَادَ لَهُ بِالثَّالِثِ ، فَوَضَعَهُ فِيهِ؛ قَالَ : فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ، ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ فَقَالَ : اجْلِسْ فَقَدْ أُثْبِتُّ ، قَالَ : فَوَثَبَ، فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذِرَا بِهِ، فَهَرَبَ . قَالَ :وَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالْأَنْصَارِيِّ مِنْ الدِّمَاءِ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَفَلَا أَهْبَبْتَنِي أَوَّلَ مَا رَمَاكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ

أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِدَهَا، فَلَمَّا تَابَعَ عَلَيَّ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَأَذِنْتُكَ، وَأَيْمُ اللَّهِ ، لَوْلَا أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِهِ، لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِدَها. (١).

٢٥) *كيف كان حب الصحابة للصلاة حتى عرف ذلك الأعداء:*

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ ، فَقَاتَلُونَا قِتَالا شَدِيدًا ، فَلَمَّا صَلَّيْنَا الظُّهْرَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ : لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لاقْتَطَعْنَاهُمْ ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : وَقَالُوا : إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ الأَوْلادِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْ الْعَصْرُ قَالَ : صَفَّنَا صَفَّيْنِ ، وَالْمُشْرِكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ . . ثم ذكر أن الرسول ﷺ صلى بهم صلاة الخوف (٢).

٢٦) *قصة عروة بن الزبير وقطع ساقه في الصلاة:*

روي أن عروة خرج إلى الوليد بن عبد الملك، حتى إذا كان بوادي القرى، فوجد في رجله شيئاً، فظهرت به قرحة الآكلة، ثم ترقى به الوجع، وقدم على الوليد وهو في محْمل، فقيل: ألا ندعو لك طبيباً ؟ قال: إن شئتم ، فبعث إليه الوليد بالأطباء فأجمع رأيهم على أن لم ينشروها قتلته ، فقال شأنكم فقالوا : اشرب المرقد ، فقال : امضوا لشأنكم ، ما كنت أظن أن خلقاً يشرب ما يزيل عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل، ولكن هلموا فاقطعوها .

وقال ابن قتيبة وغيره: لما دعي الجزار ليقطعها قال له: نسقيك خمراً حتى لا تجد لها ألماً، فقال: لا أستعين بحرام الله على ما أرجو من عافية، قالوا :فنسقيك المرقد، قال:

---

١) كتاب المغازي للواقدي.

٢) رواه مسلم (٨٤٠).

ما أحب أن اسلب عضواً من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتسبه، قال: ودخل قوم أنكرهم ، فقال: ما هؤلاء ؟ قالوا: يمسكونك فإن الألم ربما عَزَبَ معه الصبر، قال: أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسي ، فوضع المنشار على ركبته اليسرى فنشروها بالمنشار فما حرك عضواً عن عضو وصبر حتى فرغوا منها ثم حمسوها وهو يهلل ويكبر، ثم إنه أغلي له الزيت في مغارف الحديد فحسم به، ثم غشي عليه، وهو في ذلك كله كبير السن وإنه لصائم فما تضور وجهه، فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه.

وروي أنه لما أُمر بشرب شراب أو أكل شيء يذهب عقله قال: إن كنتم لا بد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة فإن لا أحس بذلك ولا أشعر به، قال: فنشروا رجله من فوق الآكلة من المكان الحيَّ احتياطاً أنه لا يبقى منها شيء وهو قائم يصلي فما تصور ولا اختلج فلما انصرف من الصلاة عزّاه الوليد في رجله . وقيل: إنه قطعت رجله في مجلس الوليد، والوليد مشغول عنه بمن يحدثه، فلم يتحرك ولم يشعر الوليد أنها قطعت حتى كويت فوجد رائحة الكي. وقال الوليد :ما رأيت قط شيخاً أصبر من هذا، ولما رأى رجله وقدمه في أيديهم أو في الطست دعا بها فتناولها فقلبها في يده ثم قال: أما والذي حملني عليك أنه ليعلم أن ما مشيت بك إلى حرام، أو قال: إلى معصية. ثم أمر بها فغسلت وحنطت وكفنت ولفت بقطيفة ثم أرسل بها إلى المقابر (١).

٢٧) سُئِلَ"حاتم الأصم" عن صلاته فقال: اذا حان وقت الصلاة، أسبغت وضوئي، وأتيت الموضع الذي أُريد الصلاة فيه، فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم

---

١) سير أعلام النبلاء للذهبي..

أقوم إلى صلاتي، وأجعل الكعبة بين حاجبيَ، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيراً بتحقيق، وأقرأ قراءة بترتيل، واركع ركوعاً بتواضع، واسجد سجوداً بتخشع، ثم لا أدرى أقبلت صلاتي أم لا.

٢٨) كان مسلم بن يسار إذا أراد الصلاة يقول لأهله: تحدثوا أنتم فإني لست أسمعكم، ويروى أنه كان يصلى في جامع البصرة، فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك، فلم يشعر بهم حتى انصرف من الصلاة.

حرص الشيخ إلياس(رحمه الله) على الصلاة :

١) **كان الشيخ إلياس(رحمه الله) يبين مقصود الحياة فيقول**: إن المقصود الأول والأخير من هذه الحياة هو العبودية الكاملة لله سبحانه وتعالي ، وأن العبودية تتوقف علي حب الله وعظمته[١].

٢) **وكان من أساس دعوة الشيخ إلياس(رحمه الله)**: تعظيم الأوامر وأهمها الصلاة فيقول في ذلك: إن المسلمين قد وصلوا إلي حالة من الانحطاط ، حتى إنهم لا يتركون شيئا من الاستهزاء إلا وقد تكلموا به عند ذكر الصلاة والصوم لهم ، والانقياد للدين ، وإتباع السنة الشريفة .. فمدار حركتنا التبليغية هو : إحياء عظمة أحكام الله والدعوة إليها ، وهذا هو الأساس الذي ندعو إليه ، حيثُ تبذل الجهود

---

١) كتاب مكانة الصلاة في الإسلام ودورها في نشر الدعوة الإسلامية في العالم صـ ١٥.

لتحويل جو العالم من الاستخفاف إلي الانقياد وتعظيم أوامر الله ، لأن كرامة الدين ورفعته ، قد فقدت لدي المسلمين [١].

٣) **وفي الحث علي الخشوع في الصلاة ، قال الشيخ (رحمه الله)**: إنّ عمل إصلاح إقامة الصلاة عمل لطول الحياة، ولكن لا تصلح إقامة الصلاة إلاّ بالاتصاف بما ورد في القرآن الكريم في مختلف الآيات كما قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [٢] وفي سورة البقرة قال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ *والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٣] فبالنظر في الآيتين عُلِم واضحاً أنّ الخشوع في الصلاة أيضاً داخل في إقامة الصلاة، فعُلِم من هذا أنّ الذين يصلّون بدون خشوع فإنهم ليسوا من المقيمين للصلاة ، وأشير في آية أخرى عن طريقة توليد الخشوع في الصلاة بأن يزيد يقين حضوره أمام الله أكثر فأكثر حيث قال:﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ *

---

١) من رسالة أرسلها إلي شيخ الإسلام في الهند (المحدث حسين أحمد المدني) عن أحوال المسلمين وعلاقتهم بالأحكام الإسلامية (كتاب مكانة الصلاة في الإسلام ودورها في نشر الدعوة الإسلامية في العالم صـ ١٥).

٢) سورة المؤمنون _ الآيتان ١ ، ٢.

٣) سورة البقرة _ الآيات من ٣ : ٥.

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [١] فكلمة { مُّلاَقُو رَبِّهِمْ } ليست خاصة بالآخرة بل إنّ عباد الله في حالة الصلاة يسعدون بملاقاة ربهم وهم تصدق عليهم هذه الآية... وإنّ الوعد بالفلاح في قوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } و{ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ليس هو خاص بالآخرة فقط بل هو شامل لفلاح الدنيا أيضاً.. ولتكن المراقبة قبل أداء الصلاة بقليل ، لأن الصلاة التي تؤدّى بلا انتظار تكون مخلخلة فينظر في الصلاة قبل أدائها. . فلذا سنّ لنا الشرع النوافل والإقامة ، وغيرها قبل أداء الفرائض لتحصل المراقبة بصفة تامة ، ثم يؤدّى الفرض ، ولكن نحن لا نفهم فوائد ومصالح السنن والنوافل والإقامة وغيرها ، ولا نستفيد منها فلذا فرائضنا تُؤدّى ناقصة.

٤) **وحث الشيخ علي تصحيح النية في كل الأعمال، وفي الصلاة فقال الشيخ(رحمه الله)**: في شرح قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ [٢] أن تُعمل الأعمال الدينية بدون أي مقصود أو تُعمل لغير إطاعة أوامر الله ولغير طلب رضاه ولغير حصول الثواب الأخروي فهي من جعل الدين لهوًا ولعبا. . والانشغال في الواجبات

---

١) سورة البقرة _ الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

٢) سورة المائدة _ الآيتان٥٧ ، ٥٨.

حتى أداء الصلاة لو لم يكن بالتركيز على أوامر الله ومواعيده لم يكن هذا ذكر أصلي ، بل يكن ذكر الجوارح وغفلة القلب .

٥) **وتكلم الشيخ عن مقصود النوافل، فقال الشيخ(رحمه الله):** من اللازم أن تتفقد الأحكام الإلهية فلا بد من التفقد المستمر ، فمثلاً لا بد أن يفكر قبل الانشغال في أي عمل ، فالانشغال في الشيء يلزم شيئين أحدهما التوجه في العمل الذي يراد الانشغال فيه ، وثانيهما : الغفلة عن الأعمال الأخرى في نفس الوقت ، فالآن يفكر في الأعمال التي يغفل عنها في ذلك الوقت فهل منها عمل أهم من هذا العمل الذي يراد الانشغال فيه ، فهذا الشيء لا يمكن بدون التفقد.. فلتكن المراقبة قبل أداء الصلاة بقليل ، لأن الصلاة التي تؤدى بلا انتظار تكون مخلخلة فينظر في الصلاة قبل أدائها فلذا سن لنا الشرع النوافل والإقامة وغيره قبل أداء الفرائض، لنتحصل على المراقبة بصفة تامة ، ثم يؤدى الفرض ولكن نحن لا نفهم فوائد ومصالح السنن والنوافل والإقامة وغيرها، ولا نستفيد منها ، فلذا فرائضنا تؤدى ناقصة .. اللهم إني أسألك تمام الوضوء وتمام الصلاة وتمام رضوانك آمين.

٦) كان الشيخ إلياس (رحمه الله) يحضر الصلاة خلال مرضه ،الذي توفي فيه متهاديا بين رجلين ن اندفاعا وراء التشبه بهيئة النبي ﷺ ، في حضوره المسجد في مر ض وفاته ، التي صورتها الأحاديث : " فقام يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان الأرض " (١) حتى كان يعز علي الشيخ أن يحدث خلاف ذلك يوما[٢] .

---

١) المرجع السابق صـ١٠٣

٢) كتاب الأمراء الثلاثة لعمل التبليغ والدعوة.

طريقة الحصول علي الصلاة ذات الخشوع والخضوع:

يقول الشيخ سعد هارون (حفظه الله) : نحن نتجول لإكمال الإيمان ولإكمال العبادات في حياتنا ، وكلما ندعو الناس للإيمان وللعبادات تأتي حقيقة الإيمان وحقيقة العبادات في حياتنا. فأي صفة تريد أن تحييها في حياتك فبجهد الدعوة تحصل عليها. وهكذا لإقامة الصلاة في حياتنا ندعو إلى الصلاة.

وإقامة الصلاة معناه إصلاح الصلاة أي نجتهد في صلاتنا ونرتقي بها، هذا من الناحية الفردية، وأما من الناحية الاجتماعية فمعنى إقامة الصلاة هو إشاعتها ونشرها حتى لا يبقى فرد في المجتمع لا يصلي.

الرسول ﷺ يقول: (صَلُّوا كما رأيتموني أصلي) فهكذا نصلح ظاهر الصلاة على ترتيبها من قيام وركوع وسجود وكذلك نصلح باطنها فعلى قدر إصلاحنا للصلاة تصلح بقية الأوامر في الحياة فلا أصلي بالغفلة، قالبا حاضر في الصلاة وقلبا خارج الصلاة، ولكن اصلي وأنا أستحضر في كل ركن بأن الله يراني ويرى ما في قلبي وأستحضر عظمته تعالى.

يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الصلاة العجلى لا تنهى عن المنكر والذي لا تنهاه صلاته عن المنكر يبتعد عن الله.

وأما حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقد رأى رجلا يصلي ومستعجل في صلاته فسأله حذيفة منذ كم تصلي هكذا فأجابه الرجل منذ أربعين سنة فقال له حذيفة لو أنت تصلي هكذا كل عمرك ومت فلن تحشر على دين محمد صلى الله عليه وسلم.

وكذلك أربط جميع ما أحتاجه من الدنيا أربطه في صلاتي كما يربط أهل الدنيا دنياهم بالأسباب، فقد كان رسولنا إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة فنحن نصلي ونزيد في صلاتنا حتى تحل مسألتنا ولو استوجب الأمر مائة أو مئتا ركعة.

صفة

العلم والذكر

قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿ هَل يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلبَابِ﴾(٤) .

وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجَاتٍ﴾(٥)

وقال تعالى: ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلمًا﴾(٦) .

معنى العلم:

يعنى المعرفة في كل شيء ، وأشرف العلوم هو: معرفة الله وأسماءه وصفاته

---

١) سورة الرحمن _ الآيات من ١ : ٤ .

٢) سورة العلق _ الآيات من ١ : ٥ .

٣) سورة البلد من ٨ : ١٠ .

٤) سورة الزمر _ الآية ٩ .

٥) سورة المجادلة _ الآية ١١ .

٦) سورة طه _ الآية ١١٤ .

وشرعه، قال تعالى :﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (١).

مقصد العلم:

١ ـ **معرفـــة الله:** لأن أشرف معلوم في الوجود هو الله عز وجل.

٢ ـ **الخشية**، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٢). وعَنْ مُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله: تَعَلَّمُوا العِلْمَ فإنّ تعلُّمَهُ لِلّهِ خَشْيَةً وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ ومُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ والبَحْثَ عنهُ جِهَادٌ وَتَعْلِيمَهُ مَنْ لا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ وَبَذْلَهُ لأَهْلِهِ قُرْبَةٌ وَهُوَ الأَنِيسُ في الوَحْدةِ والصاحِبُ في الخَلْوَةِ والدّلِيل على الدِّين والمصَبِّرُ على السرَّاءِ الضَّرَّاءِ والوَزِيرُ عِندَ الإخِلاء والقَرِيبُ عندَ الغُرَباءِ وَمَنارُ سَبيلِ الجَنّةِ يَرْفَعُ اللهُ بِهِ أَقْوَامًا فيجعلُهُمْ في الخَيْرِ قَادةً سادةً هُدَاةً يُقْتَدَى بهم أَدِلّةً لِلْخَيرِ تُقْتَفَى آثارُهمْ وَتُرْمَقُ أَفْعالُهُمْ وَتَرْغَبُ الملائكةُ في خُلَّتِهِمْ وبأَجنِحَتِهَا تمْسَحُهُمْ وَكُلُّ رَطْبٍ ويابسٍ لهُمْ يَستغْفرُ حَتَّى حِيتَانُ البَحْرِ وَهَوامُّهُ وَسِبَاع البَرِّ وَأَنْعامُهُ والسَّماءُ وَنُجُومُها، لأنَّ العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوب مِنَ العَمَى وَنُورُ الأبْصَارِ مِنِ الظُّلَمِ وَقوَّةُ الأبْدانِ مِنَ الضَّعْفِ يَبْلُغْ بِهِ العَبْدُ مَنَازلَ الأَبْرارِ والدَّرَجَاتِ العُلَى وَمُدَارَسَتُهُ بالقيام به يُطاع اللهُ عزَّ وجلَّ وَبِهِ يُعْبَدُ ، وَبِهِ يُوَحَّدُ ، وَبِهِ يُمَجَّدُ، وَبِهِ يُتَوَرَّعُ، وَبِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ، وَبِهِ يُعرفُ الحَلالُ والحرامُ، وهو إمامٌ

---

١) سورة محمد – الآية ١٩.

٢) سورة فاطر – الآية ٢٨ .

والعَمَلُ تابعُهُ يُلْهَمُهُ السُعداءُ وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِياءُ[١].

٣ ـ معرفة أوامر الله عز وجل ، نعرف الحلال فنمتثله، ونعرف الحرام فنجتنبه.

٤ـ أن نعبد الله علي بصيرة، فمن عبد الله علي جهل فكأنما عصاه.

٤ ـ فالعلم بدون عمل وذكر لله جل جلاله يولد الكبر والذكر بدون علم يولد الخرافات والبدع والضلالة.

٥ـ **يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله):** إن الحاجة شديدة جدا في التمسك بالعلم والذكر بالقوة الشديدة ، ولكن لا بد من فهم حقيقة العلم والذكر، وحقيقة الذكر هو عدم الغفلة، وتأدية الفرائض الدينية هي أعلى درجة الذكر، فلذا الانشغال في نصرة الدين والجد والاجتهاد في نشر الدين أعلى درجة الذكر بشرط أن يكون تأديتها بمراعاة أوامر الله ومواعيده.

وقال أيضا: إن أصل الذكر وأعلاه هو مراعاة أحكام الله تعالى في كل وقت

---

١) وقد روي باختلاف في بعض الألفاظ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ ، وَمُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمَهُ مَنْ لا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلَهُ لأَهْلِهِ قُرْبَةٌ لأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلالِ وَالْحَرَامِ ، وَمَنَارُ سُبُلِ الْجَنَّةِ ، وَالأُنْسُ فِي الْوَحْشَةِ ، وَالصَّاحِبُ فِي الْغُرْبَةِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالسِّلاحُ عَلَى الأَعْدَاءِ ، وَالْقُرْبُ عِنْدَ الْغُرَبَاءِ ، وَالزَّيْنُ عِنْدَ الأَخِلاءِ ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً يُقْتَدَى بِهِمْ ، وَأَئِمَّةً فِي الْخَيْرِ تُقْتَفَى آثَارُهُمْ ، وَتُرْمَقُ أَعْمَالُهُمْ ، وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ ، تَرْغَبُ الْمَلائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ ، وَبِأَجْنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ ، وَفِي صَلاتِهَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ، حَتَّى كُلُّ رَطْبٍ ، وَيَابِسٍ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ ، وَهَوَامُّهُ ، وَسِبَاعُ الْبَرِّ ، وَأَنْعَامُهُ ، وَالسَّمَاءَ وَنُجُومَهَا ، إِنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقَلْبِ مِنَ الْجَهْلِ ، وَمَصَابِيحُ الأَبْصَارِ فِي الظُّلَمِ ، وَقُوَّةُ الأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ ، يَبْلُغُ بِهِ الْعَبْدُ مَنَازِلَ الأَبْرَارِ ، وَمَجَالِسُ الْمُلُوكِ ، وَالدَّرَجَاتُ الْعُلَى فِي الدُّنْيَا ، وَالآخِرَةِ ، وَالْفِكْرُ فِيهِ يُعْدَلُ بِالصِّيَامِ ، وَمُدَارَسَتُهُ بِالْقِيَامِ ، بِهِ يُطَاعُ اللَّهُ ، وَبِهِ يُعْبَدُ ، وَبِهِ يُعْمَلُ الْخَيْرُ ، وَبِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ ، وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلالُ وَالْحَرَامُ ، يُلْهَمُهُ السُّعَدَاءُ ، وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِيَاءُ

حسب أحواله ، وفي قوله تعالى : لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله إذا كان الرجل يراعي حدود الله ويمتثل أوامر الله في تجارته وفي تعامله مع أولاده فهو من الذاكرين الله وإن كان مشغولاً في هذه المعاملات .

٥ ـ **وبين الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي(رحمه الله)** في رسالته التي أرسلها إلي جماعة الحج والعمرة : المقصود من العلم: أن يأتي عندنا الشوق للبحث عما يريد الله تعالى منا في هذا الوقت، وبعد ذلك القيام بهذا العمل مع التوجه إلي الله فهو الذكر.

فالذي يسافر لتعلم الدين فهو في سبيل الله والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، ويستغفر له أهل السماوات والأرض، والعالم الواحد أشد علي الشيطان من ألف عابد.

فنجتهد علي الناس حتى يكون عندهم الشوق والرغبة للعلم، ونبين لهم فضائل العلم، ونجلس بأنفسنا في حلقات التعليم ونجالس العلماء ونبين أن هذا كله عبادة، ونتضرع إلى الله تعالى أن يرزقنا حقيقة العلم.

فضـــــل العـلم:

عَنْ مُعاوية ﷺ قال: قالَ رسول اللهِ ﷺ:"مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّيْن " متفق عليه .

وعَنْ ابنِ مَسْعودِﷺ قال: قالَ رسول اللهِ ﷺ:"لا حَسَدَ إلاَّ في اثنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاه اللهُ مَالاً فسَلَّطَهُ عَلى هَلَكتِهِ في الحَقِّ ورَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقضِي بِها وَ يُعَلِمُّها" متفق عليه .

وعن سَهْل بنِ سَعد رَضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لعلي رضي اللهُ عنهُ:" فو اللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ " متفق عليه .

وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال:"وَمَنْ سَلَكَ طَرِيْقاً يَلْتَمِسُ فيْهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لهُ طَرِيْقاً بِهِ إلى الجَنَّةِ "رواه مسلم .

وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال:"مَن دَعَا إلى هُدَى كانَ لَهُ مِنَ الأجْرِ مِثلُ أُجُورِ مَنْ تبعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أجُورِهِم شَيئْاً " رواه مسلم .

وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ قالَ: قالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ:"إذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انقَطَعَ عمَلُهُ إلاَّ منْ ثَلاثٍ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" رواه مسلم .

وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُول:"مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلْمِ فهو في سَبِيْلِ اللهِ يَرْجِعَ "رواه الترمذي .

وعَن أبي أُمَامَةَ رضيَ اللهُ عنهَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ:"فَضْلُ العَالِمِ على العَابِدِ كَفَضْلِي على أدْنَاكُمْ **ثم قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ:** " إنَّ اللهَ ومَلائِكَتَهُ وَأَهْلُ السَّمَواتِ والأرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ في حُجْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ على مُعَلِمِي النَّاسِ الخَيْرَ" رواه الترمذي.

وعَن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" مَن سَلَكَ طَرِيْقَاً يَبْتَغِي فِيْهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لهُ طَرِيْقَاً إلى الجَنَّة وإنَّ المِلائِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَهَا

لِطَالِبِ العِلْمِ رِضَاً بِما يَصْنَعُ وَ إنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغفِرُ لهُ مَن في السَّمواتِ ومَن في الأرضِ حَتَّى الحِيْتَانُ في الماءِ وفَضْلُ العَالِمِ عَلى العَابِدِ كَفَضلِ القَمَرِ على سَائِرِ الكَوَاكِبِ وإنَّ العُلَماءِ وَرَثَةُ الأنبِيْاءِ وإنَّ الأنبِيْاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِيْناراً ولا دِرْهَماً وَ إنَّما وَرَّثُوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ" رواه أبو داود والترمذي .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ : جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ أَخْوَالِهِ يُقَالُ لَهُ قَبِيصَةُ ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ ، وَرَحَّبَ بِهِ ، وَقَالَ لَهُ : " يَا قَبِيصَةُ ، جِئْتَ حِينَ كَبِرَتْ سِنُّكَ ، وَدَقَّ عَظْمُكَ ، وَاقْتَرَبَ أَجَلُكَ " . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جِئْتُكَ ، وَمَا كِدْتُ أَنْ أَجِيئَكَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَبِرَتْ سِنِّي ، وَدَقَّ عَظْمِي ، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي ، وَافْتَقَرْتُ ، وَهُنْتُ عَلَى النَّاسِ ، وَجِئْتُكَ تُعَلِّمُنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَلا تُكْثِرْ عَلَيَّ ؛ فَإِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " كَيْفَ قُلْتَ يَا قَبِيصَةُ ؟ " فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ: " وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا كَانَ حَوْلَكَ مِنْ حَجَرٍ ، وَلا شَجَرٍ ، وَلا مَدَرٍ إِلا بَكَى لِقَوْلِكَ ، فَهَاتِ " . فَقَالَ : جِئْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي شَيْئًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَلا تُكْثِرْ عَلَيَّ ؛ فَإِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ . **قَالَ** : " يَا قَبِيصَةُ، إِذَا أَصْبَحْتَ، وَصَلَّيْتَ الْفَجْرَ، فَقُلْ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ أَرْبَعًا، يُعْطِيكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعًا لِدُنْيَاكَ، وَأَرْبَعًا لآخِرَتِكَ ، فَأَمَّا أَرْبَعًا لِدُنْيَاكَ : فَإِنَّكَ تُعَافَى مِنَ الْجُنُونِ ، وَالْجُذَامِ ، وَالْبَرَصِ، وَالْفَالِجِ ، وَأَمَّا أَرْبَعًا لآخِرَتِكَ : فَقُلِ : اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ ، وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ ،

وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ " . فَجَعَلَ يَعْقِدُهُنَّ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا أَشَدَّ مَا عَقَدَ عَلَيْهِنَّ خَالُكَ . فَقَالَ : " أَمَا إِنَّهُ إِنْ وَفَّى بِهِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لَمْ يَدَعْهُنَّ رَغْبَةً عَنْهُنَّ وَلا نِسْيَانًا ، لَمْ يَأْتِ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلا وَجَدَهُ مَفْتُوحًا [١].

وعن صفوان بن عسال المرادي ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على برد أحمر، فقلت له : يا رسول الله إني جئت اطلب العلم، فقال :" مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب" . [٢].

وأخرج أبو نعيم فى الحلية:عن كُمَيل بن زياد النَّخَعِي قال: أخَذَ عَلِيٌّ بِيَدي، فَأخْرَجَنِي إلى نَاحِيةِ الجُبَّان(٣)، فَلَمَّا أَصْحَرنَا، جَلَسَ، ثَمَّ تَنَفَّسَ، ثم قالَ : يا كُمَيلَ بنَ زيادٍ القُلُوبُ أوعيةٌ ؛ فَخَيْرُها أوْعاها، احْفَظْ ما أقولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلاثَةٌ :

---

١) عمل اليوم والليلة لابن السني، ورواه الإمام أحمد:عن قبيصة بن المخارق رضي الله عنه ، قال : أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال : يا قَبيصةُ ماجاء بك ؟ قلت : كبُرت سنّي ، ورقّ عظمي فأتيتُك لتعلّمني ما ينفعُني الله تعالى به ،فقال : (يا قبيصة، ما مررتَ بحجرٍ ولا شجر ولا مدر إلا استغفر لكَ ، ياقبيصةُ إذا صليت الفجر فقل : سُبحان الله العظيم وبحمده ، تُعافى من العمى ، والجُذام ، والفلج ، يا قبيصةُ قل : اللهمّ إنّي أسألك مما عندك فأفضْ عليّ من فضلك ، وانشر عليّ رحمتك ، وأنزِل عليّ من بركاتك .

٢) أخرجه أحمد والطبراني بإسناد جيد واللفظ له ، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال صحيح الإسناد(حياة الصحابة٣/٢٢٦).

٣) أى المقابر.

فَعالِمٌ رَبَّانِيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ عَلى سَبيلِ نَجَاةٍ، وهَمَجٌ رَعاعٌ، أتْباعُ كلِّ ناعِقٍ، يَميلونَ مَع كُلِّ رِيحٍ، لَم يَسْتَضِيئوا بِنُور العَلمِ ولم يَلجَأوا إلى رُكنٍ وَثِيقٍ.

العِلمُ خَيرٌ من المالِ، العِلْمُ يَحْرُسُكَ وأنْتَ تَحرُسُ المالَ، العلمُ يَزكُو على العَمَلِ، والمال تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، العلمُ حَاكِمٌ، والمال مَحكُومُ عَلَيْه، وصَنيعَةُ المالِ تَزُولُ بِزَوَالِهِ، ومَحَبَّةُ العالم دِيْنٌ يُدانُ بها.

العلمُ يُكْسِبُ العالِمَ الطَّاعةَ في حَياتِه، وجميلَ الأُحْدُوثَةِ بَعدَ مَوْتِهِ، وصَنيعةُ المال تَزولُ بِزَوَالِهِ،

مَاتَ خُزَّانُ الأَموالِ وَهمُ أَحْيَاءٌ، والعلماءُ بَاقُونَ مَا بَقِي الدَّهْرُ، أَعْيَانهم مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُم في القُلُوبِ مَوجُودَةٌ،

هَا إنَّ هَهُنا ـ وأشار بيده إلى صَدْرِهِ ـ عِلْماً لو أَصَبْتُ لَه حَمَلَةً! بَلى، أصَبْتُهُ لَقِناً غَيرَ مَأمُونٍ عليه، يَسْتَعْمِلُ آلَةَ الدِّين للدُّنيا، يَسْتَظْهِرُ بِحُجَجِ اللهِ عَلَى كِتَابِهِ، وبِنِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، أَو مُنقَاداً لأَهْلِ الحَقِّ، لا بَصِيرَةَ لَهُ في إِحْيَائِهِ، يَقْتَدِحُ الشَّكُّ في قَلبِهِ بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، لا ذَا، ولا ذَاك.

أَو مَنهُومٌ باللَّذَّةِ، سَلِسُ القِيادِ للشَّهَواتِ، أو فَمُغْرًى بِجَمْعِ الأَمْوالِ، والادِّخَارِ، لَيْسا مِن دُعَاةِ الدِّينِ، أَقْرَبُ شَبَهًا بِهِما الأَنعَامُ السَّائِمةُ، كَذلكِ يَموتُ العلمِ بموتِ حَامِلِيهِ،

اللَّهُمَّ! بَلَي، لَن تَخْلُوَ الأَرضُ مِن قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، لِكَي لا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ، أُولَئِكَ الْأَقَلُّونَ عَدَدًا، الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، بِهِمْ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْ حُجَجِهِ، حَتَّى يُؤَدُّوهَا إِلَى نُظَرَائِهِمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بهم

العلمُ عَلَى حَقِيْقَةِ الأَمْر، فَاسْتَلانُوا مَا اسْتَوعَرَ مِنه المْتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بما اسْتَوحَشَ منه الجَاهِلُونَ، وَصَاحَبُوا الدنيا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بالمحلِّ الأَعْلَى، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ، وَدُعَاتُهُ إِلَى دِينِهِ(١)، هَاهْ هَاهْ شَوقاً إلى رُؤيَتِهِم، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لي وَلَكَ، إِذَا شِئتَ فَقُمْ(٢)..

علامة العلم: العمل به وتعليمه ونشره.

مجاهدة ابن عباس في طلب العلم:

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا شَابٌّ ، قُلْتُ لِشَابٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ : يَا فُلَانُ هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلْنَتَعَلَّمْ مِنْهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ كَثِيرٌ ، قَالَ : الْعَجَبُ لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَتَرَى أَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ وَفِي الْأَرْضِ مِنْ تَرَى مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ ، قَالَ : فَتَرَكْتُ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ وَتَتَبُّعِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنْ كُنْتُ لَآتِي الرَّجُلَ فِي الْحَدِيثِ يَبْلُغُنِي أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَجِدُهُ قَائِلاً فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ(٣) تُسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِي . (مِنَ التُّرَابِ) . حَتَّى يَخْرُجَ ، فَإِذَا خَرَجَ قَالَ : يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺمَا لَكَ ؟ فَأَقُولُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ

---

١) قوله (دعاته إلى دينه) : الدعاة جمع داعٍ كقاضٍ ورامٍ ورماةٍ وإضافتهم إلى الله ﷻ للاختصاص ، أى الدعاة المخصوصون به الذين يدعون إلى دينه ومعرفته و محبته وهؤلاء هم خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدراً .

وقوله:(الأقلون عدداً) إشارة إلى أنهم أهل الغربة . (مفتاح دار السعادة – لابن القيم).

٢) أخْرَج هذه الوَصيّة أبو نعيم في «الحلية» (٧٩/١) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٤٩/١) و«جامع بيان العلم» (١١٢/٢) و «البداية والنهاية» (٤٧/٩).

٣) أي أنام وقت الظهيرة .

بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَهَلَّا بَعَثْتَ إِلَيَّ حَتَّى آتِيَكَ، فَأَقُولُ: أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَكَ فَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بَعْدَ ذَلِكَ يَرَانِي وَقَدْ ذَهَبَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاحْتَاجَ إِلَيَّ النَّاسُ فَيَقُولُ كُنْتَ أَعْقَلَ مِنِّي (١).

وفي بعض الروايات: فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول:هذا الفتى كان أعقل منّي .

وكان رضي الله عنه منذ صغره وهو في بيت رسول الله ﷺوخالته ميمونه رضي الله عنها زوج رسول الله ويضع للرسول وضوءه والرسول ﷺيتوضأ وعبد الله ينظر إلى وضوءه ثم في عهد أبي بكر ينظر إلى وضوءه وفي عهد عمر أيضاً ينظر إلى وضوء عمر وفي زمن عثمان فكان ينظر إلى وضوءه ، خمسة وعشرون سنه وهو ينظر إلى الوضوء ، ولكن مع هذا يقول لعلي رضي الله عنه يا ابن عمي علمني وضوء رسول الله ﷺ.

فكيف حرصه على التعلم فلذا واجب أن نتعلم في كل وقت، ونسأل الله أن يعلمنا فالمعلم الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى وأن الله سبحانه جعل الأسباب ليتعلم الإنسان فنحن نخرج لنتعلم الجهد والأعمال والعبادات ونتوجه إلى الله فالله هو المعلم سبحانه وتعالى.

فتكون نيتنا دائماً نية التعلم سواء كنا قدماء أو جدد كل يوم ننوي أن نتعلم.

---

١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ١٠٦) والطبراني (١٠ / ١٠٩٥٢) وقال الهيثمي (٩ / ٢٧٧) رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١ / ٨٥) وابن سعد في الطبقات (٤ / ١٨٢).

مصادر العلم الشرعي:

١) الكتاب (القرآن الكريم).

٢) السُنة(صحيح البخاري، صحيح مسلم ، سنن أبي داود ، سنن الترمذي، سنن ابن ماجة، سنن النسائي، صحيح ابن حبان ، مصنف عبد الرازق، مصنف ابن أبي شيبة ، مستدرك الحاكم....إلخ.

٣) إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

أنواع العلم:

١) علم المعرفة بالله.

٢) العلم باليوم الآخر(أحوال القبر ، أحوال الحشر ، الميزان ، الصراط، تطاير الصحف، الحوض ، الشفاعة، الجنة ، النار).

٣) علم الفضائل: ونتعلمه بالجلوس في مجالس الفضائل، من كتب الفضائل مثل رياض الصالحين والترغيب والترهيب.

٤) علم المسائل: الحلال والحرام (علم الأمر والنهي): نتعلمه من العلماء، وإذا سُئلنا نحيل السائل علي العلماء.

٥)من أقوال الشَّيخُ محمد عمر البالمبوري (رَحِمَهُ اللهُ) في العلم:

ونحن – أحبابنا الكرام لا نتدخل في الفتوى بل نحول السائل إلى أهل العلم في بلده ، ولا نتكلم في المسائل الخلافية فهي للعلماء فقط ، ومع ذلك فمن الضروري أن ننبه على تحصيل العلم وطلبه للخارجين في سبيل الله تَعَالَى، ونصحح القرآن على علماء القراءات، ونلتزم بالأذكار التي ثبتت عن النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة، وندعو النَّاس إليها، ونفعلها بنفس كيفية النبي ﷺ في نفس أوقاتها.

وقَالَ الشَّيخُ(رَحِمَهُ اللهُ):

واجب الإنسان أن يتعلم الأحكام قبل أن يعمل في أي شغل ، كما أن علم الأحكام فرض عليه قبل أن يشتغل، فالإيمان فرض عليه قبل الامتثال لأمر الله تَعَالَى ، لأن الإنسان إذا كان يقينه ضعيفا فهو لا يمتثل للأحكام .

وقَالَ الشَّيخُ (رَحِمَهُ اللهُ):

لابد أن نعلم أن ثلاثة أشياء مهمة مقدمة على الأهل وعلى الشغل:

الأول : العبادة ؛ على أية حال وفى أية وقت .

الثاني: علم الحلال والحرام؛ قبل الشغل في كل شيء.

الثالث: تعلم وتقوية الإيمان الذي به يمتثل أمر الله.

وقَالَ الشَّيخُ (رَحِمَهُ اللهُ):

واجب الإنسان أن يتعلم الأحكام قبل أن يعمل في أي شغل ، كما أن علم الأحكام فرض عليه قبل أن يشتغل ، فالإيمان فرض عليه قبل الامتثال لأمر الله تَعَالَى، لأن الإنسان إذا كان يقينه ضعيفا فهو لا يمتثل للأحكام .

وقَالَ الشَّيخُ (رَحِمَهُ اللهُ): لابد أن نعلم أن ثلاثة أشياء مهمة:

الأول : العبادة ؛ على أية حال وفى أية وقت.

الثانى : علم الحلال والحرام ؛ قبل الشغل في كل شيء.

الثالث : تعلم وتقوية الإيمان الذي به يمتثل أمر الله .

وقَالَ الشَّيخُ:(رَحِمَهُ اللهُ) : الله تَعَالَى يجتبى من يشاء ويهدى إليه من ينيب ، فعلينا أن نتعلم طريق الدعوة لأننا نسافر فى العالم .

وقَالَ الشَّيخُ (رَحِمَهُ اللهُ): نتعلم طريق النبي ﷺ قبل كل شيء، جاء الزواج نتعلم ما هي سنة النبي ﷺ ؟ إذا جاء المال نتعلم كيفية استعماله ؟.

وقَالَ الشَّيخُ:(رَحِمَهُ اللهُ) وفرضية العلم على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : فرض عين على جميع الأمة ، وهو معرفة الفرائض من صلوات وصيام وحج.

القسم الثانى: فرض عين على بعض طبقات الأمة ، مثل: علم الزكاة على الأغنياء الذين بلغ عندهم النصاب ، وكذلك التجارة ومعرفة علم البيوع ، وأحكام الحج لمن أراد الحج ، إلى غير ذلك.

القسم الثالث: فرض كفاية إذا قام به أفراد الأمة سقط عن الباقين، مثل صلاة الجنازة وتجهيز وحفر القبور، فإذا مات شخص واحد أقل القليل أربعة أشخاص لسد فرض الكفاية، وإذا كثرت حالات الموت، فهل يكفى أربعة أشخاص لسد فرض الكفاية ؟ وإذا لم تحصل فالأمة كلها آثمة.

كيفية الحصول علي العلم الشرعي:

١) نجالس العلماء الربانيين ونتعلم منهم العلم ونتربى علي أيديهم، ونوقرهم ونحترمهم، قَالَ الشَّيخُ محمد عمر البالمبوري (رَحِمَهُ اللهُ): يكون عدنا الاحترام لأساتذتنا فى ديارنا، إذا رجعتم أنتم العرب فقولوا للعلماء العرب عندكم: نحن ذهبنا للهند والباكستان، وهناك يحترمونكم جدا، بسببكم أنتم العرب وبسبب أجدادكم الله من علينا بالإسلام، واجلسوا فى حلقات التعليم واذكروا آداب السفر، واحكوا للعلماء عن أحوال بلادنا والدعوة والتشكيلات الطويلة، وكيف فتح الله تَعَالَى على النَّاس هنا بكم ؟ وباللين والمحبة والإخلاص فى المحبة الله يؤلف بينكم وبينهم.

٢) ندعو الناس إلي تعلم علم الدين.

٣) نسأل الله أن يعلمنا ويفهمنا العلم النافع.

وفي الخروج في سبيل الله التعلم ينقسم إلى قسمين:

١) *تعليم عملي* :

بالمذاكرة : كالوضوء والصلاة والسنن والآداب وغيرهما من أعمال الدين وهذا هو هدي النبي ﷺ في تعليم أصحابه رضي الله عنهم، ففي الوضوء: من حديث حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "رواه مسلم (١).

وفي الصلاة: عن أبي قلابة، عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال: أتينا النبي ﷺ، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه، وكان رقيقاً رحيماً، فقال:" ارجعوا إلى أهليكم، فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم".**رواه البخاري**.

وفي الحج: عنْ جَابِرٍ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَمَى الْجَمْرَةَ يَوْمَ النَّحْرِ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، وَقَالَ " : لتأخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ

---

١) صحيح مسلم . باب الطهارة (٣٣١).

رواه مسلم.[١].

٢) نظري(وينقسم قسمين):

تعليم جماعي: حلقة التعليم: الجماعة الخارجة تقيمها كل يوم مع من يحضر من أهل المسجد أو الحي الخارجين فيه ولا تقل مدتها عن ساعتين.

وكذلك حلقة تعليم يومية في البيت.

وكذلك حلقة تعليم أسبوعية للنساء.

تعليم انفرادي : وهذا يكون في وقت الفراغ الذي ليس فيه أعمال جماعية كتعلم القراءة أو شئ من الأذكار المسنونة أو الأحكام أو اللغة وغيرها بين شخص وآخر.

وفي المقام: وهذا هو الأهم ، لأن من مقاصد الخروج التشويق لطلب العلم.

العلم نوعان :

الأول : كسبي: أي يكون تحصيله بالاجتهاد والمثابرة والمذاكرة.

العلم الكسبي: هو العلم الدنيوي والديني وهي العلوم التي نتعلمها من الحياة، والعلوم التي توصل لها العلم الحديث وهي مازالت تكتشف إلى اليوم، لقولة تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٢].

إما العلم الديني فهو كامل: لا يوجد مجال لاكتشاف أمور دينية جديدة لقولة تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم و رضيت لكم الإسلام دينا)

الثاني:العلم الوهبي : هو هبة من الله لعبادة المتقين فطريقه لا يكون إلا بتقوى الله

---

١) مشكاة المصابيح _ كتاب المناسك _ باب رمي الجمار ٢/٨٠٥.

٢) سورة الإسراء _ الآية٨٥.

والعمل الصالح فقط، لقولة تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾[١]، ويطلق على العلم (العلم اللّدُني)لقولة تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[٢].

حقيقة العلوم الإلهية وثمارها:

قَالَ الشَّيخُ محمد عمر البالمبوري(رَحِمَهُ اللهُ): فى كل زمان كان الله تَعَالَى يجعل النصرة والعلو لأهل العلوم الإلهية على أهل العلوم المادية الإنسانية ، كما نصر موسى عليه السلام بالعلم الإلهي على فرعون صاحب العلم المادي ، وكما نصر إبراهيم عليه السلام على النمرود ، ونصر أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ على كسرى وقيصر أصحاب العلوم المادية الإنسانية ، ولكن اليوم مع إيماننا بعلومنا الإلهية إلا أننا مهزومون أمام أهل العلوم المادية الإنسانية ، مع أن القرآن الذي بين أيدينا هو نفس الكتاب الذي كان عند أسلافنا ، لم ينقص منه حرف ولم يزد فيه حرف ، وربنا وربهم واحد ، ونبينا ونبيهم واحد ، وقبلتنا وقبلتهم واحدة ، ولكن لماذا كانوا منصورين ونحن مهزومون ؟ ولماذا كانوا في العزة ونحن في الذلة ؟ السبب في ذلك أنهم كان عندهم حقيقة العلوم الإلهية ، ونحن عندنا اللفظ والصورة فقط ، وأهل المادة في زمانهم كان عندهم حقيقة العلوم المادية وهم كان عندهم حقيقة العلوم الإلهية ، فالحقيقة مع الحقيقة كانت نصرة الله تَعَالَى للحقيقة التي ارتضى لعباده ، ونحن اليوم نقف بلفظ العلوم وصورتها أمام حقيقة العلوم المادية ، فمن ينتصر إذن ؟! فالحقيقة دائما تغلب الصورة .فأسلافنا الصحابة رضي اللهُ

---

١) سورة البقرة _ الآية٢٨٢.

٢) سورة الكهف _ الآية٦٥.

عَنهُم كانوا مثل الأسد الحقيقي ، وأهل العلوم المادية كانوا مثل الفأر الحقيقي ، فماذا يفعل الفأر الحقيقي أمام الأسد الحقيقي ؟ إذن ليس هناك مقارنة بين الأسد والفأر ! ولكننا نحن اليوم مثل الأسد مصورا على الورق أمام الفأر الحقيقي، فالفأر في هذه الحالة يخرق صورة الأسد ، ولو كان شكله فى الصورة مهيبا .

وجوب الجمع بين العلم والدعوة:

طلب العلم على قسمين:

١) فرض عين على كلِّ مسلم ومسلمة.

٢) وفرض كفاية إذا قام به مَن يكفي سقط الإثم عن الباقين؛ كعلم القضاء والإفتاء، ففرض العين هو الذي تحصل به معرفة الله – سبحانه وتعالى – ومعرفة نبيِّه ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، فمعرفة الله بأنه واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، وأنه – تعالى – يرانا ويسمعنا، ويعلم سرَّنا وعلانيتنا، وأنه أمرنا ونهانا، وأنه يثيب الطائعين ويعاقب العاصين، والإيمان بالله يتضمَّن محبَّته وخوفه، ورجاءه وطاعته، بامتثال أمره واجتناب نهيه.

ومعرفة نبيِّه محمد ﷺ بأنه عبدٌ لا يُعبَد، ورسول لا يُكذَّب، بل يُطاع ويُتَّبع، شرَّفه الله بالعبودية والرسالة.

وأنه يجب علينا محبَّته وتصديقه، وامتثال أمره واجتناب نهيه، ويجب علينا أن نعرف دين الإسلام بالأدلة من القرآن والسنة، ونعرف ما فيه من أوامر فنمتثلها ونواهٍ فنجتنبها، وفي مقدمة ذلك القيام بأركان الإسلام الخمسة علمًا وعملًا واعتقادًا ودعوة، وأصول الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر،

والإيمان بالقدر خيره وشره، ومعرفة الإحسان؛ وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فإذا عرفنا أولًا ربنا ونبيَّنا وعرفنا دين الإسلام بالأدلة – وجب ثانيًا علينا العمل بهذا العلم، وثالثًا يجب علينا الدعوة إلى الله، ورابعًا يجب علينا أن نصبر على ما يصيبنا في ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (١)، فأقسم الله في هذه السورة الكريمة أن كلَّ إنسان خاسر إلا مَن اتَّصف بأربع صفات؛ وهي: الإيمان الصادق المثمِر للعمل الصالح وهو الخالص لله الموافِق لسنة نبيِّه، ثم التواصي بالحق؛ أي: بما أمر الله به ورسوله، والانتهاء عمَّا نهى عنه ورسوله، والتواصي بالصبر على طاعة الله، والصبر عمَّا حرَّم الله، والصبر على أقدار الله، فدلَّت هذه السورة العظيمة سورة العصر قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، دلَّت على وجوب تعلُّم العلم النافع، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه، ودلَّت على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك، وأن مَن فقد هذه العناصر الأربعة التي تضمَّنتها السورة أو فقد بعضها فقد خسر كما دلَّت على ربح وفوز مَن اتَّصف بها، ولهذا قال فيها الإمام الشافعي – رحمه الله –: لو فكَّر الناس فيها لكفَتْهُم.

ودلَّت على وجوب جهاد النفس، وأنه أربع مراتب كما قال الإمام ابن القيِّم – رحمه الله – في "زاد المعاد في هدي خير العباد":

١– جهادها على تعلُّم الهدى ودين الحق، الذي لا صلاح لها في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

---

١) سورة العصر_ الآيات من ١ : ٣.

٢- أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرَّد العلم بدون عمل إن لم يضرها لم ينفعها، فإن اليهود علماء ولم يعملوا بعلمهم فغضب الله عليهم، والنصارى يعبدون الله على جهل وضلال؛ ولهذا شُرِع لنا في دعاء الفاتحة سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم، وأن يجنبنا ربنا طريق اليهود والنصارى المغضوب عليهم والضالين.

٣- الثالث من جهاد النفس الذي دلَّت عليه سورة العصر جهادها على الدعوة إلى الله بقوله - تعالى -: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ﴾، وكما قال - تعالى -: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ﴾[١] ، وكما قال تعالى -: ﴿قُل هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[٢]. ، فالدعوة إلى الله هي طريقة النبي ﷺ وهي طريقة الخلفاء الراشدين وأتباعهم إلى يوم القيامة، فواجب المتعلم أن يتعلَّم لينقذ نفسه وغيره من زمرة الجاهلين، وواجب العالم أن ينشر علمَه في الناس؛ ليفوز بعظم الأجر، ويَسْلَم من الإثم والوِزْر، ولئلاَّ يقع في الكتمان؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[٣].

وقال ﷺ:" بلِّغوا عنِّي ولو آية "[٤]، ودعا لِمَن بلَّغ فقال ﷺ: " نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأدَّاها كما سمعها، فرُبَّ مبلَّغ أَوْعَى من سامع " [٥]، وقال أيضًا: " مَن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم

(١) سورة المائدة _ الآية ٢.
(٢) سورة يوسف _ الآية١٠٨.
(٣) سورة آل عمران _ الآية١٨٧.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

شيئًا "[١]، وعكس ذلك مَن دعا إلى ضلالة.

وإذا لم يَقُم العالم بما أوجب الله عليه من العمل بعلمه والدعوة إليه كان من الذين يكتمون ما أنزل الله ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله، وفي الحديث: " أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه "[٢]، وقال ﷺ:" إن الله وملائكته وأهل السماوات وأهل الأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت – ليصلُّون على معلِّمي الناس الخير "[٣] [٤].

ولهذا ذكر الإمام النووي (رحمه الله) هذه الأحاديث في باب العلم، وهذا يدل على أن مقتضى العلم التبليغ.

وقال الشيخ عمر البالمبوري (رحمه الله تعالى) :يجب الجمع بين العلم بالدين ونشره بين الناس ، ومن قصر في أحدهما عوقب من الله تعالى عقابا شديدا ، لمخالفته أمر ربه تبارك وتعالى ، وأول عاقبة من الله تعالى علينا هي عودة بلاد الإسلام إلى بلاد كفر كما كانت، فهناك بلاد ما وراء النهر وبلاد الأندلس بعدما كانت منارة العلم والإسلام عاقبهم الله تعالى فسلب منهم هذه النعمة وذلك لتقصيرهم في واجب الدعوة ، فبالدعوة يدخل الكافر في الإسلام ، وبغير الدعوة يخرج المسلم من الإسلام كما حدث في كثير من بلاد إفريقيا ، نسأل الله تعالى السلامة.

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) رواه الطبراني والبيهقي وابن عدي، وضعَّفه السيوطي والمنذري قال المناوي: وله أصل أصيل عند الحاكم في "المستدرك".

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٤) بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين.

وبقدر القيام بالدعوة إلى الله تعالى يأتي الدين في حياة المسلمين ، وألا تبتعد الدنيا عن الدين فنهلك، وأمامنا مثال ذلك (بخارى وسمرقند والبصرة والأندلس) فهذه المدن كانت مراكز إشعاع الدين، ولكن بالعلم فقط بدون دعوة انقلب حكام المسلمون على العلماء فقتلوهم وذبحوهم وسجنوهم ، وفرضوا عليهم الشيوعية و الماركسية واختفى الدين، ولذلك بالدعوة الكل في الإيمان ، لأن العلم فقط للطالبين، أما الدعوة فهي تحقيق الطلب في غير الطالبين .

ويجب عبادة الله تعالى على بصيرة في كل شيء بقدر المستطاع و لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

وعلى الداعي أن يحذر من الوقوع في الترف (والترف نوعين):

١) الترف المادى :

وهو تحسين أسباب الحياة ويؤدى إلى التثاقل عن الجهد من صفات الأرض ، والأرض فيها الثقل (الجبال – الحديد .. الخ) ولذا يقول الله ﷻ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ﴾ [١] وقال تعالى ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ ﴾ [٢] .

٢) الترف الفكرى(وهو الذي أقصده هنا) :

وهو تعلم العلم لغير العمل بل للكسب كما في الحديث عن النبي ﷺ :" ..

---

(١) سورة التوبة – الآية ٣٨ .

(٢) سورة الأعراف – الآية ١٧٦ .

وتعلم لغير الدين " [١] . ويسخر العلم للحياة الدنيا ، والانصراف عن علوم الدين لعلوم الدنيا ، ويأتي الفساد ثم العذاب ثم هجوم الأعداء ، ثم الاستبدال ، قال تعالى ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [٢][٣] .

وهو أن يتعلم المبتدئ جملة من العلوم التي لا يعمل بها ، ولا يستفاد منها ، تجعل منه شخصاً نظريا، فتؤدي الظاهرة عند توسعها إلى عيب كبير في صفوف الدعاة، إذ يتحول الداعية عندئذ إلى أشبه بباحث نظري يبحث في الكتب وحسب ، فيفلسف الأحداث دون استيعاب ، وبالتالي يحصل الفتور في العمل والضعف في الإيمان، وتصبح بضاعته مجموعة من الأحاديث النظرية والمجادلات، وتكون متعته في المباحث النظرية والمطالعة المجردة ، دون تحمل عبْ المشاكل، ومشقة المخالطة ، ولو ظل على هذا لهان الأمر ، بل قد يتحول الداعية – كما تشهد التجارب – إلى كاتب يبرر الانحراف ، ويفلسف الأخطاء، ويدافع عن الفتن، وينقد العمل الجاد، بل وقد يكبر الأمر الصغير ويهون الشأن الكبير ، وكل ذلك لأنه أسير تأملاته النظرية ، وثقافته غير المتوازنة. [٤] .

س: إلي متى نطلب العلم؟

ج : **قَالَ صَالِحٌ**[٥]: رَأَى رَجُلٌ مَعَ أَبِي مِجْبَرَةً فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذى (مشكاة المصابيح – باب أ شراط الساعة – ٣/١٥٠٠) .

(٢) سورة محمد – الآية ٣٨ .

(٣) من كتاب المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة للمؤلف .

٤) كتاب ربانية التعاليم لعادل الشويخ _ تحت عنوان عدم الوقوع في الترف الفكري.

٥) ابن الإمام أحمد بن حنبل.

هَذَا الْمَبْلَغَ وَأَنْتَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ مَعِي الْمِحْبَرَةُ إِلَى الْمَقْبَرَةِ (١).

وقيل لعبد الله بن المبارك –رحمه الله : إلى متى تكتب العلم ؟؟ قال : لعل الكلمة التي انتفع بها لم اكتبها بعد .

وهذا ابن عباس (حبر الأمة) منذُ صغره وهو في بيت النبوة، حيثُ أن رسول الله ابن عمه، وميمونة بنت الحارث زوج النبي خلته، يري النبي يوما دخل الخلاء ، قال ابن عباس: فوضعت له وَضوءا، والوَضوء بفتح الواو: ماء الوضوء الذي يتطهر به، فلما خرج قال: "من وضع هذا؟" فأخبر (أن الذي وضعه ابن عباس؛ فضمه) وقال: "اللهم علمه الكتاب" (٢). وفي رواية "اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين".

فيقدم الوضوء للنبي ﷺ وينظر إلي وضوءه، ثم في عهد أبي بكر ينظر إلي وضوءه، وفي عهد عمر أيضا ينظر إلي وضوءه، وفي زمن عثمان ينظر إلى وضوءه.. هكذا يا أحبابي يقدم رؤية الصحابة القدماء لوضوء النبي علي رؤيته، فربما يرى غيرك مالا تراه.

فنجتهد في طلب العلم ليلا نهارا ، من المهدِ إلي اللحد، من المحبرة إلي المقبرة.

ونختم باب العلم بما سطرناه في كتاب كلمات مضيئة عن العلم الحقيقي:

- **العلم الحقيقي** : هوأن تعرف مراد الله ﷻ منك في كل وقت .
- الآن نجد العالِم .. ولكنه راسب في بر الوالدين، راسب في علاقته بجاره.. فمن هو العالِم ..؟! هو الذي يعرف كيف يُرضى الله ﷻ في كل حال .

---

١) الآداب الشرعية لابن مفلح.

٢) صحيح البخاري _ باب قول النبي اللهم علمه الكتاب رقم الحديث (٧٥).

- المرأة التي ذكر لرسول الله ﷺ كثرة صومها وصلاتها بالليل ولكنها تؤذى جيرانها النبي ﷺ قال عنها : هي في النار(١).
- الدرهم لابد أن ننظر فى أى شئ يوضع.. ماذا فعل سعيد بن عامر فى عطاء عمر له ..؟ (٢)..أنفقه على الفقراء.. ادخره لوقت الشدائد.. ونحن الآن عندما تأتى الزيادة فى المرتب نوسع فى حياتنا الخاصة ولا ندخره لآخرتنا .
- لما جاء السائل لسيدنا عثمان ووجد الخلاف على زيت اللمبة وترك بيت عثمان ورجع لكن كيف عطاء عثمان له .
- بسبب العلم ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٣) فهم يعرفون ماذا يُقدم وماذا يُؤخر.
- أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ماذا قال عندما ألقى رجل بنفسه وسط الأعداء .. وقال الناس: سبحان الله ألقى بنفسه إلى التهلكة .. فقال لقد نزلت فينا معشر الأنصار عندما انتشر الدين وكثر ناصروه.. فقلنا فى أنفسنا نجلس ونصلح مزارعنا وأموالنا فقال الله ﷻ ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤) فكانت التهلكة الإقامة فى الأهل والمال (رواه أبو داود) (٥).

---

١) انظر الترغيب والترهيب - المنذرى - ٣ / ٣٥٦ .

٢) اقرأ قصة سعيد بن عامر فى باب القدوة من هذا الكتاب .

٣) سورة الحشر - الآية ٩ .

٤) سورة البقرة – الآية ١٩٥ .

٥) انظر حياة الصحابة - ١ / ٤٥٤ .

- الحركة على المعاش مقدمة.. صحيح ما ينفقه على عياله ولكن لو يطغى على مقصود حياتك.. فيصبح مالك وولدك وزوجك عدو لك .. فانتبه !!.
- الذين لم يخرجوا إلى تبوك وهم ثلاثة من أربعين ألف.. تاب الله ﷻ عليهم بعد خمسين يوم مشقة واعتزلهم الناس من أول يوم .. ويأتيهم الأمر باعتزال النساء بعد ذلك .. فالله تاب عليهم من أى شئ ..؟! (١).
- فالجولة دين .. وقراءة القرآن الكريم دين .. ولكن دين أعلى من دين .. ودين مقدم على دين .. فأنت تجلس مع أولادك دين.. ثم يجيء الضيف .. عندئذٍ تقوم تستقبل الضيف لأنه دين أعلى من دين .. وأنت مع الضيف سمعت عن حريق .. تقوم على الفور مع الضيف لإنقاذ الملهوف .. لأنه دين مقدم على دين .. لكل وقت عمل .. !!.
- سيدنا أسامة رضي الله عنه عنده بستان نخل وأمه اشتهت الجمار .. فقطع أحسن نخلة .. إنه يعرف كيف يشترى رضي الله ﷻ ، فعن محمد بن سيرين قال : بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ألف درهم . قال: فعمد أسامة رضي الله عنه إلى نخلة فنقرها وأخرج جمارها فأطعمها أمه، فقالوا له: ما يحملك على هذا .. وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم ؟ قال: إن أمي سألتنيه .. ولا تسألني شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها (٢).
- جاء للجولة .. هل قام بالأعمال .. بالذكر ، بقيام الليل ..؟!.

---

١) انظر رياض الصالحين - باب التوبة .

٢) حياة الصحابة - ٢ / ٤٦٧ .

- روى مسلم عن أبي بن كعب ﷺ قال: كان رجل من الأنصار لا أعلم أحداً أبعد من المسجد منه وكانت لا تخطئه صلاة ، فقيل له: لو اشتريت حماراً لتركبه في الظلماء وفى الرمضاء قال : ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد إني أريد أن يكتب لى ممشاي إلى المسجد ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى ، فقال رسول الله ﷺ : قد جمع الله لك ذلك كله (١).. هذا علمه ..!!.
- سيدنا ابن عباس ﷺ كان معتكف فى مسجد الرسول ﷺ فآتاه رجل فسلم عليه ثم جلس فقال له ابن عباس: يا فلان.. أراك مكتئباً حزيناً.. قال نعم يا بن عم رسول الله ﷺ لفلان عليَّ حق ولاء وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك ؟ فقال: إن أحببت. قال: فانتعل بن عباس ثم خرج من المسجد فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه ؟ قال: لا .. ولكنى سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب فدمعت عيناه وهو يقول: من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله ﷻ جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أو بُعد ما بين الخافقين (٢).. هذا علمه .

علم الفضائل ثابت فى أذهانهم .. فكانوا علماء بنسبة مراد ربهم (٣) .

١) رياض الصالحين - باب فضل المشى إلى المساجد .
٢) حياة الصحابة - المشى فى حاجة المسلم - ٢ / ٤٢٢ .
٣) الشيخ / طه عبد الستار.

ذكر الله

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوّ وَٱلآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مّنَ ٱلْغَفِلِينَ﴾[٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَبِي سَعِيدٍ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ"رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ : جُمْدَانُ ، فَقَالَ : " سِيرُوا ، هَذَا جُمْدَانُ ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ " قَالُوا : وَمَا الْمُفَرِّدُونَ ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ: " الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ "رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

---

١) سورة الأنفال – الآية ٤٥، وسورة الجمعة _ الآية ١٠.

٢) سورة العنكبوت – الآية ٤٥.

٣) سورة الأعراف – الآية ٢٠٥.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَعَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ " قَالَ: " فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا "قَالَ: " فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالَ: " يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ" قَالَ : فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ : " فَيَقُولُ : كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ " قَالَ: فَيَقُولُونَ " : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا ، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا " قَالَ : فَيَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونَ ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : " يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ : " فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ " قَالَ " : " يَقُولُونَ :لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً . قَالَ : فَمِمَّ يَعُوذُونَ ؟ " قَالَ " :يَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ " قَالَ: " يَقُولُ : فَهَلْ رَأَوْهَا ؟ " قَالَ : " يَقُولُونَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً " قَالَ فَيَقُولُ: " فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ " . قَالَ " : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ . قَالَ : هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ) "رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ قَالَ : إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضْلًا يَبْتَغُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا

وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ : مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ:جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيُهَلِّلُونَكَ ، وَيُمَجِّدُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، وَيَسْأَلُونَكَ . قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : لَا ، أَيْ رَبِّ قَالَ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ . قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي ؟ قَالُوا :مِنْ نَارِكَ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : يَسْتَغْفِرُونَكَ " قَالَ : فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا ، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا قَالَ : يَقُولُونَ : رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ ، وَإِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ . قَالَ : فَيَقُولُ : وَلَهُ غَفَرْتُ ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ".

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ؟ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ؟ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ؟ وَخَيْرٍ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ " قَالُوا : بَلَى . قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ "رَوَاهُ مَالِكٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَهْ ، إِلَّا أَنَّ مَالِكًا وَقَفَهُ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ، قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ : أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ فَقَالَ: " طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : " أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانُكَ

رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ " رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ . [١].

من فوائد الذكر لابن القيم (رحمه الله):

١) يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

٢) يرضي الرحمن عز و جل.

٣) يزيل الهم والغم عن القلب .

٤) أنه يقوى القلب والبدن.

٥) ينور الوجه والقلب.

٦) يجلب الرزق.

٧) يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

٨) يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

٩) يورث القرب منه سبحانه.

١٠) يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.

١١) إن العبد إذا تعرَّف إلى الله بذكره في الرخاء عرفه في الشدة.

١٢) ينجي من عذاب الله تعالى.

١٣) أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل واللغو.

١٤) إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين.

١٥) أيسر العبادات، وهو من أجلَّها وأفضلها.

---

١) الأحاديث في فضل الذكر من كتاب مشكاة المصابيح _ كتاب الدعوات_ باب ذكر الله عز وجل والتقرب إليه ٦٩٨/٢.

١٦) أن الذكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله

١٧) أن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله من لم يذكره.

١٨) إن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه.

١٩) إن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى.

٢٠) إن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر.

٢١) إن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك.

٢٢) إن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق.

٢٣) إن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر، أمسكت الملائكة.

٢٤) إن الذكر يسد بين العبد وبين جهنم.

٢٥) إن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب.

٢٦) إن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله عز وجل عليها.

٢٧) يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة وقد جعل الله لكل شيء سببا وجعل سبب المحبة دوام الذكر فمن أراد أن ينال محبة الله عز و جل فليلهج بذكره فإنه الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم .

٢٨) يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

٢٩) يورثه الإنابة وهي الرجوع إلى الله عز وجل فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه وملاذه ومعاذه وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا

٣٠) أنه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة

٣١) أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

٣٢) أنه يورثه ذكر الله تعالى له كم قال تعالى : { فاذكروني أذكركم } ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلا وشرفا وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم .

٣٣) أنه يورث حياة القلب وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟

٣٤) أنه قوت القلب والروح فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إلي وقال : هذه غدوتي ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي أو كلاما قريبا من هذا وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر أو كلاما هذا معناه

٣٥) أنه يورث جلاء القلب من صداه كما تقدم في الحديث وكل صدأ وصدأ القلب الغفلة والهوى وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار وقد تقدم هذا المعنى.

٣٦) أنه يحط الخطايا ويذهبها فإنه من أعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات.

٣٧) أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى فإن الغافل بينه وبين الله عز و جل وحشة لا تزول إلا بالذكر.

٣٨) أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة فقد روى الإمام أحمد في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن ما تذكرون من جلال الله عز و جل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به " ؟ هذا الحديث أو معناه .

٣٩) أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة وقد جاء أثر معناه: أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى إذا أصابته شدة أو سأل الله تعالى حاجة قالت الملائكة: يا رب صوت معروف من عبد معروف والغافل المعرض عن الله عز و جل إذا دعاه وسأله قالت الملائكة: يا رب صوت منكر من عبد منكر.

٤٠) أنه ينجي من عذاب الله تعالى كما قال معاذ رضي الله عنه ويروى مرفوعا :" ما عمل آدمي عملا أنجى من عذاب الله عز و جل من ذكر الله تعالى.

٤١) أنه سبب تنزيل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم .

٤٢) سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل فإن العبد لا بد له من أن يتكلم فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها ولا سبيل الى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش ولا حول ولا قوة إلا بالله

٤٣) أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ومجالس اللغو والغفلة ومجالس الشياطين فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به فهو مع اهله في الدنيا والآخرة

٤٤) أنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه وهذا هو المبارك أين ما كان والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته ويشقى به مجالسه.

٤٥) أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة .

٤٦) أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل.

٤٧) أن الاشتعال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: قال سبحانه وتعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين.

٤٨) أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك.

٤٩) غراس الجنة فقد روى الترمذي في جامعه من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " قال الترمذي حديث حسن غريب من حديث أبن مسعود وفي الترمذي من حديث أبي

الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال :" من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة " قال الترمذي حديث حسن صحيح (١).

معنى الذكر: استحضار عظمة الله تعالي ومحبته، ولذا تلهج الألسنة بذكره.

تفصيـــــلا:

١ - **الذكر لغة**: مصدر ذَكر الشيء يذكره ذِكراً وذُكراً، وأصل الذكر في اللغة التنبيه على الشيء، ومن ذكَّرك شيئا فقد نبَّهك عليه، وإذا ذكَّرته فقد نبَّهته عليه(٢).

ويأتي لمعان:

أ- الشيء يجري على اللسان، أي: ما ينطق به، يقال: ذكرت الشيء أذكره ذِكرا وذُكرًا إذا نطقت باسمه أو تحدَّثت عنه، ومنه قوله تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا} (٣).

ب - استحضار الشيء في القلب، ضد النسيان، قال تعالى حكاية عن فتى موسى عليه الصلاة والسلام: {قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُ}(٤).

٢- معنى الذكر في الشرع:

أ- معنى عام: ويشمل كل أنواع العبادات:

---

١) من كتاب : الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم.

٢) تهذيب الأسماء واللغات (٣ / ١١١).

٣) سورة مريم _ الإية ٢.

٤) سورة الكهف _ الآية ٦٣.

قال شيخ الإسلام: "كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرِّب إلى الله من تعلّم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله"(١) .

وقال العلامة عبد الرحمن بن سعدي: "وإذا أطلق ذكر الله شمل كل ما يقرِّب العبدَ إلى الله من عقيدة أو فكر أو عمل قلبي أو عمل بدني أو ثناء على الله أو تعلم علم نافع وتعليمه ونحو ذلك، فكله ذكر لله تعالى(٢) .

ب- معنى خاص: وهو ذكر الله : بالألفاظ التي وردت في الكتاب والسنة، سواء كانت مقيدة أو مطلقة.

مقصد الذكر:

١) ***الحصول على معية الله:*** فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: يقول اللَّه تعالى: " أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم " **متفق عَلَيهِ**(٣).

٢) ***استحضار عظمة الله تعالى في القلب.***

٣) ***مجالسة الرحمن:*** ففي الحديث القدسي: " أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي " (٤).

---

١) مجموع الفتاوى (١٠/٦٦١).

٢) الرياض النضرة (ص٢٤٥).

٣) رياض الصالحين – كتاب الأذكار_ باب الذكر والحث عليه .

٤) رواه الدَّيْلَمِيُّ بِلا سَنَدٍ عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا بِهَذَا ، وعند البيهقي في الذكر من شعب الإيمان من جهة الحسين بن حفص عن سفيان عن عطاء بن أبي مروان حدثني أبي بن كعب قال : قال موسى عليه السلام : يا رب أقريب أنت فأناجيك ، أو بعيد فأناديك ، فقال له : يا موسى ؟ أنا جليس من ذكرني ،

٤) بذكر الله يخرج من قلوبنا التأثر بالمخلوق ويدخل فيها التأثر بالخالق.

٥) وبين الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي(رحمه الله) في رسالته التي أرسلها إلي جماعة الحج والعمرة : المقصود من الذكر وكيفية الحصول عليه: وحتى يأتي فينا التوجه إلى الله في كل عمل من الأعمال نذكر الله تعالى(وأنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه).

ومع مداومة العبد لذكر الله ، الله يرزقه محبته وخشيته ومعرفته، ويجعل له حصنا من الشيطان.

فحتى نتحصل علي التوجه نرغب الناس لذكر الله ونراقب أنفسنا بأن الله يرانا، وندعو الله يرزقنا حقيقة الذكر.

ونحوه عند أبي الشيخ في الثواب من جهة عبد اللَّه بن عمير عن كعب ، وهو في سابع عشر المجالسة من حديث ثور بن يزيد عن عبيدة قال : لما كلم اللَّه عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام يوم الطور كان على موسى جبة من صوف ، مخلل بالعيدان ، محزوم وسطه بشريط ليف، وهو قائم على جبل ، وقد أسند ظهره إلى صخرة من الجبل ، فقال اللَّه : يا موسى إني قد أقمتك مقاما لم يقم أحد قبلك ، ولا يقومه أحد بعدك ، وقربتك نجيا ، قال موسى : إلهي ولم أقمتني هذا المقام ؟ قال : لتواضعك يا موسى ، قال : فلما سمع لذاذة الكلام من ربه نادى موسى : إلهي أقريب فأناجيك أم بعيد فأناديك ، قال : يا موسى ، أنا جليس من ذكرني ، وللبيهقي في موضع آخر عن شعبة من جهة أبي أسامة ، قال : قلت لمحمد بن النضر : أما تستوحش من طول الجلوس في البيت ، فقال : ما لي أستوحش وهو يقول : أنا جليس من ذكرني ، وكذا أخرجه أبو الشيخ من جهة حسين الجعفي قال : قال محمد بن النضر الحارثي لأبي الأحوص : أليس تروي أنه قال : أنا جليس من ذكرني ؟ فما أرجو بمجالسة الناس ، وعند البيهقي معناه في المرفوع من حديث إسماعيل بن عبد اللَّه عن كريمة ابنة الحسحاس المزنية عن أبي هريرة : سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : إن اللَّه عز وجل قال : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ، قال : ورواه الأوزاعي عن أبي هريرة موقوفا ومرفوعا ورواية كريمة أصح . بل في الصحيحين حديث: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني ، وسها عنه المؤلف. .

أنواع الذكر:

١)**ذكر بالقلب:** وهو استحضار عظمة الله في القلب وعدم الغفلة.

٢) ذكر باللسان: وهو التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل .

٣) ذكر بالجوارح: وهو جميع العبادات العملية.

والذكر باللسان ينقسم إلي قسمين:

١) ***مقيد*** :هو ما قيد بزمان أو مكان أو حال كأذكار الصباح والمساء ودخول المسجد والخروج منه وأذكار الصلاة وغيرها من الأذكار المقيدة.

٢) ***مطلق*** : وهو ما لم يقيد كالتسبيح والتكبير والتحميد والتهليل.

الذكر في القرآن:

١) **الأمر به مطلقا ومقيدا، كقوله تعالى:**﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً *وَسَبّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾(١).

٢) **النهي عن الغفلة والنسيان، كقوله تعالى:**﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوّ وَٱلآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾(٢).

٣) **تعليق الفلاح باستدامته وكثرته، كقوله:**﴿ يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣).

---

١) سورة الأحزاب _ الآيتان٤١، ٤٢.

٢) سورة الأعراف _ الآية٢٠٥.

٣) سورة الأنفال _ الآية٤٥.

٤) الثناء على أهله، والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة، كقوله:﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيما﴾ (١).

٥) الإخبار عن خسران من لها عنه بغيره، كقوله:﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوٰلُكُمْ وَلاَ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (٢).

٦) أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له، كقوله سبحانه : ﴿ فَٱذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ ﴾(٣).

٧) الإخبار أنه أكبر من كل شيء، كقوله تعالى:﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٤).

٨) أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة، كما كان مفتاحها، مثل ما ختم به الصلاة كقوله :﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ (٥).]النساء:١٠٣[، وختم به شعيرة الصيام بقوله:﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦)، وختم به الحج في قوله:﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءابَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (٧).

---

١) سورة الأحزاب_ الآية٣٥.
٢) سورة المنافقون_ الآية٩.
٣) سورة البقرة_ الآية١٥٢.
٤) سورة العنكبوت_ الآية٤٥.
٥) سورة النساء_ الآية١٠٣.
٦) سورة البقرة_ الآية١٨٢.
٧) سورة البقرة_ الآيتان١٩٠ ، ١٩١.

٩) **الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته، وأنهم أولو الألباب دون غيرهم، كقوله تعالى:**﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لآيَٰتٍ لأُوْلِي ٱلأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذا بَٰطِلاً سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١).

١٠) **جعله الله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحَها، فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح، كقرنه بالصلاة في قوله تعالى:**﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِى﴾ (٢)، **وقرنه بالجهاد كما في قوله :**﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣).

علامة حقيقة الذكر:

١) *طمأنينة القلب:* ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٤).

٢) *محبة الله عز وجل.*

٣) *طاعة الله عز وجل.*

أهمية الذكر: جلاء الغفلة من القلب.

---

١) سورة الأعراف_ الآية٢٠٥.

٢) سورة طه_ الآية١٤.

٣) سورة الأنفال_ الآية٤٥.

٤) سورة الرعد – الآية ٢٨.

آداب الذكر:

١) الإخلاص.
٢) الانكسار بين يدي الله تعالى.
٣) الاتجاه إلي القبلة.
٤) يستحب أن يكون المكان نظيفا.
٥) تطهير الفم بالسواك.
٦) حضور القلب بين يدي الله.
٧) يبدأ بالاستغفار، ثم التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والحوقلة ثم يختم بالصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم.
٨) الذكر بالمأثور من الكتاب والسنة.
٩) خفض الصوت بالذكر.
١٠) أن يتعقل ما يقول.

فائـــدة: لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة، إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز.

الذكر ركن قوي في طريق القوم وهو أفضل الأعمال، قال الله تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾[1] ، **وقال تعالى:** ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا

---

١) سورة البقرة– الآية ١٥٢.

لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ﴾[١].

والذكر الكثير أن لا ينساه أبداً: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل عبادة فرضها الله تعالى جعل لها وقتاً مخصوصاً وعذر العباد في غير أوقاتها إلا الذكر لم يجعل الله له وقتاً مخصوصاً، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾[٢].وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾[٣] ، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ﴾[٤].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ [٥]. قَالَ " : لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ "رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ مَاجَهْ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ :هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ،(٦). ورواه ابن حبان ، وابن أبي شيبة ، والحاكم .

وعَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" لَوْ أَنَّ رَجُلا فِي حِجْرِهِ دَرَاهِمُ

---

١) سورة الأنفال – الآية ٤٥، وسورة الجمعة _ الآية ١٠.

٢) سورة الأحزاب – الآية ٤١.

٣) سورة النساء – الآية ١٠٣.

٤) سورة البقرة – الآية ٢٠٠.

٥) أي أتعلق به.

٦) مشكاة المصابيح _ كتاب الدعوات – باب ذكر الله عز وجل والتوسل إليه ٢/ ٧٠٤.

يُقَسِّمُهَا ، وَآخَرُ يُذْكَرُ اللَّهَ ، كَانَ الذَّاكِرُ لِلَّهِ أَفْضَلُ ". (١).

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ قَالُوا: بَلَى، قَالَ:" ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى" قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ (٢).

فلا مدخل على الله إلا من باب الذكر فالواجب على العبد أن يستغرق فيه أوقاته ويبذل فيه جهده فإن الذكر منشور الولاية ولا بد منه في البداية والنهاية فمن أعطي الذكر فقد أعطي المنشور ومن ترك الذكر فقد عزل وأنشدوا:

والذكر أعظم باب أنت داخله ... لله فاجعل له الأنفاس حراســـــاً

فليلتزم العبد الذكر على كل حال، ولا يترك الذكر باللسان لعدم حضور قلبه فيه، بل يذكره بلسانه ولو كان غافلاً بقلبه فإن غفلتك عن وجود ذكره، أشد من غفلتك في وجود ذكره، لأن غفلتك عن ذكره أعراض عنه بالكلية، وفي وجود ذكره أقبال بوجه ما، وفي شغل اللسان بذكر الله تزيين جارحة بطاعة الله، وفي فقده تعرض لاشتغالها بالمعصية، قيل لبعضهم: ما لنا نذكر الله باللسان والقلب غافل؟ فقال: اشكر الله على ما وفقك من ذكر اللسان، ولو أشغله بالغيبة ما كنت تفعل؟ فليلزم الإنسان ذكر اللسان حتى يفتح الله في ذكر الجنان، فعسى أن ينقلك الحق

---

١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وابن أبي شيبة في مصنفه.

٢) رواه مالك ، وأحمد والترمذي، وابن ماجة، إلا أن مالك أوقفه علي أبي الدرداء(مشكاة المصابيح _ كتاب الدعوات – باب ذكر الله عز وجل والتوسل إليه ٢/ ٧٠٢).

تعالى من ذكر مع وجود غفلة، إلى ذكر مع وجود يقظة، أي انتباه لمعاني الذكر عند الاشتغال به، حتى يطمئن القلب بذكر الله ويكون حاضراً بقلبه مع دوام ذكره. [١].

١) من كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم (بتصرف قليل).

صفة

الإكرام وحسن الخلق

قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم" التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح (٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنها قالت سمعت النبي ﷺ يقول:" إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم" رواه أبو داود. (٣).

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال، قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه" .رواه أبو داود بإسناد صحيح. (٤).

---

١) سورة الحشر_ الآية ٩ .

٢) رياض الصالحين _ باب حسن الخلق رقم الحديث (٦٢٨) .

٣) المرجع السابق _ رقم الحديث (٦٢٩) .

٤) المرجع السابق _ رقم الحديث (٦٣٠) .

معنى الإكرام:

الكرم يطلق على كل ما يحمد من أنواع الخير والشرف، والجود والعطاء والإنفاق.

من صفات الله – سبحانه– أنه الكريم، لأنه هو الذي انفرد بالملك والغنى، وتوحد بالعظمة والثناء، واختص بالجاه والسلطان، فهو إذا عصى غفر، وإذا اطلع أمهل وستر ، وإذا وعد وفى، وإذا أوعد عفا، لا يضيع من لجأ إليه، ولا يثلم من توكل عليه، يداه مبسوطتان بالخيرات، وله خزائن الأرض والسماوات، لا ينازع في قسمه رزقه، ولا يراجع في تدبير خلقه، فهو الكريم بالإطلاق، وكما أنه الكريم نادى عبادة بحب الكرم وبذل المال رضاء وجه وابتغاء رضاه، ونهاهم عن الشح والبخل.

قال أحد الحكماء: أصل المحاسن كلها الكرم، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه.

مقصد الإكرام:

١) الألفة والمحبة بين أمة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢) إخراج الشح والبخل من القلب.

٣) أن تأتي الأخلاق النبوية والمعاشرات الإسلامية في أمة النبي ﷺ.

٤) إصلاح المعاملات والمعاشرات والأخلاق، فنكرم بعضنا بعضاً حتى تأتي الألفة والمحبة بيننا، ويتمثل في كل علاقاتنا مع الآخرين، كحسن الخلق وتأدية حقوقهم، وصلة الأرحام، والإصلاح بينهم، وعدم إيذائهم، وعونهم، فالله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

٥)حفاظة الأعمال: ففي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ" قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ." (١).

علامة الإكرام:

١) حب الإنفاق.

٢) محبة الناس.

٣) أداء الحقوق لأهلها.

٤) الألفة و المحبة بين النا

مراتب الإكرام:(كف الأذى ، العدل ، الإكرام ، الإيثار).

طرق تحصيل الإكرام:

١- أن نؤدي حقوق الناس ونطلب حقوقنا باللطف واللين فإن لم تأت سألناها من الله عز وجل، ففي الحديث: عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ تَأْمُرُ

---

١) أخرجه أحمد (٣٣٤/٢ ، رقم ٨٣٩٥) ، ومسلم (١٩٩٧/٤ ، رقم ٢٥٨١) ، والترمذي ٤/٦١٣) ، رقم ٢٤١٨) ، وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضًا : الطبراني فى الأوسط ٣/١٥٦) ، رقم ٢٧٧٨) ، والديلمي (٦٠/٢ ، رقم ٢٣٣٨)..

مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ قَالَ تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ " متفق عليه.

وعن أبي يحيى أسيد بن حضير ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا من الأنصار قال: يا رسول الله ! ألا تستعملني كما استعملت فلانا ؟ فقال:" اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ" متفق عليه .

إخواني الكرام ، هذه هي وصيه النبي صلي الله عليه وسلم حينما نري أثره أي اختصاص واستئثار بالمال والمناصب والدنيا، وهذا الأمر الآن منتشر في كل مكان، فالجميع يطلب دون أن يؤدي،علي جميع المستويات، علي مستوي آلامه والمجتمع الأسره والأفراد، الجميع يطلب حقه ولا يؤدي ،المحكوم يطلب حقه ولا يؤدي يريدون عمر بن الخطاب وهم ليسوا صحابه ، والحاكم يطلب أن يطيع الناس مثل الصحابة وهو ليس فيه صفات عمر ،الزوج يريد حقه من الزوجة يريدها مثل فاطمه وهو مثل أبو جهل،إذا أردتها فاطمه فكن عليا، أدي الذي عليك، علي كل فرد ألا يبحث عن حقه بل يبحث عن واجبه حتي يؤديه فينجو من عقاب الله ويسأل الله الذي له وعند الله لا تضيع الحقوق، قال تعالي:﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (١).أدوا الذي عليكم وسلوا الله الذي لكم .

٢- نكثر من الجلوس في مجالس فضائل إكرام المسلمين والأخلاق.

٣- ندعو الناس إلى تحقيق إكرام المسلمين والأخلاق في حياتهم.

٤- ندعو الله أن يرزقنا والأمة حقيقة إكرام المسلمين.

---

١) سورة الشورى _ الآية ٤٠.

قصص في الإكرام:

١) أكرم الخلق (محمد ﷺ):

تَعوّد بَسْط الكـفِّ حتَّى لو أنَّهُ ... ثناها لِقَبْضٍ لم تجِـــبْه أَناملُهْ

تراه إذا ما جئتَـــــه مُتهلِّلاً ... كأنَّك تُعطيه الذي أنت سَائلُهْ

ولو لم يكن في كفِّه غير رُوحـهِ ... لجَـــــادَ بها فليتقِ اللهَ سَائلُهْ

هُو البَحْرُ من أيِّ النَّواحي أتيته ... فلُجَّتُهُ المعروفُ والجُودُ ساحِـلُهْ

٢) وعن جابر –رضي الله عنه– قال: ما سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن شيءٍ قط فقال: لا. رواه البخاري.

ما قال لا قط إلا في تشهده		لولا التشهد كانت لاؤه نعم

٣) وعن أنس –رضي الله عنه– قال: كان النبي –صلى الله عليه وسلم – أَحْسَنَ الناس، وأجْوَد الناس، وأشْجَعَ الناس) رواه البخاري ومسلم.

٤) جاءت امرأة إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– بِبُرْدة فقالت: يا رسول الله: أكْسوك هذه .فأخذها النبي –صلى الله عليه وسلم – محتاجاً إليها، فَلَبسَها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحْسَنَ هذه، فاكْسُنيها. فقال: نعم. فلما قام النبي –صلى الله عليه وسلم – لامه أصحابه فقالوا: ما أحسنْتَ حين رأيتَ النبي –صلى الله عليه وسلم – أخَذها مُحتاجاً إليها، ثم سألتَهُ إياها، وقد عرفتَ أنه لا يُسْأَل شيئاً فيمنعه. فقال: رجوتُ بَرَكَتَهَا حين لَبِسها النبي –صلى الله عليه وسلم– ؛ لَعَلِّي أُكَفَّن فيها. رواه البخاريُّ.

٥) وأتي بمال من البحرين فقال: انثُروه في المسجد، وكان أكثر مالٍ أُتي به، فخرج إلى الصلاة، ولم يلتفت إليه، فلمّا قَضَى الصلاة جاء فجلس إليه، فما كان يرى

أحداً إلَّا أعطاه، وما قام وثَمَّ منها درهم.

٦) وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم: أن الأعراب علقوا بالنبي -صلى عليه وسلم -مَرْجِعَهُ من حُنَيْن، يسألونه أن يقسم بينهم فقال: " لو كان لي عَدَدُ هذه العَضَاةِ نَعَماَ، لقَسمتُه بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوباً، ولا جباناً.

٧) وعن أنس -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يدَّخر شيئاً لغدٍ. رواه الترمذي وصححه الألباني.

٨) وعن سمرة بن جندب -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: إني لأجلج هذه الغرفة ما أجلجها إلاّ خشية أن يكون فيها مالُ فأتوفى ولم أنفقه " رواه الطبراني وحسنه الألباني،

٩) وعن سهل بن سعد -رضي الله عنه- قال: (كانت عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سبعة دنانير وضَعها عند عائشة، فلَّما كان عند مرضه قال: ((يا عائشة، ابعثي بالذهب إلى علي)). ثم أغمي عليه. وشغل عائشة ما به، حتى قال ذلك مراراً. كل ذلك يغمى على رسو الله -صلى الله عليه وسلم- ويشغل عائشة ما به، فبعث إلى عليٍّ فتصدَّق بها، وأمسى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليلة الاثنين في جديد الموت ، فأرسلت عائشة بمصباح لها إلى امرأة من نسائها، فقالت: أهدي لنا في مصباحنا من عُكَّتك السَّمْن، فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمسى في حديد الموت) رواه الطبراني وصححه الألباني.

١٠) وعن أبي ذرٍّ، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- التفت إلى أُحُدٍ فقال : والذي نفسي بيده، ما يَسُرُّني أن أُحُداً تحوَّل لآلِ محمدٍ ذهباً، أُنفقه في سبيل الله، أموتْ يومَ أموتُ أدَعُ منه دينارين، إلَّا دينارين أُعدُّهما للدَّيْن إنْ

كان.رواه أحمد وحسنه الألباني.

١١) وعن مُوسَى بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ قَالَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ(١).

١٢) أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ. قَالَ: غَزَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتْحِ مَكّةَ. ثُمّ خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ .فَنَصَرَ اللّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ. وَأَعْطَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيّةَ مِائَةً مِنَ النّعَمِ. ثُمّ مِائَةً. ثُمّ مِائَةً.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيّبِ أَنّ صَفْوَانَ قَالَ: وَاللّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنّهُ لأَبْغَضُ النّاسِ إِلَيّ. فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتّى إِنّهُ لأَحَبّ النّاسِ إِلَيّ. (٢).

قال محمد بن عمر: يقال إن صفوان طاف مع رسول الله ﷺ يتصفح الغنائم إذ مر بشعب مملوء إبلا مما أفاء الله به على رسوله ﷺ فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوء، فاعجب صفوان وجعل ينظر إليه، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَعْجَبَكَ يَا أَبَا وَهْبٍ هَذَا الشِّعْبُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :" هُوَ لَكَ وَمَا فِيهِ " ، فَقَالَ صَفْوَانُ : أَشْهَدُ مَا

---

١) صحيح مسلم « كتاب الفضائل « باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه.

٢) المرجع السابق.

طَابَتْ بِهَذَا نَفْسُ أَحَدٍ قَطُّ إلا نَبِيٌّ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ (١).

١٣) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَسْتَعِينُهُ فِي شَيْءٍ فَأَعْطَاهُ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ : أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ ؟ ، قَالَ الأَعْرَابِيُّ : لا ، وَلا أَجْمَلْتَ . قَالَ : فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ وَقَامُوا إِلَيْهِ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ : أَنْ كُفُّوا ، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ , فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى الأَعْرَابِيِّ ، فَدَعَاهُ إِلَى الْبَيْتِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ جِئْتَنَا فَسَأَلْتَنَا فَأَعْطَيْنَاكَ ، فَقُلْتَ مَا قُلْتَ ، فَزَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ , صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ : **أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ** ؟ . قَالَ الأَعْرَابِيُّ : نَعَمْ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلٍ وَعَشِيرَةٍ خَيْرًا ، فَقَالَ له النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكَ جِئْتَنَا فَسَأَلْتَنَا فَأَعْطَيْنَاكَ ، وَقُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِي أَنْفُسِ أَصْحَابِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ ؛ حَتَّى يَذْهَبَ مِنْ صُدُورِهِمْ مَا فِيهَا عَلَيْكَ . قَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَوِ الْعَشِيُّ جَاءَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا كَانَ جَاءَ فَسَأَلَنَا، فَأَعْطَيْنَاهُ، فَقَالَ مَا قَالَ، وَإِنَّا دَعَوْنَاهُ إِلَى الْبَيْتِ فَأَعْطَيْنَاهُ، فَزَعَمَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ، أَكَذَلِكَ ؟ قَالَ الأَعْرَابِيُّ : نَعَمْ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلٍ وَعَشِيرَةٍ خَيْرًا . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلا إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ هَذَا الأَعْرَابِيِّ؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيْهِ، فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلا نُفُورًا، فَنَادَاهُمْ صَاحِبُ النَّاقَةِ: خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاقَةِ فَأَنَا أَرْفَقُ النَّاسِ بِهَا وَأَعْلَمُ، فَتَوَجَّهَ لَهَا صَاحِبُ

---

١) سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد _ غزوة حنين.

النَّاقَةِ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قُمَامِ الأَرْضِ، فَرَدَّهَا هَوْنًا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاخَتْ، وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا، وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ، فَقَتَلْتُمُوهُ، دَخَلَ النَّارَ .

١٤) وكان جوده – صلى الله عليه وسلم – كلّه لله، وفي ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال إما لفقير، أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه، وكان يُؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطي عطاءً يعجز عنه الملوكُ مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يُوقَد في بيته نار، وربَّما رَبط على بطنه الحجر من الجوع، وكان قد أتاه صبيٌّ مرةً فشكتْ إليه فاطمةُ ما تلقى من خدمة البيت، وطلبت منه خادماً يكفيها مُؤْنة بيتها، فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها، ومرة ثانية سألته خادما فلم يعطها: وقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها: " لَا أُعْطِيكُمْ ، وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَلَوَّى بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ " ، وَقَالَ مَرَّةً : " لَا أُخْدِمُكُمَا ، وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ "(١).

هُو البَحْرُ من أيِّ النَّواحي أتيته فلُجَّتُهُ المعروفُ والجُودُ ساحِلُهْ

١٥) لما قدم المهاجرون المدينة قال النبي ﷺ: " إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم. فقالوا: أموالنا بيننا قطائع. فقال رسول الله ﷺ:" أو غير

١) مسند أحمد بن حنبل « مُسْنَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ « ... مُسْنَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ _ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ذلك. قالوا ذاك يا رسول: وما الله؟ قال: هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر. قالوا: نعم يا رسول الله .

وفي البخاري قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. فقال: لا. فقالوا : أتكفوننا المؤنة ونشرككم في الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا .

فهل سمعت الدنيا بمثل ذلك ؟!! قوم الأرض أرضهم وهم الذين يعملون فيها ويوالونها ويقومون على أمرها.. فإذا أنتجت وأثمرت قاموا مقام الأجراء وقاسموا غيرهم الثمر والربح فأين يوجد مثل هذا؟

وفي البخاري عن أنس: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين. فقالوا: لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها. فقال: إما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم أثرة .

وقد أحس المهاجرون بفضائل الأنصار واعترفوا لهم بالإحسان حتى خافوا أن يذهبوا بكل الأجر؛ ففي المسند عن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول الله! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلاً في كثير؛ لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ، لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم .

وما أجمل الإحسان، وما أجمل الشكر عليه، وما أعظم وأحسن ما وصف به الفريقين؛ فالمهاجرون تركوا أموالهم وأولادهم وديارهم لله تعالى ولرسوله، فأثنى الله عليهم فقال: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ

الصَّادِقُونَ﴾(١)، والأنصار واسوهم بالمال وأحسنوا إليهم، وآثروهم على أنفسهم؛ فأثنى الله عليهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

١٦) يقول أنس بن مالك ﷺ : قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى النبي بينه وبين سعد بن الربيع ، وكان كثير الأموال ، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالا ، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها ، فقال عبد الرحمن بن عوف :بارك الله في لك في أهلك ومالك.

وفي رواية البخاري: "فقال عبد الرحمن بن عوف: لا حاجة لي في ذلك."

١٧) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي مَجْهُودٌ . فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَقُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ يُضِيفُهُ يَرْحَمْهُ اللَّهُ . فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ (يُقَالُ لَهُ أَبُو طَلْحَةَ) فَقَالَ :أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ ؟ قَالَتْ : لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي . قَالَ : فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ وَنَوِّمِيهِمْ فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ فَإِذَا

---

١) سورة الحشر_ الآية ٨ .

٢) سورة الحشر_ الآية ٩ .

أَهَوَى بِيَدِهِ لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ كَيْ تُصْلِحِيهِ فَأَطْفِئِيهِ فَفَعَلَتْ ، فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ ، وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ أَوْ ضَحِكَ اللَّهُ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ .

وَفِي رِوَايَةٍ مِثْلَهُ وَلَمْ يُسَمِّ أَبَا طَلْحَةَ ، وَفِي آخِرِهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى " وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ "مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . (١) .

١٨) كَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنَ الْأَجْوَادِ الْمَعْرُوفِينَ . حَتَّى إِنَّهُ مَرِضَ مَرَّةً ، فَاسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي الْعِيَادَةِ . فَسَأَلَ عَنْهُمْ ؟ فَقَالُوا : إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدَّيْنِ . فَقَالَ : أَخْزَى اللَّهُ مَالًا يَمْنَعُ الْإِخْوَانَ مِنَ الزِّيَارَةِ .ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي : مَنْ كَانَ لِقَيْسٍ عَلَيْهِ مَالٌ فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ . فَمَا أَمْسَى حَتَّى كُسِرَتْ عَتَبَةُ بَابِهِ ، لِكَثْرَةِ مَنْ عَادَهُ .

وَقَالُوا لَهُ يَوْمًا : هَلْ رَأَيْتَ أَسْخَى مِنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . نَزَلْنَا بِالْبَادِيَةِ عَلَى امْرَأَةٍ . فَحَضَرَ زَوْجُهَا . فَقَالَتْ : إِنَّهُ نَزَلَ بِكَ ضَيْفَانِ . فَجَاءَ بِنَاقَةٍ فَنَحَرَهَا ، وَقَالَ : شَأْنُكُمْ ؟ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَ بِأُخْرَى فَنَحَرَهَا . فَقُلْنَا : مَا أَكَلْنَا مِنَ الَّتِي نَحَرْتَ الْبَارِحَةَ إِلَّا الْيَسِيرَ . فَقَالَ : إِنِّي لَا أُطْعِمُ ضَيْفَانِي الْبَائِتَ . فَبَقِينَا عِنْدَهُ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ، وَالسَّمَاءُ تُمْطِرُ . وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَرَدْنَا الرَّحِيلَ وَضَعْنَا مِائَةَ دِينَارٍ فِي بَيْتِهِ ، وَقُلْنَا لِلْمَرْأَةِ : اعْتَذِرِي لَنَا إِلَيْهِ . وَمَضَيْنَا . فَلَمَّا طَلَعَ النَّهَارُ إِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ يَصِيحُ خَلْفَنَا : قِفُوا . أَيُّهَا الرَّكْبُ اللِّئَامُ . أَعْطَيْتُمُونِي ثَمَنَ قِرَايَ ؟ ثُمَّ إِنَّهُ لَحِقَنَا ، وَقَالَ : لَتَأْخُذُنَّهُ أَوْ لَأُطَاعِنَنَّكُمْ بِرُمْحِي . فَأَخَذْنَاهُ وَانْصَرَفَ.

---

١) مشكاة المصابيح « كتاب المناقب والفضائل « باب جامع المناقب ٣/ ١٧٦١_ رقم الحديث (٦٢٥٢).

١٩) خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه ؛ إذ أتى الغلام بقوته، فدخل الحائطَ كلبٌ ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله، ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله ، وعبد الله ينظر إليه فقال: يا غلام كم قوتُك كلَّ يوم ؟ قال ما رأيتَ ! قال: فلم آثرتَ به هذا الكلب ؟ قال ما هي بأرض كلاب، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً ، فكرهت أن أشبعَ وهو جائع! قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا فقال: عبد الله بن جعفر أُلامُ على السخاء !إن هذا الغلام لأسخى مني ، فاشترى الحائطَ والغلامَ وما فيه من الآلات ، فأعتق الغلام ووهبه منه .

٢٠) وقال عمر رضي الله عنه: أهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه ، فلم يزل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأول.

٢١) ولما دخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها قال لها: يا أم المؤمنين أصابتني فاقة، فقالت: ما عندي شيء، فلو كان عندي عشرة آلاف درهم لبعثت بها إليك ، فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد فأرسلت بها إليه في أثره، فأخذها ودخل بها السوق، فاشترى جارية بألف درهم ، فولدت له ثلاثة أولاد ، فكانوا عباد المدينة، وهم: محمد وأبو بكر ، وعمر بنو المنكدر.

٢٢) وقال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إلي أن نعم، فإذا رجل يقول: آه.. فأشار ابن عمي إلى أن أنطلق به إليه، فجئته فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال:

آه... فأشار هشام انطق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين.

٢٣) وقال عباس بن دهقان: ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحارث ؛ فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه، واستعار ثوباً فمات فيه .

٢٤) وروي أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء، فنزع خشبةً من سقفِ بيتِهِ فأعطاه ثم اعتذر إليه

٢٥) حكى أبو محمد الأزدي قال: لما احترق المسجد بمرو، ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه، فأحرقوا خاناتهم، فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الخانات، وكتب رقاعاً فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم، فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها، فوقعت رقعةٌ فيها القتل بيد رجل، فقال: والله ما كنت أبالي لولا أم لي ! وكان بجنبه بعض الفتيان، فقال له: في رقعتي الجلد وليس لي أم ، فخذ أنت رقعتي وأعطني رقعتك. ففعل، فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل!

٢٦) وكان مورق العجلي يتلطف في إدخال السرور والرفق على إخوانه، فيضع عند أحدهم البدرَة ،[صرة المال –كيس النقود] ويقول له: امسكها حتى أعود إليك ، ثم يرسل يقول له: أنت منها في حل.

٢٧) وقصد رجل إلى صديق له فدق عليه الباب، فخرج إليه وسأله عن حاجته، فقال: علي دين كذا وكذا، فدخل الدار وأخرج إليه ما كان عليه، ثم دخل الدار باكياً، فقالت له زوجته: هلا تعللت حيث شقت عليك الإجابة، فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلي أن يسألَني

٢٨) وكان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما من أجود الناس، عطش يوماً في طريقه، فاستسقى من منزل امرأة، فأخرجت له كوزاً، وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب، وليأخذه بعض غلمانكم، فإنني امرأة عزبٌ مات زوجي، فشرب عبد الله الماء وقال: يا غلام احمل إليها عشرة آلاف درهم، فقالت: سبحان الله أتسخر بي ! فقال: يا غلام احمل إليها عشرين ألفاً، فقالت: أسأل الله العافية، فقال: يا غلام احمل إليها ثلاثين، فما أمست، حتى كثر خطابها .

وكان عبد الله بن أبي بكر رضي الله تعالى عنه ينفق على أربعين داراً من جيرانه عن يمينه، وأربعين عن يساره، وأربعين أمامه، وأربعين خلفه، ويبعث إليهم بالأضاحي والكسوة في الأعياد، ويعتق في كل عيد مائة مملوك رضي الله تعالى عنه.

٢٩) ومن لم يجد ما يواسي به إخوانه فلا أقل من أن يستشعر ما هم فيه ويتعيش مع همومهم ويواسيهم ولو بحاله ووجدانه، قال بعض الرواة: دخلت على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب، فقلت: يا أبا نصر الناس يزيدون الثياب في مثل هذا اليوم وأنت تنقص؟ فقال: ذكرت الفقراء وما هم فيه ولم يكن لي ما أواسيهم، فأردت أن أوافقهم بنفسي في مقاساة البرد !

٣٠) قال الأصمعي: كانت حرب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الأمر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح، فاجتمعوا في المسجد الجامع قال: فبعثت وأنا غلام إلى ضرار بن القعقاع بن حازم، فاستأذن لي، فإذا هو في شملة يخبط نوى لعنز له حلوب، فأخبرته بمجتمع القوم فأمهل حتى أكلت العنز ثم غسل القصعة وقال: يا جارية غدينا. فأتته بزيت وتمر. قال: فدعاني، فعذرته أن آكل معه حتى إذا قضى من أكله وثب إلى طين ملقى في الدار فغسل به يديه، ثم صاح بالجارية فقال:

اسقيني ماء ، فأتت بماء فشربه ومسح بفاضله على وجهه وقال: الحمد لله! ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى تؤدي شكر هذه النعم ؟ ثم قال: علي بردائي ، فأتته برداء عدني فارتدى به على تلك الشملة ، قال الأصمعي: فتجافيت عنه استقباحاً لزيه ، فدخل المسجد وصلى ركعتين ومشى إلى القوم ، فلم تبق حبوةٌ إلا حلَّت إعظاماً له ، فتحمل ما كان بين الأحياء من الديات في ماله وانصرف! .

٣١) قال أحد الصالحين: كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد ، فتبعنا كلب من البلد ، فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا. فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلباً، فجاء إلى تكل الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة، فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقي العظم ورجعت الكلاب إلى البلد، فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلاً ثم انصرف.

٣٢) قال علي بن محمد : " طلب الحجاج إبراهيم النخعي ، فجاء الرسول فقال : أريد إبراهيم فقال إبراهيم التيمي : أنا إبراهيم . ولم يستحل أن يدله على النخعي ، فأمر بحبسه في الديماس ، ولم يكن لهم ظل من الشمس ، ولا ملجأ من البرد ، و كان كل اثنين في سلسلة ، فتغيّر إبراهيم فعادته أمه فلم تعرفه ، حتى كلّمها ، فمات في سجنه ، فرأى الحجاج في نومه قائلا يقول : مات في البلد الليلة رجلٌ من أهل الجنة ، فسأل فقالوا : مات في السجن إبراهيم التيمي ، فقال : حلمٌ نزغة من نزغات الشيطان . وأمر به فألقي على الكناسة " .

٣٣) عن مصعب بن أحمد بن مصعب قال : " قدم أبو محمد المروزي إلى بغداد

يريد مكة ، وكنت أحب أن أصحبه ، فأتيته واستأذنته في الصحبة فلم يأذن لي في تلك السنة ، ثم قدم سنة ثانية وثالثة ، فأتيته فسلمت عليه وسألته فقال : اعزم على شرط : يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر . فقلت أنت الأمير . فقال : لا بل أنت فقلت : أنت أسنّ وأولى ، فقال : فلا تعصني . فقلت : نعم . فخرجتُ معه وكان إذا حضر الطعام يؤْثرني ، فإذا عارضته بشيء قال : ألم أشرط عليك أن لا تخالفني ؟ ، فكان هذا دأبنا حتى ندمت على صحبته ؛ لما يلحق نفسه من الضرر . فأصابنا في بعض الأيام مطرٌ شديد ونحن نسير فقال لي : يا أبا أحمد اطلب الميل – وهو علامة الطريق – ، ثم قال لي : اقعد في أصله ، فأقعدني في أصله ، وجعل يديه على الميل ، وهو قائم قد حنا عليّ وعليه كساء قد تحلل به يظلني من المطر ، حتى تمنيت أني لم أخرج معه لما يلحق نفسه من الضرر ، فلم يزل هذا دأبه حتى دخل مكة رحمه الله " .

٣٤) وحُكي عن أبي الحسن الأنطاكي : أنه اجتمع عنده نيفا وثلاثين رجلا بقرية من قرى الريّ ، ومعهم أرغفةٌ محدودةٌ لا تشبعهم جميعا ، فكسروا الأرغفة وأطفئوا السرج ، وجلسوا للطعام ، فلما رُفع الطعام إذا هو بحاله لم يُمسّ ، إذ تصنّع كل واحد منهم أنه يأكل ، ولم يأكل مأثرة لأخيه ، فلذا بقي الطعام على حاله .

٣٥) وذكر مالك الداري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة فقال للغلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تَلَهَّ ساعةً في البيت حتى تنظر ما يصنع، فذهب الغلام قال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك، قال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها،

فرجع الغلام إلى عمر فأخبره.. فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل وتَلَهَّ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه، وقال: يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، تعالي يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأته فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران فدحا (فدفع) بهما إليها، فرجع الغلام إلى عمر فأخبره بذلك فقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض .

٣٦) بعث عمر بن الخطاب: عمير بن سعد ، على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره فكتب إليه أقبل بما جبيت من الفيء فأخذ جرابه وقصعته وعلق إدواته وأخذ عنزته وأقبل راجلا فدخل المدينة وقد شحب واغبر وطال شعره، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: ما شأنك؟ قال: ألست صحيح البدن معي الدنيا فظن عمر أنه جاء بمال، فقال: جئت تمشي، قال: نعم، قال: أما كان أحد يتبرع لك بدابة ؟ قال: ما فعلوا ولا سألتهم، قال: بئس المسلمون، قال: يا عمر إن الله قد نهاك عن الغيبة، فقال: ما صنعت؟ قال: الذي جبيته وضعته مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيتك به، قال: جددوا لعمير عهدا، قال: لا عملت لك ولا لأحد، قلت لنصراني أخزاك الله، وذهب إلى منزله على أميال من المدينة فقال عمر: أراه خائنا، فبعث رجلا بمائة دينار، وقال: انزل بعمير كأنك ضيف فإن رأيت أثر شيء فأقبل وإن رأيت حالا شديدة فادفع إليه هذه المائة فانطلق فرآه يفلي قميصه فسلم فقال له عمير: انزل فنزل فسأله وقال :كيف أمير المؤمنين؟ قال: ضرب ابنا له على فاحشة فمات، فنزل به ثلاثا ليس إلا قرص شعير يخصونه به ويطوون، ثم قال: إنك قد أجعتنا فأخرج الدنانير فدفعها إليه فصاح وقال: لا حاجة لي بها ردها عليه،

قالت المرأة: إن احتجت إليها وإلا ضعها مواضعها، فقال: ما لي شيء أجعلها فيه فشقت المرأة من درعها فأعطته خرقة فجعلها فيها ثم خرج يقسمها بين أبناء الشهداء وأتى الرجل عمر فقال ما فعل بالذهب قال لا أدري فكتب إليه عمر يطلبه فجاء فقال ما صنعت الدنانير قال وما سؤالك قدمتها لنفسي فأمر له بطعام وثوبين، فقال: لا حاجة لي في الطعام وأما الثوبان فإن أم فلان عارية فأخذهما ورجع فلم يلبث أن مات(سير أعلام النبلاء للذهبي) .

٣٧) قال محمد بن إسحاق: كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون، ومن يعطيهم؟ فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به، ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل، وقيل: إنه كان يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات. ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده فبكى ابن أسامة فقال له: ما يبكيك؟ قال: علي دين قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، وفي رواية سبعة عشر ألف دينار فقال: هي علي.

٣٨) وأما الجود بالنفس فكان منه لمحة في معركة اليرموك حكاها حذيفة العدوي بقوله: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي – ومعي شيء من الماء – وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك، فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه! آه! فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه، فاذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: آه! آه! فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات. فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات .

وقد روى ابن الأعرابي مثل ذلك أيضا عن عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، والحارث ين هشام.. وهم من بين المغيرة فلما مر بهم خالد بن الوليد ورآهم على ما هم عليه قال: بنفسي أنتم والله. ولا غرابة في تكرار ذلك فقد تشابهت قلوبهم فتشابهت فعالهم رضي الله عنهم أجمعين.

ولقد كانت الشجاعة والكرم من أبرز صفات المجتمع العربي الجاهلي وظهر منهم في كل عصر ومصر أقطاب اشتهرت بالكرم وروى عنهم مواقف عظيمة في الجود والسخاء وكان من أبرزهم وأشهرهم حاتم الطائي الذي كان مضرب المثل فيهم بالكرم ومما يؤثر عنه في ذلك ما ذكره التنوخي في المستجاد قال : إن رجلاً سأل حاتماً الطائي، فقال: يا حاتم هل غلبك أحد في الكرم ؟ قال نعم غلام يتيم وذلك أني نزلت بفنائه وكان له عشرة أرؤس من الغنم فعمد إلى رأس فذبحه وأصلح لحمه وقدم إلى وكان فيما قدم الدماغ فقلت طيب والله فخرج من بين يدي وجعل يذبح رأساً بعد رأس ويقدم الدماغ وأنا لا أعلم فلما رجعت لأرحل نظرت حول بيته دماً عظيماً فإذا هو قد ذبح الغنم بأسرها فقلت له لم فعلت ذلك ؟ قال: يا سبحان الله! تستطيب شيئاً أملكه وأبخل عليك به، إن ذلك لسبة على العرب قبيحة، فقيل: يا حاتم، فبماذا عوضته ؟ قال بثلثمائة ناقة حمراء وبخمسمائة رأس من الغنم، فقيل: أنت أكرم منه قال: هيهات، بل هو والله أكرم لأنه جاد بكل ما ملك وأنا جدت بقليل من كثير .

ومن الأجواد المشاهير في الجاهلية أيضاً عبد الله بن جدعان وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بعيره ووقع فيها صغير فغرق.

وذكر ابن قتيبة أن رسول الله ﷺ قال:" لقد كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمَيٍّ " أي وقت الظهيرة وذكروا أنه كان يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن.

وبين الكرم والتضحية ارتباط وثيق وصلة قوية؛ فالمجاهد يجود بنفسه – وهذا غاية الجود – والمتحرر من شهوة المال، الباسط يده في أبواب البر والإحسان، قد يكون أقدر على الجهاد؛ لما يؤصله الكرم في النفس من معاني التضحية والإيثار.

ولهذا يقول المشايخ: إن الله عز وجل استخدم العرب للدين وبعث فيهم رسول الله ﷺ ، لأن فيهم صفتين : الكرم ، صدق المقال.

وقالوا: أي قرية تنزلون فيها ثم وجدتم أهلها يكرمون الجماعة، فاعلموا أن الله سوف يستخدمهم للدين لأن فيهم صفة يحبها الله عز وجل.

● **من أقوال المشايخ في الإكرام:**

ـ سُئل الإمام على ﷺ وكرم الله وجهه : هل نُسلِّم على مذنب هذه الأمة ؟ فقال : سبحان الله ! يراه الله عز وجل أهلاً للتوحيد ولا نراه أهلاً للسلام ..؟!.

ـ إبراهيم عليه السلام دعا والده بالإكرام ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً ﴾ (١)، والنبى ﷺ دعا قومه بالإكرام .

ـ بالإكرام تحيا المعاشرات الإسلامية والأخلاق النبوية فى أمة النبى ﷺ .

ـ نكرم بنسبة الإسلام .

ـ الإكرام يؤلف القلوب ويبعث فيها المحبة.

---

١) سورة مريم – الآية ٤٧ .

ـ الأخلاق عطايا يضعها الله حيث شاء .

ـ الزكاة ليست من أعمال السخاء أو الأخلاق فحسب ، ولكن دِينٌ للأغنياء ، ولو تفكر كل الناس فى أداء الحقوق التى عليهم لصلح نظام العالم ، والآن نرى نظام العالم قد فسد .. لماذا ..؟! لأن كل واحد يطالب بحقوقه ولا يؤدى ما عليه من واجبات .

ـ المؤمن.. يؤثر الغير وهو سعيد.

ـ إعطاء الحق .. يُعلم التواضع .

ـ ينظر ما حوله .. يعرف حقوق الناس عليه فى حضورهم .. وفى غيابهم .. ويعطى كل ذى حقٍ حقه ..

ـ الربا يزول بالتوبة ولكن الكبر لا ينفعه التوبة ولا ينفعه الركعتين ولا الاستغفار ولا العمرة ولكن بخروجه من القلب.

ـ يقدم غيره فى الراحة .. ويقدم نفسه فى المجاهدات (١).

---

١) من كتاب كلمات مضيئة للمؤلف باب الإكرام.

حُسن الخلق

قال تعالي:﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(١).

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كنت أمشي مع النبي – صلى الله عليه وسلم – وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي – صلى الله عليه وسلم – قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء(٢) .

معنى حسن الخلق: هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

مقصد حسن الخلق: الألفة والمحبة.

علامة حسن الخلق: مقابلة السيئة بالحسنة.

كتب الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي(رحمه الله):

في رسالته التي أرسلها إلي جماعة الحج والعمرة المتجهة إلي بلاد الحجاز: نكرم كل مسلم من حيث أنه من أمة النبي ﷺ ، ونتواضع لكل مسلم ونؤدي حقوقه ولا نسأل حقوقنا إلا من الله، وفي الحديث: عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان اللَّه في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج اللَّه عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره اللَّه يوم القيامة متفق

---

١) سورة القلم _ الآية ٤ .

٢) رواه البخاري برقم (٢٩٨٠).

عَلَيْه (١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: المسلم أخو المسلم: لا يخونه ولا يكذبه، ولا يخذله؛ كل المسلم على المسلم حرام :عرضه، وماله، ودمه. التقوى ههنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم رواه التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيْثٌ حَسَنٌ(٢).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم:" لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض؛ وكونوا عباد اللَّه إخواناً، المسلم أخو المسلم: لايظلمه، ولا يحقره، ولا يخذله، التقوى ههنا (ويشير إلى صدره ثلاث مرات) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم؛ كل المسلم على المسلم حرام :دمه، وماله، وعرضه " رواه مُسْلِمٌ (٣).

فنجعل الشوق في قلوب المسلمين لإكرام المسلم بطريقة الترغيب وإخبارهم بقيمة المسلم، ونسمعهم من قصص أخلاق النبي والصحابة الكرام رضي الله عنهم، ومحبتهم وإيثارهم لبعضهم البعض، فنتدرب على ذلك بأنفسنا وندعو الله عز وجل أن يوفقنا للتخلق بأخلاق النبي صلي الله عليه وسلم.

---

١) رياض الصالحين _ باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم _ رقم الحديث (٢٣٣)

٢) المرجع السابق _ رقم الحديث (٢٣٤)

٣) المرجع السابق _ رقم الحديث (٢٣٥)

ويقول الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله):

الحياة الإسلامية تقوم على خمسة أصول وهى:

١) **تصحيح الاعتقاد (الإيمانيات)**: وهذا الاعتقاد لا يصلح ولا يتم إلا بتصحيح الإيمان بما أمرنا الله تَعَالَى به فى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾(١) ، فنتيقن على الله تَعَالَى وأنه الفاعل لما يريد وأنه النافع والضار، يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد، ونحقق الإتباع الكامل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ في حياتنا، ونتيقن على كتاب ربنا فنخرج اليقين على سائر العلوم إذا خالفت ما في كتاب الله تَعَالَى، ونؤمن بوجود الملائكة وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، وموكلون بخدمة العالم الغيبي، ونتيقن على الآخرة وأنها نعيم دائم للمؤمنين وجحيم على الكافر.

٢) **تصحيح العبادات**: وهو تعلم العبادات حتى نعبد الله تَعَالَى على بصيرة، وهو إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت.

والعبادات نوعان:

مالية: زكاة وحج، ونبذل فيهما المال ليخرج حب المال من النفس.

نفسية: صلاة وصيام، ونبذل فيهما النفس ليخرج حب الشهوات من النفس، وهذا هو البر كما في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

---

١) سورة النساء _ الآية ١٣٦.

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِي ينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ (١)،

٣) **تصحيح المعاملات**: وهى تصحيح الصلات بين النَّاس ، لأن المعاملات هى وجه العملة الآخر مع العبادات، لأن العبادات إصلاح للداخل، والمعاملات إصلاح الخارج ، وتصحيح المعاملات بإعطاء النَّاس حقوقهم ،ونسأل نحن حقنا مِنَ اللهِ تَعَالَى ، لذلك يقول فضيلة الشيخ محمد يوسف رحمه الله : يدخل الدين في حياة النَّاس عن طريق العبادات ، ويخرج الدين من حياة النَّاس عن طريق المعاملات ، فيا من يتق الله في العبادات، اتق الله في المعاملات، لذلك يقول تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾(٢).

٤) **تصحيح المعاشرات**: وهنا حياة الأسرة، أي الكف عن أذى النَّاس كأنهم أسرته، فيكون سهل العشرة ، ولذلك فعلى معاشرات الصحابة قام الدين ، فالأنصار كانوا أعداء ، فأصبحوا بفضل الله تَعَالَى إخوانا ، وكان في معاشرات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وصحابته رضي اللهُ عَنهُم البساطة والحياء ، دون تكبر أو تكلف وكانت معاشراتهم تقوم على العدل والإحسان والإيثار:

١_ **العدل**: إعطاء الحق لصاحبه كما هو، وهذا أقل القليل.

٢_ **الإحسان**: إعطاء الحق لصاحبه مع زيادته بالمحبة.

---

١) سورة البقرة _ الآية ١٧٧.

٢) سورة البقرة _ الآية ١٧٧ .

٣ـ **الإيثار**: إعطاء الحق لصاحبه مع حقي وأكون فرحا (وهنا تقديم الغير على النفس)، وفيها قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١) ، فالأخوة هنا والطاعة عالمية، ولذلك لابد للمسلم أن يكون سهلا، لينا، ذلولا، حسن الخلق.

لذلك يقول تعالى:﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(٢)، فلما نزلت هذه الآية قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ:" ما هذا يا جبريل ؟ قال: إن الله أمرك أن تعفوا عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطى من حرمك. .

٥) **تصحيح الأخلاقيات**: وهنا نفع النَّاس تكون غاية، ويكون هذا بالإكرام والرحمة، مع الصبر على النَّاس، لتصبح نفسى سمحة ولا تخذلني نفسي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٣).

أسباب فساد الأحوال وعلاجها:

يقول الشيخ / محمد يوسف الكاندهلوى (رحمه الله): هذه الأمة ظهرت إلى الوجود بعد المصائب والمشاق، والرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضي الله عنهم تحملوا الكثير من الشدائد والمحن ، فأعداؤهم من اليهود والنصارى اجتهدوا

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٣٤.
(٢) سورة الأعراف _ الآية ١٩٩.
(٣) سورة فصلت _ الآيتان ٣٤ ، ٣٥.

على ألا يكون المسلمون أمة ، بل يكونوا متفرقين .

فاليوم المسلمون فقدوا حياتهم كأمة، حينما كانوا أمة واحدة كان لهم وزن في العالم وكان الناس يخشونهم ، وما كان عندهم بيوت رفيعة ، ولا مساجد مشيدة ، حتى ما كان في المسجد النبوي مصباح ولا نور ، حتى السنة التاسعة من الهجرة ، وفى نهاية السنة التاسعة من الهجرة ، دخل معظم العرب في الإسلام ، وقبائل شتى ، وأقوام شتى ، وألسنة مختلفة كونوا أمة ، بعدها نوروا المصباح فى المسجد .

والرسول ﷺ جاء بنور الهداية .. الذي قام هو وأصحابه رضي الله عنهم بنشره في العرب وخارج العرب .

ولما تكونت الأمة المسلمة قامت بالدعوة إلى الله ﷻ ، فما يخرجون إلى بلد من البلدان إلا وأهلها يستسلمون أمامهم .

كيف تكونت هذه الأمة ؟

حب الله وحب رسول لله ﷺ جمع بينهم قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ [١] ، فما كان منهم رجل واحد يتحمس لأسرته أو لحزبه أو لقومه أو لوطنه أو للسانه ، وما كان يلتفت إلى المال والعقار ولا الأهل ولا الأولاد بل كل واحد يصغ لأمر الله ورسوله ﷺ .

حينما كان المسلمون أمة، إذا قتل منهم واحد في أي بقعة فكل الأمة تقوم ولا

---

١) سورة الحشر – الآية ٩ .

تقعد[١] ، والآن يذبح آلاف من المسلمين ومئات الألوف ولا يتحرك ساكن .

الأمة ليست اسم لقومٍ أو قبيلةٍ بمنطقةٍ خاصة ، بل تتكون الأمة بالآلاف من الأقوام والبلدان ، أما الذي يفهم أنها قومه ودولته ، والذين خارجهم ليس منهم .. فهذا الذي يذبح الأمة ويمزقها تمزيقا ، ويقطع الشجرة التي غرسها الرسول ﷺ والصحابة الكرام ﷺ بعد جهد عظيم .

فنحن الذين نقوم بذبح الأمة بعد أن تمزقنا وتفرقنا ، بعد ذلك قام أعداء الأمة من اليهود والنصارى بتقطيعها (قطعاً قطعا) .

فاليوم لو اجتمع المسلمون على صعيد واحد وكونوا أمة فالدنيا كلها ما تستطيع أن تأخذ منهم شبراً واحداً، ولا تستطيع القنبلة الذرية ولا الأسلحة الحديثة أن تدمرهم .

ولو أن المسلمين تفرقوا، وفرقوا بين الأمة على أساس القومية واللغة والمنطقة، فأشهد الله ! أن أسلحتكم وجنودكم ما تستطيع أن تنقذكم من الورطة مع العدو.

فاليومُ يضرب المسلمين في أنحاء العالم، ويموتون لأنهم فقدوا صورتهم كاملة.. هذا كله من حديث القلب الذي يتقطع ألما على الأمة

---

١) فقد كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوقهم ، وجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فلم تفعل فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله (وكان يهوديا) فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فأغضب المسلمون .

ـ وذكر الواقدى : أن رسول الله ﷺ حاصرهم خمس عشرة ليلة ، إلى هلال ذى القعدة وكانوا أول من غدر من اليهود وحاربوا حتى قذف الله فى قلوبهم الرعب ، ونزلوا على حكمه ، وأن له أموالهم ، وأمر بهم أن يجلوا عن المدينة وولى إخراجهم منها عبادة بن الصامت فلحقوا بأذرعات (بلد بالشام) تاريخ الإسلام للذهبى١/٤٠٣.

فكل هذه المصائب والمحن سببها واحد، هو أن الأمة ليست أمة بل المسلمون نسوا ما هي الأمة ؟ وكيف قام الرسول ﷺ بتشكيلها .

فالكفاية والنصرة للأمة لا تأتى بمجرد وجود فقط.ة والذكر والمدرسة الدينية فقط .. فابن ملجم الذي قتل عليا ﷺ كان من المصلين والذاكرين لآخر لحظة في حياته فحينما قبضوا عليه وأرادوا أن يقطعوا لسانه فجزع وقال: إني أخشى أن تمر ساعة لا أذكر الله فيها، مع هذا قال الرسول ﷺ " قاتل على أشقى رجل في أمتي " (١) وتعليم المدرسة أيضاً قد قاما به أبو الفضل والفيضي ، وكان من كبار

---

١)عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي رضي الله عنه : خارجي مفتر ذكره ابن يونس في " تاريخ مصر" فقال : شهد فتح مصر واختط بها مع الأشراف . وكان ممن قرأ القرآن والفقه . وهو أحد بني تدول وكان فارسهم بمصر. قرأ القرآن على معاذ بن جبل . وكان من العباد . ويقال : هو الذي أرسل صبيغا التميمي إلى عمر رضي الله عنه فسأله عما سأله مستعجم القرآن وقيل إن عمر كتب إلى عمرو بن العاص : أن قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقه فوسع له مكان داره وكانت إلى جانب دار عبد الرحمن بن عديس البلوي يعني أحد من أعان على قتل عثمان .

ثم كان ابن ملجم من شيعة علي بالكوفة سار إليه إلى الكوفة وشهد معه صفين قلت : ثم أدركه الكتاب وفعل ما فعل وهو عند الخوارج من أفضل الأمة وكذلك تعظمه النصيرية قال الفقيه أبو محمد بن حزم : يقولون إن ابن ملجم أفضل أهل الأرض خلص روح اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره فاعجبوا يا مسلمين لهذا الجنون.

وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة . وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار ونجوز أن الله يتجاوز عنه لا كما يقول الخوارج والروافض فيه . وحكمه حكم قاتل عثمان : وقاتل الزبير وقاتل طلحة وقاتل سعيد بن جبير وقاتل عمار وقاتل خارجة وقاتل الحسين.

فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله ونكل أمورهم إلى الله عز وجل.

مع كل ذلك قتل علي بن أبي طالب،قال ابن سعد : قالوا انتدب ثلاثة من الخوارج وهم : عبد الرحمن ابن ملجم المرادي والبرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التميمي فاجتمعوا بمكة

فتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ويريحوا العباد منهم .

فقال ابن ملجم : أنا لعلي وقال البرك : أنا لمعاوية وقال الآخر : أنا أكفيكم عمرا فتواثقوا أن لا ينكصوا واتعدوا بينهم أن يقع ذلك ليلة سبع عشرة من رمضان ثم توجه كل رجل منهم إلى بلد بها صاحبة فقدم ابن ملجم الكوفة فاجتمع بأصحابه من الخوارج فأسر إليهم وكان يزورهم ويزورونه . فرأى قطام بنت شجنة من بني تيم الرباب وكان علي قتل أباها وأخاها يوم النهروان فأعجبته فقالت : لا أتزوجك حتى تعطيني ثلاثة آلاف درهم وتقتل عليا فقال : لك ذلك ولقي شبيب بن بجرة الأشجعي فأعلمه ودعاه إلى أن يكون معه فأجابه وبقي ابن ملجم في الليلة التي عزم فيها على قتل علي يناجي الأشعث بن قيس في مسجده حتى طلع الفجر فقال له الأشعث : فضحك الصبح فقام وشبيب فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي فذكر مقتل علي رضي الله عنه فلما قتل أخذوا عبد الرحمن بن ملجم وعذبوه فقتلوه قال الحسن بن علي : خرجت البارحة وأمير المؤمنين يصلي فقال لي : يا بني إني بت البارحة أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر لسبع عشرة من رمضان فملكتني عيناي فسنح لي رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت : يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد فقال : " ادع عليهم " فقلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم وأبدلهم بي من هو شر مني . فجاء ابن النباح فآذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فاعتوره رجلان : أما أحدهما فوقعت ضربته في السدة وأما الآخر فأثبتها في رأسه .

وقال جعفر بن محمد عن أبيه إن عليا كان يخرج إلى الصلاة وفي يده درة يوقظ الناس بها فضربه ابن ملجم فقال علي أطعموه واسقوه فإن عشت فأنا ولي دمي .رواه غيره وزاد : فإن بقيت قتلت أو عفوت فإن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .

وقال محمد بن سعد : لقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي فأعلمه بما عزم عليه من قتل علي فوافقه قال : وجلسنا مقابل السدة التي يخرج منها علي قال الحسن : وأتيته سحرا فجلست إليه فقال : إني ملكتني عيناي وأنا جالس فسنح لي النبي صلى الله عليه و سلم فذكر المنام المذكور . قال وخرج وأنا خلفه وابن النباح بين يديه فلما خرج من الباب نادى : أيها الناس الصلاة الصلاة وكذلك كان يصنع كل يوم ومعه درته يوقظ الناس فاعترضه الرجلان فضربه ابن ملجم على دماغه وأما سيف شبيب فوقع في الطاق وسمع الناس عليا يقول : لا يفوتنكم الرجل فشد الناس عليهما من كل ناحية فهرب شبيب وأخذ عبد الرحمن وكان قد سم سيفه.

العلماء ، حتى قاما بتفسير القرآن بدون النقط ، وهما اللذان قاما بتضليل وإفساد أحد كبار الملوك .

فكيف الصفات التي كانت في ابن ملجم وأبو الفضل والفيضي تستطيع أن تتكون الأمة وتستحق نصرة الله ﷻ ؟ !

أيها الأحباب : قومي .. ومنطقتي.. وأسرتي.. ومسجدي.. هذه الكلمات تمزق الأمة وتفرقها، وهذه أبغض الأشياء عند الله ﷻ .

وأي رجل يقوم بتمزيق الأمة على أساس القوم أو المنطقة ، فالله سبحانه وتعالى يعاقبه ، وتتمزق الأمة حينما يقوم أي شخص من الناس أو طبقة من الناس بظلم غيره وأذيته واحتقاره ولا يعطيه حقه .. فمن هنا تتمزق الأمة .

فكيف تتكون الأمة ؟

تتكون الأمة حينما يقوم كل الناس بالعمل الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم وألقى المسئولية على أمته من بعده.

ولا تتكون الأمة بالكتابة والتسبيح فقط ، بل تتكون الأمة بعد أن نقوم

ومكث علي يوم الجمعة والسبت وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان . فلما دفن أحضروا ابن ملجم فاجتمع الناس وجاءوا بالنفط والبواري فقال محمد بن الحنفية والحسين وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب : دعونا نشتف منه فقطع عبد الله يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم فكحل عينيه فلم يجزع وجعل يقول : إنك لتكحل عيني عمك وجعل يقرأ : " إقرأ بسم ربك الذي خلق " حتى ختمها وإن عينيه لتسيلان ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطع فجزع فقيل له في ذلك . فقال : ما ذاك بجزع ولكني أكره أن أبقى في الدنيا فواقا لا أذكر الله فقطعوا لسانه ثم أحرقوه في قوصرة وكان أسمر حسن الوجه أفلج شعره مع شحمة أذنيه وفي جبهته أثر السجود (تاريخ الإسلام للذهبي)

بإصلاح العبادات والمعاملات والمعاشرات والأخلاق ونؤدي الحقوق لأصحابها .. وأكثر من هذا نؤثر الغير على أنفسنا ونضحي بمصالحنا من أجل مصالح الغير .

فالرسول ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وباقي الصحابة رضي الله عنهم قاموا بالتضحية بما كان عندهم ، وتحملوا المشاق وكونوا الأمة المسلمة .

أخرج ابن سعد والبيهقي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قدمت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عند أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بثمان مائة ألف درهم ، فقال لى : بماذا قدمت ؟ قلت : قدمت بثماني مائة ألف درهم ، فقال : أطيب ويلك ؟ قلت: نعم، فبات عمر ليله أرقا (١) حتى إذا نودي بصلاة الصبح قالت له امرأته: ما نمت الليلة ! قال : كيف ينام عمر بن الخطاب ! وقد جاء الناس ، ما لم يكن يأتهم مثله مذ كان الإسلام ، فما يؤمن عمر لو هلك وذلك المال عنده فلم يضعه في حقه ، فلما صلى الصبح اجتمع إليه نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم : إنه قد جاء الناس الليلة ما لم يأتهم مثله مذ كان الإسلام وقد رأيت رأيا فأشيروا علىَّ ! رأيت أكيل للناس بالمكيال ، فقالوا : لا تفعل يا أمير المؤمنين! فالناس يدخلون في الإسلام ويكثر المال ولكن أعطهم على كتاب فكلما كثر الناس وكثر المال أعطيتهم عليه. قال : فأشيروا علىَّ بم أبدأ منهم ؟ قالوا: بك يا أمير المؤمنين ! إنك ولى ذلك الأمر . ومنهم من قال : أمير المؤمنين أعلم . قال : لا ، ولكن أبدأ برسول الله ﷺ ، ثم الأقرب بالأقرب إليه فوضع الديوان على ذلك ، بدأ ببني هاشم والمطلب وأعطاهم جميعا ثم أعطى بني عبد شمس ثم بني نوفل بن عبد

---

١) أى ذهب عنه النوم .

مناف ، وإنما بدأ ببني عبد شمس لأنه كان أخا هاشم لأمه١) .

وعند ابن سعد والطبري : قال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين : قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنوداً فدون ديواناً وجند جنوداً ! فأخذ بقوله فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم رضي الله عنهم وكانوا من نساب قريش ، فقال اكتبوا الناس على منازلهم : فكتبوا فبدأوا ببني هاشم ، ثم اتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه على الخلافة، فلما نظر فيه عمر قال : وددت والله ! إنه هكذا ولكن ابدءوا بقرابة النبي ﷺ الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله (٢) بهذه الطريقة صارت أسرة عمر في آخر القائمة ونصيبهم غير كثير ولكن عمر رضى الله عنه حكم بهذا وجعل قبيلته لأخذ المال في هذه المنزلة .. بهذه التضحيات تكونت الأمة .. وكان كل واحد منهم يجتهد لتوحيد الأمة .

وفى تكوين الأمة وتمزيقها أكبر دور للسان .. فكلمة واحدة تمزق الأمة ، وكلمة واحدة توحد الأمة ، بعض الأحيان يلفظ الإنسان كلمة خاطئة فتكون فيها مفسدة فيتقاتل الناس وتقع الفتنة بينهم ولذا جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا، يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا ، يهوى بها في جهنم " **رواه البخارى**[٣] .

---

١) حياة الصحابة باب الإنفاق - تدوين عمر رضى الله عنه الديوان للعطايا ٢٠٣/٢ .

٢) المرجع السابق .

٣) مشكاة المصابيح - باب حفظ اللسان والغيبة والشتم - ١٣٥٦/٣.

فلابد علينا أن نراعى ألسنتنا، وهذا لا يمكن إلا إذا تصور الإنسان أن الله معه في كل حين ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (١)، يسمع كلامه ويرى مكانه.

ومعروف قصة الأوس والخزرج في المدينة والعداوة التي كانت بينهما ، وعندما هاجر الرسولﷺ إلى المدينة ودخل الأنصار في حظيرة الإسلام تلاشت هذه العداوة ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام ، وكانوا فيما بينهما كالسكر والحليب .. وكالسمن والعسل .. فالأعداء من اليهود حينما شاهدوا ذلك كرهوه جدا وفكروا كيف يقوموا بالتفرقة بينهم مرة أخرى ؟

كان شأس بن قيس اليهودي شيخا فدعا (٢) عظيم الكفر ، شديد الضَّغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، فمر على نفر من أصحاب رسول اللهﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من أُلفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فلما أن جاء الإسلام اصطلحوا وألف الله بين قلوبهم فقال " لقد اجتمع ملأ بني قيلة(٣) بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار ، فأمر فتى شاباً من يهود كان معه فقال : أعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث (٤) وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ، ففعل

---

١) سورة الحديد - الآية ٤.

٢) أى كبير

٣) أم الأوس والخزرج .

٤) بعاث : مكان ويقال حصن وقيل مزرعة عند بنى قريظة على ميلين من المدينة كانت به وقعة بين الأوس والخزرج قتل فيه كثير منهم وانتصرت الأوس على الخزرج وذلك قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بأربعين سنة ، قال الحافظ والأول أصح .

فأنشدهم بعض ما قاله أحد الحيين فى حربهم فكأنهم دخلهم من ذلك شيء فقال الحي الآخرون : وقد قال شاعرنا كذا وكذا ، فقال الآخرون : وقد قال شاعرنا : كذا وكذا ، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا ، حتى تواثب رجلان من الحيين : أوس بن قيظي (أحد بني حارثة بن الحارث) من الأوس ، وجبار بن صخر (أحد بني سلمة) من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جذعة(١) فغضب الفريقان جميعا ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة والحرة ، السلاح السلاح فخرجوا إليها ، فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : " يا معشر المسلمين : الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ، وألف بينكم ، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا ؟ " فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم وعدو الله شأس بن قيس[٢] .

وأنزل الله ﷻ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ

---

١) أى أحدثنا الحرب .

٢) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد - محمد يوسف الصالحى الشامى - ٣/٥٨٠ ، ومختصر تفسير ابن كثير – ١ / ٣٠٦ .

وَأنتم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١) ، فالإنسان عندما يخاف من الله ﷻ ويتقيه فى كل أحواله كما جاء فى الحديث " اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " (٢) ، فالشيطان لا يستطيع أن يضله .. والنتيجة تتحصن الأمة من سائر الفتن ولا تكون الفرقة ، قال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾ (٣) .

الشيطان معكم فما العلاج حتى لا نقع فى حبائل الشيطان ؟

أن نقوم بالدعوة إلى الله ﷻ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أمة يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكَر وَأُوْلَئِكَ هُمُ المفْلِحُونَ ﴾ (٤) ، فلا بد أن تكون فى الأمة طبقة من الناس يكون شغلهم وهمهم الدعوة إلى الله ﷻ وإلى الخير وإلى إنقاذ الناس من المعاصى والمنهيات وبهذا الأمر تكون أمة واحدة .

قال تعالى ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ﴾ (٥) ، فكل أعمال الدين لتوحيد المسلمين ففي الصلاة وحدة ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

---

١) سورة آل عمران - الآية ١٠٢.
٢) رياض الصالحين – باب التقوى.
٣) سورة آل عمران - الآية ١٠٣.
٤) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.
٥) سورة آل عمران - الآية ١٠٥.

ورغب النبيﷺ فى صلاة الجماعة " صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة " (رواه الإمام البخاري) [١].

وجعل المسجد لاجتماع المسلمين .. وفى الصيام وحدة .. وفى أداء الزكاة وحدة .. وفى الحج وحدة لجميع الأقوام والبلدان والجنسيات واللغات ، وكذلك الاجتماع لحلقات التعليم .. وإكرام المسلمين وحسن الخلق كل هذا أسباب للوحدة وتبيض وجوه المؤمنين .

وعكس هذا: الحسد .. البغضاء.. الغيبة. . النميمة.. احتقار المسلم وإيذائه.. كل هذا يمزق الأمة، ويشتتها، وتسود وجه صاحبها، وتجره إلى نار جهنم، قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وَجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وَجُوهٌ ﴾ [٢] ، وكل هذه الآيات نزلت عندما أراد اليهود أن يفرقوا بين الأنصار وينشبوا بينهم العداوة والبغضاء .. وتبين هذه الآيات أن التفريق بين المسلمين من أعمال: الكُفْرْ، وتحذر من عذاب الآخرة واليوم أعداء المسلمين يجتهدون لتفريق الأمة.

وللوقاية علينا أن نقوم بالدعوة إلى الله ، وكل واحد يأتي بأخيه إلى المسجد وتكون في المساجد حلقات التعليم والذكر والتلاوة ومذاكرة اليقين والتشاور للدعوة وعلى جميع الطبقات أن يجتمعوا في المسجد للأعمال كما كان مسجد النبيﷺ ، وإذا اجتمع ثلاثة عليهم أن يراعوا أن رابعهم هو الله يسمع كلامهم ويرى مكانهم ، فبماذا يتكلموا ؟

إذا جلسنا مع بعض فلا نتكلم إلا لصالح الأمة، ولا نتآمر على أحد.

---

١) صحيح البخارى – باب فضل صلاة الجماعة – ١ / ١١٩ .

٢) سورة آل عمران - الآية ١٠٦.

فهذه الأمة كونها النبيﷺ وتحمل الجوع والفاقة والخوف والإيذاء والسب والطرد وإراقة الدماء ، ونحن اليوم نقوم بتمزيقها لمصالحنا الدنيئة .

أيها الأحباب :

عليكم ألا تنسوا أن الله سبحانه وتعالى ما حذر على ترك صلاة الجماعة ، كما حذر على تفريق الأمة .. فاليوم لو يكون المسلمون أمة فلا يستطيع أحد في العالم ، أن يذلهم بل كل واحد يخضع أمامهم.

فإذا اتصفنا بصفة ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ تأتي سنة ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [١] كل واحد يظن أنه صغير أمام أخيه فيتواضع أمامه .

وعلينا أن نمتنع عن النجوى قال تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [٢] حتى لا يظن المسلم بأخيه ظن السوء وعن السخرية﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٣].

وعن إذاعة عيب المسلم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ

---

١) سورة المائدة – الآية ٥٤ .

٢) سورة المجادلة – الآية ١٠ .

٣) سورة الحجرات – الآية ١١ .

أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

فإذا تمسكنا بهذه الأصول نجمع الأمة : والله سبحانه وتعالى .. حض الأمة على الإكرام والاحترام، وأن لا يطلب الإنسان من غيره أن يكرمه، بل يظن كل واحد أنه ليس أهلا للإكرام، بل الكل يستحق منى التكريم والاعتزاز.. فحينما يضع كل واحد منا نفسه ونفيسه تحت أمر الله فتتكون الأمة .. فالعزة والذلة بيد الله ﷻ.

والذى يختار تلك السنن الربانية فالله ﷻ ينزله المكانة العالية، والذي ينحرف عن تلك السنن فالله ﷻ يبيده .. فاليهود من سلالة الأنبياء فلما انحرفوا عن سنن الله فالله ﷻ غضب عليهم ، وضرب عليهم الذلة والمسكنة ، وجعل منهم القردة والخنازير .

والصحابة رضي الله عنهم من نسل عباد الأوثان، ولكنهم قاموا بسنن الله تعالى واحترموها .. فالله أعطاهم الكلمة السامية المسموعة .

فعلينا أن نقوم بهذه الدعوة المباركة، ونبذل من أجلها كل غال ونفيس ، ونتحرك بها فى العالم كله ، ونواظب عليها وبذلك تتكون الأمة.. وتخرج الأمة من كيد النفس والشيطان .. " اللهم أعد للمسلمين مجدهم وعزهم " (٢).

---

١) سورة الحجرات – الآية ١٢ .

٢) آخر بيان للشيخ/ محمد يوسف الكاندهلوى – رحمه الله – وكان من علماء الهند وأمير عمل الدعوة والتبليغ بعد وفاة أبيه الشيخ / محمد إلياس (رحمه الله) .

ويقول الشيخ محمد عمر البالميوري (رحمه الله):

يجب القيام بحق الدعوة الذي افترضه الله تعالى على عباده، والأخذ بكل سبيل يساهم في نجاح الدعوة ونشرها وقبولها، ومن تلك الأسباب أن نحقق الحكمة في الدعوة و اللين مع الآخرين وحفض الجناح لهم والرفق بهم والصبر عليهم وعلى آذاهم والدعاء لهم بطهر الغيب وتخولهم بالموعظة والبش في وجوههم ، تلك هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة مع الآخرين .

الشباب عندهم قوة العمل والشيوخ عندهم قوة الرأي، فلو اجتمع الأمران يحدث النصرة، كذلك يجتمع القدماء مع الجدد على قلب رجل واحد في الدعوة إلى الله تعالى، فالجدد عندهم الحماس، والقدماء عندهم الفكر والحكمة .

كذلك حديث النبي صلى الله عليه و سلم مع حصين والد عمران رضي الله عنهما ...) : إن قريشا جاءت إلى حصين – وكانت تعظمه– فقالوا له: كلم لنا هذا الرجل فإنه يذكر آلهتنا و يسبهم ، فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أوسعوا للشيخ،ـ وعمران وأصحابه متوافرون – فقال حصين: ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم، وقد كان أبوك حصينة و خيرا ؟ فقال صلى الله عليه و سلم : يا حصين كم تعبد من إله ؟ قال: سبعا في الأرض وواحدا في السماء، قال:فإذا أصابك الضر فمن تدعو ؟ قال: الذي في السماء، قال: فإذا هلك المال فمن تدعو ؟ قال: الذي في السماء ، قال: فيستجيب لك وحده و تشركهم معه، أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك ؟ قال : لا ، و لا واحدة من هاتين، قال: يا حصين أسلم تسلم ، قال : إن لي إن لي قوما وعشيرة فماذا أقول ؟ قال: قل اللهم استهديك لأرشد

أمري ، وزدني علما ينفعني ، فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم.

رجل موظف من الوجهاء في الحكومة يلعب الكرة وهو مشهور، وكان داعيا وذهب إلى بعض القرى لزيارة بعضالمحبين المعجبين، وبينما هو يمشي وجد أولادا يلعبون الكرة، فقال في نفسه: أنا عندي الآن نصف ساعة فكيف أدعوهم إلى الله؟ فأخذ يلعب معهم قليلا ثم بعد ذلك تكلم الدعوة، فتأثروا، واستجابوا وذهبوا معه إلى المسجد .

لا نذكر أحد بسوء وهكذا قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

فلا نظن بالشخص السوء ونقول هذا يسافر للخارج مع أن مكسبه قليل من أين يأتي بالمال ؟ هنا ندخل إلى التجسس ثم نغتابه في غيابه ، فهنا لا ننظر لشيء من هذا ، بل ننشغل بأنفسنا ونحاسبها ونهذبها ونعاتبها ، ولو كلمني أحد عن أخيه فأذكره بقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

فنترك هذه الصفات السيئة، فهذا يعمل على جمع القلوب بين الدعاة ، ثم بين

---

١) سورة الحجرات – الآية ١٢ .

٢) سورة الحجرات – الآية ١٢ .

المسلمين عامة فيما بعد ، ولكن لو أنا أبصرت أمرا فهنا لا أذهب مباشرة إلى الشخص وأكلمه إلا لو كان بيننا وبينه محبة و رابطة ، ويكون الكلام خفية ليس أمام الناس، ثم ألاطفه في الكلام ليفهم ، وإذا لم يكن بيننا علاقة فهنا نخبر رجلا بينهما محبة وعلاقة ونظن بها الخير والصلاح على أن يفهمه ويشرح له سرا بينهما، ولا نتكلم بهذا في بيان عام على سبيل ما بال أقوام لأن الناس قد تفهم وتكون مشكلة ، كذلك لا نعرض هذا الأمر في الشورى حتى لا تكون فتنة، مثل رجل يرتدي كرافتة وسط الأحباب فهنا دخل رجل فقال: ما بال أناس يرتدون مثل ذيل الكلب ؟ هنا الجميع ينظر إلى ذلك الرجل ، فهذا ليس (ما بال أقوام) و لكنه (ويل لكل همزة لمزة) والله تعالى ينهى عن هذا ويقول : (ولا تلمزوا أنفسكم) لكن لو رأينا أمرا فيه مخالفة صريحة في الدين فهنا علينا بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

ويقول الشيخ سعيد أحمد(رحمه الله):

هذا العمل العظيم (عمل التبليغ والدعوة إلى الله) مبني على أصول دقيقة، فلا يمكن إصلاح النفس به إلا إذا طبقت فيه تلك الأصول: اختيار التواضع في الكلام وفي الجلسة وفي القيام والأكل والشرب وفي المعاملات والمعاشرة.

فالحاصل أن يكون التواضع في كل شيء.. وخاصة في في الخطاب والبيان، فلا نرى أنفسنا أعلم من غيرنا، ولا نستصغر الناس، بل نتكلم مستصغرين أنفسنا إلا أنه مادمنا تتكلم عن الكبير (أي الله تعالى) فنتكلم بالقوة والعظمة، ولا يكون في كلامنا خفة بل نتكلم عن الكبير معظمين كلام الكبير.

و التعود على هذا الشيء صعب جدا ولكنه ليس بمستحيل.

فلا يظهر في كلامنا لوم ولا اعتراض ولا تنقيد ولا تنقيص على أحد.

ومن التواضع أيضا أنه إذا اعترض علينا أحد في البيان نتحمل ونتحلى بالصبر والحلم، فلا يظهر علينا سخط ولا غضب، وهذه سنة الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا إرتقاء عظيم لنا.

ومن التواضع أيضا أنه إذا نبهنا أحد على تقصيرنا في بعض الأصول أو الصفات كنقص في العلم أو ذكر الله تعالى أو العبادات أو الأخلاق أو نقص في روح التضحية أن نعترف بتقصيرنا على الفور.

ونشكر هذا الناصح على توجيهه هذه النصيحة لنا.

ونسأل الله تعالى أن يزيدنا من هذه الصفات، وقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول (رحم الله امرءا أهدى إلي عيوبي) وفي هذا إصلاح للنفس وارتقاؤها، وبهذا نقبل الحق ولو من المخالفين لنا.

ولكننا بسب ضعفنا نعرض عن سماع الحق منهم، فضلا من أن نقبله منهم.

ويجب أن نعترف بالتقصير وإن لم يظهر لنا تقصير.

وأن ننظر إلى المسلمين عامة نظرة المحبة وأن نراعي نسبة التوحيد فيهم.. وبهذا تزداد عظمة الكلمة الطيبة في القلوب ويسهل العمل بالإسلام.

وإذا جاء في قلوبنا إحتقار المسلمين تنقص عظمة الله في قلوبنا شيئا فشيئا.

و لا نستحسن ما يرتكبه المسلمين من المعاصي بل ننفر منها بدون أن ننفر من المسلمين.

وعلينا أن ننزل الناس منازلهم، ونكرم الناس الذين يجتهدون معنا في هذا السبيل (أي القدماء) أكثر من غيرهم وهذا يورث حقيقة الأخلاق.

فإذا قدر الله وأخطأ أحدهم وقام بعمل من أعمالنا بدون مشورة فتنبيهه على

خطئه يتطلب (حكمة كبيرة جدا) وهذا أمر فيه صعوبة فلا ننبهه قبل الإتصاف بهذه الحكمة المطلوبة.

بل نكتفي بالدعاء له والمذاكرة العامة، وقد يحدث الفساد في قلب القديم غالبا لعدم إكرام أصحابه له.

فلا يزال يبتلى ويمتحن فتارة يصيبه الأذى من الأصحاب وتارة من غيرهم.

فبالصبر على هذه الأحوال يترقى ويصلح، وقد جاء في معنى الحديث: عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحدإلا للمؤمن. فلا ننزعج مما يصيبنا بل نستمر في الدعوة إلى الله على أي حال. وإنما نخاف من غضب الرب وسخطه فقط.

ونداوم على التوبة والإستغفار من زلاتنا، ونخاف من السلب بعد العطاء.. وبهذا نكون ناجحين إن شاء الله.

كما لا بد للداعي من معرفة المناسبة وما تقتضيه من أسلوب الدعوة، فالنبي صلى الله عليه وسلم في بداية أمره قام بالدعوة إلى الله خفية في السنوات الثلاث الأولى حتى نزلت سورة الأمر بالجهر (فاصدع بما تؤمر) عندئذ بدأ صلى الله عليه وسلم بجهر الدعوة فجمع قريشا على الصفا فدعاهم إلى الله.

والذين أسلموا معه في بداية الأمر عليهم بالدعوة بالإخفاء التام ويبدؤون بمن يعرفون.

وخرج الصديق رضى الله عنه وحده فدعا أصدقائه، وكانت هذه الدعوة إنفرادية. والذين أسلموا كانوا يتعلمون ويتشاورون فيما بينهم في دار الأرقم.

وكان تعليمهم آنذاك التوحيد والأخلاق كالصدق والأمانة والمواساة والمروءة والتعاون وغير ذلك من صفات الإيمان. وكان هذا بإخفاء تام.

-وبدأ عهد الدعوة الإجتماعية في المدينة المنورة، بعد وصول مصعب بن عمير رضي الله عنه إليها سفيرا من طرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان بدوره يدعو الناس خفية ويعلمهم القرآن والسنة.

من هذا علم أن المناسبة تحدد نوعية العمل... وكذلك لا بد للداعي من معرفة طبائع الناس كما كان صلى الله عليه و سلم كذلك لما عرض على ابن عمه علي ابن أبي طالب الإسلام قال له علي رضي اله عنه حتى أستشير والدي. فقال له صلى الله عليه وسلم لا تخبره سوء أسلمت أو لم تسلم.. فهو صلى الله عليه وسلم يعرف طبع عمه أبي طالب... فمعرفة طبائع المسلمين ومناسبتهم مع الدعوة واجبة على الداعي كذلك.. فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يسمح لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه بالبقاء معه في مكة، لأن طبعه كان حماسيا لا يقدر على إخفاء الدعوة حتى يأمر الله بالجهر بها بل أمره بالرجوع إلى قبيلته غفار، ومع ذلك ما رجع رضي الله عنه حتى جهر بها و ضرب ضربا شديدا.. وكذلك عمرو بن عبسة رده صلى الله عليه وسلم إلى قبيلته وقال له إرجع إلى قومك حتى تسمع بي قد ظهرت. فرجع إلى قومه وقام فيهم بالدعوة إلى كلمة التوحيد فقط حتى هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم فعندئذ إلتحق به هو وقومه مسلمون.

ولما كان صلى الله عليه وسلم في غار ثور قال لصاحبه الصديق رضي الله عنه لا تحزن إن الله معنا.

ولكن أبي ذر الغفاري وعمرو بن عبسة ما قال لهما إن الله معنا بل أمرهما

بالرجوع إلى قومهما مع أن الله كان مع رسول الله في ذلك الوقت كذلك... والصحابة رضي الله عنهم كانوا هم بدورهم يعرفون المناسبة ونوعية العمل الذي يناسبها على ذلك.

من قصة أبي ذر رضي الله عنه لما جاء في أول الأمر إلى مكة ليدخل في الإسلام وجد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عند الكعبة وأراد أن يأخذه إلى النبي صلى الله عليه و سلم في دار الأرقم فقال له في ما معناه: اتبعني فإذا رأيت شيئا أخاف عليك منه فإني سأجلس كأني أريق الماء وتقدم أنت ماشيا كأنك لا تعرفني، هكذا حتى أدخله على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكيفية مع أن علي رضي الله عنه كان يعلم علم اليقين أن نصرة الله معه وأنه على الحق ورغم ذلك فإنه لم يهمل الحكمة في أخذ الحذر، لأنه كان يعلم المناسبة وما تقتضيه منه.... من هذا علم لا ينبغي للداعي إهمال الحكمة والسير مع العاطفة من غير هدى وبصيرة بدافع أنه على الحق وأن الله معه بالتأييد الغيبي.

بل لا بد له من الوعي والإدراك إلى جانب العاطفة والثقة بالله واليقين على نصرة الله تعالى.

فسير الداعي بالعاطفة وحدها تسبب له الضرر الكبير،فقد تحمله على القدوم على قول أو عمل لا يرضاه الله تعالى ويكون سببا في إيقاع الأمة كلها في مشاكل لا طاقة لها على تحملها.. وكثير من الناس اليوم يقعون في مثل هذه الأخطاء بسبب جهلهم للنظام الرباني الغيبي ثم ينتظرون نصرة الله.

ويشتكون لمذا لا ينصرنا الله ونحن على الحق، ومثال لذلك ما وقع في حادثة الحرم المكي المؤلمة، منهم العلماء قتلوا كلهم، وسجن كثير من الأبرياء الذين لا علاقة لهم بهذا الحادث المؤلم، ومنع الكلام في المساجد في كثير من بلدان الإسلام بعدما كان الدين يزداد في الأمة ويظهر أثره على الشباب في لباسهم ووجوههم وفي النساء في لباسهم

وبدأت صفة الحياء تتولد فيهن، ولكن بسبب الحماس والعاطفة بدون وعي ولا إدراك تغيرت الأحوال.

فعلينا أن نعلم علم اليقين أنه لا بد من الأسلوب الحق والمناسبة الصحيحة لقول الحق والعمل به، وإدراك كل هذا يسمى بالحكمة (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة) فربما الخطأ يكون في الأسلوب وربما يكون في المناسبة.

وهذه الحكمة لا نتحصل عليها إلا في هذا الخروج في هذا السبيل المبارك الدقيق على ترتيبه الصحيح. إذ بدونه لا نعلم كيف ندعوا أبدا. و يجب أن نتدبر في تاريخ دعوات كل الأنبياء و الرسل صلوات الله عليهم أجمعين التي بينها القرآن الكريم. و التي لا يمكن فهم القرآن بدونها أبدا .

كما يجب أن نضع بين أعيننا دائما سيرة الصحابة رضوان الله عليهم التي هي بمثابة الحاشية على السيرة النبوية.

كما يجب استخدام العقل السليم. فبدونه يضل الإنسان في فهم هذه المصادر الثلاث. و يزيغ عن سواء السبيل... و العقل السليم لا يدرك إلا بالحصول على صيفات الإيمان كالتقوى و التوكل و الزهد و القناعة و الصبر و الشكر والصدق و الأمانة والعدل وخوف الله والإنابة إليه وحبه وحب رسوله صلى الله عليه و سلم... فصاحب هذه الخصال هو صاحب العقل السليم و هو الذي يوفقه الله تعالى لفهم القرآن و السنة و سيرة الصحابة فهما سليما... و إلا فربما ينتقل به العقل من الجهل البسيط إلى الجهل المركب (فيضل و يضل) وهذا أكبر مصدر الفساد في العالم نعوذوا بالله تعالى منه.

صفة الإخلاص

وتصحيح النية في جميع الأقوال والأعمال والأحوال البارزة والخفية

قال تعالى:﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (١)(٢).

قال تعالى ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (٣).

وعَنْ أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رَضيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول:" إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى،

---

١) سورة البينة – الآية ٥.

٢) قال العلامة السعدي في تفسيره: أي قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه، {حُنَفَاءَ} أي: معرضين [مائلين] عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد. وخص الصلاة والزكاة [بالذكر] مع أنهما داخلان في قوله {لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ} لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين. (٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في قوله عز وجل :(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء) .قال: وهذا هو حقيقة قول لا إله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل(تيسير الكريم الرحمن)

٣) سورة النساء – الآية ١١٤ .

فمَنْ كانت هجرته إِلَى اللَّه ورسوله فهجرته إِلَى اللَّه ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إِلَى ما هاجر إليه" متفق عَلَى صحته [١].

وعن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال حين بُعث إلى اليمن يا رسول الله أوصنى . قال : أخلص دينك يكفيك العمل القليل " (رواه الحاكم) .

وروى ابن أبى الدنيا بسند منقطع عن عمر ﷺ قال : لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له " (٢).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: لا ينفع قول إلا بعمل، ولا ينفع قول وعمل إلا بنية، ولا ينفع قول وعمل ونية إلا بما وافق السنة (٣).

وعن عبد الله بن المبارك قال: رب عمل صغير تُعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية (٤).

وعن حميد بن عبد الرحمن أن تميماً الدارى أستأذن عمر ﷺ فى القصص سنتين ويأبى عليه فلما أكثر عليه قال: ما تقول ؟ قال: أقرأ عليهم القرآن وآمرهم بالخير وأنهاهم عن الشر . قال عمر: ذلك الذبح . ثم قال : عظ قبل أن أخرج إلى الجمعة فكان يفعل ذلك . فلما كان عثمان ﷺ استزاده فزاده يوماً آخر .

---

١) رياض الصالحين – باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية_ رقم الحديث:(١).

٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب .

٣) المرجع السابق .

٤) المرجع السابق .

وفى رواية قال له : على مثل الذبح ، قال إنى أرجو العاقبة . فأذن له.

وفى رواية قال له أو لرجل غيره أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا (١).

وعن الحسن رحمه الله قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من عبدٍ يخطب خطبة إلا الله ﷻ سائله عنها ما أراد بها ؟ " قال جعفر : كان مالك بن دينار إذا حدث هذا الحديث بكى حتى ينقطع ثم يقول : تحسبون أن عينى تقر بكلامى عليكم ، فأنا أعلم أن الله ﷻ سائلى يوم القيامة ما أردت به . (رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى مرسلا باسناد جيد) (٢).

وخطب عمر بن عبد العزيز يوماً فرقَّ الناس وبكَوْا، فقطع خطبته فقيل له: لو أتممت كلامك رجونا أن ينفع الله به، فقال عمر: إن القول فتنة، والفعل أولى بالمؤمن من القول (٣).

ويقول أبو حفص لأبى عثمان النيسابورى: إذا جلست للناس فكن واعظاً لقلبك ونفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك، والله يراقب باطنك .

وليس معنى ذلك أن تترك الدعوة إلى الله ﷻ خشية الرياء ولكن يجب على كل من قام بعمل الدعوة وتذكير الناس بالله ﷻ بمراقبة قلبه ومجاهدة نفسه على

---

١) تاريخ الإسلام للذهبى – ٢ / ٢٤١ .

٢) كتاب الترغيب والترهيب للمنذري – باب الترهيب أن يعلم ولايعمل بعلمه وبقوله ولايفعله ٦٣/١.

٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى .

الإخلاص والتنزه عن خطرات الرياء ، وذلك بتصحيح النية قبل العمل وأثناء العمل والاستغفار بعد الفراغ من العمل .

قال الحسن رحمه الله: رحم الله عبداً وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر.

معنى الإخلاص:

مراقبة الله في كل الأعمال.

وقيل: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط.

وقيل: الإخلاص هو: كتمان العبادة والحسنات عن الخلق، وهو بذل ما بوسعك لمحبوبك.

وقيل: الإخلاص هو ما أريد به وجه الله تعالى، وهو ضد الرياء.

وقيل:الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله، ولا مجازيا سواه.

وقيل: الإخلاص سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله.

وقيل: الإخلاص تصفية العمل من كل شوب.

وقيل: الإخلاص هو تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين.

وقيل: هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة أن تقصده وحده لا شريك له.

معنى المخلص: هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله عز وجل، ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله.

يكون الإخلاص هو الباعث على العمل ، يعنى أى عمل تعمل تنوى به رضاء الله ﷻ ونكون دائماً فى كل عمل مشغولين بقبول العمل ، فالصحابة رضى الله

عنهم كانوا يعملون ويخافون ألا يُقبل منهم ، فعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (١) أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا يا بنت الصديق ! ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يُقبل منهم أولئك الذين يسارعون فى الخيرات . (رواه الترمذى وابن ماجة) (٢).

مع أنهم﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ كانت أعمالهم مثل الجبال ولكن يخافون الله ﷻ ألا يقبل منهم، وكانوا يتهمون أنفسهم بالنفاق، فعن أبى مليكة رضي الله عنه: يقول أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل.(رواه البخارى).

وقالوا: أنفع الأعمال أن تغيب عن الناس بالإخلاص وعن نفسك بشهود المنَّه (٣).

وقالوا: فر من الناس فرارك من الأسد، ولا تفرح بما يقال عنك، ولا تصدق بما يقال عندك.

مقصد الإخلاص :

١) رضاء الله تعالى.

٢) قبول الأعمال: عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ) (٤).

---

١) سورة المؤمنون – الآية ٦٠ .

٢) مشكاة المصابيح – باب البكاء والخوف - ٣ / ١٤٧٠ .

٣) الفوائد لابن القيم.

٤) رواه النسائي (٣١٤٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٢).

فرب مكثر من الأعمال لا يفيده إلا التعب منها في الدنيا والعذاب في الآخرة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:" رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر"(١).

المخلصون يخفون أعمالهم:

١) عنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ قَالَ فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا فَنَقِبَتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نُعَصِّبُ عَلَى أَرْجُلِنَا مِنْ الْخِرَقِ قَالَ أَبُو بُرْدَةَ فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الْحَدِيثِ ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ قَالَ كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ (٢).

المخلصون خائفون:

روى التِّرْمذي في سُنَنه من حديث عائشة – رضِي الله عنْها – قالت: سألتُ رسولَ الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم – عن هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ (٣)، قالتْ عائشةُ: أهُم الَّذين يشْرَبون الخمر ويسرِقون؟ قال:" لا يا بنتَ الصِّدِّيق، ولكنَّهم الَّذين يَصومون، ويصلُّون،

---

١) رواه ابن ماجه عن ابي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٤٨٢.

٢) صحيح مسلم «كتاب الجهاد والسير» **باب غزوة ذات الرقاع رقم الحديث : (١٨١٦).**

٣) سورة المؤمنون – الآية ٦٠ .

ويتصدَّقون، وهم يَخافون ألا يُقْبَل منهم، أولئِك الَّذين يُسارِعون في الخيرات"[١].

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي – رحمه الله – في تعْليقِه على الآية :﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾؛ أي: وجِلون مشْفقة قلوبُهم، كل ذلك من خشية ربِّهم؛ خوفًا من أن يضَع عليهم عدْلَه فلا يُبقي لهم حسنة، وسوء ظنٍّ بأنفُسِهم ألا يكونوا قد قاموا بحقِّ الله، وخوفًا على إيمانهم من الزَّوال، ومعرفة منهم بربِّهم وما يستحقُّه من الإجلال والإكرام، وخوْفهم وإشفاقهم يُوجب لهم الكفَّ عمَّا يوجب الأمر المخوف من الذنوب، والتَّقصير في الواجبات[٢]

ولقد كان أصحابُ رسول الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم – مع اجتهادهم في الأعمال الصَّالحة، يخشَون أن تحبط أعمالُهم، وألاَّ تُقْبل منهُم؛ لرسوخ علمهم، وعميق إيمانِهم، قال أبو الدَّرداء" :لأَنْ أعلم أنَّ اللَّه تقبَّل منّي ركعتين، أحب إليَّ منَ الدُّنيا وما فيها؛ لأنَّ الله يقول :﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[٣] .

وفي صحيح البخاري: مِنْ حديث أبِي بردة بن أبي موسى الأشْعري، قال: قال عبدالله بن عُمر: هل تدْري ما قال أبِي لأبيك؟ قال: فقلت: لا، قال: قال أبي لأبيك: "يا أبا موسى، هل يسرُّك إسلامُنا مع رسول الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم – وهجرتُنا معه وجهادُنا معه وعملُنا كلّه معه برَد لنا، وأنَّ كلَّ عملٍ عمِلْناه بعدُ نجوْنا

---

١) وصحَّحه الألباني -رحمه الله -في صحيح سنن الترم

٢) تفسير السعدي.

٣) سورة المائدة _ الآية ٢٧.

.

منه كفافًا رأسًا برأْس؟"، فقال أبي: لا والله، قد جاهدْنا مع رسولِ الله – صلَّى الله عليْه وسلَّم – وصلَّينا وصُمْنا وعمِلْنا خيرًا كثيرًا، وأسلم على أيدينا بشَرٌ كثير، وإنَّا لنرجو ذلك، فقال أبي: "لكنِّي أنا والَّذي نفس عُمر بيدِه، لوددتُ أنَّ ذلك بَرَدَ لنا، وأنَّ كلَّ شيءٍ عمِلْناه بعدُ نجوْنا منه كفافًا رأسًا برأْس"، فقلت: إنَّ أباك – والله – خيرٌ من أبي.

والقائل هو أبو بُرْدة، وخاطب بذلك ابنَ عُمر، فأراد أنَّ عُمرَ خيرٌ من أبي موسى، فعُمر أفضل من أبِي موسى؛ لأنَّ مقام الخوف أفضل من مقام الرَّجاء، فالعِلْم مُحيط بأن الآدمي لا يخلو عن تقْصيرٍ ما في كلّ ما يريد من الخير، وإنَّما قال ذلك عمر هضْمًا لنفْسِه، وإلاَّ فمقامه في الفضائل والكمالات أشهر من أن يُذْكَر اهـ.[1].

الشيطان عدو الإخلاص:

١) **قال تعالى:**﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[2]

٢) **قال تعالى:**﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[3].

٣) **قال تعالى:**﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾[4].

---

١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني.

٢) سورة فاطر – الآية ٦.

٣) سورة فاطر – الآية ٦.

٤) سورة يوسف – الآية ٥.

٤) **قال تعالى:**﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١).

٥) وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ (٢).

وقوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ) ليفسد النية والقول والعمل، فإن حسنت نيّتك، دلك على عمل ليس مشروعا تفعله بهذه النية الحسنة، وإن حسن عملك أفسد عليك نيتك، وإن حسنت النية عندك أفسد عليك أسلوبك مع الناس ليوقع العداوة والبغضاء بينك وبينهم ما استطاع الى ذلك سبيلا.

دليل إخلاص الصحابة (رضي الله عنهم):

أن الله أخبر عنهم في القرآن أنه رضي عنهم﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ

---

١) سورة النور – الآية ٢١.

٢) صحيح مسلم » كتاب الأشربة » باب استحباب لعق الأصابع والقصعة وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى وكراهة مسح اليد قبل لعقها _ رقم الحديث ٢٠٣٣.

الْعَظِيمُ ﴾ [١].

علامة الإخلاص:

١) أن يستوي عند العبد المدح والذم، فلا يتأثر بذم ولا مدح.

٢) يملك نفسه عند الغضب، مثل عمر في قصة دخول الحر بن قيس وأقاربه الذين دخلوا علي النبي وطلبوا الإمارة.

٣) عند الشهوة لم يرتكب المعصية، مثل يوسف عليه السلام.

٤) أن يفرح بكل ذي جهد يبرز وإن أخذ مكانه، فلو ظهر من هو أحسنُ منه وعظاً وأغزر منه علماً والناس أشدُ له قبولاً فرح به ولم يحسده، ولا بأس بحسد الغبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثله.

لأنه يعمل لله ويريد للإسلام أن يقوى بكثرة المتميزين فإن حزن لمن تميز وكره أن يظهر في الصورة أكثر وأكثر، فعليه أن يراجع إخلاصه، فإن فرح لكل ذي كفاءة فهو على خير.

٥) أخي الحبيب اجتهد ألا يؤثر في جهدك مكانك بين الأحباب فجهدك لله واحد وإن كنت في آخر الصف فإذا وجدت نفسك يزداد جهدك إذا كنت في المقدمة ويقل إذا كنت في المؤخرة فراجع إخلاصك ورحم الله خالد بن الوليد حين عزله عمر بن الخطاب عن قيادة الجيش فوجدوه يعمل في الجيش بجهد أكبر وكفاءة أكبر فلما سئل عن ذلك قال "إنما أفتح الشام لله لا لعمر بن الخطاب"هكذا لا يشترط أن تجتهد أن تكون أمير الجماعة أو خادمها كما نقول لا والله أنت مجتهد دائما لأنك

---

١) سورة النمل – الآية ٢٤.

تبتغي مرضات ربك.

٦) ولا تيأس وتمل إذا تأخرت الفتوحات وتأخرت الثمرة لأنك لله وحده وليس للنتائج ورحم الله سمية وحمزة ومصعب ماتوا ولم يروا النتائج ولا الثمار فإذا وجدت نفسك تزداد بذل وعطاء كلما رأيت النتائج وتفطر وتمل إذا ساءت النتائج فراجع نيتك.

٧) إذا وجدت نفسك تتجاوب وتتفاعل إذا أخذ باقتراحاتك في المشورة مثلا أو غيرها وتغضب وتثور وتفطر ولا تشارك إذا لم يؤخذ باقتراحاتك وتتهم الآخرين أنهم يتعاونون ضدك رغم أن الأمر أخذ بالشورى فراجع إخلاصك بشدة فكثير من الأحباب يسقطون في هذه النقطة.

٨) ومن إخلاص الداعي: أنه لو حضر الأكابر مجلسه لم يتغير كلامه بل يكون ناظراً للخلق كلهم بعين واحدة ، ولا يتأثر بكثرة الناس حوله ، ولا بقلتهم ، بل يتكلم مع القليل كما يتكلم مع الكثير ، وقد حُكى لنا أن الشيخ محمد إسماعيل (١)" ألقى محاضرة لمدة ثلاث ساعات وبعد أن فرغ من إلقاء المحاضرة وانصرف الناس فإذا برجل يدخل المسجد فوجد الشيخ محمد إسماعيل وهو لا يعرفه ، فقال: يا شيخ: أنا جئت من مسافة ثلاثة عشر كيلو متر لأسمع محاضرة الشيخ محمد إسماعيل ، فقال له الشيخ محمد إسماعيل أتحب أن أسمعك الذى قاله الشيخ محمد إسماعيل ؟ قال : نعم . فجلس معه الشيخ محمد إسماعيل لمدة ثلاث ساعات يلقى عليه المحاضرة (وهذا دليل الإخلاص) .

---

١) هو أحد علماء الهند الأجلاء ووالد الشيخ إلياس مؤسس جماعة التبليغ والدعوة.

٩) وأن لا يطلب من وراء دعوته أجر (مال – شهرة – جاه – منصب .. الخ) ، قال تعالى ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِين ﴾ (١).

١٠) قال الشيخ / محمد يوسف الكاندهلوي – رحمه الله : علامات الإخلاص المداومة على الأعمال حتى الموت .

١١) لما يأتي الإخلاص عند الإنسان . يأتي عنده التمييز .. فسيدنا على ﷺ عندما أراد أن يقتل الذي قتل تسعة وأوجع فى المسلمين .. فالتفت وبصق فى وجه الإمام على كرم الله وجهه ، فتركه بعد أن ظفر به فسأله الرجل : لماذا تركتني ؟! قال : كنت أريد أن أقتلك أولاً لله .. ثم تغيرت النية للثأر لنفسي .. فأسلم الرجل .

١٢) أستغفرك من كل عملٍ عملته لك ثم خالطته النية لغيرك .. (دعاء) .

١٣) نجعل حال سر وحال علن، هناك شيطان يخرج العمل من السر إلى العلن .. فإذا خرج للعلن يباهى به يخرجه من ديوان السر للعلن حتى يبطله.. يكون لنا عمل فى السر ولا حرج أن يكون لنا عمل فى العلن .

١٤) الثلاثة الذين دخلوا الغار وأطبقت عليهم الصخرة وقالوا: ادعوا الله ﷻ بصالح أعمالكم .. فلولا الإخلاص كيف يكون مصيرهم.

١٥) سُئِلَ الشيخ العز بن عبد السلام الدمشقي: عن العمل الذي ينبغي تركه خوف الشهرة ؟.

فأجاب رحمه الله : الأعمال ثلاثة أقسام :

---

١) سورة الحج - الآية ٧٨.

أحدها : ما شرع فى السر والخفاء: كقيام الليل وإسرار الذكر والدعاء فهذا لا يظهره ولا يجهر به لأنه إذا أظهره فقد خالف سنته مع تعريضه للسمعة والرياء .

الثانى : ما شُرع علانية كالأذان وتشييع الجنائز والجهاد والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والولايات الشرعية (كالقضاء والإمامة) فهذا لا يتركه خوف الرياء والفتنة بل يأتي به ويجاهد نفسه فى دفع الفتنة والرياء وعلى هذا أدرج السلف والخلف .

الثالث : ما خير الشرع فيه بين الإظهار والإخفاء : كالصدقات فإنه قال جل وعلا ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (١).

فهذا إخفاؤه خير من إظهاره لما فيه من الحزم ، وحفظ الأجر ، عن خواطر الرياء ، إلا أن يكون مظهره ممن يقتدى به فيه إذا أظهره وهو قوى على ضبط نفسه وحفظها من الشبهة والرياء كمن تصدق بدرهم على فقير مثلاً فاقتدى به في التصدق عليه فهذا إظهاره أفضل لأنه أمن من الرياء فتسبب إلى التوسعة على الفقراء وإلى مثوبة من تصدق عليهم من الأغنياء وفى الحديث من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها (٢).

---

١) سورة البقرة – من الآية ٢٧١ .

٢) فتاوى العز بن عبد السلام .

الإخلاص يظهر عند الشدائد:

١) **النبي وأبو بكر في الغار** (لا تحزن إن الله معنا).

٢) **إبراهيم عليه السلام: حينما أُلقي في النار قال:** (حسبي الله ونعم الوكيل).

٣) **موسي (عليه السلام)** (كلا إن معي ربي سيهدين) .

٤) **في الأحزاب:** ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾[1].

٥) **وفي حمراء الأسد:** ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

٥) **الثلاثة الذين دخلوا الغار:** وعن أبي عَبْد الرَّحمَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يَقُولُ:" انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ نفر مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجبلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللهَ تعالى بصالح أَعْمَالكُمْ . قال رجلٌ مِنهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ ، وكُنْتُ لاَ أَغبِقُ قبْلهَما أَهْلاً وَلا مالاً فنأَى بي طَلَبُ الشَّجرِ يَوْماً فَلَمْ

---

١) سورة الأحزاب – الآية ٢٢.

(٢) سورة آل عمران – الآيتان ١٧٢ ، ١٧٣ .

أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلبْت لَهُمَا غبُوقَهمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمِيْنِ ، فَكَرِهْت أَنْ أُوقظَهمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يدي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قدمي فَاسْتَيْقظَا فَشَربَا غَبُوقَهُمَا . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَة ، فانْفَرَجَتْ شَيْئاً لا يَسْتَطيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْه. قال الآخر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانتْ لِيَ ابْنَةُ عمٍّ كانتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ » وفي رواية : « كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشد مَا يُحبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءِ ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ففَعَلَت ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا » وفي رواية :" فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا ، قَالتْ: اتَّقِ اللهَ ولا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ ، فانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتركْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطَيْتُهَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعْلتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.وقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجرَاءَ وَأَعْطَيْتُهمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذي لَّه وذهب فثمَّرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجائني بعد حين فقال يا عبد الله أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى منْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَم وَالرَّقِيق فقال: يا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتهْزئ بي، فَقُلْتُ: لاَ أَسْتَهْزِئُ بك، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْه شَيْئاً، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ

فخرَجُوا يَمْشُونَ » متفقٌ عليه .

٦) **خالد بن الوليد** لما عُزل عن قيادة الجيش لم يتغير وظل يعمل جنديا.

قصص في الإخلاص:

- **نجاة يوسف الصديق بالاخلاص:**

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

- **نجاة يونس عليه السلام بالإخلاص:**

قال تعالى:﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

- **موسي عليه السلام يناجي ربه:**

عن أبي سعيد، عن النبي أنه قال:قال موسى: يا رب علمني شيئًا أذكرك به وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله.قال: يا رب كل عبادك يقول هذا.قال: قل: لا إله إلا الله.قال: إنما أريد شيئًا تخصني به.قال: يا موسى لو أن أهل السموات السبع، والأرضين السبع، في كفة ولا إله إلا الله في كفة،

---

١) سورة يوسف – الآية ٢٤.

٢) سورة الأنبياء – الآيتان ٨٧ ، ٨٨.

مالت بهم لا إله إلا الله. رواه الحاكم وابن حبان.

- **إخلاص رجل من الأعراب:**

عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ثُمَّ قَالَ أُهَاجِرُ مَعَكَ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيًا فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا هَذَا قَالَ قَسَمْتُهُ لَكَ : قَالَ مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: إِنْ تَصْدُقْ اللَّهَ يَصْدُقْكَ فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهُوَ هُوَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ(١).

- **إخلاص سعد بن معاذ ﷺ:**

سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابْن النُّعْمَان بْن اِمْرِئِ الْقِيس بْن عَبْد الْأَشْهَل ، وَهُوَ كَبِير الْأَوْس ، أسلم وهو بن ثلاثون سنة، علي يد مصعب بن عمير، حين بعثه

(١) سنن النسائي « كتاب الجنائز « الصلاة على الشهداء _ رقم الحديث (١٩٥٢) ٢/ ٤٩٧، والبيهقي في سننه ٦٦/٤.

رسول الله ليهيئ له أهل المدينة قبل هجرته إليها، ولما أسلم رجع إلي قومه فقال: يا بني عبد الأشهل: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة. قال: فإنَّ كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا إمرأة إلا مسلماً أو مسلمة(١).

ولما أسلم سَمِعَتْ قُرَيْشًا هَاتِفًا عَلَى أَبِي قَبِيسٍ يَقُولُ :

فَإِنْ يُسْلِمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحْ مُحَمَّدٌ ... بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَنِ السَّعْدَانِ ؟ سَعْدُ بَكْرٍ، سَعْدُ تَمِيمٍ ؟

فَسَمِعُوا فِي اللَّيْلِ ، الْهَاتِفَ يَقُولُ :

أَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا ... وَيَا سَعْدُ سَعْدَ الْخَزْرَجِينَ الْغَطَارِفِ

أَجِيبَا إِلَى دَاعِي الْهُـــدَى وَتَمَنَّيَا ... عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عَارِفِ

فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ لِلطَّـــالِبِ الْهُدَى ... جِـــنَانٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتُ رَفَارِفِ

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: هُوَ وَاللَّهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ (رضي الله عنهما) (٢).

وكان النبي ﷺ لا تفوته مشاورة السعدين.. وشهد بدرا وأحدا والخندق وفي كل ذالك يجاهد في سبيل الله مخلصا مع رسوله، ومات سنة ست من الهجرة بعد غزوة بني قريظة، فقد رماه يوم الخندق حبان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي، بسهم في أكحله، فلما أصابه قال: خذها وأنا ابن العرقة ، فقال سعد: عرق الله وجهك في النار، ثم عاش سعد بعد ما أصابه السهم نحوا من شهر ، حتى حكم في بني قريظة بأمر رسول الله ﷺ ورجع إلى مدينة رسول الله ﷺ ، ثم انفجر كلمه فمات

(١) حياة الصحابة للكاندهلوي.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي.

ليلا ، فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ ، فقال له : من هذا الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له عرش الرحمن ؟ « فخرج النبي ﷺ إلى سعد فوجده قد مات » .

وهو ابن ست وثلاثون، فعاش في الإسلام (ست سنوات)، مخلصا لدينه مجاهدا مع نبيه ﷺ .

سنوات قلائل لكن ممزوجة بالإخلاص، فعند موته اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِه، فعَنْ جَابِرٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ" متفق عليه(١).

والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه، يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتز له، ومنه اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت.

ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ " اهْتَزَّ العَرْشُ فرحا به " لكنه تأوله كما تأوله البراء .

وعَنْ أَنَسٍ ، قَالَ: لَمَّا حُمِلَتْ جِنَازَةُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، قَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَخَفَّ جِنَازَتَهُ، وَذَلِكَ لِحُكْمِهِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : "إِنَّ الْمَلائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ " رواه الترمذي(٢).

وقيل : المراد باهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش .. ويؤيده حديث "إن جبريل قال : من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واستبشر به أهلها "

---

(١) صحيح مسلم « كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ « بَاب مِنْ فَضَائِلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّه ، ورواه البخاري: بلفظ : اهْتَزَّعَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

(٢) مشكاة المصابيح « كتاب المناقب والفضائل « باب جامع المناقب.

أخرجه الحاكم.(١).

وقيل : هي علامة نصبها الله لموت من يموت من أوليائه ليشعر ملائكته بفضله.

وعن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها قالت: لما مات سعد بن معاذ صاحت أمه، فقال لها رسول الله ﷺ : ألا يرقأ (يسكن ويجف وينقطع بعد جريانه) دمعك، ويذهب حزنك، فإن ابنك أول من ضحك الله إليه واهتز له العرش (٢).

- **عثمان وبيعة الرضوان:**

في الحديبية: النبي ﷺ بايع الصحابة علي الموت عندما أشيع أن أهل مكة قتلوا عثمان ، فعَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" مَنْ صَعِدَ الثَّنِيَّةَ ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ " ، قَالَ جَابِرٌ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا بَنِي الْخَزْرَجِ ، ثُمَّ تَتَامَّ النَّاسُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" كُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلا صَاحِبَ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ "، فَقُلْنَا: تَعَالَ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: لأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ، وَإِذَا هُوَ يُنْشِدُ ضَالَّةً ، لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ إِلا مُعَاذُ . ".رواه مسلم والحاكم في المستدرك علي الصحيحين.

---

(١)المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٣ / ص ٢٦٠.

(٢)المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٣ / ص ٢٦٣.

النبي بايع لعثمان ضرب بيده علي يده الأخري وقال هذه لعثمان ، لأنه غائب ولكن نيته لله، بخلاف جد بن قيس حاضر وليس نيته لله.

● **قزمان:** كان قزمان من المنافقين وكان قد تخلف عن أحد، فلما أصبح عيره نساء بني ظفر فقلن: يا قزمان، قد خرج الرجال وبقيت يا قزمان، ألا تستحيي مما صنعت ؟ ما أنت إلا امرأة خرج قومك فبقيت في الدار فأحفظنه فدخل بيته فأخرج قوسه وجعبته وسيفه – وكان يعرف بالشجاعة – فخرج يعدو حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يسوي صفوف المسلمين فجاء من خلف الصفوف حتى انتهى إلى الصف الأول فكان فيه .

وكان أول من رمى بسهم من المسلمين.. فجعل يرسل نبلا كأنها الرماح وإنه ليكت كتيت الجمل . ثم صار إلى السيف ففعل الأفاعيل حتى إذا كان آخر ذلك قتل نفسه . وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره قال من أهل النار.

فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول الموت أحسن من الفرار يا آل أوس قاتلوا على الأحساب واصنعوا مثل ما أصنع قال فيدخل بالسيف وسط المشركين حتى يقال: قد قتل ثم يطلع ويقول أنا الغلام الظفري حتى قتل منهم سبعة وأصابته الجراحة وكثرت به فوقع ، فمر به قتادة بن النعمان فقال أبا الغيداق قال له قزمان : يا لبيك قال هنيئا لك الشهادة قال قزمان: إني والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ما قاتلت إلا على الحفاظ أن تسير قريش إلينا حتى تطأ سعفنا .

فذكر للنبي ﷺ جراحته فقال:" من أهل النار ". فأندبته الجراحة فقتل نفسه،

فقال رسول الله ﷺ :" إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" (١).

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ وَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ فَأَثْبَتَتْهُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي تَحَدَّثْتَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَدْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَشَدِّ الْقِتَالِ فَكَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَرْتَابُ فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ وَجَدَ الرَّجُلُ أَلَمَ الْجِرَاحِ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِنَانَتِهِ فَانْتَزَعَ مِنْهَا سَهْمًا فَانْتَحَرَ بِهَا فَاشْتَدَّ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَدَّقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ قَدْ انْتَحَرَ فُلَانٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بِلَالُ قُمْ فَأَذِّنْ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ (٢).هذا لفظ البخاري، وفي رواية مسلم: قال رسول الله ﷺ:" الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله ثم أمر بلالا فنادى في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر" (٣).

---

(١) كتاب المغازي للواقدي _ غزوة أحد _ ٢٢٤/١.

٢) صحيح البخاري _ كتاب القدر _ باب العمل بالخواتيم رقم الحديث : () ، وفي غزوة خيبر رقم (٣٩٧٦) ، وفي باب إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (٢٨٩٧).

٣) صحيح مسلم _ كتاب الإيمان _ باب. باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة رقم الحديث (١١١).

● **بإخلاص عمر بن الخطاب ﷺ رزقه الله الشهادة:**

أخرج الطبراني، ابن عساكر عن قيس بن أبي حازم قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس ذات يوم فقال في خطبته: إنَّ في جنات عَدْن قصراً له خمس مائة باب، على كل باب خمسة آلاف من الحور العين، لا يدخله إلا نبي. ثم التفت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هنيئاً لك يا صاحب القبر. ثم قال: أو صدِّيق، ثم التفت إلى قبر أبي بكر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك يا أبا بكر. ثم قال: أو شهيد، ثم أقبل على نفسه فقال: وأنَّى لك الشهادةُ يا عمر؟ ثم قال: إنَّ الذي أخرجني من مكة إلى هجرة المدينة قادر أن يسوق إليّ الشهادة. كذا في كنز العمال . وزاد في مجمع الزوائد عن الطبراني: قال ابن مسعود رضي الله عنه: فساقها الله إليه على يد شرّ خلقه عبد مملوك للمغيرة. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير شَرِيك النَخَعي وهو ثقة، وفيه خلاف ا هـ.

وأخرج البخاري عن أسْلَم عن عمر رضي الله عنه: اللهم إرزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم وأخرجه الإسماعيلي عن حَفْصَة رضي الله عنها قالت: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: اللهم قتلاً في سبيلك، ووفاةً ببلد نبيك صلى الله عليه وسلم قالت: فقلت: وأنّى يكون هذا؟ قال: يأتي به الله إذا شاء. كذا في فتح الباري .

ويقول الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وفي كتاب المحاربين، وفي كتاب فضائل الصحابة، يقول رحمه الله: حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال: حدثنا عبد الواحد ، قال: حدثنا معمر ، عن الزهري رحمه الله عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس حبر القرآن وترجمانه، رضي الله عنهما

قال: كنت حججت في آخر حجة حجها عمر رضي الله عنه وأرضاه، قال: وكنت في خيمتي في منى أقرئ الصحابة –أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام من المهاجرين والأنصار– فدخل عليّ عبد الرحمن بن عوف ، وكنت أقرئهُ القرآن قال: فلما دخل عليّ قال: يا ابن عباس ! أما تدري ماذا حدث اليوم؟ قلت: لا والله، قال: إن رجلاً أتى عمر أمير المؤمنين يزعم أنه سمع رجلاً يقول: إذا مات عمر أو قتل بايعت فلاناً بالخلافة، قال: فغضب عمر ، وقال: سوف أقوم في أهل منى –الحجاج– وأتكلم فيهم عن هؤلاء الذين يغصبوهم أمورهم، قال عبد الرحمن بن عوف وهو يتكلم مع ابن عباس فقلت لعمر: يا أمير المؤمنين! لا تقم في منى ، فإن منى فيها الغوغاء وفيها رعاع الناس، وسوف يحملون كلامك على غير محمله، ويطيرون به في الآفاق، ولكن اصبر وتمكن، فإذا رجعت إلى المدينة المنورة ، التي هي دار الهجرة، وفيها السنة وأهل الخير ووجوه الناس، فقل ما تشاء أن تقول، وأنت متمكن، قال عمر : إي والله، والله (إن شاء الله) لأقومن أول قدومي على المنبر في المدينة فأخبر الناس بهذا الأمر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما رجعنا من تلك الحجة رأيت عمر عند الجمرات، وقد اضطجع على ظهره ورفع يديه – بعدما انتهى من الحج، وقد شاب رأسه، وطال عمره– وقال: اللهم إني قد رق عظمي ودنا أجلي، وكثرت رعيتي، اللهم فاقبضني إليك غير مفرط ولا مفتون، ثم قال: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك، وموتة في بلد رسولك ، فأخبروا ابنته حفصة رضي الله عنها وعن أبيها، فقالت: يا أبتاه! أتسأل الشهادة في المدينة ؟ قال: إي والله يا بنية! قال: فعاد رضي الله عنه وأرضاه، فلما كان في آخر جمعة – آخر جمعة يصلي فيها عمر بالناس ويقوم فيهم خطيباً– قال ابن عباس : فبكرت

بعد أن زاغت الشمس –هذا تبكير عند ابن عباس وهذه رواية البخاري – قال: فلما زاغت الشمس بكرت فأتيت المسجد بجوار سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المبشرين بالجنة، قال: فجلست بجانبه وركبتي تصتك في ركبته، فقلت له: ليقولن عمر اليوم كلاماً ما قاله قبل اليوم، فقال سعيد بن زيد : ماذا عساه أن يقول؟ وأنكر عليّ، قال: فرأيت عمر رضي الله عنه وأرضاه أقبل، فصعد المنبر وسلم على الناس، فلما انتهي المؤذن من أذانه، قام عمر آخر قومة قامها في المسلمين فقال: السلام عليكم ورحمة الله بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: أيها الناس! إنه كان فيما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الله حد الثيب المحصن إذا زنى فإنه يرجم، والذي نفسي بيده لقد قرأناها وأقرأناها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فيما أنزل عليه في الكتاب –أي: في القرآن– (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) وإني أخشى إذا طال بكم الأمد أن ينكرها قوم فيضلوا، فو الله لقد أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي، ثم قال: أيها الناس! إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ولكن أنا عبد الله ورسوله، فقولوا: عبد الله رسوله.

ثم قال: أيها الناس! إنني سمعت أن بعضكم يقول: لو مات عمر بايعت فلاناً، وفي صحيح مسلم (وإني قد علمت أن أقواماً يطعنون في هذا الأمر أنا ضربتهم بيدي هذه على الإسلام فإن فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الكفرة الضلال، وسمعت أنهم يقولون: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها، وأبو بكر لا يشق له غبار، ولا تضرب أعناق الإبل لمثل

أبي بكر ، ثم بدأ يسوق القصة، قال: أتدرون ما خبرنا وخبر أبي بكر لما بويع بالخلافة؟ فسكت الناس، قال: لما توفي الرسول عليه الصلاة والسلام اجتمعنا حول مسجده صلى الله عليه وسلم وكثر اللغلط واللهج وارتفع البكاء، فظننت والله أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يموت في ذاك اليوم حتى يدبرنا، قال: فلما تيقنت الخبر، أتانا رجلان صالحان من الأنصار، وقد علما أن الرسول عليه الصلاة والسلام توفي، فقالا لنا (الأنصاريان) قالا لأبي بكر ولعمر ولأبي عبيدة – : أدركوا الأنصار فقد اجتمعوا في سقيفة بني ساعده، يريدون أن يؤمروا أميراً منهم بالخلافة، وهو سعد بن عبادة ، فقلت لأبي بكر : اذهب بنا، قال أبو بكر : لا تدخل بنا عليهم، قال عمر : والله لندخلن عليهم وما عسى أن يصنعوا، قال: فدخلنا عليهم جميعاً فلما جلسنا، قال عمر: كنت زورت في صدري كلاماً – أي: خطبة زورها وهيأها وجهزها في صدره– قال: وكنت أرى بعض الحدة – بعض الغضب– في أبي بكر وخشيت منه، وأوقره لمكانته في الإسلام، فأردت أن أتكلم فقال: اسكت، قال: ثم اندفع يتكلم على البديهة، والله ما ترك كلمة كنت زورتها في صدري إلا أتى بأحسن منها.قال الشافعي بسنده: حدثنا الثقة عن الشعبي أنه قال: لما اجتمع أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه بالأنصار، اندفع خطيباً فأثنى على الله عز وجل وحمده وصلى على الرسول عليه الصلاة والسلام، وقال: أمَّا بَعْد: فأنتم أحسنتم وكفيتم وآويتم ونصرتم، فجزاكم الله عن الإسلام خير الجزاء، والله يا معشر الأنصار! ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال طفيل الغنوي :

جزى الله عنا جعفراً حيث أشرفت ... بنا نعلنا في الشارفين فزلـتِ
هم خلطونا بالنفـــوس وألجئوا ... إلى غرفات أدفأت وأظـــلتِ

أبوا أن يملـــونا ولو أن أمنـــا تلاقي الذي يلقون منا لملتِ

ثم قال: يا عمر ! ابسط يدك لأبايعك، قلت: والله لا أبايع بالخلافة في قوم أنت منهم، ولأن أقدم فيضرب رأسي في غير محرم أحب إليَّ من أن أتقدم بقوم فيهم أبو بكر، فقال: يا أبا عبيدة! ابسط يدك أبايعك بالخلافة، قال: لا والله، قلنا: ابسط يدك يا أبا بكر ! فبطها فبايعناه فأخذ الأنصار يبايعون معنا، وسعد بن عبادة مريض مزمل في ثيابه، وهو من ساداتهم.

فيقول قائلهم وهو الحباب بن المنذر : أتيتكم برأي، قلنا: وما هو؟ قال: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير، فرفضنا هذا الرأي وبايع الأنصار أبا بكر ، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة وهو في ثيابه، قال عمر : قتله الله! فلما بايعوا أبا بكر ، عاد إلى المسجد، فتكلم عمر قبله، وأثنى على أبا بكر ، قال أنس : فرأيت عمر يجذب بكم أبي بكر ويزعجه إزعاجاً إلى أن قام وبايع الناس وهو يبكي ويده ترتعد رضي الله عنه وأرضاه من هول الموقف، وعمر يأخذ بيد أبي بكر وهو يبايع الناس، قال ابن عباس : ثم عاد عمر إلى حديثه في الخطبة قال: وإني رأيت البارحة فيما يرى النائم أن ديكاً ينقرني ثلاث نقرات، فسألت أسماء بنت عميس الخثعمية ، فأخبرتني أنني سوف أقتل، فالله المستعان، وسوف أطعن ثم غلبه البكاء، فغلب الناس البكاء، فما هي إلا ليلة، فبينما عمر يصلّي بالناس صلاةَ الفجر، إذ طعنه أبو لؤلؤةَ المجوسي لعنه الله، وطعن معه ثلاثةَ عشر رجلا، وتناول عمر يدَ عبد الرحمن بن عوف فقدّمه ليتمّ الصلاة، وأهلُ المسجد لا يدرون ما يجرِي إلا من كان خلفَ عمر، غيرَ أنهم

فقدوا صوتَ عمر وهم يقولون: سبحان الله! سبحان الله! فصلّى بهم عبد الرحمن صلاةً خفيفة، فلمّا انصرفوا قال عمر: يا ابن عباس، انظر من قتَلني، فذهب ابن عباس ثم عاد فقال: قتلك غلامُ المغيرة، قال عمر: سامحه الله، لقد أمرتُ به معروفا، الحمد لله الذي لم يجعل ميتَتي بِيَد رجُلٍ يدّعي الإسلام، فاحتمل إلى بيته فانطلَقنا معه وكأن الناس لم تصِبهم مصيبة قبل يومئِذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بشراب فشربه فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميّت، فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شابّ فقال: أبشر -يا أمير المؤمنين- ببشرى الله لك من صحبة رسول الله وقدمٍ في الإسلام ما قد علمت، ثمّ ولِّيتَ فعدَلت، ثم شهادة، قال عمر: ودِدتُ أنّ ذلك كفاف، لا لي ولا عليّ، ثم دعا ابنه عبد الله فأمره أن يقضيَ ما عليه من الديون، ثم أمره أن ينطلقَ إلى عائشة ليستأذنها في أن يدفَنَ مع صاحبَيه، فأذنت له وآثرته بالمكان على نفسها، فلمّا رجع عبد الله وأخبر عمر الخبر قال عمر: إن أنا قضيتُ فاحملوني ثم سلّم فقل: يستأذنُ عمر بن الخطاب، فإن أذِنت فأدخلوني، وإن ردّتني ردّوني إلى مقابر المسلمين.

ولقي ربه شهيدا كما تمني..اللهم ارزقنا عيش السعداء وموت الشهداء.

- **إخلاص عبد الله بن جحش:**

أخرج الطبراني عن سعد بن أبي وقاص أن عبد الله بن جحش قل له يوم أُحد: ألا تدعو الله؟ فَخَلَوا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب، إذا لقيت العدوّ فلقّني رجلاً شديداً بأسُه، شديداً حَرَدُه، أقاتله ويقاتلني، ثم إرزقني الظفر عليه، حتى أقتله وآخذ سَلَبه؛ فأمَّن عبد الله بن جحش. ثم قال: اللهم، إرزقني رجلاً

شديداً حَرَدُه، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلتَ: من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم فتقول: صدقتَ. قال سعد: يا بُنيّ، كنت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار، وإن أنفه وأذنه لمعلَّقان في خيط. قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ا هـ وهكذا أخرجه البغوي كما في الإصابة ، وابن وَهْب كما في الإستيعاب ؛ والبيهقي ـ مثله: وهكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية ، إلا أنه لم يذكر دعاء سعد، واقتصر على دعاء عبد الله.

وأخرجه الحاكم عن سعيد بن المسيِّب قل: قال عبد الله بن جحش رضي الله عنه: اللهم إنِّي أُقسم عليك أن ألقى العدوّ غداً، فيقتلوني ثم يبقروا بطني، ويجدعوا أنفي وأذني، ثم تسألني بمَ ذاك؟ فأقول: فيك. قال سعيد بن المسيِّب: إني لأرجو أن يبرّ الله آخر قسمه كما برّ أوله. (١).

● **أصيرم بني عبد الأشهل**: كان أَبِو هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ سَأَلُوهُ مَنْ هُوَ فَيَقُولُ أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ قَالَ الْحُصَيْنُ فَقُلْتُ لِمَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ كَيْفَ كَانَ شَأْنُ الْأُصَيْرِمِ قَالَ كَانَ يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ بَدَا لَهُ الْإِسْلَامُ فَأَسْلَمَ فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَغَدَا حَتَّى أَتَى الْقَوْمَ، فَدَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ قَالَ فَبَيْنَمَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ

---

١) قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه. وقال الذهبي: مرسل صحيح ـ ا هـ وهكذا أخرجه ابن شاهين، وابن المبارك في الجهاد، كما في الإصابة ، وأبو نُعَيم في الحلية ، وابن سعد . .

قَتْلَاهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ فَقَالُوا وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَلْأُصَيْرِمُ وَمَا جَاءَ لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُنْكِرٌ هَذَا الْحَدِيثَ فَسَأَلُوهُ مَا جَاءَ بِهِ قَالُوا مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو أَحَرْبًا عَلَى قَوْمِكَ أَوْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ قَالَ بَلْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَسْلَمْتُ ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي قَالَ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:" **إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ** "[1].

- **مخيريق يهود**: قال ابن اسحاق: وكان ممن قتل يومئذ مخيريق، وكان أحد بني ثعلبة بن الفيطون، لما كان يوم أحد قال : يا معشر اليهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا :إن اليوم يوم السبت ، قال: لا سبت .. فأخذ سيفه وعدته وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلي رسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل، فقال رسول الله ﷺ فيما بلغنا: " مخيريق خير يهود "[2] ، فكل شئ مداره علي النية.
- **سعيد بن المسيب** رضي الله عنه ورحمه الله رحمة واسعة، وهو الذي ما فاتته تكبيرة الإحرام في المحراب في الروضة ستين سنة، في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- **جريج العابد نجاه الله بالإخلاص:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ كَانَ

---

١) مسند أحمد - بَاقِي مُسْنَدِ الْأَنْصَارِ- إنه لمن أهل الجنة .

٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٣٣١/١.

يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي فَقَالَتْ :اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي! قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ: لَا إِلَّا مِنْ طِينٍ..." **رواه البخاري ومسلم**.

- **حكاية عابد من بني إسرائيل:**

يحكي أن عابداً كان يعبد الله دهراً طويلاً فجاءه قوم فقالوا: إن ههنا قوماً يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال: أين تريد رحمك الله قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة قال: وما أنت وذاك! تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك! فقال: إن هذا من عبادتي قال: إني لا أتركك أن تقطعها فقاتله فأخذه العابد فطرحه إلى الأرض وقعد على صدره فقال له إبليس: أطلقني حتى أكلمك فقام عنه فقال إبليس: يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك! وما تعبدها أنت وما عليك من غيرك ولله تعالى أنبياء في أقاليم الأرض ولو شاء لبعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها! فقال العابد: لا بد لي من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز إبليس فقال له: هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع قال: وما هو قال: أطلقني حتى أقول لك فأطلقه فقال إبليس: أنت رجل فقير لا شيء لك إنما أنت كل على الناس يعولونك

ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس! قال: نعم قال: فارجع عن هذا الأمر ولك على أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهما فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على إخوانك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئاً ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها! فتفكر العابد فيما قال وقال: صدق الشيخ! لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصياً بتركها وما ذكره أكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد إلى متعبده فبات فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئاً فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال له: إلى أين قال: أقطع تلك الشجرة فقال: كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها قال: فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة فقال: هيهات فأخذه إبليس وصرعه فإذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد إبليس على صدره وقال: لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك فنظر العابد فإذا لا طاقة له به قال: يا هذا غلبتني فخل عني وأخبرني كيف غلبتك أولاً وغلبتني الآن فقال: لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك(١).

- **قصة غازي في سبيل الله:**

يروى عن بعضهم قال: غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت: أشتريها فأنتفع بها في غزوي فإذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرأيت تلك

---

١) تلبيس إبليس لابن الجوزي.

الليلة في النوم كأن شخصين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه: اكتب الغزاة فأملي عليه خرج فلان متنزهاً وفلان مرائياً وفلان تاجراً وفلان في سبيل الله ثم نظر إلي وقال: اكتب فلان خرج تاجراً فقلت: الله الله في أمري! ما خرجت أتجر وما معي تجارة أتجر فيها ما خرجت إلا للغزو فقال: يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح بها فبكيت وقلت: لا تكتبوني تاجراً فنظر إلى صاحبه وقال: ما ترى فقال: اكتب خرج فلان غازياً إلا أنه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى.

● **ورؤي بعضهم في المنام فقيل له:** كيف وجدت أعمالك فقال: كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان لفظتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رأيت له ثواباً، فقلت: موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل لي: إنه قد وجه حيث بعثت به فإنه لما قيل لك: قد مات قلت: في لعنة الله فبطل أجرك فيه، ولو قلت: في سبيل الله لوجدته في حسناتك. وفي رواية قال: وكنت قد تصدقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم إلي فوجدت ذلك لا علي ولا لي. قال سفيان(لما سمع هذا): ما أحسن حاله إذ لم يكن عليه فقد أحسن إليه.

● **قصة تائب:** قيل: كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم فاتفق أن حضر يوماً موضعاً فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا: أن أغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه فدعا الله تعالى بالإخلاص وقال: إن نجوت من هذه

الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا: أن أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة.

- **قصة صاحب النقب:**

كان مسلمة بن عبد الملك على رأس جيش للمسلمين يحاصرون قلعة عظيمة للروم، ولكن القلعة استعصت على جيش المسلمين لارتفاع أسوارها ولإغلاق جميع المنافذ إليها، الأمر الذي رجح كفة جنود الروم فأخذوا يقذفون جيش المسلمين من أعلاها، فازداد تعب وانهاك جنود المسلمين .وفي الليل قام أحد جنود المسلمين بالتخفي والصعود إلى قلعة الروم إلى أن وصل باب القلعة وظل ينقب فيه وينقب حتى استطاع أن يُحدث به نقباً ثم رجع دون أن يُخبر أحداً، وعند الغد تأهب المسلمون للقتال كعادتهم ، فدخل هذا البطل من النقب وقام بفتح الباب فتدافع المسلمون وتسلقوا أسوار القلعة وما هي إلا لحظات حتى سمع الروم أصوات تكبيرات المسلمين على أسوار قلعتهم وداخل ساحتها فتحقق لهم النصر.

بعد المعركة جمع القائد مسلمة بن عبد الملك الجيش، ونادى بأعلى صوته: مَن أحدث النقب في باب القلعة فليخرج لنُكافئه.. فلم يخرج أحد! .. فعاد وقالها مرة أخرى، من أحدث النقب فليخرج.. فلم يخرج أحد! .. ثم وقف من الغد وأعاد ما قاله بالأمس.. فلم يخرج أحد!.. وفي اليوم الثالث، وقف وقال: أقسمتُ على من أحدث النقب أن يأتيني أي وقت يشاء من ليل أو نهار. وعند حلول الليل والقائد يجلس في خيمته، دخل عليه رجلٌ ملثم، فقال مسلمة: هل أنت صاحب النقب ؟ فقال الرجل: إنَّ صاحب النقب يريد أن يبر قسم أميره ولكن لديه ثلاثة شروط حتى يلبيَ الطلب. فقال مسلمة : وماهي ؟ قال الرجل: أنْ لا تسأل عن اسمه، ولا أن

يكشف عن وجهه، ولا أن تأمر له بعطاء.

فقال مسلمة: له ما طلب. عندها قال الرجل: أنا صاحب النقب، ثم عاد أدراجه مسرعاً واختفى بين خيام الجيش!

فكان مسلمة بعد ذلك يقول في سجوده: اللهم احشرني مع صاحب النقب، اللهم احشرني مع صاحب النقب.

فوائد من كتاب الإخلاص لابن أبي الدنيا:

- قال علي بن أبي طالب: العمل الصالح الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا لله.
- قال علي بن أبي طالب: لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يتقبل ؟
- عن حمزة من بعض ولد ابن مسعود قال: طوبى لمن أخلص عبادته ودعاءه لله ولم يشغل قلبه ما تراه عيناه، ولم ينسه ذكره ما تسمع أذناه، ولم يحزن نفسه ما أعطي غيره.
- قال عبد الواحد بن زيد: الإجابة مقرونة بالإخلاص لا فرقة بينهما.
- مر عمر بن عبد العزيز برجل في يده حصى يلعب به وهو يقول: اللهم زوجني من الحور العين. فقام عليه عمر فقال: بئس الخاطب أنت ألا ألقيت الحصى ، وأخلصت لله الدعاء.
- قال علي بن أبي طالب: كونوا لقبول العمل أشد هما منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

---

١) سورة المائدة – الآية ٢٧.

- عن الأعمش قال: سمعت إبراهيم ، يقول: إن الرجل ليعمل العمل الحسن في أعين الناس، أو العمل لا يريد به وجه الله فيقع له المقت والعيب عند الناس حتى يكون عيبا، وإنه ليعمل العمل أو الأمر يكرهه الناس يريد به وجه الله فيقع له المقة والحسن عند الناس .
- عن محمد بن واسع قال: إذا أقبل العبد إلى الله أقبل الله بقلوب العباد إليه.
- عن عبد الملك بن عتاب قال: رأيت عامر بن عبد قيس في النوم فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل ؟ قال: ما أريد به وجه الله.
- عن عبد الرحمن بن جرير قال: سمعت أبا حازم يقول: عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح.
- عن مولى لابن محيريز قال: دخلت مع ابن محيريز حانوت بزاز ليشتري منه متاعا، فرفع في السوم، ولم يعرف ، فأشرت إليه أنه ابن محيريز فقال: اخرج إنما نشتري بأموالنا لا بأديانا.
- مر سليمان الخواص بإبراهيم بن أدهم وهو عند قوم قد أضافوه وأكرموه فقال : نعم الشيء هذا يا أبا إبراهيم إن لم يكن تكرمة دين.
- عن يحيى بن أبي كثير قا : يصعد الملك بعمل العبد مبتهجا فإذا انتهى إلى ربه قال: اجعلوه في سجين فإني لم أرد بهذا .
- عن محمد بن أبي منصور قال كان عابدا في بني إسرائيل عبد الله في سرب أربعين سنة فقالت الملائكة: وعزتك ربنا ما رفعنا إليك خفاء. قال: صدقتم ملائكتي ولكنه يحب أن يعرف مكانه.

● كان فضالة بن عبيد يقول: لأن أكون أعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها ؛ لأن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾(١) .

● **قيل لعطاء السلمي:** ما الحذر ؟ قال : الاتقاء على العمل ألا يكون لله.

● **إبراهيم بن الأشعث** ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(٢). قال: أخلصه وأصوبه قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص إذا كان لله، والصواب: إذا كان على السنة.

● **قال علي بن أبي طالب:** من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه يوم القيامة، ومن كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه يوم القيامة.

● **عن زبيد قال:** من كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، ومن كانت سريرته مثل علانيته فذلك النصف، ومن كانت سريرته دون علانيته فذلك الجو.

● **عن معقل بن عبيد الله الجزري قال:** كانت العلماء إذا التقوا تواصوا بهذه الكلمات، وإذا غابوا كتب بها بعضهم إلى بعض أنه من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن اهتم بأمر آخرته كفاه الله أمر دنياه.

---

١) سورة المائدة – الآية ٢٧.

٢) سورة هود – الآية ٧.

● **فوائد من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي:**

١) إذا أتاك الشيطان وأنت في الصلاة فقال: إنك مراء، فزدها طولا.

٢) وقال قائل: دلوني على عمل لا أزال به عاملا لله تعالى، فقيل له: انو الخير، فإنك لا تزال عاملا وإن لم تعمل. فالنية تعمل وإن عدم العمل.

٣) إني أحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكلي وشربي.

٤) المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

٥) أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل.

٦) تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال.

٧) الإخلاص يميّز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم.

٨) مراد الله من عمل الخلائق الإخلاص.

٩) من شاهد في إخلاصه الإخلاص، فقد احتاج إخلاصه إلى الإخلاص.

١٠) الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط.

● **فوائد من كتاب الزهد لابن المبارك في الإخلاص:**

١) يروى عن الثوري أنه قال: كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليها جميعا.

٢) عن الحسن أنه قال: كنت مع ابن المبارك فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس، فزحموه ودفعوه، فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا، يعني حيث لم نعرف ولم نوقر.

٣) روي عن النعيم بن حماد أنه قال: كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم.

٤) روي عن عبدة بن سليمان أنه قال: كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه وقتله، فازدحم عليه الناس، وكنت فيمن ازدحم عليه، فإذا هو يلثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا؟

٥) روي عن المبارك أنه قال: سمعت جعفر بن حيان يقول: ملاك هذه الأعمال النيات، فإن الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلغ بعمله.

٦) كان أحد الحكماء يقول: إذا كان المرء يحدث في المجلس فأعجبه الحديث فليسكت، وإذا كان ساكتا فأعجبه السكوت فليحدث.

٧) روي عن مطرف بن عبد الله الشخير أنه قال: لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب اليّ من أن أبيت قائما فأصبح معجبا.

٨) روي عن النعمان بن قيس أنه قال: ما رأيت عبيدة رحمه الله متطوعا في مسجد الحي.

٩) روي عن عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن أنه قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس. وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس. وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده زوار وما يشعرون به. ولقد أدركت أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدا. لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم

صوت، إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم. وذلك أن الله تعالى يقول:{ ادعوا ربكم تضرعا وخفية}.

١٠) روي عن جعفر بن حيان عن الحسن أنه قال: لا يزال العبد بخير إذا قال، قال لله، وإذا عمل، يعمل لله.

١١) روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إن الله لا يقبل من مسمع ولا مراء ولا لاعب، ولا داع إلا دعايا دعاء ثبتا من قلبه.

● **درر من أقوال العلماء في الإخلاص:**

o الصادق هو الذي لا يُبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلْق من أجل صلاح قلبِه ، ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السيئ من عمله ، فإن كراهته لذلك دليل على أنَّه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من علامات الصادقين. (١) .

o والإخلاص لله أن يكون الله هو مقصود المرء ومراده، فحينئذ تتفجَّر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه (٢) .

o وكلما قوي إخلاص العبد كملت عبوديته (٣).

o ما ينظر المرائي إلى الخلْق في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق (٤) .

---

١) ابن القيم – مدارج السالكين (٢/٢٨٩)، (٣/١٨٦).

٢) ابن تيمية / النبوات ص / ١٤٧ .

٣) ابن تيمية / الفتاوى ١٠/١٩٨.

٤) ابن رجب كلمة الإخلاص ص/٣١.

o اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد، فإنه لا يوصِّل إلى الله سواه، واحرصوا على القيام بحقوقه، فإنه لا ينجِّي من عذاب الله إلا إياه (١).

o فمن كان مخلصًا في أعمال الدين يعملها لله كان من أولياء الله المتقين (٢) .

o إذا حسنت السرائر أصلح الله الظواهر. (٣) .

o وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يمده تقوى الرَّب وحسن القصد(٤) .

o الصادق مطلوبه رضا ربه، وتنفيذ أوامره وتتبع محابِّه فهو متقلب فيها يسير معها أينما توجَّهت ركائبها، ويستقلُّ معها أينما استقلت مضاربها فبينا هو في صلاة إذ رأيته في ذكر ثم في غزو ثم في حج ثم في إحسان للخلق بالتعليم وغيره من أنواع المنافع. (٥).

o فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه فالله الله في إصلاح السرائر فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر(٦).

o فالإخلاص هو سبيل الخلاص والإسلام هو مركب السلامة والإيمان خاتم الأمان (٧).

---

١) ابن رجب كلمة الإخلاص ص٥٤ .

٢) ابن تيمية الفتاوى (٨/١).

٣) ابن تيمية الفتاوى (٢٧٧/٣).

٤) ابن القيم – أعلام الموقعين (٦٩/١).

٥) ابن القيم – مدارج السالكين (٢٨٦/٢.

٦) ابن الجوزي – صيد الخاطر ص ٢٨٦

٧) ابن القيم – مفتاح دار السعادة (٧٤/١).

● **ثمرات الإخلاص:**

١) **تعظيم العمل:** قال ابن المبارك (رحمه الله): رب عمل صغير تكثره النية، ورب عمل كبير تصغره النية(١).

٢) **ينال به العبد أعلى الدرجات:**

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ "(٢).

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ) (٣).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ) (٤).

وعَنْ سَعِيدٍ الطَّائِيِّ ، أَبِي الْبَخْتَرِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو كَبْشَةَ الأَنْمَارِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً،

---

١) جامع العلوم والحكم ١/ ١٣ .

٢) رواه مسلم (١٩٠٨).

٣) المرجع السابق (١٩٠٩).

٤) رواه أبو داود (٢٥٤١) والترمذي (١٦٥٣) وقال حسن صحيح . وصححه الألباني في " صحيح أبي داود

فَصَبَرَ عَلَيْهَا ، إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا ، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ ، إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْمًا ، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً ، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا ، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ. (١).

٣)**حصول الأجر:** فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ:" إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ " (٢).

٤)**غفران الذنوب وإن كانت من الكبائر: (صاحب التسعة والتسعين سجلا من الذنوب ، والمرأة البغي):** فعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :" إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ

---

١) أخرجه أحمد ٤/٢٣١ (١٨١٩٤) و"التِّرمِذي" ٢٣٢٥ قال الشيخ الألباني : صحيح انظر حديث رقم : ٣٠٢٤ في صحيح الجامع.

٢) رواه البخاري(٥٦)، ومسلم (١٦٢٨).

الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ؛ فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ . فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ،فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟! فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ –ويجوز بكسر الكاف–، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ . فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ " (١).

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ ".

رواه البخاري .

---

١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وأخرجه أحمد وابن ماجة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ" .**رواه البخاري ومسلم**

٥) **تحويل العادات إلي عبادات:** مثل الطعام والشارب والمنام ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

٦) **النجاة من الفتن:** نجى الله سيدنا يوسف عليه السلام بإخلاصه من فتنة امرأة العزيز، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢).

٧) **الحصانة من الشياطين:** فالشيطان استثنى المخلصين من الغواية في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ *إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٣).

٨) **يدفع الوساوس:** جاء في مدارج السالكين لابن القيم: عن أبي سليمان الداراني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء.

---

١) سورة الأنعام – الآية ١٦٢.
٢) سورة يوسف – الآية ٢٤.
٣) سورة يوسف – الآية ٢٤.

٩) **النجاة من الشدائد:** مثل الثلاثة الذين دخلوا الغار وانطبقت عليهم الصخرة فنجاهم الله بصالح أعمالهم.

١٠) **دخول الجنة :** فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَعْنِي مُعَاذًا ، أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ مَرِيضٌ : اكْشِفُوا عَنِّي الْقُبَّةَ حَتَّى أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا لَوْلا مَا أَنَا عَلَيْهِ لَمْ أُحَدِّثْكُمْ ، فَأَنْشَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَن، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، يَقُولُ : " مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ" (١).

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ,قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ " ، قِيلَ : وَمَا إِخْلَاصُهَا ؟ قَالَ : " أَنْ تَحْجُزَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٢)

١١) **النجاة من عذاب الله:** قال تعالي :﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ

---

١) السلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله ٤٧٠/٥ _ رقم(٢٣٥٥).

٢) المعجم الأوسط للطبراني: ٢/ ٥٦ (١٢٣٥)، المعجم الكبير للطبراني: ١٩٧/٥ رقم(٥٠٧٤)، الدعاء للطبراني رقم ١٤٧٥.

وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾(١).

١٢) **الحصول على نصرة الله** : عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ (٢).

- **وصايا المشايخ للأحباب بالإخلاص في العمل:**

وصية الشيخ إلياس (رحمه الله):

قال الشيخ إلياس الكاندهلوي (رحمه الله): كانت أحوال أمم الأنبياء عامة بأنه كلما بعد عنها زمن النبوة فتصبح أمورها الدينية خالية من الروح والحقيقة بحيث تصبح كعادات تقليدية محضة ، فكانت تأديتها كعادة تقليدية.

فلإصلاح هذه الضلالة كانت تبعث الأنبياء الذين كانوا يبطلون هذه العادات التقليدية ويرشدون الأمة إلى الحقيقة الواقعية وروح الشريعة الحقيقة.

---

١) سورة الإنسان – الآيات من ٨ ؛ ٢٢.

٢) سنن النسائي « كتاب الجهاد « الاستنصار بالضعيف رقم ٣١٧٨.

فأخيراً لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت حالة الأقوام التي كانت لها علاقة بالأديان السماوية في زمانه صلى الله عليه وسلم نفس تلك الحالة المذكورة بأن الأمور الدينية التي بقيت لديها مما أتوا به أنبياؤهم كأنها عادات تقليدية خالية من الروح ، فكانت تظن أنها هي الشريعة وأصل الدين.

فأبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المألوفات التقليدية فقام بتعليم أصل حقائق الدين وأحكامه، وأن الأمة المحمدية أيضاً ابتليت في هذا المرض حتى في عباداتها أصبحت تقليدية إلى حد أن تعليم الدين أيضاً الذي كان من المفروض أن يكون سبباً لإصلاح جميع مثل هذه المفاسد فأصبح في بعض المدن عادة تقليدية ، ولكن لأن سلسلة النبوة قد انتهت الآن فمسئولية مثل هذه الأمور حملت على علماء الأمة الذين هم نائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنما الواجب عليهم أن يركزوا إلى إصلاح ذلك الضلال وفساد الحال.

وطريقته هو تصحيح النية : لأن الأعمال لا تصير عادات وتقاليد إلا عند عدم الِّلاهيّة والإخلاص وفقدان شأن العبودية ، فبتصحيح النية يعود تجاه الأعمال إلى الله البتة ، فتتولد فيها الحقيقة بدل العادات الروتينية ، فيكون صدور جميع الأعمال بالحماسة على العبودية وعبادة المعبود.

فالمقصود أن أهم واجب علماء هذه الأمة الحاملين للدين في هذا الزمن أن يبذلوا جهدهم في تركيز اتجاه الناس إلى تصحيح نياتهم ويحاولوا أن يتولد فيهم الإخلاص والِّلاّهيّة والحقيقة في الأعمال.

وقال الشيخ رحمه الله : قد أذيع في القرآن والحديث باهتمام خاص أن الدين يُسرٌ (أعني يسيرٌ وسهلٌ) فيقتضى هذا أن كلما كان الأمر أهماً من الآخر كان

أيسراً حسب أهميته.

فلأن تصحيح النية والإخلاص لله من أهم الواجبات في الدين ، بل من روح جميع أمور الدين فلذا هذا سهل جداً ولأن هذا الإخلاص لله هو حاصل ومقصود السلوك والطريق كله ، فعلم من هذا بأن السلوك أيضاً أمر سهل ، ولكن ليعلم أن جميع الأمور بأصولها وبطرقها الوضعية تكون سهلة ، فمهما كانت الأمور يسيرة فإذا صيرت بغير طريقتها فحينئذ تتعسر.

فمن خطأ الناس الآن أنهم يرون التقليد على الأصول هو الصعب فيتهربون منه مع أن مهما كان الأمر يسيراً لم يبلغ مرامه إلا بالمشي على تقليدات أصوله، فالطائرة والباخرة والقطار والسيارة لا تسير إلا بالأصول حتى الطبيخ والخبز لم يجهز إلا بالأصول.

أقول : إذا تقيدنا بالأصول بتصحيح النية والإخلاص وترسيخ الإيمان في القلب لنكون مصداقاً لقول رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تَبَعَاً لِمَا جِئْتُ بِهِ" فيتحقق لنا أن الدين يسرٌ. (١).

وصية الشيخ يوسف(رحمه الله):

يقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ***(رحمه الله) في رسالته التي أرسلها إلي جماعة الحج والعمرة المتجهة إلي بلاد الحجاز***: يكون عندنا في كل عمل عاطفة إرضاء الله ﷻ ، ولا يكون مقصدنا في أي عمل طلب الدنيا والشهرة، فالعمل القليل مع مرضاة الله ﷻ يكون سببا لجلب نعمه، والأعمال العظيمة بغير رضوانه تكون سببا للعذاب والنقمة.

---

١) كتاب ملفوظات الشيخ إلياس (رحمه الله) .

ولتصحيح نياتنا نجعل الشوق والرغبة في قلوب الناس ولتصحيح نياتهم بالدعوة لذلك.

نراقب أعمالنا قبل العمل وفي أثناء العمل، ونستغفره بعد العمل، ونتضرع إلى الله تعالى بأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

وصية الشيخ محمد عمر البالمبوري(رحمه الله):

إخواني وأحبابي في الله: لا بد من قوة الإيمان وصفة الاحتساب، وصفة الإحسان مع الإخلاص، فيكون العمل على نهج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ : " صلوا كما رأيتموني أصلى" البخاري ، ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ :" خذوا عنى منا سككم "رواه الترمذي .

فجميع الأعمال على نهج النبي ﷺ ، وإذا تحققت في صلواتنا وأعمالنا تكون الأعمال حقيقية ، وتقبل عند الله عز وجل.

لذلك يجب أن نعمل الأعمال بنية:

أولا : اليقين : على وعد الله وموعوده ، لمرضاة الله تَعَالَى.

ثانيا: الإتباع : أي تعمل العمل على هدى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

ثالثا: الإحسان: أن تعمل العمل كأنك ترى الله تَعَالَى، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

رابعا: الاحتساب: فإن ذلك العمل لن يكافئني عليه إلا الله تَعَالَى فى الآخرة، ونعلم هذا بعلم الفضائل.

خامسا: الإخلاص: فلا عمل إلا لوجه الله تَعَالَى.

سادسا: الافتقار: أى نحن الذين نحتاج إلى الله عز وجل، والله تَعَالَى هو الغنى، ونحن أحوج ما نكون إلى قبول أعمالنا لذلك يقول سبحانه :﴿يَا أَيُّهَا النَّاس أَنْتُمُ

الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾(١)

سابعا: الاستغفار: وذلك لجبر العمل إذا شابه شائبة.

فلو تمرنا على ذلك تكون كل أعمالنا على صفة الصلاة، فتكون مقبولة عند الله تَعَالَى ، وبعد هذه الأعمال المقبولة تأتى المعاملات الحسنة بين النَّاس.

وبخمسة أشياء في أعمالنا تكون أعمالنا قوية، نجتهد حتى في صلاتنا ، فإن شاء الله تَعَالَى تكون صلاتنا حقيقية ، وبها تقضى حاجاتنا:

١) أن يكون اليقين صحيحا .

٢) أن تكون الأشواق حقيقية.

٣) أن تكون الطريقة صحيحة وهى طريقة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

٤) يعمل العمل بالإحسان .

٥) إخلاص النية .

التفصيـل:

ما معنى اليقين الصحيح ؟.

١) أن يكون يقينه على الله ، لا يكون يقينه على الأشياء ، فبهذا يكون إيمانه قويا .

٢) أن تكون أشواقه صحيحة ؟

٣) أن يعمل هذا العمل بالشوق، يعنى أن يتيقن على وعد الله ووعد رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، لأن الله تَعَالَى وعد على الأعمال.

٤) أن تكون أعمالنا على طريقة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، صلاتنا على

---

١) تلبيس إبليس لابن الجوزي.

طريق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، الزواج لا يكون على طريق العوام ، بل على طريق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ .

٥) أن نعمل كل عمل بالإحسان واستحضار فضيلته، ولا نعمل بالغفلة، مثلا في الدعاء لا يكون المرء غافلا، بل يستحضر عظمة الله، وأن الله يتقبل منه .

٦) أن تكون أعمالنا لله تعالى، لا لأي غرض من الدنيا أو لأي مخلوق.

وهناك أعمال ظاهرية إيمانية: مثل الصلاة والصوم والحج وغيرها، كذلك هناك أعمال باطنية إيمانية: مثل اليقين والتقوى والإحسان والإخلاص وغيرها، والأعمال الظاهرية لا تقبل إلا بقدر قوة الأعمال الباطنية القلبية، فعلى قدر اليقين والإخلاص تقبل الأعمال، مثل قارئ القرآن باليقين والإخلاص يقال له كما جاء في الحديث :عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا "**رواه أبو داود(١)، والآخر يقال له** :" وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ" **رواه مسلم(٢).**، لأنه بدون اليقين والإخلاص.

---

١) سنن أبي داود « كتاب الصلاة « باب تفريع أبواب الوتر « باب استحباب الترتيل في القراءة .

٢) والحديث بتمامه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ :كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ

وهذه الدعوة المباركة على رأس كل مكلف من أمة النبي ﷺ ، ولكن حتى يتحمل الإنسان هذا الجهد فلابد من التربية والتدرج ، ولا بد من التعاهد والملاحظة ، حتى تأتى الثمرة ، فهنا الإنسان مثل الأرض – كما قلنا – ولابد للأرض أن تنبت حتى يظهر الجهد والنتيجة ، لذلك الدين مثل الشجرة ، أي شجرة الدين بفوائدها ومنافعها ، وهى لا تنبت إلا بالهدوء ، والدين فى حياتنا لابد أن يأتي بالهدوء ، فهنا ننظر إلى أول شيء تحتاجه الشجرة التربة ، فلابد لهذه التربة أن تهيأ حتى تستقبل البذور فنعطيها السبخ حتى تقوى وتشرب الماء لتأخذ كفايتها ، وتكون الأرض آنذاك صالحة لاستقبال البذرة ، وبعد البذرة نسقيها الماء ثم نعطيها السماد ، ونراعى الزراعة الصيفية والزراعة الشتوية ، بعد فترة تبدأ زراعة الأشجار والنخيل في الظهور فيظهر أول شيء الساق ، ثم أغصان ومنها أوراق ، وبعد ذلك ثمار الفاكهة المتنوعة ، هكذا شجرة الدين التي تكون بنية الجهد لنشر دين الله تَعَالَى ، فالأرض هي قلوب ونفوس وعقول المسلمين ، فلابد من تهيئة تلك الأرض بالزيارات ونشر المحبة ومشاركتهم في أفراحهم وأتراحهم ، والماء هو حلقات التعليم ، والسماد هو التضحية بالنفس والأموال والعواطف والجو المناسب لشجرة الدين هو الدعاء والبكاء أم الله تَعَالَى والتوجه إليه ، ثم يأتي الجذر من أسفل والساق من أعلى ، فالجذر هو كلمة التوحيد والإيمان ، والساق هي العبادات وهى أركان الإسلام من

تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّار "رواه مسلم (مشكاة المصابيح « كتاب العلم ١/٧١).

الصلاة والزكاة والصوم والحج ،وأما الأغصان والأوراق فهي المعاملات والمعاشرات وفيها الصدق وحفظ اللسان وغض البصر وغيره ، ثم تأتى الثمار والفاكهة التي نتلذذ بها وهى الإخلاص ، فهنا تأتى شجرة الدين وفيها يكون الدين الكامل في حياتنا فتكون حياة إسلامية كاملة.

فالإخلاص في هذا الجهد أن ننفى أنفسنا ، فلو هدى الله على أيدينا النَّاس فلا ننسب ذلك لأنفسنا مِنَ اللهِ تَعَالَى ، جعلني فيه سببا ليأجرني فيه الله سبحانه تَعَالَى:﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ (١)، وجزاء العمل فى تلك التجارة بالإخلاص هو : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٢)، فهل بعد تلك المكانة الرفيعة من مكانة ، ففيها لا يبلى الثياب ولا يفنى الشباب ، ولا ينفد النعيم ، ثم يقول سبحانه : ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ (٣)، فهنا في العاجلة النصر والفتح في الدنيا ، وما النصرة الحقيقية إلا إعلاء كلمة الله تَعَالَى ، والفتح فهو فتح القلوب، لأن البلاد تأتى بطبيعة الحال تبعا لذلك .

ولو نظرنا في نظام الحكومات، لوجدنا النظام، وهذا النظام ليس من كمال الإنسان لأن النحل عندهم الملكة، والجنود والشغالات، وهناك عمل دائب، صنع النحل وبناء الخلايا وتجهيز غذاء الملكات، وكيف يطير النحل بعيدا لأخذ رحيق

---

١) سورة النحل _ الآية ٥٣ .

٢) سورة الصف _ الآية ١٢.

٣) سورة الصف _ الآية ١٣.

الثمار والورود ؟ والنحلة التي تأتى برحيق غير طيب، يأتي الجلادون بين يدي الملكة ويقتلونها، وعندهم أيضا الانتخاب فالأصلح هو الذي يتصدر أو يمسك الملك والكل يعمل.

في نظام الحكومة والسياسة بسبب عدم الفهم يأتي من يقول : (أنا خير من يمثلكم) ، والله تَعَالَى يَقُولُ : ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾(١) وإذا نجح يأتي فيه العجب والكبر، وهذا العجب بين الديوك حينما يدخلونها معركة ، فالديك الذي يفوز يرفع عنقه ، ويعجب بنفسه ، ويفرد جناحه ، ويمشى متبخترا ، ويظن أنه أكبر من كل شيء ، كما يتصور الإنسان أنه بتشييد المباني والمساكن ، أو باكتشاف الكهرباء أو الطب أو يتصور أنه في درجة الكمال والرقى والقوة والفوز .

فإذا أراد الإنسان أن يعمل عملا ما فلا بد أن يتفكر في النتيجة مثل المسافر، فهو يعين المكان ثم يتفكر في الوسيلة التي تقله، جهد الدين والدعوة جهد كل مسلم ، ولكن لابد من أن نعين المقصد وهو طلب رضاء الله تَعَالَى كما قَالَ تَعَالَى : ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ (٢)، ولكن كيف نتحصل على مرضاته سبحانه وتعالى ؟ الله تَعَالَى اختار لنا طريقا أخبر بها فقال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٣)، اختار لنا الدين على طريق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، كيف تكون حياتنا حياة إسلامية صحيحة ؟ كل الأمور التي نقوم بها في حياتنا تكون

---

١) سورة النجم _ الآية ٣٢ .
٢) سورة التوبة _ الآية ٧٢.
٣) سورة آل عمران _ الآية ١٩.

حسب أوامر الله تَعَالَى وطريق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، إذا تحقق فينا هذا في أكلنا وشربنا وزواجنا وشغلنا فكل هذا يكون دينا، كيف يتحقق هذا فينا وفى أزواجنا وأهلينا وجميع العالم ؟ .

الذي يخرج في سبيل الله تَعَالَى ونيته غير سليمة، وعندما يخرج ويجتهد الله تَعَالَى يعطيه الإخلاص ويصحح نيته، فلا بد من المراقبة للنية، مع الاستمرار في التضحية ، ونخاف على أنفسنا، ونخاف على نيتنا أن تتغير، لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام خاف من ذلك ودعا ربه وسأله ألا يعبد هو وبنوه الأصنام فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (١).

وأخيراً : نختم باب الإخلاص .. بقول الحق ﷻ ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الارْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢) .

إنْ لم يكن للهِ فعلك خالصاً ... فكلُّ بناءٍ قد بنيْتَ خرابُ

١) سورة إبراهيم _ الآية ٣٥ .
٢) سورة يونس – الآية ٦١ .

الدعوة إلى الله

قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢).

وقال تعالى:﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهارا ﴾ (٤)(٥).

التعريف بالدعوة اصطلاحاً:

الدعوة في لسان الشرع:

١) **الدعوة إلى الله**: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا. (٦).

٢)**الدعوة إلى الله**: هي جمع الناس إلى الخير، ودلالتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف

---

١) سورة فصلت - الآية ٣٣ .

٢) سورة النحل - الآية ١٢٥.

٣) سورة يوسف - الآية ١٠٨.

٤) سورة نوح _ الآية ٥.

٥) انظر: خصائص الدعوة الإسلامية لمحمد أمين حسن، ص ١٦.

٦) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١٥/ ١٥٧.

ونهيهم عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

٣) **الدعوة إلى الله:** هي رسالة السماء إلى الأرض، وهي هدية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم، وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله وجعلها الطريق الموصل إليه سبحانه﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ﴾(٢)، ثم اختارها لعباده، وفرضها عليهم، ولم يرض بغيرها بديلاً عنها ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٣) (٤).

٤) **الدعوة إلى الله:** هي تعريف الناس بربهم وخالقهم وتعريفهم بأسمائه وصفاته، وآلائه ونعمائه، قال تعالى :﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥). وقال تعالى:﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦).

٥) **الدعوة إلى الله:** هي حداء بالناس لمعرفة الله والإيمان به ، وتوحيده ربًا خالقًا مالكًا، وإلهًا معبودًا وحاكمًا فردًا ، فلا منازع له في ربوبيته ، ولا شريك له في إلهيته ، ولا مضاد له في حاكميته ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي

---

١) سورة آل عمران - الآية ١٠٤.
٢) سورة آل عمران - الآية ١٩.
٣) سورة آل عمران _ الآية ٨٥.
٤) انظر: الدعوة والدعاء للصواف، ص٢٢.
٥) سورة الحج - الآية ٦٧.
٦) سورة القصص _ الآية ٨٧.

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[١] ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٢] واتباع كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

٦) **الدعـوة إلـى الله:** هـي قيـام المسلـم ذي الأهليـة في العلـم والـدين، بتبصـير النـاس بأمور دينهم، وحثهم على الخير، وإنقاذهم من شر واقع، وتحذيرهم من سوء متوقع، على قدر الطاقة، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل(الشيخ صالح بن حميد).

٧) **الـدعوة إلـى الله عز وجـل:** هـي عبـارة عـن رد الشـاردين مـن عبيـده الآبقـين عـن طاعته إلى طاعة الله، فالله جل جلاله ربنا وسيدنا وولي نعمتنا وولي أمرنا، ونحن عبيده، فقد يأبق من يأبق منا، ويشكر من يشكر، لعوامل كثيرة، ومن أظهرها أن هنـاك عـدواً لله، كاشـف الله بالعـداوة وصـارحه بهـا، وأقسـم بربنـا أن يضـل عبيـده ويغويهم ما أمكنه الإضلال والإغواء، فلا يشعر عبد الله إلا وقد أسر وأخذ، فترك خدمة سيده، وأصبح يخدم عدوه، تمرد على طاعة مولاه، وأصبح عبداً طيعاً يعبد ويخدم عدو الله، فالوساطة في هذا الشأن من أفضل الأعمال، أن يراك ربك تتوسط بينه وبين عبيده الشاردين العاصين المتمردين فتردهم إليه واحداً واحداً وجماعة بعد أخرى.. فلهذا شرف الدعوة إلى الله شرف عظيم(الشيخ أبو بكر جابر الجزائري)

٨)**الدعـوة إلى الله:** هي حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل [٣].

---

١) سورة آل عمران _ الآية ٨٣.

٢) سورة المائدة _ الآية ٥٠.

٣) كتاب الدعوة إلى الإصلاح للشيخ العلامة محمد الخضر حسين شيخ الأزهر السابق _ طبع في القاهرة سنة ١٣٤٦هـ في المطبعة السلفية.

٩)**الدعـوة إلـى الله:** هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة .(١)

١٠) **الدعـوة إلـى الله** : إلى السبل الموصلة إلى مرضاة الله عز وجل: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢).

وهذه التعريفات معناها واحد ونستخلص منها بأن الدعوة تنقسم إلى قسمين: (الدعوة إلى الله.. والدعوة إلي السبل الموصلة إلى مرضاة الله وهي العبودية الكاملة لله تعالى: من عبادات ومعاملات ومعاشرات وأخلاق ودعوة إلي الله).

مقصد الدعوة:

١) إحياء الدين كله في العالم كله إلي يوم القيامة إلي قيام الساعة ومع ذلك ننوي رضاء الله سبحانه وتعالى: قَالَ الشَّيخُ محمد عمر البالمبوري (رَحِمَهُ الله) : إذا أراد الإنسان أن يعمل عملا ما فلا بد أن يتفكر فى النتيجة مثل المسافر، فهو يعين المكان ثم يتفكر فى الوسيلة التى تقله ، فجهد الدين والدعوة جهد كل مسلم، ولكن لا بد من أن نعين المقصد وهو طلب رضاء الله تَعَالَى، كما قَالَ تَعَالَى: (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ) (٣)، ولكن كيف نتحصل على مرضاته سبحانه وتعالى ؟

الله تَعَالَى اختار لنا طريقا أخبر بها فقال: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (٤)، اختار لنا الدين على طريق الرسول ﷺ، كيف تكون حياتنا حياة إسلامية

---

١) المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني.

٢) سورة النحل - الآية ١٢٥.

٣) سورة التوبة - الآية ٧٢.

٤) سورة آل عمران - الآية ١٩.

صحيحة ؟ كل الأمور التي نقوم بها في حياتنا تكون حسب أوامر الله تَعَالَى وطريق النبي ﷺ، إذا تحقق فينا هذا في أكلنا وشربنا وزواجنا وشغلنا فكل هذا يكون دينا ، كيف يتحقق هذا فينا وفى أزواجنا وأهلينا وجميع العالم ؟.

وقَالَ الشَّيخُ (رَحِمَهُ الله): لذلك يجب من الحركة في كل مكان في مدينتنا وباقي المدن والبلدان ، حتى يصير النَّاس على أقل تقدير مصلين ، ثم بالجهد – إن شاء الله تَعَالَى – يأتي في حياتهم الدين الكامل .

ولابد أن يكون مقصدنا كمقصد الصحابة رضي اللهُ عَنهُم ، فهموا أن الدين نزل لهم وهم العرب، باللغة العربية دستوره القرآن، على نبي عربي، وكلفهم الله من فوق سبع سموات، لذلك لابد أن نجتهد للدعوة ونضحي لها، ولكن ما مقصد الدعوة ؟ مقصد الدعوة إلى الله تَعَالَى ، هو إحياء الدين كله في العالم كله إلى يوم القيامة ، ولكن الدين لا ينتشر فجأة ، بل بهدوء مثل الشجرة فهي لا تخرج فجأة بل جذور، ثم ساق وأغصان وأوراق ، وقبل هذا إصلاح التربة وسقى الماء، الله تَعَالَى أرى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ خزائنه، وأعطاه مفاتحها وهى الصلاة فقال (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)[1]، فالصحابة التزموا الصلاة، واستعانوا بربهم فاستجاب لهم، والصلاة سبب استفادة من قدرة الله تَعَالَى وخزائنه، مثل الزراعة للاستفادة من خيرات التربة .

الرسول ﷺ علم الصحابة رضي اللهُ عَنهُم فأصبح عندهم خمسة أشياء فيها القوة بالإخلاص وهى: إيمانيات ، عبادات ، معاشرات ، معاملات ، أخلاق.

وقَالَ الشَّيخُ (رَحِمَهُ الله): لا بد من وضع النية الراسخة الجازمة أن حياتنا كلها

---

١) سورة البقرة - الآية ٤٥.

تكون للدعوة، وفى النية أن تكون هذه الأمة مشتغلة فى الدعوة إلى آخر العمر وإلى يوم القيامة، ولما نقوم للدعوة نقوم بالهدوء، ونتصبر للمدد الطويلة، فنعتاد أعمال الإيمان، ولما نخرج أربعة أشهر أو ثلاثة أو شهرين، الباقي في جهد المقام ، ثم نوبة في الأهل ونوبة في الدين للدعوة، حتى نصل إلى النصف من الرجال يخرجون في سبيل الله تَعَالَى ، والنصف في الأعمال والأشغال الدنيوية، كما قال رسول الله ﷺ : " لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهم" **رواه مسلم.**

وقَالَ الشَّيخُ (رَحِمَهُ الله) : علينا أن نجتهد على أنفسنا وعلى النَّاس حتى يأتي فينا الإيمان والعمل الصالح، فيراعى أمر الله تَعَالَى ، الغنى يعطى حقوق الفقير، والفقير يعف ولا يسأل إلا الله تَعَالَى ، أنه سمع فى حلقة التعليم عن فضل التعفف وعدم سؤال النَّاس شيئا.

٢) **أن** ندعو إلى الله ونخرج في سبيله، بالنفس والوقت والمال الحلال، وذلك لإصلاح أنفسنا ولتذكير إخواننا المسلمين، وحتى لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدرٍ ولا وبرٍ ولا شعرٍ إلا ويدخله هذا الدين، قال الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله): للجماعة الخارجة خارج الهند:أنتم تخرجون إلى خارج البلاد لإصلاح ما بالداخل، ثم أضاف قائلا: نجتهد بالدعوة في النهار ونجتهد بالدعاء والتضرع بالليل يأتي نور الهداية، ومن يجتهد في النهار ولا يتضرع إلى الله في الليل يخاف عليه أن يصيبه الكبر لأن عدم الدعاء والتضرع إلى الله سبحانه يدل على أن الداعي يتكل على نفسه وجهده .

وإن كان الدعاء بالتضرع إلى الله سبحانه في الليل وليس هناك جهد بالنهار فقد خالف الداعي سنة الله سبحانه وتعالى، مثل هذا الداعي كمثل من يريد الأولاد

ولم يتزوج ويسأل الله أن يرزقه الأولاد، رغم أن الله سبحانه قادر على هذا ولكنه ليس من سنة الله سبحانه في الخلق .

إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يرزق الأولاد بخلاف الأسباب وبدون الأسباب كمثل سيدنا آدم (عليه السلام) خلقه الله من لا شيء، وسيدنا عيسى عليه السلام خلقه بخلاف الأسباب من أم بلا أب وهذا بقدرته ولكنه جعل سنة خلق الناس إلى يوم القيامة أن يتزوج الناس، وهكذا الهداية سنة الله سبحانه فيها هي الجهد والدعاء إلى يوم القيامة.

الأمر بالدعوة إلي الله عز وجل:

١)الأدلة من القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٢)(٣).

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾(١).

---

١) سورة آل عمران - الآية ١٠٤.

٢) سورة يوسف - الآية١٠٨ .

٣) يقول الإمام الطبري في تفسيره: "سَبِيلي وطريقتي ودعوتي أدْعُو إلى اللّهِ وحده لا شريك له على بَصِيرَةٍ بذلك، ويقين علم مني به، وَيدعو إليه على بصيرة أيضا مَن اتَّبَعَنِي وصدّقني وآمن بي".

وقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾(٢)(٣).

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(٤)(٥).

وقال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾(٧)،

وقال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾(٨) .

٢)الأدلة من السنة النبوية:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا

---

١) سورة التوبة - الآية ٧١ .

٢) سورة المائدة - الآية ٦٧ .

٣) وهذه الآية تفيد وجوب تبليغ رسالة الله إلى الناس من قبل الرسول وأتباع الرسول وخاصة ورثة الأنبياء، لأن الأمة دخلت في خطاب الله للرسول صلى الله عليه وسلم إلا ما استثني.

٤) سورة التوبة - الآية ١٢٢ .

٥) تفيد أنه يجب على الأمة أن تفرغ طائفة من أبنائها للتعلم والدعوة والإنذار.

٦) سورة الأعلى - الآيتان ٩ ، ١٠ .

٧) سورة الغاشية - الآية ٢١ .

٨) سورة ق - الآية ٤٥ .

فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ "رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا »[٢] ، وفي رواية بلفظ : « إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»[٣].

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: « نعم إذا كثر الخبث »[٤].

وعن عبد اللّه بن مسعود، قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: « إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق اللّه ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب اللّه قلوب بعضهم ببعضٍ » ثم قال: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[١] إلى قوله: ﴿... فَاسِقُونَ ﴾[٢] .، ثم قال صلى الله عليه وسلم: « كلاَّ واللّه لتأمرن بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر ولتأخذنَّ على يدي الظالم ولتأطرنَّه على الحقِّ أطراً ولتقصرنه على الحقِّ قصراً » [٥].

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو قال لجاره ما يحب لنفسه »[٦].

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ»[٧].

حكم الدعوة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٠/٥) :

والدعوة إلى الله واجبة على من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وهم أمته وقد وصفهم الله بذلك : في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ

---

١) سورة المائدة - الآية ٧٨.

٢) سورة المائدة - الآية ٨١.

الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١]فهذه في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حقهم قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٢]، وقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[٣].

وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة، وهو فرض كفاية يسقط عن البعض بالبعض كقوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أمة يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكَر وَأُوْلَئِكَ هُمُ المفْلِحُونَ ﴾ [٤] ، فجميع الأمة تقوم مقامه في الدعوة: فبهذا إجماعهم حجة وإذا تنازعوا في شيء ردوه إلى الله ورسوله. أ .هـ .

وسُئِلَ الشيخ ابن باز (رحمه الله): نود من سماحتكم أن تبينوا لنا حكم الدعوة إلى الله عز وجل وأوجه الفضل فيها؟

فقال: أما حكمها: فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل وأنها من الفرائض. والأدلة في ذلك كثيرة منها قوله سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أمة يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكَر وَأُوْلَئِكَ هُمُ المفْلِحُونَ ﴾ [٥] ، ومنها قوله جل وعلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

---

١) سورة الأعراف - الآية ١٥٧.
٢) سورة آل عمران - الآية ١١٠.
٣) سورة التوبة - الآية ٧١ .
٤) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.
٥) سورة آل عمران – الآية ١٠٤.

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١)، ومنها قوله عز وجل: :﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢).، ومنها قوله سبحانه: وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٣) ، فيبين سبحانه أن أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هم الدعاة إلى الله. وهم أهل البصائر والواجب كما هو معلوم هو اتباعه والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (٤).

وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة. فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة وعملاً صالحاً جليلاً.

وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام صار الإثم عاماً وصار الواجب على الجميع وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته

---

١) سورة النحل - الآية ١٢٥.
٢) سورة القصص _ الآية ٨٧.
٣) سورة يوسف - الآية١٠٨ .
٤) سورة الأحزاب - الآية ٢١.

وإمكانه، أما بالنظر إلى عموم البلاد فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله جل وعلا في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله عز وجل بالطرق الممكنة، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث الدعاة وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك والرؤساء ودعاهم إلى الله عز وجل(١).

شروط يجب أن تتوفر في الداعي إلى الله:

١)الإخلاص في الدعوة إلى الله تعالى: أن تخرج من حظوظ نفسك ومن إرادة غير الله، لا تدعو لتحصل على مال، ولا لتحصل على جاه، ولا شرف ولا صيت ولا ذكر، هذه كلها معوقات وأهلها منجرفون معها، الداعي حسبه شرفاً أن أصبح – كما قدمنا– واسطة بين الله وعباده، لا هم له إلا إرضاء مولاه فقط، أما أن يرائي في دعوته حتى يصبح يدعو إلى النقيض لنفسه فقد هلك.

فلا بد من الإخلاص والتجرد، وليس هذا بالمستحيل ولا بالصعب؛ فإن الله ما كلفنا المستحيل ولا كلفنا شاقاً؛ بل التكاليف كلها وإن كانت من الكلفة والمشقة، ولكنها ميسورة وسهلة لمن استعان الله عز وجل، وطلب أن يعينه.

٢) الحكمة في الدعوة إلي الله: فالداعي ينبغي أن يكون مشبعاً بروح الحكمة، والحكمة قد تكون في بدنك، لا تقل: لا بد من قراءة بقراط وسقراط وفتن الأولين،

---

١) حوار عكاظ مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الجزء الخامس.

الحكمة مودعة في الصمت، من لازم الصمت أجرى الله على لسانه الحكمة، والحكمة ثمرة التقوى.

فلا بد من الإخلاص والتجرد، وليس هذا بالمستحيل ولا بالصعب؛ فإن الله ما كلفنا المستحيل ولا كلفنا شاقاً؛ بل التكاليف كلها وإن كانت من الكلفة والمشقة، ولكنها ميسورة وسهلة لمن استعان الله عز وجل، وطلب أن يعينه.

٣) اليقين والعلم:

وهذه حالة صعبة يعيش عليها المسلمون، وهي أنهم فاقدون لليقين في الجملة، واليقين عزيز. ونستشهد له بمسألة عمر رضي الله عنه، فقد هجس في نفسه هاجس، وخطر بباله خاطر، وقال: نحن أميون لا نقرأ ولا نكتب، فكيف قبلنا الإسلام ودخلنا فيه بمجرد أن سمعناه؟! وأهل الكتاب جيراننا من اليهود والنصارى أهل كتاب يقرءون ويكتبون ويعرفون ولم يسلموا ولم يدخلوا في الإسلام؟ حقيقة، هذا هاجس سجية في النفس، كيف هم علماء وما قبلوا هذا الدين، ونحن أميون فقبلنا! أي سبب لهذا؟ وفي القرآن الجواب: أولاً: قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[1]، تدخل في مساجدنا في البلاد الإسلامية يوم الجمعة قبل الصلاة، تجد الأمة تقرأ القرآن وفي أيديها مصاحف، فتظن أنهم علماء، وأنهم عارفون، وأنهم بصراء، فقهاء، يقرءون كتاب الله، وفي الواقع لا يعرفون شيئاً، إلا مجرد قراءة، كما كان أيضاً جيراننا بالمدينة من اليهود، لما يدخل عليهم في بيتهم ودارهم وإذا مصاحف التوراة بين أيديهم يدجلون ويهمهمون، قال

---

١) سورة البقرة - الآية ٧٨.

تعالى عنهم: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[١]، إلا قراءة، أحد وجهي التفسير، وأوضح من هذا: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[٢]، وهذا هو الفرق بين صاحب القدم الراسخة وبين المعلومات الوهمية السطحية، وهذه حقيقة تأملوها وتدبروها، أما سمعنا الله يقول: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٣]، وقَالَتْ عَائِشَةُ صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنْ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً[٤]، انتبهوا! فأيما عالم علمه سطحي ما تمكن من نفسه ولا استطاع أن يحول أو يغير غرائزه، فهذا العلم صاحبه ذلك أمي، فالعلم الحق هو الذي يغير نظريات الإنسان ومجرى سلوكه: : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٥]، حتى قالوا: العلم الخشية، فمتى وجدت الخشية فالعلم حاضر، وهو كذلك والله العظيم، لو وجدت الأمي ترتعد فرائصه من خشية الله؛ يخشى أن ينظر نظرة لا ترضي الله، أو يعمل شيئاً يسخط الله، فاعلم أنه هو العالم، عرف أيقن بوجود الله وجماله وكماله، وما لديه وما عنده، وترى الرجل يتلو ما يتلو ويقرر ما يقرر ويتصرف في معارف العلوم ويمحو ويكتب، وهو

---

١) سورة البقرة - الآية ٧٨.
٢) سورة النساء - الآية ١٦٢.
٣) سورة البقرة - الآية ٧٨.
٤) صحيح البخاري « كتاب الأدب « باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم الحديث (٥٧٥٠).
٥) سورة البقرة - الآية ٧٨.

لا يستطيع أن يضبط نفسه ساعة، وتراه كالهمل في المعاصي والموبقات، فهل هذا عالم؟ ما علم، علمه سطحي، ما هو بيقيني.

وقد حضرت محاضرة للشيخ أمين الحسين الفلسطيني ألقاها في الجامعة الإسلامية أيام فتحها وبدايتها، وهي كلمة جديرة بأن يسمعها الأبناء ويعوها، وهي: أن هذا التنظيم التعليمي وبرامج التعليم ليست برامج إسلامية نبعت من فقهاء الإسلام ورجال العلم فيه، بل هي مستوردة من الغرب، نهايتها كبدايتها؛ بدايتها إزالة الأمية حتى يتفاهموا مع أناس غير أميين؛ لأن الغرب لا يعطونهم حقهم، ويقولون: نرقى بالمستعمرات أو بالشعوب المتخلفة الفقيرة التي تحت أيدينا إلى مستوى يتجاوزون به حد الحيوانية، حتى إذا خاطبناهم يفهمون عنا، وأوصلوا الناس إلى مستوى الذبذبة والحيرة.

فأوجدونا كما يعلمنا الله؛ علماء غير علماء، عارفين غير عارفين، أميين ولسنا بأميين، ولهذا أسوأ حال يعيشها المسلمون هي هذه، لمن يعمل أو يتقي؟ هذا تخطيط ليصبح العبد في مستوى الذبذبة، وينتهي به. أيام كان يطلب العلم لله، ويعكف عليه طالبه، يجلسون عليه السنين لا يضطر للإجابة، إذ هم فقط يتعلمون ليعرفوا الله ويذكروه، ليستقيموا على المنهج الذي يعبدونه به، فلما أصبح التعليم شهادات تصل بالطالب إلى وظيفة، من هنا أصبح العلم -يقيناً- علوماً سطحية في آذان المسلمين، ما تعمقت ولا توصلت إلى وجدانهم، وإن رأيت أناساً صالحين فاعلم أنهم ما أخذوا هذا من العلم، أخذوه من المجاورة أو التربية أو المجالسة لآبائهم أو مشايخهم، أما العلم الذي تلقوه فما ينتج خشية ولا يولد التقوى؛ لعلة معروفة: فعن أَمِيرِ المؤمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ

اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ " :إِنَّما الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ وإِنَّما لكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورَسُولِهِ، ومَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيا يُصِيبُها أو امْرأةٍ يَنْكِحُها فَهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه." (١)، لو تجتمع الدنيا كلها على نقض هذه القاعدة والله ما نقضوها، ولم يختلف الأمر أبداً: (وإِنَّما لكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى). فإذا كنا نطلب العلم للوظيفة فعلى العلم السلام، وعلى العمل كذلك السلام؛ لأننا أصبحنا ما نعبد الله بهذا العلم، وإذا هان هذا في الذكران فما بالنا في الإناث؟! الإناث يتعلمن ويتسابقن لأي غاية؟ ليعبدن الله؛ لتتمكن الخشية من قلب أمة الله فتخر صارخة إذا ذكر الله؟ اللهم لا، لأي شيء إذن؟ للتيهان والضياع، هل بلغكم أن من المتعلمات المتخرجات في العالم الإسلامي ربانيات كالزهراء و عائشة ؟ لا؛ لأن العلم ما طلب لله؛ طلب إما لوظيفة أو لسمعة أو شهرة، وما لم يكن كذلك لا يكمل تقواه.

ومن هنا نقول: بعد العلم اليقين، يجب أن تكون علومنا يقينية، ما ندعو ونحن شاكون في الله، ما نخوف من عذاب الله ونحن غير مطمئنين إلى وجود هذا العذاب، ما نرغب في النعيم العلوي ونحن غير موقنين بأن هناك نعيماً، لا ندعو إلى الإصلاح عن طريق كتاب الله وسنة نبيه ونحن غير موقنين أن الإصلاح من طريقهما، لابد من مستوى اليقين، كما نقول: أقسم بالله الذي لا إله غيره، ما كمل إنسان ولا سعد في الدنيا والآخرة إلا على الإيمان وصالح الأعمال، إلا بعد أن يخلص من

---

١) رواهُ إمَامَا المُحَدِّثِينَ : أبُو عَبْدِ اللهِ محمدُ بنُ إسماعيلَ بن إبراهيمَ بن المُغِيرةِ بن بَرْدِزْبَهْ البُخَارِيُّ، وأبُو الحُسَيْنِ مُسْلِمُ بنُ الحَجَّاج بن مُسْلِمٍ القُشَيْرِيُّ النَّيسابُورِيُّ في صَحِيحَيْهما اللَّذَيْنِ هُما أَصَحُّ الْكُتُبِ المُصَنَّفَةِ(رياض الصالحين _ باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأقوال والأحوال البارزة والخفية).

أوضار الشرك والمعاصي، لن يستطيع أحد أن يقنعنا أن شعباً أو أمة يمكنها أن تكمل أو تسعد على غير الإيمان وصالح الأعمال يقيناً، فلهذا إذا دعوت أنا فإنما أدعو النقيض وهو الشاك، فالذي يدعو وهو شاك ما ينفع، لابد من اليقين.

فهذه الدعوة لا بد من مراعاة العلم فيها، فالعلم ضروري، فلو أن واحداً قام الآن وقال: معشر المستمعين الكرام! إن هناك مأدبة فاخرة عظيمة، تعالوا، فتشرئب أعناقنا ونخرج: أين الوليمة؟ أين المأدبة؟ فيقول: ما أدري، سمعت بها، أين هي؟ ما استطاع أن يأخذ بنا إلى هذه المأدبة، كيف يكون موقفه معنا؟ أضلنا، فتننا وحيرنا، فلابد لمن يدعو إلى وليمة أن يعرف دارها برقمها، بطريقها الأقرب إليها؛ لتكون دعوته دعوة حقيقية نافعة .

أما أن يدعو وهو جاهل فإنه يتعب الناس ويحيرهم، ولا تقولن: ومن أين لنا العلم؟ العلم ميسور، سئل ابن عباس رضي الله عنه: بم نؤتى العلم يا حبر؟ قال: بلسان سئول وعقل عقول، بلسان سئول كثير السؤال، وعقول كثير العقل والضبط.

ولهذا أقول دائماً للمؤمنين في مثل هذه المجالس: لسنا في حاجة ماسة إلى مدارس ومعاهد وكليات أبداً، تلك للصناعات، أما بالنسبة إلى الطريق إلى الله والفوز برضا الله فلا نفتقر إلى كل هذا أبداً، اعمل بفأسك ومسحاتك طول النهار، وإذا أردت أن تعبد الله بشيء اسأل العالم: كيف أعمل لربي؟ فإذا قال: افعل كذا فعلت، ولم يحل بينك وبين الفعل الدنيا كلها، وقد ضربنا أمثلة لهذا، يجيء الرجل ويقول: (أي العمل أحب إلى الله يا رسول الله) في طرف الحلقة، فيقول: كذا وكذا، فلا يترك ذلك العمل حتى يموت.

ويسأل أحدهم: أي الذنب أعظم عند الله يا رسول الله؟ فيقول: كذا، فلا يقربه حتى يموت.

فعلومنا ومعارفنا الموصلة لأرواحنا، إلى ذلك الكمال لا تفتقر أبداً إلى هذه المدارس والكليات، وليس هذا تثبيطاً لعزائم الناس، ولكن نقول: ما هي بحاجة أبداً، أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أكثرهم أميون، لم يعرفوا القلم ولم يكتبوا به، لكنهم أصدق هداة الأنام، مصابيح الدجى، أناروا الحياة؛ لأن هذا العلم ما يفتقر إلا إلى الإخلاص والصدق والتطبيق، ليست العلوم معارف فقط تتراكم، وأصحابها والعياذ بالله تعالى مقطوعو الصلة عن الله، لا يربطهم بالله رابط الدعوة تفتقر إلى العلم، من دعا إلى شيء يكون قد علمه وعرفه، هذه المعرفة حتى لا يخوف الناس ويقول: يجب أن تدرسوا وتترقوا وتتنقلوا من مدرسة إلى أخرى.

أبداً، اسألوا، تعلموا، تأتي بالرجل وتقول له: أي عبد الله! اقرأ علي القرآن، أسمعني كلام الله، فيقرأ آيات فتنطبع في نفسك، وتشع أنواره في قلبك، وإذا بك مزدهر النفس، مجرد أن يسمع فقط، أما قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾[1]، سمع وفهم وعرف، إن شاء الهداية اهتدى، وإن رضي بالضلال بقي على ضلاله، فهو السماع فقط.

فالذي يعوزنا أو ينقصنا هو الصدق، أما العلوم والمعارف فهي متوفرة والأعمال قلت، فمن هنا أقول: العلم يا من يدعو إلى الله! اعلم ثم ادع، كيف تعلم؟ اسأل، تعلم، جالس الصلحاء والعلماء وتعلم، عرفنا أميين ما قرءوا ولا كتبوا، يقول لك:

---

١) سورة التوبة - الآية ٦.

الآية الفلانية في السورة الفلانية، والله العظيم، ولم يحمل القلم، ولم يعرف الألف ولا الباء.

واحذر من الجهل؛ فإن الجاهل بالشيء لا يستطيع أن يهدي به وهو جاهل به، ولا ينفع أبداً، فلابد من العلم، وطلب العلم فريضة، ليس على اختياري، كل مؤمن يجب أن يعرف الطريق إلى الله، يعرف محاب الله ومكارهه، يعرف الله أولاً بأسمائه وصفاته، فإذا عرف دعا (١).

أجر الدعوة على الله ﷻ:

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢)، قالها نوح وقالها هود وقالها صالح وقالتها الأنبياء، وقالها خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم:﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(٣).

التوفيق في الدعوة علي الله ﷻ :

يظهر ذلك في كلام خطيب الأنبياء شعيب مع قومه ، قال تعالى : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُواْ

---

١) من كلام الشيخ أبو بكر جابر الجزائري (مفرغ من إحدي محاضراته).

٢) سورة الشعراء - الآية ١٠٩ .

٣) سورة الشوري - الآية ٢٣ .

يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[1]

عقوبة ترك الدعوة:

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ وَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ "رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"مَثَلُ الْمُدَاهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُّوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا ، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأْسًا، فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ ؟ قَالَ : تَأَذَّيْتُمْ بِهِ وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ . فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ . "**رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ** .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)**فَإِنِّي**

---

١) سورة هود - الآيات من ٨٤ : ٨٨ .

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ . "رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ . وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ " :إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ " .وَفِي أُخْرَى لَهُ " : مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ، ثُمَّ لَا يُغَيِّرُونَ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ . "وَفِي أُخْرَى لَهُ : "مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي أَكْثَرَ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ . "

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ، يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِمْ وَلَا يُغَيِّرُونَ ، إِلَّا أَصَابَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا " .رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَابْنُ مَاجَهْ.

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ الْكِنْدِيِّ قَالَ : حَدَّثَنَا مَوْلًى لَنَا أَنَّهُ سَمِعَ جَدِّي ﷺ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوُا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ فَلَا يُنْكِرُوا ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ " رَوَاهُ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْمَعَاصِي نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ ، وَآكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ ، فَضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، فَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . قَالَ : فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: " لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأْطِرُوهُمْ أَطْرًا

" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَأَبُو دَاوُدَ وَفِي رِوَايَتِهِ قَالَ:" كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ ، وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ.

ما حدث لبني إسرائيل بسبب ترك الدعوة:

قال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ *وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ *فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ *فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(١).

والسبت هو أول أيام الأسبوع، تعظمه اليهود، زاعمة أن الله استراح فيه بعد خلقه السموات والأرض، فكذبهم الله بقوله :﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (٢) أي تعب، وألزمهم الله عقوبة لهم، كما وردت آثار كثيرة نقتصر منها على بعض ما نقله ابن

---

١) سورة الأعراف – الآيات من ١٦٣: ١٦٦.

٢) سورة ق - الآية ٣٨.

جرير، قال حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة بن الفضل، قال حدثنا محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس، قال: "إن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عهدكم يوم الجمعة، فخالفوا إلى السبت، فعظموه وتركوا ما أمروا به، فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله به، فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره، وكانوا في قرية بين إيلة والطور، يقال لها : مدين، فحرم الله عليهم في السبت الحيتان: صيدها وأكلها (١).

وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت عليهم شرعاً إلى ساحل بحرهم، حتى إذا ذهب السبت ذهبت، فلم يروا حوتاً صغيراً ولا كبيراً، فكانوا كذلك حتى إذا طال الأمد وقرموا إلى الحيتان – يعني اشتدت شهوتهم – عهد رجل منهم فأخذ حوتاً سراً يوم السبت، فحزمه بخيط، ثم أرسله في الماء، وأوتد له وتداً في الساحل، فأوثقه ثم تركه حتى إذا كان الغد جاء فأخذه، أي أنه لم يأخذه في السبت، ثم انطلق به فأكله، حتى إذا كان يوم السبت الآخر عاد لمثل ذلك، ووجد الناس ريح الحيتان وعثروا على صنيع ذلك الرجل، ففعلوا كما فعل، وأكلوا سراً زماناً طويلاً، لم يعجل الله عليهم بعقوبة حتى صادوها علانية وباعوها بالأسواق.

وقالت طائفة منهم من أهل البقية – يعني أهل التمييز والفهم يقون على أنفسهم بطاعة الله والتمسك بدينه، وَيْحَكم، اتقوا الله، ونهوهم عما كانوا يصنعون، وقالت طائفة أخرى: لم نأكل الحيتان ولم ننه القوم عما صنعوا ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً

---

١) تفسير الطبري ١/ ٣٣٠.

إِلَى رَبِّكُمْ﴾ ولسخطنا أعمالهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(١).

قال ابن عباس: "فبينما هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم وفقدوا الناس فلا يرونهم، فقال بعضهم لبعض :إن للناس لشأناً فانظروا ما هو؟ فذهبوا ينظرون في دورهم، فوجدوها مغلقة عليهم قد دخلوا ليلاً، فغلقوها على أنفسهم كما يغلق الناس على أنفسهم، فأصبحوا فيها قردة، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبي بعينه وإنه لقرد(٢).

قال: قال ابن عباس: فلولا ما ذكر الله أنه أنجى الذين ينهون عن السوء لقلنا أهلك الجميع منهم(٣).، قالوا: وهي القرية التي قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾(٤).من سورة الأعراف. وقال قتادة في قوله تعالى :﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾(٥). قال: "حرمت عليهم الحيتان يوم السبت فكانت تشرع إليهم فيه فقط بلاء من الله ليظهر علمه فيمن يطيعه ممن يعصيه، فصار القوم ثلاثة أصناف: صنف أمسك وانتهى عن المعصية، وصنف أمسك عن حرمة الله، وصنف انتهكها ومرد على المعصية. فلما أبوا إلا الاعتداء إلى ما نهوا عنه قال الله لهم :﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، فصاروا قردة لها أذناب بعد أن كانوا رجالاً ونساءً"(٦) .

---

١) سورة الأعراف- الآية ١٦٤.
٢) المرجع السابق.
٣) المرجع السابق.
٤) سورة الأعراف – الآية ١٦٣.
٥) سورة البقرة – الآية ٦٥.
٦) المرجع السابق.

وقال جمهور المفسرين: إن أهل القرية افترقت ثلاث فرق، وهو الظاهر من الضمائر في الآيات: الفرقة الأولى هي الفرقة العاصية أصحاب الخطيئة، أي: عصت وصادت، وكانوا نحوا من سبعين ألفا. والفرقة الثانية هي الفرقة المعتزلة، أي اعتزلت فلم تنه ولم تعص، وإن هذه الطائفة هي التي قالت للناهية :﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ﴾ -تريد العاصية - ﴿ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ ﴾ على غلبة الظن لما عهد من فعل الله تعالى حينئذ بالأمم العاصية: من إهلاك العصاة أو تعذيبهم من دون استئصال بالهلاك. فقالت الفرقة الثالثة الناهية :﴿ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾، إن كان هلاك فلعلنا ننجو، وإما أن ينتهوا فيكون لنا أجراً. وكل قد كانوا ينهون. ولو كانوا فرقتين لقالت الناهية للعاصية: ولعلكم تتقون، بالكاف. فلما وقع عليهم غضب الله، نجت الطائفتان اللتان قالوا :﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾، والذين قالوا :﴿ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ ﴾، وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان، فجعلهم قردة وخنازير.

وقال الناهون: فقد فعلتم يا أعداء الله! والله لنأتينكم الليلة في مدينتكم !والله ما نراكم تصبحون حتى يصبحكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب . والله لا نساكنكم في قرية واحدة!! فقسموا القرية بجدار: للمسلمين باب وللمعتدين باب. فلما كان الليل طرقهم الله بعذاب .

فأصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن لهم شأناً لعل الخمر غلبتهم! فوضعوا سلماً، وأعلوا سور المدينة رجلاً، فإذا هم قردة: الرجل وأزواجه وأولاده!! فالتفت إليهم فقال: أي عباد الله، قردة والله تتصايح كالكلاب

ولها أذناب! قال: ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفت القرود أنسابها من الإنس، ولم تعرف الإنس أنسابها من القرود. فجعلوا ينظرون إلى الرجل فيتوسمون فيه، فيقولون : أي فلان، أنت فلان؟ فيومئ بيده إلى صدره أن نعم، بما كسبت يداي. فجعلت القرود يأتيها نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي، فيقول: ألم ننهكم عن كذا؟! فتقول برأسها: نعم!! فمكثوا ثلاثة أيام ينظر إليهم الناس ثم هلكوا. فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم. وقيل إن شباب القوم صاروا قردةً، وأن الشيوخ منهم صاروا خنازير.

واعلم أن ظاهر النظم القرآني هو أنه لم ينج من العذاب إلا الفرقة الناهية التي لم تعص، لقوله تعالى :﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوءِ ﴾، **وأنه لم** يعذب بالمسخ إلا الطائفة العاصية لقوله تعالى :﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾.

فإن كانت الطوائف منهم ثلاثاً كما تقدم، فالطائفة التي لم تنه ولم تعص يحتمل أنها ممسوخة مع الطائفة العاصية، لأنها قد ظلمت نفسها بالسكوت عن النهي وعتت عما نهاها الله عنه من ترك النهي عن المنكر.

ويحتمل أنها لم تمسخ، لأنها – وإن كانت ظالمة لنفسها عاتية عن أمر ربها ونهيه، لكنها – لم تظلم نفسها بهذه المعصية الخاصة، وهي صيد الحوت في يوم السبت، ولا عتت عن نهيه لها عن الصيد.

وأما إذا كانت الطائفة الثالثة ناهية كالطائفة الثانية، وإنما جعلت طائفة مستقلة لكونها قد جرت المقاولة بينها وبين الطائفة الأخرى من الناهين المعتزلين، فهما في

الحقيقة طائفة واحدة لاجتماعهما في النهي والاعتزال والنجاة من المسخ .

وهكذا نجد أن الآيات قد نصت على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكتت عن الساكتين، لأن الجزاء من جنس العمل!! فهم لا يستحقون مدحا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيما فيذموا.

ومما يدل على أنه إنما هلكت الفرقة العادية لا غير، قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ *فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(١).

وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

ويقول الشيخ محمد أحمد الأنصاري (البهاولبوري) (٣): بذل الجهد لإعلاء كلمة الله له ثلاث مراحل:

أول ما خرج من حياة الأمة: جهد الدعوة.. ثم التضحية.. ثم حياة البساطة، فاجتهد الأعداء على هذه الصفات حتى أخرجوها من حياة الأمة، فصار الجهد

---

١) سورة الأعراف – الآيتان ١٦٥ ، ١٦٦ .

٢) سورة البقرة – الآيتان ٦٥ ، ٦٦.

٣) من علماء الدعوة والتبليغ بباكستان (من مدينة بهاولبور) وأستاذ بالجامعة الإسلامية بمدينة بهاولبور .

والتضحية للدنيا وصار الإنسان يسعى للرفاهية وصار المجتمع يستنكر المحرمات كالربا والخمر ولا يستنكر ترك الدعوة إلى الله وخروجها من حياة الأمة.

والله عزَّ وجلَّ خلقنا لعبادته، وتكميل الإيمان، والأعمال، والأخلاق، والسنن، والواجبات، ولم يخلقنا لتكميل الأموال والشهوات والأشياء.

والدنيا دار الحاجات، والجنة دار الشهوات، فنأخذ من الدنيا بقدر الحاجة، ونقوم بأداء أوامر الله حسب الطاقة، والله سبحانه يكمل شهواتنا يوم القيامة في الجنة دار كمال النعيم.

ويقول الشيخ عبد الوهاب (أمير الدعوة بباكستان): وقد سُئل يوما عن الدعوة هل هي فرض؟

فقال: لو قلت أن الدعوة فرض فقد ظلمتها، فإنها أم الفرائض بحياتها تحيا كل الفرائض وبموتها تموت كل الفرائض في الأمة.. فهي مثل الأم: لو موجودة يوجد الأبناء ويكونون في أحسن حال.. ولكن لو ماتت الأم لتغير حال الأولاد من الأحسن إلي الأسوأ.

وتكلم يوما فقال: للأسف نحنُ اليوم نجلس نستغفر الله من الذنوب والمعاصي التي ارتكبناها، ونسينا أن نستغفر الله من المعصية الكبرى وهي ترك الدعوة إلي الله، التي بسبب تركها ظهرت الكبائر والفواحش في أمة النبي ﷺ (١).

عقوبة من لم يطابق قوله فعله:

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ

١) كتاب فرضية الدعوة إلى الله(من أقوال الشيخ عبد الوهاب) ص ٤ .

النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانُ ! مَا شَأْنُكَ ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ " **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ** .

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرَائِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ . "رَوَاهُ فِي " شَرْحِ السُّنَّةِ " وَالْبَيْهَقِيُّ فِي " شُعَبِ الْإِيمَانِ " وَفِي رِوَايَتِهِ قَالَ ": خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَقْرَءُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يَعْمَلُونَ . "

وَعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنِ اقْلِبْ مَدِينَةَ كَذَا وَكَذَا بِأَهْلِهَا ، قَالَ : يَا رَبِّ ! إِنَّ فِيهِمْ عَبْدَكَ فُلَانٌ : لَمْ يَعْصِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ " . قَالَ : " فَقَالَ : اقْلِبْهَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ فِيَّ سَاعَةً قَطُّ ".رواه البيهقي في شُعب الإيمان.[1].

علامة الدعوة:

١) تجد الناس قد تحولت وجهتهم من الدنيا إلي الآخرة، ومن الخلق إلي الخالق، ومن الأشياء إلي الأعمال.

٢) يأتي الفهم الصحيح لتصريف النفس والمال.

---

١) الأحاديث في باب صفة الدعوة من كتاب : مشكاة المصابيح _ كتاب الآداب _ باب الأمر بالمعروف ٣/ ١٤٢١ .

٣) يرسخ اليقين في سويداء القلب، والقلب له ثلاث أقسام:

أ ـ القلب وهو محل الإيمان.

ب ـ الفؤاد وهو محل اليقين.

جـ ـ السويداء وهي محل رسوخ اليقين.

ثمرات الدعوة إلى الله:

١) الحصول على رضا الله سبحانه وتعالى.

٢) يتحصل على صلاح نفسه.

٣) يتعلم الخارج أمور دينه.

٤) يتعلق بربه جلا وعلا.

٥) يتحصل علي محبة الله عز وجل ومحبة الخلق له.

٦) يتحصل على معية الله عز وجل.

٧) يقضى الله جميع حوائجه بالدعاء.

٨) يأتي في قلبه الشفقة والرحمة على جميع الخلق.

٩) يشعر بمسئولية الدين.

١٠) يعلم أن الدعوة هي الطريق الوحيد لتكميل الدين في حياتنا ونشره في العالم.

١١) يتحصل الداعي على السعادة والطمأنينة والراحة والرفعة.

١٢) يتحصل علي البركة.

١٣) المحبة في في قلوب البررة.

١٤) الهيبة في قلوب الفجرة.

١٥) السعة في الرزق.

١٦) استجابة الدعاء.

١٧) النجاة عند نزول العذاب.

١٨) يتحصل علي أجر الدعوة.

١٩) يحفظ من الفتن.

٢٠) يتحصل صفات الأنبياء.

٢١) يتحصل علي العزة الدينية.

٢٢) يحشر مع الأنبياء.

٢٣) يحيا الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

٢٤) يتحصل الفردوس الأعلى في الآخرة.

٢٥) من يجتهد على الناس حتى يربطهم بالله تعالى، بإقامتهم علي الإيمان والأعمال الصالحة، الله يرزقه التعلق بالله ويرزقه الإيمان والأعمال الصالحة قبل الناس.

٢٦) في الحقيقة المستفيد الأول من الدعوة هو الداعية نفسه، هذا الرجل الذي يدعو الناس إلى الله هو المستفيد الأول، سواء استجاب الناس له، أو لم يستجيبوا، وسواء سمعوا له حال دعوته لهم، أو لم يسمعوا، فهو مستفيد على كل الأحوال.

٢٧) ما أطاع الله من أطاعه إلا بقوة الإيمان واليقين، وما عصى الله من عصاه إلا بضعف الإيمان واليقين.

٢٨) الداعي إلى الله: له من الأجر مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة كما في الحديث: عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ،

كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أوزارهم شَيْئًا"(١).

٢٩) الدعوة إلى الله تثمر لصاحبها الثبات على الهدى.

٣٠) الدعوة إلى الله تثمر البركة في عقب الداعي وأهله.

٣١) الدعوة إلى الله يصلح بها حال المجتمع المحيط بالداعية وقد تتعدى بركة الدعوة إلى أماكن كثيرة، قال تعالى على لسان نبي الله عيسى عليه السلام:﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (٢).

٣٢) الدعوة إلى الله طريق لدخول الناس في دين الله وصلاح المجتمعات.

٣٣) الدعوة طريق لتقليص المنكرات وقطعها.

٣٤) الدعوة إلى الله سبيل لرد دعوات المضلين ودحضها.

٣٥) الدعوة إلى الله سبيل في استمرار الدين وثباته في المجتمعات.

٣٦) الدعوة إلى الله سبيل في عزة الإسلام ورفع شأنه ونشره .

٣٧) فهذه بعض ثمرات الدعوة إلى الله وكفي للدعوة ثمرة أنها سبيل قيام الدين الذي ارتضاه للناس رب العالمين.

٣٨) وعن ثمرات الدعوة: يقول شيخنا أبو الحسن الندوي (رحمه الله): وكان لذلك نفع ملموس قد تجلى فى ناحيتين :

---

١) رواه مسلم.

٢) سورة مريم _ الآية ٣١.

.

الأولى : أن المتطوعين الذين قضوا قسطاً صالحاً من أوقاتهم تغيروا في أنفسهم ، عرفوا مبادئ الدين وأحكامه الأولية واستيقظت فيهم العاطفة الدينية وهبت عليهم نفحة من نفحات الحياة الإسلامية .

وقد رأينا طلائع هذه الحياة وآيات النهضة الدينية في ميوات فرأينا تغيراً مشاهداً فى المعتقد والأعمال والأخلاق ، رأينا مدارس تشيد ومساجد تبنى وتعمر وجنايات تقل وتندر ، وفتناً تضمحل ، وبدعاً تموت ، وتقاليد جاهلية ترتفع ، ودعوات دينية وتعليمية تثمر وتزدهر ، ونفوساً جامحة تلين وقلوباً جانية ترق وعيوناً تذرف ، وهماً تعلوا في سبيل الدين وإجلالاً لأهل العلم والدين وخضوعاً للحق مما لو جاهد الإنسان الواحد منها بالاستقلال لاستغرق وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً .

ورأينا كذلك فى أوساط المتصلين بهذه الدعوة والحركة والمتطوعين لها من الناشئة الجديدة والطبقة المثقفة والموظفين والتجار آثار الانقلاب الديني ، رأينا وحشة عن الدين تزول وتتبدل بالأنس ، وتنافراً بين طبقتي المتدينين والمتمدينين أو المتنورين — كما يسمون أنفسهم — يرتفع وإجلالاً لشعائر الإسلام وتعظيمها يحل محل الاستهزاء والسخرية منها ، ورغبة في تعلم الدين ومعرفة أحكامه تشتد وتلح إلى غير ذلك مما يمتازون به عن أقرانهم وأترابهم وزملائهم .

الثانية : أن الجماهير من المسلمين لم يزالوا يبتعدون عن الدين بالتدريج حتى أصبحوا في واد والدين في وادٍ وتشاغل عنهم العلماء وأصحاب الإصلاح والتعليم حتى انفصلوا عنهم في كل شيء وأصبح هؤلاء أمة وأولئك أمة ، تختلف الأولى عن الثانية في العادات واللباس ومظاهر الحياة واللغات واللهجات ، وأصبح هؤلاء العامة بجهلهم فريسة لكل صائد وأتباع كل ناعق تنهشهم سباع المادية وتغير عليهم

لصوص الدين ، وأخيراً فشت فيهم دعوة الشيوعية ووجدت أنصارها فى عامة المسلمين مرتعاً خصباً ، ولكنا نتوقع أن هذه الدعوة الدينية والحركة الصحيحة والاتصال بالجماهير والطبقات المنحطة فى العلم والدين والمعاش مباشرة وبذل النصح لها يصد هذا التيار إن شاء الله ﷻ ويكون سداً منيعاً فى وجه الحركات اللادينية .

عرفنا كذلك أنه لا يزدهر مشروع إصلاحي أو تكميلي إلا بالدعوة الدينية الأولى عن طريق التحريض والدعاية لا على طريق النظام والسياسة فى البداية ، فالحياة المدنية فى الإسلام مبنية دائماً على أساس الحياة المكية ، وكل مؤسسة لا تقوم على أساس الدعوة والتحريض الديني ولا تسبقها جهود في تمهيد الأرض، إلى انهيار فى العاجل أو الآجل ، اقتنعنا بهذه المبادئ وجربناها في بلاد بعيدة عن مركز الإسلام ، في أرض وعرة قد أهملت منذ زمن طويل فرأينا الغراس يثمر والجهد القليل يأتي بحاصل كبير (١).

ويقول أيضا (في كتابه الممتع ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين): وقد تكلم عن فتح المسلمين لبلاد العالم ونشرهم للهداية في جميع أنحاء الأرض فقال: فقد ظلت هذه الأمم المفتوحة تعتبر العرب المنقذ من الجاهلية والوثنية، والداعي إلى دار السلام ، والقائد إلى الجنة ، والمعلم للحضارة، والأستاذ في الأدب.

هذه هي القيادة العالمية التي هيأتها البعثة المحمدية ، وهي القيادة التي يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص ، ويعضوا عليها بالنواجذ ، ويسعوا إليها بكل ما أوتوا من مواهب ويتواصى بها الآبار والأبناء ، ولا يجوز لهم – في شريعة العقل والدين والغيرة – أن يتخلوا عنها في زمن من الأزمان ، ففيها عوض عن كل قيادة

---

١) التبليغ بين يديك (روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلي الله) بقلم المؤلف .

مع زيادة ، وليس في غيرها عوض عنها وكفاية ، وهي القيادة التي تشمل جميع أنواع القيادة والسيارة ، وهي تسيطر على القلوب والأرواح ، أكثر من سيطرتها على الأجسام والأشباح.

إن الطريق إلى هذه القيادة ممهدة ميسورة للعرب، وهي الطريق التي جربوها في عهدهم الأول: الإخلاص للدعوة الإسلامية واحتضانها وتنبيها والتفاني في سبيلها وتفضيل منهج الحياة الإسلامي على جميع مناهج الحياة .

وبذلك – من غير قصد وإرادة لنيل هذه القيادة وتبوئها – تخضع لهم الأمم الإسلامية في أنحاء العالم ، وتتهالك على حبهم وإجلالهم وتقاليدهم ، وبذلك تنفتح لهم أبواب جديدة وميادين جديدة في مشارق الأرض ومغاربها ، الميادين التي استعصت على غزاة الغرب ومستعمريه وثارة عليه ، وتدخل أمم جديدة في الإسلام ، أمم فتية في مواهبها وقواها وذخائرها ، أمم تستطيع أن تعارض أوربا في مدنيتها وعلومها إذا وجدت إيمانا جديدا ، ودينا جديدا ، وروحا جديدا ، ورسالة جديدة.

إلى متى أيها العرب تصرفون قواكم الجبارة التي فتحتم بها العالم القديم في ميادين ضيقة محدودة؟ وإلى متى ينحصر هذا السيل العرم – الذي جرف بالأمس بالمدنيات والحكومات – في خدود هذا الوادي الضيق ، تصطرع أمواجه ويلتهم بعضها بعضا؟ إليكم هذا العالم الإنساني الفسيح الذي اختاركم الله لقيادته واجتباكم لهدايته ، وكانت البعثة المحمدية فاتحة هذا العهد الجديد في تاريخ أمتكم وفي تاريخ العالم جميعا ، وفي مصيركم ومصير العالم جميعا فاحتضنوا هذه الدعوة الإسلامية من جديد وتفانوا في سبيلها وجاهدوا فيها { وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي

هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير .

من أفواه الدعاة إلي الله:

* حاجة النفس من الطعام سد الجوع ومن اللباس ستر العورة ومن السكن بيت يقي الحر والقر، وأما شهوة النفس فليس لها حدود.

* خروجنا لتأتي حقيقة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1] في حياتنا وحياة الناس جميعاً.

* لا يمكن أن تأتي أعمال الرسول ﷺ في حياتنا بأحوال فرعون وقارون.

* لا يقوم بحق الدين إلا من أحاط بالدين من كل جوانبه.

* الصحابة رضي الله عنهم كان زواجهم على السنة فكان زواجهم سبب الغنى، وأما نحن فلأن زواجنا بعيد عن السنة فصار زواجنا سبب للفقر.

* الأصل أن الجهد جهدنا ولكن إذا رأينا جهد أهل الباطل، فلا بد أن نزيد في جهدنا.

* لو الدعاة في العالم اجتهدوا في بلد واحد ما غطوا حاجة ذلكم البلد.

* إذا أعطانا الله نعمه ولم نشكر الله عليها فقد يسلبها الله منا.

* جهدنا ليألف الناس جهدنا حتى ولم يخرجوا فنحن نعيش فترة الغربه.

* هذا الجهد ليس للانتماء ولكن لتحمل المسئولية.

---

(١) سورة الفاتحة – الآية ٥.

الفرق الذي بيننا وبين الصحابة الكرام :

مثل الفرق بين الذين مهدوا الطريق للقطار وبين ركاب القطار.. فالذين مهدوا الطريق أخذوا سنوات في الحفر ووضع القضيب الذي سيمشي عليه القطار يعملون في الحر وفي البرد.. هؤلاء هم الصحابة الكرام ضحوا بأعمارهم فقط كي نقول لا إله إلا الله.. ونحن مثل ركاب القطار نأخذ المسافة في ساعات مرتاحين نأكل ونشرب.ومع ذلك الله يعطينا الأجر لتشبهنا بالرجال.

* *الدعوة تناديكم أنا وظيفة أعماركم*:

يقول بعض الأحبة: بينما كنت أتابع الأخبار فرأيت الأمر قد ازداد سوءاً والصورة قد ازدادت قبحاً ..كثير من الحرمات ينتهك.. وكثير من حدود الله يتعدى عليها.. دماء تهراق .. وأنفس تزهق.. وأموال تغتصب.. فسرت في الشارع فوجدت ذلك واقعاً ومشاهدا ، فتألمت وتحسرت.. فأردت أن أعود إلى بيتي لأنام وأستريح.. فوجدت من يجذبني ويهزني ويعنفني ويلومني.. ويقول لي : لا تفعل..لا تفعل.

فسألتها: من أنت؟

قالت : أنا الدعوة..أنا هداية الخلائق .

تذهب وتنام.. أي قلب لك.. وأين عقلك ؟.. وأي خير فيك.. وأي دين.. فيمن يرى محارم الله تنتهك.. ودينه يضيع.. وسنة نبيه يرغب عنها.. وهو بارد القلب، ساكت اللسان.. شيطان أخرس.

فهؤلاء مع سقوطهم من عين الله.. قد بلوا بأعظم بلية..ألا وهي موت القلب.. فالقلب كلما كان حياً كان انتصاره لحرمات الله أقوى

اعلم : ما من حرمة تنتهك إلا بسبب تقصيركم في الدعوة.

وما من دم يهراق في غير محله.. وما من نفس تزهق إلا بسبب تقصيركم في الدعوة.

وما من ظلم يحدث.. وما من حق يضيع إلا بسبب تقصيركم في الدعوة.

فرددت عليها ليس في جعبتي شيء أدعو به

قالت :اعلم أن الدعوة إلى الله هي دليل انتمائك للإسلام.

فقولك أنا مسلم..هذه دعوى..وكل دعوى تحتاج لدليل إثبات..فأين دليل إثباتك؟

هاهو الطفيل بن عمرو الدوسي يلتقي رسول الله (صلى الله عليه وسلم ..(ووجد صعوبة بالغة في ذلك.

وبعد أن أعلن إسلامه علم أن الدعوة دليل الانتماء لهذا الدين.

فقال يا رسول الله إن دوسا كفرت بالله.. وفشي فيها الخمر والزنا فأرسلني إليهم.. فأرسله إليهم.. وليس في جعبته شيء إلا الشهادة.. وأسلم على يديه ثمانون بيتاً من دوس.

فلا تقل ليس في جعبتي شيء أدعو به.

فقلت لها: حقيقة كم أنا مقصر..وقد غاب عني هذا الفهم.

قلت لها :لقد بلغت من العمر عتيا وتعديت الخمسين سنة.. وأنى لي أن أعمل بعد هذا العمر؟ .

فهبت في قائلة : الدعوة إلى الله وظيفة العمر.

أي أن حياتك كلها لابد وأن تصرف في الدعوة إلى الله.. فعن عمرك أنت مسئول، ففي الحديث: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال : " لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه وما عمل فيما علم" (١).

نوح عليه السلام: ألف سنة إلا خمسين عاماً .. دعوة بالليل والنهار بالسر والإعلان.

يعقوب (***عليه السلام***): وهو على فراش الموت.. لم ينسى أنه داعي إلى الله " أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ...) (٢).

يوسف (**عليه السلام**) **في السجن**: لم ينسى أنه داعي : (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (٣).

محمد (صلى الله عليه وسلم): وهو على فراش الموت.. نادي وقال : كما في سنن ابن ماجه عن أم سلمة :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: " الصلاة وما ملكت أيمانكم، فما زال يقولها حتى يفيض بها لسانه وصححه الألباني.

ورواه أبو داوود عن علي رضي الله عنه بلفظ آخر قال :كان آخر كلام رسول

---

١) صحيح : أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح في كتاب صفة القيامة ، باب في القيامة رقم (٢٤١٦- ٢٤١٧) ٤ / ٥٢٩ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (٢٤١٦- ٢٤١٧) ٤ / ٥٢٩ ، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٤٦) ٢ / ٦٢٩ ، وفي صحيح الجامع رقم (٧٣٠٠) ، وفي صحيح الترغيب والترهيب رقم (١٢٦ – ١٢٧).

٢) سورة البقرة _ الآية ١٣٣.

٣) سورة يوسف _ الآية ٣٩.

الله صلى الله عليه وسلم :الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم .

ومؤمن آل يس: بالرغم من وجود الرسل الثلاثة.. علم أنه مسئول ماذا قدم لدين الله فجاء مسرعاً (وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى)[١].

وعمرو بن الجموح: رجل أعذر الله إليه.. فقد كان أعرج.. وقام يجاهد في سبيل الله.. ويقول أريد أن أطأ بعرجتي الجنة.

فسألتها: ربما لا تكون علي مسئولية.. وقد قام بالدعوة إلى الله رجال الأزهر والأوقاف.. فهل هذا يعفيني ؟ فاحمر وجهها وعلا صوتها وقالت: اتق الله فالدعوة إلى الله مسئولية الجميع. واعلم.. أن الله سائلك: ألم أعطك مالاً ؟.. ألم أعطك ولداً ؟.. فماذا قدمت لهذا الدين؟

فينظر العبد أيمن منه فلا يجد إلا ما قدم.. وينظر أشأم منه فلا يجد إلا ما قدم.. وينظر أمامه فلا يجد إلا النار.. فاتقوا النار ولو بشق تمرة .

الهدهد: أبى أن يعيش على أرض الله ويستظل بسماء الله ويأكل من رزق الله ويُعبدَ غير الله.. فهب قائلا (وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)[٢].

فأين أنت من الهدهد ؟

فقلت لها من اليوم سأجتهد في نشر رحمة محمد (صلى الله عليه وسلم).. وعدل عمر.. وحياء عثمان.. وفقه علي رضي الله عنهم جميعا.

فقلت لها قبل الوداع.. أنا مثقل بالذنوب والمعاصي.. وهذا يعوقني.

---

١) سورة يس _ الآية ٢٠.

٢) سورة النمل _ الآية ٢٢.

فوضعت يدها على كتفي وطمأنتني وقالت: أي منكم ليس له خطاء .. فكل بني آدم خطاء.. وليس معصوم سوى من عصمهم الله .. فلا تضف إلى ذنوبك ذنباً آخر بقعودك وعدم تعليم الناس الخير.

يقول الغزالي" :ولست أرى منكراً أكبر من الجلوس وعدم تعليم الناس الخير.. هذا من ناحية. "

ومن ناحية أخرى:

١ـ (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ)[١]..

٢ ـ " لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم.

٣ ـ " وأتبع السيئة الحسنة تمحها ".

وها هو أبو محجن الثقفي: كان يشرب الخمر وخرج يجاهد في سبيل الله في القادسية.. وأبلى بلاءً حسناً .. وكانت سبباً في إقلاعه عن ذلك فلا تكن الذنوب حائلاً أمامك في الدعوة إلى الله.

فاقتنعت بكلامها.. وشكرت لها حسن صنيعها.. وعاهدتها أن أسعى جاهداً في تحقيق هتافها(الدعوة تهتف بكم أنا وظيفة أعماركم بقلم/ تراجي الجنزوري).

طرق الحصول على الدعوة:

١- الخروج في سبيل الله للدعوة إلى الله، ونتجول ونتحرك علي الناس في البيوت والشوارع والأسواق والميادين لندعوهم إلى الله عز وجل.

---

١) سورة هود _ الآية ١١٤.

٢- نكثر من الجلوس في مجالس فضائل الدعوة إلى الله.

٣- ندعو الناس إلى تحقيق الدعوة إلى الله في حياتهم.

٤- ندعو الله عز وجل أن يرزقنا وجميع الأمة حقيقة الدعوة إلى الله.

من أقوال مشايخ التبليغ في واجب الدعوة:

يقول الشيخ الأنصاري: ثبت في التاريخ أنّ أول عمل انتقل إلى الأمة المسلمة من رسولها الكريم صلوات الله عليه علماً وعملاً هو الجهد للدين، والذي هو بالقياس إلى باقي الأعمال يعتبر الأساس.

فإذا قام المسلمون في أي زمان ومكان على أعمال الدين بكل فروعه ولكن مع الغفلة عن منهاج وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام يكونوا ضالين.

لأن من يرى الدين الذي قام عليه الرسول أي الدعوة، واستمر على القيام بباقي أعمال الدين فهو ساقط من عين الله حتى إن دعاؤه لا يستجاب لحديث: عائشة -رضي الله عنها- قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ فعرفت في وجهه أن قد حضره شيء، فتوضأ وما كلم أحداً، فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول، فقعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:" يا أيها الناس إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم، فما زاد عليهن حتى نزل"(١)

---

١) رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: " حسن لغيره"؛ كما في صحيح الترغيب والترهيب، رقم(٢٣٢٥).

فالفريضة التي أعطيها النبي عليه الصلاة والسلام وحولها للأمة قبل فريضة الصلاة والصوم والحج والزكاة والتي بتركها لا يقبل دعاء المتقين والصالحين، كم تكون أهميتها؟.

وحيث أن الصلاة التي على غير الطريق النبوي باطلة، فكذلك إقامة الدين على غير طريق النبي، لذا ينبغي المحافظة على الطراز النبوي في إقامة الدين والدعوة إليه.

فالسعي لاقامة الدين والدعوة النبوية على المنهج الشائع في العالم كالذي يبني عمارة على أساس غير قوي، وهذه هي الخسارة الأساسية التي بسببها تفشل الحركات الدينية بسرعة وتنشر فيها الخلافات وتكون بسببها محرومة من النصرة الإلهية.

كما يتضح من رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن القيام بالدعوة الاجتماعية هي سر قوة المسلمين: لا تغتروا بكثرة الفرس وسلاحهم ولا تخشوهم واستعينوا بالله وارجوه وأرسل ممن معك وفداً إلى الفرس من ذوي الرأي يدعوهم إلى الإسلام فإن قبل فاقبلوا واعرضوا عنه وإلا فاستعينوا بالله وقاتلوهم) . رواية سيف الدين بن عمر الطبري ج٤ ص٩٣.

إننا نسعى عن طريق هذا العمل (الخروج في سبيل الله) الإتيان بالخير في الأمة أولا ، لأن الإتيان بالخير يحتاج منا لجهود عديدة ومجاهدات كي يأتي هذا الخير في الناس ، ومتى أتى فيهم فعل الخيرات فمثله مثل النور والضوء متى أشعل فتيله تبدد الظلام وزال ولسنا في حاجة لجهود لإزالة ذلك الظلام بحكم طبية الأشياء لذا ورد في القرآن *(إن الحسنات يذهبن السيئات)*

.

يا خير أمة أخرجت للناس، ويا أمة ونبيها خاتم الأنبياء ، ويا أمة ختمت بها الأمم، ويا أمة الشاهدة على كل الأمم، ويا أمة جعلها الله رحمة على العالمين، و يا أمة داعية لكل الأمم، يا أمة الصبر، يا أمة التوكل ، يا أمة التوحيد .....ألخ .

استجيبوا لمطلب نبيكم ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)) [١].

ويقول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي *(رحمه الله)* **في رسالته التي أرسلها إلي جماعة الحج والعمرة المتجهة إلي بلاد الحجاز**: لقد أعطيت الأمة كلها جهد الدعوة إلى الله ببركة ختم نبوة الأنبياء بالرسول الأعظم محمد ﷺ حتى يتعلق الخلق بالله تعالى.

لذا على هذه الأمة القيام على طريق الأنبياء بإنفاق المال والنفس ولا نسأل أحدا من الناس شيئا، ونقوم بذلك بالهجرة والنصرة عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ. " [٢].

---

١) جزء من حديث رواه الإمام البخاري ونصه: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أَنَّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - ، قَالَ : بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.

٢)هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي بَعْضِ تَصَانِيفِهِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بِشْرٍ. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، عَنْ مُسَدَّدٍ ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ . وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ ، ثَلاثَتُهُمْ ، عَنْ سُفْيَانَ ، بِهِ بِلا تَسَلْسُلٍ . وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ .

ويقول الشيخ عبد الوهاب (أمير التبليغ بالباكستان) حفظه الله:

إخواني وأحبائي في الله تعالي:

الله سبحانه وتعالي رحمن رحيم، وهو أرحم من الوالدة بولدها، فإذا جاءت عاطفة إرضاء الله في القلب في كل حال، تكن معنا قوة الله ونصرته الغيبية.

وعلينا أن نفهم جميع الإنسانية كلها، كيف يغيروا عواطفهم من أجل عاطفة ما يريد الله تعالي، ونفهمهم أننا إذا امتثلنا لأوامر الله تعالي في كل حال فالله يرضي عنا، وإذا دخلت في قلوبنا عاطفة امتثال أوامر الله تعالي فالله سبحانه وتعالي يفتح علينا أبواب الرضا، ويفتح علينا مفاهيم القرآن وماذا يريد منا في كل آية .

الآن جهدنا ناقص جدا، فكل أهل لغة يريدون إحياء هذا الجهد في أهل لغتهم وهذا من النقص في هذا الجهد، فإذا ضحينا بشهواتنا ورغباتنا يفتح علينا الله سبحانه وتعالي خزائن الفلاح في الدنيا والآخرة فسيدنا إبراهيم وهاجر عليهما السلام لما تركوا ما تريد أنفسهم من أجل ما يريد الله عز وجل فتح الله عليهم خزائن الفلاح والنجاح والرزق فرزقهم الماء من حيث لا يحتسبوا.

الله جعل في الدعوة قوة عظيمة فلا بد أن لا نتأثر بالأشياء فكم في ترك الأم لطفلها الرضيع كم يكون من الخسارة.

ولكن بالنسبة لترك الدعوة فالخسارة تكون أكثر من ترك هذا الطفل الرضيع بدون رضاعة. ولذا بترك الدعوة يموت الدين في الأمة.

وعند الدعوة والأعمال نستحضر الفضائل فأوامر الله مقصدها الوصول إلي

الله تعالي وليس هي مقصودة في ذاتها، ولكن التقرب بها إلي الله تعالي.

فلا ننظر لعاطفة مناطقنا وماذا تريد منا ولكن ننظر لما يريد الله منا فلا نرفع أقدامنا من علي الأرض حسب رغبة نفوسنا ولكن حسب أوامر الله تعالي فقط.

وبالدعوة يتولد في نفوسنا الاستعداد والقوة للقيام بالأعمال نقيم كل مسلم علي هذا الجهد وعلي أن لا يمشي إلا حسب ما يريد الله منه.

اذهبوا إلي جميع الناس في أماكنهم اذهبوا إلي الزراع والصيادين والفقراء والأغنياء وجميع الناس وأقيموهم علي هذا الجهد.

مراعاة أحوال المدعوين:

ويقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله):

يجب أن يراعي الداعي أحوال المدعوين من علم وجهل وقرب عهد بالإسلام وأميين ومتكبرين ومحبين ونافرين ومقبلين وأن يتخولهم بالموعظة وأن يحدثهم بما يفهمون حتى لا يكذبوا الله ورسوله، وذلك أدعى لقبول الدعوة، فعن علي ﷺ قال : حدثوا الناس على قدر عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله . رواه البخارى، وعن ابن مسعود ﷺ قال: ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة . رواه مسلم .

فلا بد من كلام الناس على قدر عقولهم بالدعوة، وهي أخلاق وإنفاق، وبعد الجهد تخرج لآلىء غير معروفه قبل جهد الدعوة .

مراعاة مقتضيات الدعوة:

*يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله):*على القدماء أن يتفكروا في مقتضيات الدعوة في كل بلد في العالم، وكذلك صلحيات الدعوة في كل زمان ومكان، ومن يستطيع أن يقوم بالدعوة في هذا المكان؟.

كذلك تتفكروا ما هي مقتضيات الدعوة في بيوتكم؟.

فالأولاد منهم من يحب اللعب، ومنهم من يحب القراءة، ومنهم من يفك الآلات، فلابد أن نستثمر هذه الطاقات ونوجهها.

كذلك ننظر ما هو الشيء الناقص من الدين؟ فنجتهد كيف نكلمه باللين و الرحمة، وحينما نقوم بالدعوة إلى الله تعالى يأتي لنا الأمن.

هل الجن مكلفون بعمل الدعوة مثل الإنس؟

نعم ، فعن سعيد بن جُبير، قال: لما بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم حُرِست السماء، فقال الشيطان: ما حُرِست إلا لأمر قد حدث في الأرض، فبعث سراياه في الأرض، فوجدوا النبيّ صلى الله عليه وسلم قائما يصلي صلاة الفجر بأصحابه بنَخْلة، وهو يقرأ، فاستمعوا حتى إذا فرغ وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ.قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا

حَضَرُوهُ قَالُواْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ... ﴾[١] .

هل واجب الدعوة على الرجال دون النساء؟

ج: يقول الله تعالى:﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[٢].

هذه الآية تفيد أن الدعوة واجبة على المؤمنين والمؤمنات، فلا يختص بهذا الواجب أحد دون أحد.

انتهاز الفرص للدعوة:

ـ فالنبي ﷺ ينتهز الفرصة في طريق الهجرة : أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ كَانَا رَجُلَيْ سُوءٍ قَدْ قَطَعَا الطَّرِيقَ ، وَقَتَلَا ، فَمَرَّ بِهِمَا النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَتَوَضَّيَا ، وَصَلَّيَا ، ثُمَّ بَايَعَا النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَقَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ أَرَدْنَا أَنْ نَأْتِيَكَ ، فَقَدْ قَصَّرَ اللَّهُ خُطْوَنَا قَالَ : مَا اسْمُكُمَا ؟ " قَالَا : الْمُهَانَانِ قَالَ : " بَلْ أَنْتُمَا الْمُكْرَمَانِ [٣].

وأخرج أحمد عن ابن سعد رضي الله عنهما ـ وسعد الذي دل رسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق رَكوبَة ـ قال ابن سعد: حدَّثني أبي أنَّ رسول الله صلى الله

---

١) سورة الأحقاف _ الآية ٢٩ .

٢) سورة التوبة _ الآية ٧١.

٣)مصنف عبد الرازق _ كِتَابُ أَهْلِ الْكِتَابِ بَيْعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقم الحديث (٩٨١٧).

عليه وسلم أتاهم ومعه أبو بكر رضي الله عنه ـ وكانت لأبي بكر عندنا بنت مسترضعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ـ فقال له سعد: هذا الغائر من رَكوبة وبه لِصَّان من أسلَم يقال لهما: المهانان، فإن شئت أخذنا عليهما. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خُذْ بنا عليهما». قال سعد: فخرجنا حتى أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه: هذا اليماني: فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهما الإسلام، فأسلما. ثم سألهما عن أسمائهما فقالا: نحن المهانان. فقال: «بل أنتما المكرمان». وأمرهما أن يَقدَما عليه المدينة. (١).

وقابل رسول الله ﷺ في بعض أزقة مكة، فانتهز الفرصة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهل: «يا أبا الحَكَم، هَلُمَّ إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله»، فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت مُنتهٍ عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنَّك قد بلّغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت، فو الله لو أنِّي أعلم أنَّ ما تقول حقٌّ لاتبعتك.فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عليَّ (٢). فقال: والله إني لأعلم أنّ ما يقول حقٌّ، ولكن يمنعني شيء: أنَّ بني قُصَيّ قالوا: فينا الحجابة فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا السِّقاية، فقلنا نعم؛ ثمَّ قالوا: فينا النَّدوة، فقلنا: نعم، ثم

---

١) فذكر الحديث. قال الهيثمي: : رواه عبد الله بن أحمد. وابن سعد اسمه: عبد الله، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات(حياة الصحابة _ عرضه صلى الله عليه وسلم الدعوة في السفر دعوته عليه السلام في سفر الهجرة _ ١/).

٢) أي: على المغيرة بن شعبة راوي الحديث.

قالوا: فينا اللِّواء فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا، حتى إذا تحاكَّت الرُّكَب قالوا: منا نبي، والله لا أفعل. كذا في البداية[١].

ـ والصديق يوسف عليه السلام انتهز فرصة تفسير الرؤيا بالكلام في الدعوة إلى الله ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[٢]

الاستمرارية في جهد الدعوة:

فالله تبارك وتعالى قص علينا قصص الأنبياء وكيف استمرارهم بالدعوة رغم المعاندين لهم وعدم استجابة الأقوام، فنوح عليه السلام كان مشغولا بالدعوة ليلا نهاراً وما سأم رغم قلة المستجيبين، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً ...﴾[٣]. وذلك مع طول المدة ولم يسأم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[٤].

وهكذا شأن الداعية الصادق المخلص المحب للدعوة، إذا وجد الفرصة سانحة للدعوة إلى الله دعا.

ولا يحق له أن يترك الدعوة بحجة أن الناس لا يستجيبون، فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٥]،

---

١) رواه البيهقي عن المغيرة بن شعبة (حياة الصحابة).

٢)سورة يوسف _ الآية ٣٩

٣) سورة نوح _ الآية ٥.

٤) سورة العنكبوت_ الآية ١٤.

٥) سورة القصص_ الآية ٥٦.

وقال تعالى: ﴿ ...وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١).

والله تبارك وتعالى أرسل موسى وهارون لدعوة فرعون مرات عديدة، مع أن الله يعلم أن فرعون لا يهتدي.

والدعوة واجب شرعي عليك القيام به سواء اهتدي الناس أم لم يهتدوا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٢).

فعلى من نصب نفسه لنشر الحق وتعليم الهدى لا بد أن يعتني بدينه أولا بالتوبة الدائمة إقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول: " يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة " رواه البخاري(٣).

قال ابن حبان رحمه الله: " قوله صلى الله عليه وسلم توبوا إلى ربكم يريد به استغفروا ربكم وكذلك قوله فإني أتوب إليه كل يوم مائة مرة وكان استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقصيره في الطاعات التي وظفها على نفسه لأنه صلى الله عليه وسلم كان من أخلاقه إذا عمل خيرا أن يثبته فيدوم عليه فربما اشتغل في بعض الأوقات عن ذلك الخير الذي كان يواظب عليه بخير آخر مثل اشتغاله بوفد بني تميم والقسمة فيهم عن الركعتين اللتين كان يصليهما بعد الظهر فلما صلى العصر أعادهما فكان استغفاره صلى الله عليه وسلم للتقصير في خير اشتغل عنه بخير ثان على حسب ما وصفنا"(٤).

---

١) سورة الشورى _ الآية ٥٢.

٢) سورة البقرة _ الآية ٥٢.

٣) مشكاة المصابيح _ كتاب الدعوات _ باب الاستغفار والتوبة ٢/ ٧١٩.

٤) صحيح ابن حبان.

فيجب على العلماء والدعاة لزوم المحافظة على الصلوات والأذكار والسنن وتلاوة القرآن وطيب المأكل وتطهير النفس من الحقد والحسد والكبر والغيبة والنميمة وغيرها من المهلكات ممتثلين قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ...﴾ (١).

وهذه الأمور يجمعها جميعا لزوم الاستقامة، قال تعالى ﴿... وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ * رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾(٢).، وفي الحديث عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ ، قَالَ: قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ : غَيْرَكَ ، قَالَ " : قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ . " (٣).

مقام الدعوة إلى الله (مقام المحبين):

قال ابن القيم(رحمه الله): فإنه يُعْفى للمحب ولصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره، وسمعتُ شيخَ الإسلام ابنَ تيمية –قدس الله روحه –يقول: انظر إلى موسى ، رَمَى الألواحَ التي فيها كلام الله الذي كتبه بيده فكسرها، وجرَّ بلحيةِ نبي مثله، وهو هارون، ولطم عين ملك الموت ففقأها، وعاتب ربه ليلة الإسراء في محمد ورفعه عليه، وربه تعالى يحتمل له ذلك ويحبه ويكرمه ويدنيه ، لأنه قام لله تلك المقامات العظيمة في مقابلة أعدى عدو له، وصدع بأمره، وعالج أمتي القبط وبني إسرائيل أشد المعالجة، فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر، وانظر

---

١) سورة التغابن _ الآية ١٦.

٢) سورة آل عمران _ الآيتان ٧ ، ٨ .

٣) صحيح مسلم « كِتَاب الإِيمَانِ » بَاب جَامِعِ أَوْصَافِ الإِسْلَامِ رقم الحديث: (٥٨).

إلى يونس بن مَتّى حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسى غاضب ربه مرة فأخذه وسجنه في بطن الحوت، ولم يحتمل له ما احتمل لموسى، وفرقٌ بين من إذا أتى بذنب واحد، ولم يكن له من الإحسان والمحاسن ما يشفع له، وبين من إذا أتى بذنبٍ جاءت محاسنه بكل شفيع كما قيل:

وإذَا الحبيبُ أتى بِذَنْبٍ وَاحدٍ .....جَاءتْ مَحَاسِنُه بأَلْفِ شَفِيعِ[1]

ما حكم من يهاجم الدعوة وأهلها؟

الإجابة: هناك أنواع من الناس، منهم الكفار الذين يهاجمون الدعوة وأهلها، وهؤلاء من مات منهم فهو في نار جهنم، ومن عاش منهم فهو كافر بالله العظيم في حياته يرجى له الإيمان ويُسعى من أجل هدايته، ويعادى على الكفر ما دام مصرَّاً عليه.

ومنهم من هو فاسق ضال مضل، إذا مات لا يُحكم عليه بالنار، ولكن تُرجى له مغفرة الله تعالى، ويُدعى له بالمغفرة، ويُدعى في حياته للرجوع عن ضلاله وفسقه.

ومنهم من هو صالح الظاهر لكنه سقيم الفهم أو ضعيف العقل، أو قوَّم الدعوة على أساس ما يراه، فيكون هذا من التعامل بين الأشخاص، وهذا يُلتمس له العذر ويُعلَّم وجه الخطأ عليه، فيُصحح له خطؤه إن استطيع إلى ذلك سبيل، وإلا فإنه يُعذر في هجومه، لأن هجومه في غير محله، هو ما أراد إلا الخير ولكنه غلط في التصور أو تعامل مع أشخاص لا يمثلون هذا الواقع الذي يريده، فمهاجمة الدعوة

---

١) مدارج السالكين.

بالإطلاق مهاجمة لدين الله سبحانه وتعالى، فالله تعالى وصف نفسه بالدعوة، فقال تعالى﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ (١)، وقال تعالى :وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ (٢)، والرسول صلى الله عليه وسلم وصفه الله بقوله :﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (٣)، وأمره بذلك في قوله: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٤)، وكذلك في قوله:﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٥)، وأمره أن يخبر عن نفسه وعن أتباعه بقوله ::﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦) ، والله سبحانه وتعالى أخبر أن أحسن الأقوال وأفضلها عنده سبحانه وتعالى هو الدعوة إليه، قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٧)، فلا يمكن أن يكون الإنسان مؤمناً بالله العظيم فيهاجم هذه الدعوة المقصودة في القرآن، لكن قد يهاجم دعوة إنسان بعينه لأن أسلوب هذا

---

١) سورة البقرة _ الآية ٢٢١.
٢) سورة يونس _ الآية ٢٥.
٣) سورة الأحزاب _ الآية ٤٦.
٤) سورة النحل - الآية ١٢٥.
٥) سورة القصص _ الآية ٨٧.
٦) سورة يوسف - الآية ١٠٨.
٧) سورة فصلت - الآية ٣٣ .

الإنسان غير موفق أو غير صالح له هو، أو بينه وبينه مشكلة دنيوية، أو لم يفهم هو دعوة هذا الإنسان، كل ذلك محتمل(١).

كلمة للمثبطين عن الدعـــوة:

وأخيرا أوجه هذه الكلمة إلى كل مثبط عن عمل الدعوة ، إن لم تستطع أن تكون في ركب الدعوة ومكملا لسلسة الشريفة(سلسلة الدعاة إلى الله) ، فلا تقف في وجه من يقوم بهذا الواجب بالتثبيط، فإن الذي يقف أمام الدعاة مثبطا فهو مكملا لدور المنافقين الذين ذكرهم الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٢)، ﴿ الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٣).

نصيحـــة:

من فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله) إلى العرب: اسمعوها مني صريحةً أيها العرب بالإسلام أعزَّكم الله لو جُمع لي العربُ في صعيدٍ واحد واستطعت أن أوجّه إليهم خطاباً تسمعه آذانهم، وتعيه قلوبهم لقلتُ لهم:

---

١) نقلاً عن موقع فضيلة الشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي على شبكة الإنترنت.

٢) سورة التوبة _ الآية ٨١ . .

٣) سورة آل عمران _ الآية ١٦٨ .

أيها السادة! إنَّ الإسلام الذي جاء به محمد العربي صلى الله عليه وسلم هو منبع حياتكم، ومِنْ أُفُقه طلع صبحُكم الصادق، وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو مصدر شرفكم وسبب ذكركم، وكل خير جاءكم – بل وكل خير جاء العالم – فإنَّما هو عن طريقه وعلى يديه، أبى الله أن تتشرفوا إلا بانتسابكم إليه وتمسُّكِكُم بأذياله والاضطلاع برسالته، والاستماتة في سبيل دينه، ولا رادَّ لقضاء الله ولا تبديل لكلمات الله، إن العالم العربي بحرٌ بلا ماءٍ كبحر العَروض حتى يتخذ محمد صلى الله عليه وسلم إماماً وقائداً لحياته وجهاده، وينهض برسالة الإسلام كما نهض في العهد الأول، ويخلِّص العالَم المظلوم من براثن مجانين أوروبا –الذين يأبون إلا أن يقبروا المدنيَّة وقضوا على الإنسانية القضاء الأخير بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم– ويوجِّه العالم من الانهيار إلى الازدهار، ومن الخراب والدَّمار والفوضى والاضطراب، إلى التقديم والانتظام، والأمن والسلام، ومن الكفر والطغيان إلى الطاعة والإيمان ، وإنه حق على العالم العربي سوف يُسألُ عنه عند ربه فلينظر بماذا يجيب ؟!.

التشكيل:

يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري(رحمه الله) في أدب جم : أنتم تاج رؤوسنا وقرة أعينا دمائكم دماء أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم أنتم الأصل ونحن الفرع ، أنتم الإمام ونحن المأموم ، أنتم الأستاذ ونحن التلميذ.

أجدادكم الصحابة جاؤوا إلى أجدادنا، وأجدادنا بصفاتهم البهيمية ظنوا أن أجدادكم يريدون الدنيا والنساء، وأجدادكم بصفاتهم الإنسانية صبروا على أجدادنا

ولم يتأثروا بدنيا بني الأصفر ولا نسائهم، أجدادكم أقاموا البساتين الإيمانية في العالم ومن أجل البساتين الإيمانية ربطوا الحجارة على بطونهم ، وهذه البساتين أتت عليها المشكلة، لا نقول لكم اربطوا الحجارة كأجدادكم بل اربطوا الدجاجة على بطونكم أنا أستحي أتكلم أمامكم لأربعة أمور: الكعبة عندكم ، لغة القرآن لغتكم ،لغة أهل الجنة لغتكم ، لغة النبي صلى الله عليه وسلم لغتكم.

وفي ميدان عرفة ما كان هندي موجود ولا بنغالي ولا باكستاني أنتم موجودون في الميدان.

ما كان تشكيلكم لسنة أو لأربعة أشهر أو لأربعين يوما بل كان تشكيل أجدادكم الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم – والشاهد يبلغ الغائب.

أنتم تقولون المدة انتهت وأجدادكم يقولون الأرض انتهت كما قال عقبة بن نافع رضي الله عنه، حينما وقف على ساحل المحيط الأطلسي وقال وهو يغوص بجواده في مياه الشاطئ (يارب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك).

المراجع

١) القرآن الكريم.
٢) صحيح البخاري.
٣) صحيح مسلم.
٤) سنن أبي داود.
٥) سنن الترمذي.
٦) سنن النسائي بحاشية السندي.
٧) سنن ابن ماجة.
٨) مسند الإمام أحمد.
٩) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
١٠) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي.
١١) بهجة الناظرين فيما يُصلح الدنيا والدين تأليف عبد الله بن جار الله بن إبراهيم بن جار الله.
١٢) الفتاوي لابن تيمية.
١٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم.
١٤) مدارج السالكين لابن القيم.
١٥) اليقين في معرفة رب العالمين للمؤلف.
١٦) كتاب كلمات مضيئة للمؤلف.
١٧) الأمراء الثلاثة للتبليغ والدعوة للمؤلف.
١٨) فرضية الدعوة إلى الله (من أقوال أمير التبليغ بالباكستان)للمؤلف.

١٩) المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة للمؤلف.
٢٠) إحياء علوم الدين للغزالي.
٢١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (المسمى بالسيرة الشامية).
٢٢) القول البليغ في جماعة التبليغ للشيخ أبو بكر جابر الجزائري.
٢٣) الصفات الست لصدر الدين عامر الأنصاري.
٢٤) الشيخ محمد عمر البالمبوري وبيان منهج النبوة في الدعوة إلى الله للمؤلف.
٢٥) لسان الدعوة والتبليغ للشرقاوي.

الفهرس

الموضـوع	الصفحة
إهـــــــــداء	٣
المقدمـــــــــة	٤
الصفات الطيبة	١٢
مدخل إلى الصفات	١٣
حقيقة الصفات، وصورة الصفات	٢٨
التخلية قبل التحلية	٣٠
البيان الأول: اليقين في معرفة رب العالمين	٣٧
البيان الثاني: في صفة اليقين علي الله	٦٢
البيان الثالث: في صفة اليقين علي الله	٦٦
البيان الرابع: في صفة اليقين علي الله	٦٩
البيان الخامس: في صفة اليقين علي الله	٧١
البيان السادس: في صفة اليقين علي الله	٧٣

ـ قصص في اليقين والتوكل	٧٦
البيان السابع: في دعوة الإيمان واليقين	٨٥
البيان الثامن: في الفوز والفـلاح	٨٧
البيان التاسع: في مفهوم السعـادة	٩١
البيان العاشر: في دعوة الإيمان واليقين	٩٢
البيان الحادي عشر: في دعوة الإيمان واليقين	٩٨
البيان الثاني عشر في دعوة الإيمان واليقين	١٠٤
البيان الثالث عشر في دعوة الإيمان واليقين	١٠٨
البيان الرابع عشر في دعوة الإيمان واليقين	١١٤
البيان الخامس عشر في دعوة الإيمان واليقين	١٣٤
البيان السادس عشر في دعوة الإيمان واليقين	١٣٥
البيان السابع عشر في دعوة الإيمان واليقين	١٣٩
ـ شروط لا إله إلا الله	١٤٤
ـ توحيد الربوبية والإلوهية	١٥٢
ـ أقوال المشايخ في مسألة التوحيد(علاوة علي ما بيناه في البيانات	١٥٣

السابقة)	١٦٣
ـ الله جل جلاله	١٦٦
ـ الرب جل جلاله	١٦٧
ـ الرحمـــــــن	١٧٠
ـ مختارات من الرد على الملاحـــــــدة	١٧٨
ـ تأمل في قدرة الله	١٧٩
ـ قصيدة مع الله والذر	١٨١
ـ مراقبة الله جل جلاله	١٩٠
ـ الرجـــــــــاء	١٩٥
ـ تقوى الله جل جلاله	
صفة الإتباع (محمد رسول الله)	٢٠١
ـ معنى محمد رسول الله	٢٠٥
ـ المقصد من : محمد رسول الله	٢٠٥
ـ مقتضيات: محمد رسول الله	٢٠٦
ـ وجوب محبته	٢٠٧

الدليل من القرآن	٢٠٧
الدليل من السنة	٢٠٨
بعض الآثار في محبة الصحابة لرسول الله	٢٠٩
ـ توحيد الطاعة والاتباع	٢٢٦
ـ ما الفرق بين طاعة النبي واتباع النبي والتأسي بالنبي	٢٢٧
ـ برهان (محمد رسول الله)	٢٣١
ـ تارك السنة يعاقب	٢٣١
ـ الإتباع الكامل دليل الحب الكامل	٢٣٢
ـ تارك السنة ملعون	٢٣٢
ـ تارك السنة ضال	٢٣٣
ـ التحذير من ترك السنة	٢٣٣
ـ معنى السنن	٢٣٤
ـ معنى اتباع السنن	٢٣٧
ـ علامة اتباع السنة	٢٤٠
ـ كيف تأتي فينا صفة اتباع النبي صلى الله عليه وسلم	٢٤٠

ـ قصص في الإتباع	٢٤٠
ـ شدة حرص الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) على العمل بالسنة	٢٥٣
ـ حرص الإمام مالك على اتباع السنة	٢٥٦
ـ حرص الإمام الشافعي على السُنة	٢٥٧
ـ حرص الإمام أبو حنيفة على السُنة	٢٥٨
ـ حرص بعض الأئمة على السنة	٢٥٩
ـ حرص الشيخ إلياس علي إتباع السنة	٢٦٠
ـ حرص الشيخ ابن باز علي اتباع السُنة	٢٦٢
صفة الصلاة ذات الخشوع والخضوع	٢٦٤
ـ مقصد الصلاة	٢٧١
ـ رسالة الشيخ يوسف الكاندهلوي في مقصد الصلاة	٢٧٧
ـ كلام الشيخ سعد هارون في مقصد الصلاة	٢٧٩
ـ نصلي بخمس صفات	٢٨١
ـ الصلاة الحقيقية	٢٨٢
ـ أثر الصلاة في حياة المسلم	٢٨٣

ـ علامة قبول الصـــلاة	٢٨٥
ـ كلام ابن القيم (رحمه الله) في كتاب القيم الوابل الصيب من الكلم الطيب عن حديث الالتفات في الصلاة	٢٨٧
الخشـــــوع في الصـــــــلاة	٢٩٥
ـ الفرق بين صلاتنا وصلاة النبي والصحابة	٢٩٥
ـ فوائد السواك	٢٩٦
ـ الوضوء وكيفيته	٢٩٩
ـ الغسل وكيفيته	٣٠٠
ـ التيمم وكيفيته	٣٠١
ـ صفة صلاة النبي لابن باز	٣٠١
ـ أشياء مكروهة في الصلاة	٣١٣
ـ أشياء مبطلة للصلاة	٣١٤
ـ من أحكام سجود السهو في الصلاة	٣١٤
ـ من علامات عدم الخشوع في الصلاة	٣١٦
ـ قصص في أحوال الخاشعين في الصلاة	٣١٦

ـ حرص الشيخ إلياس (رحمه الله) على الصلاة	٣٢٣
ـ طريقة الحصول على الصلاة ذات الخشوع والخضوع	٣٢٧
صفة العلم والذكر	٣٢٩
ـ معنى العلم	٣٢٩
ـ مقصد العلم	٣٣٠
ـ فضل العلم	٣٣٢
ـ علامة العلم	٣٣٧
ـ مجاهدة ابن عباس في طلب العلم	٣٣٧
ـ مصادر العلم الشرعي	٣٣٩
ـ أنواع العلم	٣٣٩
ـ من أقول الشيخ محمد عمر البالمبوري في العلم	٣٣٩
ـ كيف نتحصل علي العـــلم الشرعي	٣٤١
ـ وفي الخروج في سبيل الله التعلم ينقسم إلى قسمين	٣٤٢
ـ العلم نوعان (كسبي ، وهبي)	٣٤٣
ـ حقيقة العلوم الإلهية وثمارها	٣٤٤

ـ وجوب الجمع بين العلم والدعوة	٣٤٥
ـ وعلى الداعي أن يحذر من الوقوع في الترف	٣٤٩
الترف المادي	٣٤٩
الترف الفكري	٣٤٩
ـ إلى متى نطلب العلم	٣٥٠
ـ العلم الحقيقي	٣٥١
ذكـــر اللـــه	٣٥٥
ـ من فوائد الذكر لابن القيم	٣٥٨
ـ معنى الذكر	٣٦٣
ـ مقصد الذكـــر	٣٦٤
ـ أنواع الذكـــر	٣٦٦
ـ الذكر باللسان ينقسم إلى قسمين	٣٦٦
ـ الذكـر في القرآن	٣٦٦
ـ علامـة حقيقـة الذكـــــر	٣٦٨
ـ أهمية الذكـــــــــر	٣٦٨

ـ آداب الذكـــــــــــر	٣٦٩
ـ فائـــــــــــدة	٣٦٩
صفة الإكرام وحســـن الخـــــلق	٣٧٣
ـ معـــنى الإكـــــــــرام	٣٧٤
ـ مقصـــــــد الإكـــــرام	٣٧٤
ـ علامـــة الإكـــــــــرام	٣٧٥
ـ مراتـــب الإكـــــــــرام	٣٧٥
ـ طرق تحصـــــيل الإكـــــرام	٣٧٥
ـ قـصـص في الإكـــــرام	٣٧٧
ـ من أقوال المشايخ في الإكـرام	٣٩٣
ـ حسن الخلق	٣٩٥
ـ معنى حسن الخلق	٣٩٥
ـ مقصد حسن الخلق	٣٩٥
ـ علامة حسن الخلق	٣٩٥
ـ رسالة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي(رحمه الله) لجماعة الحج	٣٩٥

ـ كلام الشيخ إنعام الحسن (رحمه الله) في أصول الحياة الإنسانية	٣٩٧
ـ كلام الشيخ يوسف (رحمه الله) في أسباب فساد الأحوال وعلاجها	٣٩٩ ٤١٣
ـ كلام الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله)	٤١٥
ـ كلام الشيخ سعيد أحمد (رحمه الله)	
صفة الإخلاص وتصحيح النية في جميع الأقوال والأعمال والأحوال	٤٢١
ـ معنى الإخلاص	٤٢٤
ـ معنى المخلص	٤٢٤
ـ مقصد الإخلاص	٤٢٥
ـ المخلصون يخفون أعمالهم	٤٢٦
ـ المخلصون خائفون	٤٢٦
ـ الشيطان عدو الإخلاص	٤٢٨
ـ دليل إخلاص الصحابة	٤٢٩
ـ علامة الإخلاص	٤٣٠
ـ الإخلاص يظهر عند الشدائد	٤٣٤

١) النبي وأبو بكر في الغار	٤٣٤
٢) إبراهيم (عليه السلام)	٤٣٤
٣) موسي (عليه السلام)	٤٣٤
٤) في الأحزاب	٤٣٤
٥) في حمراء الأسد	٤٣٤
٦) الثلاثة الذين دخلوا الغار	٤٣٤
٧) خالد بن الوليد	٤٣٦
ـ قصص في الإخلاص:	٤٣٦
١) نجاة يوسف الصديق بالإخلاص	٤٣٦
٢) نجاة يونس عليه السلام من بطن الحوت بالإخلاص	٤٣٦
٣) موسى عليه السلام يناجي ربه:	٤٣٦
٤) إخلاص رجل من الأعراب	٤٣٧
٥) إخلاص سعد بن معاذ رضي الله عنه	٤٣٧
٦) عثمان وبيعة الرضـــوان	٤٤٠
٧) قزمـــــــان	٤٤١

٨) بإخلاص عمر بن الخطاب رزقه الله الشهادة	٤٤٣
٩) إخلاص عبد الله بن جحش	٤٤٨
١٠) أصيرم بني عبد الأشهل	٤٤٩
١١) مخـــــيريق يهـــــود	٤٥٠
١٢) ســـــعيد بن المسيب	٤٥٠
١٣) جريج العابد نجاه الله بالإخلاص	٤٥٠
١٤) حكاية عابد من بني إسرائيل	٤٥١
١٥) قصة غازي في سبيل الله	٤٥٢
١٦) وأري بعضهم رؤية في المنام	٤٥٣
١٧) قصة تائب	٤٥٣
١٨) قصة صاحب النقب	٤٥٤
ـ فوائد من كتاب الإخلاص لابن أبي الدنيا	٤٥٥
ـ فوائد من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي	٤٥٨
ـ فوائد من كتاب الزهد لابن المبارك في الإخلاص	٤٥٨
ـ درر من أقوال العلماء في الإخلاص	٤٦٠

ـ ثمرات الإخلاص	٤٦٢
ـ وصايا المشايخ للأحباب بالإخلاص في العمل	٤٦٧
وصية الشيخ إلياس (رحمه الله)	٤٦٧
وصية الشيخ يوسف (رحمه الله)	٤٦٩
وصية الشيخ محمد عمر البالمبوري(رحمه الله)	٤٧٠
صفة الدعوة إلي الله	٤٧٧
ـ التعريف بالدعوة اصطلاحا (في لسان الشرع)	٤٧٧
ـ مقصد الدعوة	٤٨٠
ـ الأمر بالدعوة إلى الله عز وجل	٤٨٣
ـ حكم الدعوة	٤٨٦
ـ شروط يجب أن تتوفر في الداعي	٤٨٩
ـ أجر الدعوة إلى الله	٤٩٦
ـ التوفيق في الدعوة إلى الله	٤٩٦
ـ عقوبة ترك الدعوة إلى الله	٤٩٧
ـ ما حدث لبني إسرائيل بسبب ترك الدعوة	٤٩٩

ـ عقوبة من لم يطابق قوله فعله	٥٠٥
ـ علامة الدعوة	٥٠٦
ـ ثمرات الدعوة إلى الله	٥٠٧
ـ من أفواه الدعاة إلي الله	٥١٣
ـ ما الفرق الذي بيننا وبين الصحابة الكرام	٥١٤
ـ الدعوة تناديكم أنا وظيفة أعماركم	٥١٤
ـ طرق الحصول علي الدعوة	٥١٨
ـ من أقوال مشايخ التبليغ في واجب الدعوة	٥١٩
قول الشيخ الأنصاري (البهاولبوري)	٥١٩
قول الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي	٥٢١
قول الشيخ عبد الوهاب	٥٢٢
ـ مراعاة أحوال المدعوين	٥٢٣
ـ مراعاة مقتضيات الدعوة	٥٢٤
ـ هل الجن مكلفون بالدعوة مثل الإنس؟	٥٢٤
ـ هل واجب الدعوة على الرجال دون النساء؟	٥٢٥

ـ انتهاز الفرص للدعـــــوة	٥٢٥
ـ الاستمرارية في جهد الدعـوة	٥٢٧
ـ مقام الدعوة مقام المحبين	٥٢٩
ـ ما حكم من يهاجم الدعوة وأهلها	٥٣٠
ـ كلمة للمثبطين عن جهد الدعوة	٥٣٢
ـ نصيحـــــــــة	٥٣٢
ـ التشـــكيل	٥٣٣
المراجـــــــع	٥٣٥
الفهـــــــرس	٥٣٧